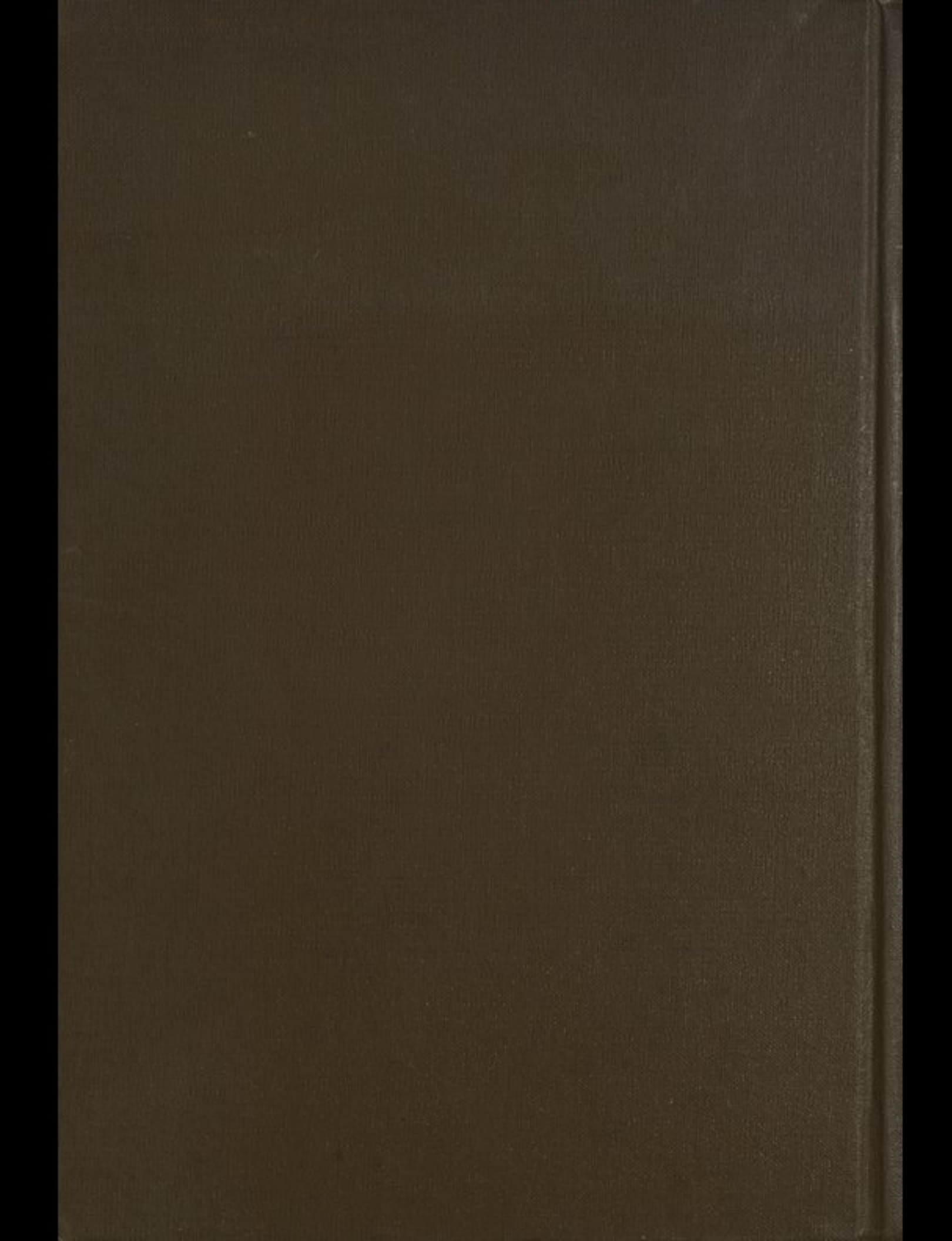




تجليد
صالح الكو
بيوت - النزهة

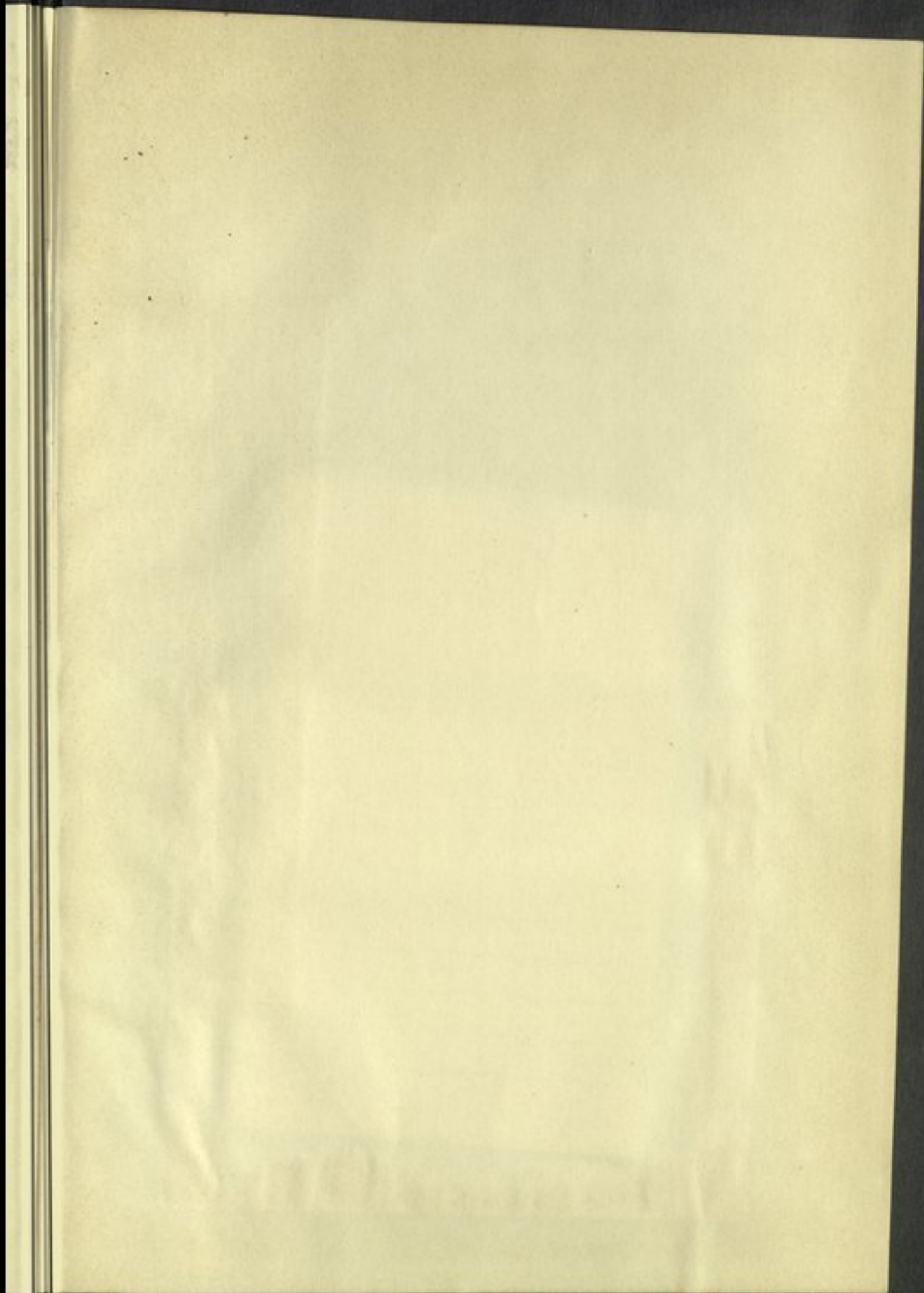
892.71:Al11zA

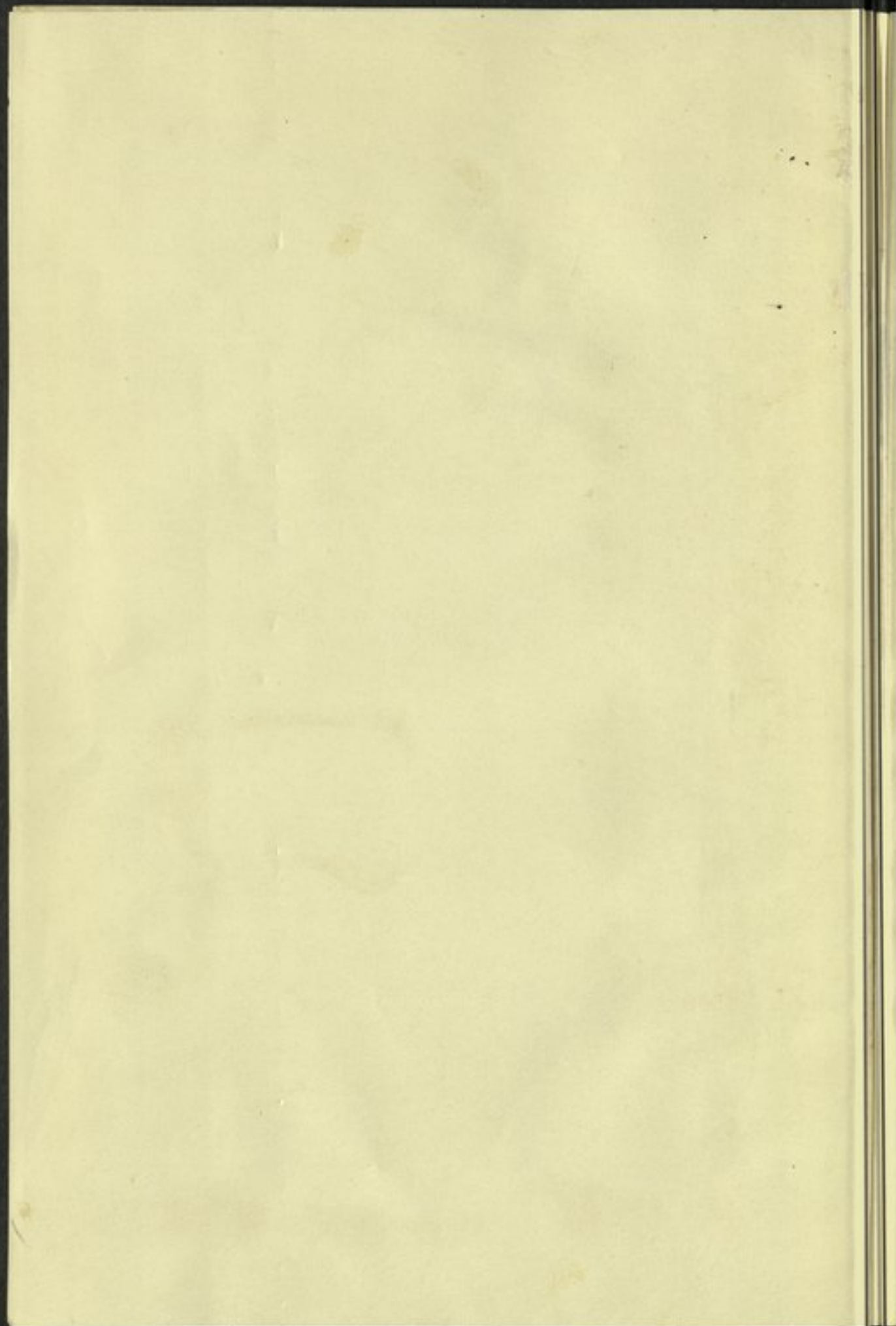
الله ويردي، ميخائيل خليل •

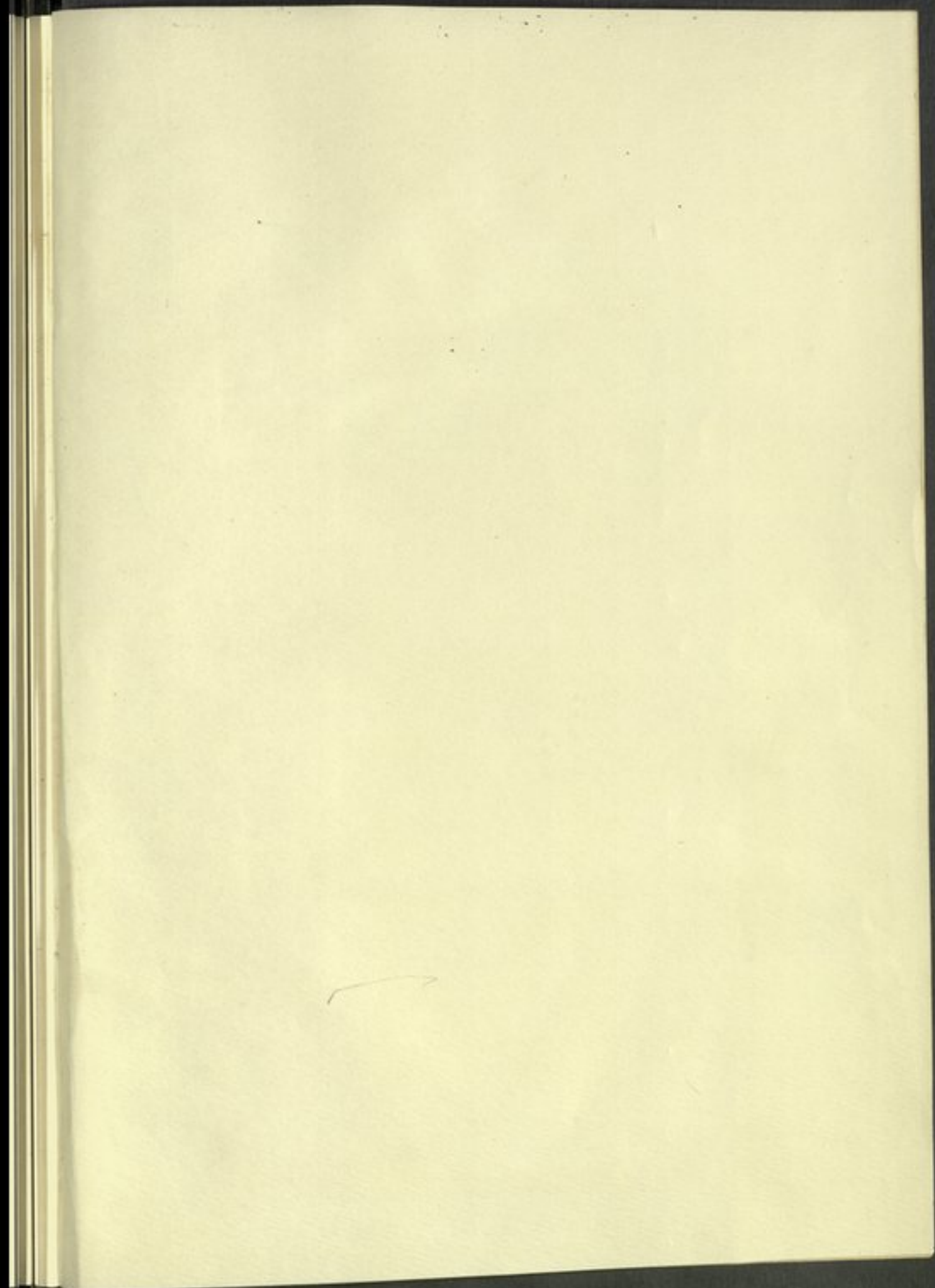
زهر الرب • شعر •

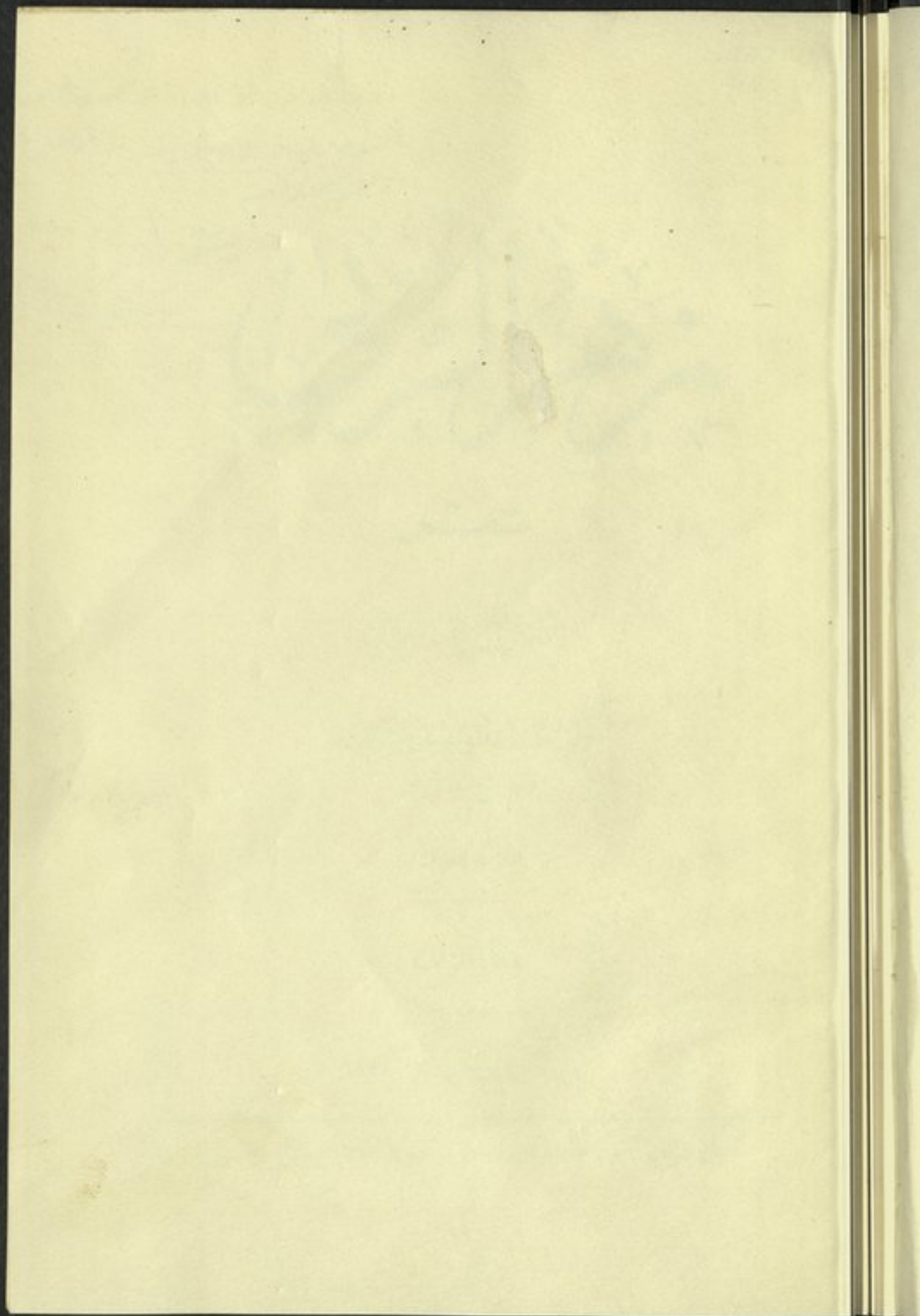
892.71

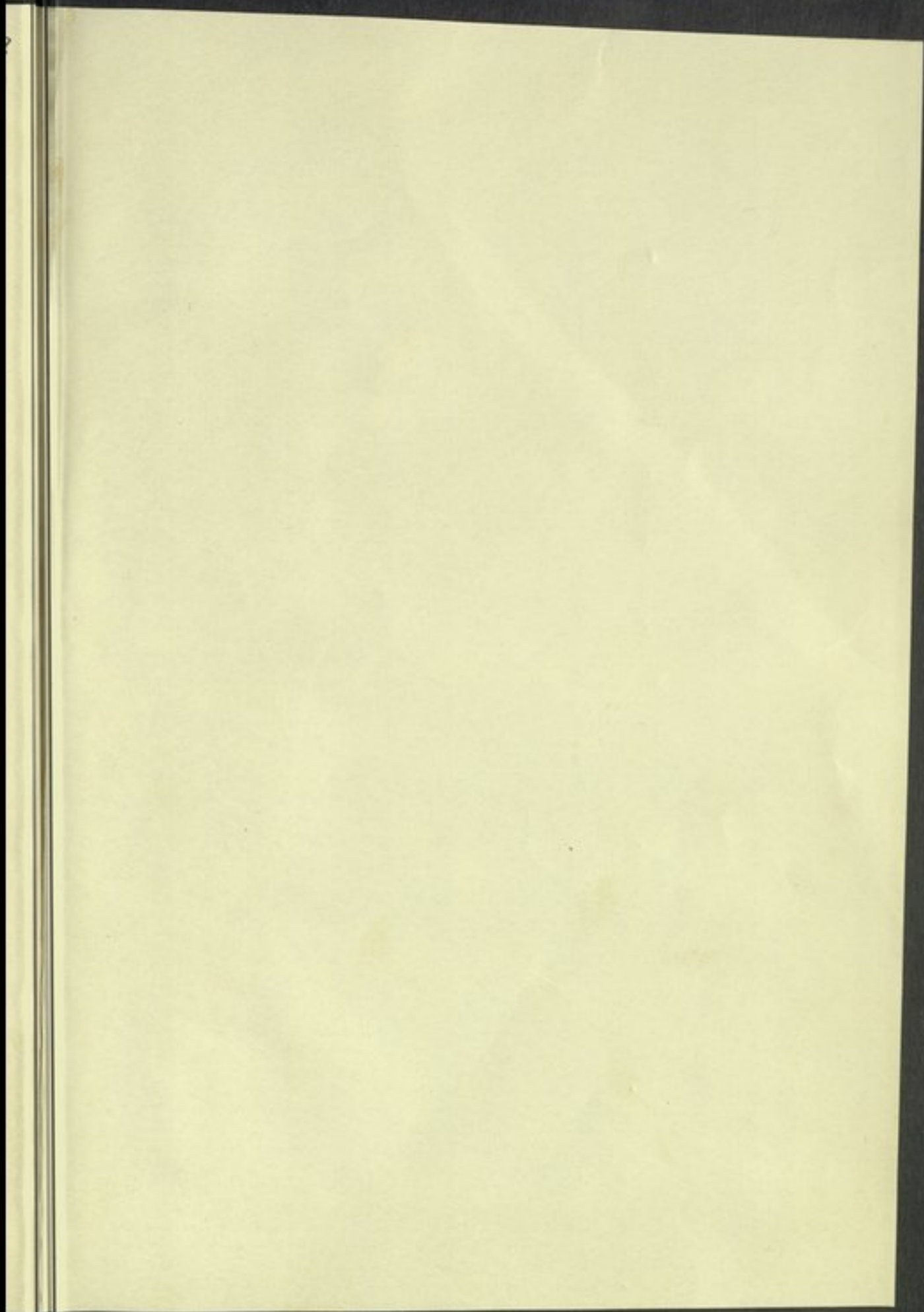
A 4113A











تقدمة من المؤلف الى مكتبة الجامعة
المبركة في بيروت مع المؤلف
والبيروت

دمشق ١٩٥٤

نهر اليرموك

شعر

ميخائيل خليل الله ويردي

مؤلف فلسفة الموسيقى الشرقية
وبدائع العروض

الفرق محفظة

هدايا المؤلف

المكتبة الهاشمية بدمشق ١٩٥٤

عنوان المؤلف : م . الله ويردي — ص . ب (٣٢٣) دمشق — سورية



فهارس الكتاب

ص ١٦ فاتحة الكتاب ص ١٧ كلمة المؤلف ص ٢٠ المقدمة

فهرس الموشحات

صفحة	الموشح	مطلع	بحر	عدد أبيات
٤٤	زهر الربى	يا هدى قومي انظري	مجزوء الرمل	٥٢
٦٨	نجمة الصبح	نجمة الصبح المنيرة	« «	٢٣
٧٥	زهرة	دع عنك غطرسة	مجزوء الكامل المرقل	٤٠
٧٨	الحق والعاطفة	شدت العنادل	كامل	٤٠
٨٢	نداء الحب	غادتي هل ذكرت	خفيف	١٨
١٠٤	ظلال البحيرة	يا طيوف الحب	رمل	٦٠
١٢٢	ثورة على الحب	اقلعت عن حبي	كامل	٤٩
١٥٧	انشودة الحياة	سكنت روحي	رمل	١٠
١٥٨	المفكر	واطول شوقي	مخلع البسيط	١٢
١٦١	رؤيا الملك	حلم للمليك	كامل مع مجزوءه	١٢
١٦٣	نشيد العلم	يا علمي أنت المنى	مجزوء رجز ورمل	٦
١٦٧	العبرة بالعمل	عجز الوالد	رمل وجديد	١٠
١٦٨	العاطفة المنقذة	ينفع المرء كل حين	خفيف	١٤
١٦٩	الطيب والفقير	قصد الفلاح ذيب	مجزوء الرمل	١٨
١٧٠	ماتم المتمول	ورث الجرو سليل	« «	٢٤
١٧٢	دار البقاء	ظلمة سادت على	رمل	٣٥

فهرس القصائد

صفحة	الفصيلة	مطلعها	فانيها	بحرها	عدد أبيانها
١١٦	آلام الغرام	الحب يذكيه	بَـ	مجتث	٧٧
١٢٩	يائسة	عذابي أليم	بَـ	طويل	٣٠
٦٤	المصير	من أعداء العيش	بـ	رمل	٦٠
١٤٠	الاقطاعية	فرخ من الجن	بـ	بسيط	٣٧
١٤٣	التفاوت الهدام	بلادي هوى الدنيا	بـ	طويل	٢٥
١٥٩	الوطن	وطني هو الأرض	تـ	مجزوء الكامل	١٤
٧٢	صوت سورية	قفا نحمد الأيام	دُـ	طويل	٤٢
١٢٧	نادمة	عاش يهوها	دَـ	رمل	١٧
٥٥	ذكرى المتني	سلام على ذكر	دـ	طويل	٧٦
١٣٦	نظامنا الاجتماعي	في نظام مرصع	دـ	خفيف	٥٨
١٠٩	غرام الفلاسفة	عشقنا وللعشاق	رـ	طويل	٤٢
١٥٠	حياة العلماء	إن لم تعظنا	رـ	كامل	٢٩
١١٢	عذاب العبقري	ذلك البدر	رَـ	خفيف	٥٥
٨١	صراحة عاشق	إليكم حديثاً	رـ	طويل	١٢
٩٣	حكاية قلب	أطلت بك النجوى	رـ	طويل	١١١
١٦٢	منشد الدهور	قضيت العمر	رـ	هزج	١٧
٤٧	الشاعر الملهم	الشعر عاطفة	عـ	كامل	٦٠
٥١	حديث روح	طلاب الخلد	عـ	وافر	٥٥
١٥٤	مهندس السلام	نشر السلام	عـ	كامل	٧
١٥٦	الروح والمادة	أنكرت عيني	عـ	رمل	٧

صفحة	التصنيف	مظهرها	فانيتها	بحرها	عدد أبيانها
١٦٠	راحة البال	إذا بت في يأس	ك	طويل	١٢
١٥٤	الجمالون	دنياك لهو	ل	كامل	٧
٧٠	رجل المبدأ	جذل وقلي	لا	كامل	٣٢
١٢٦	مستهتر	وغانية أخفى	لها	طويل	١٨
١٠١	المفتون	ايها الشاكي	له	رمل	٤٠
١٥٢	المستهزئون	قالوا أترجو	له	كامل	٣١
١٣١	فراق	هذا هواك فودعي	ل	كامل	١٢
١٥٥	المدينة الفاضلة	لاخير في بلد	م	بسيط	٧
٣٥	وحي البردة	أنوار هادي الوري	م	بسيط	١٢٥
٨٦	نور الهدى	ذكرى ليالي الهوى	نا	بسيط	٦٢
١٣٢	الموسيقار	نصوغ من لاعج	نا	بسيط	٤٣
٩٠	عائدة	سلي عن مقامي	ن	طويل	٤٥
١٢١	انذار	غداً ابدل	ن	بسيط	١٢
١٣٥	طريق السلام	أولعت بالعدل	ن	بسيط	١٥
١٤٥	ذكرى الشهيد	لاتدرفا دمعاً	نه	كامل	٨٠
١٦٤	أمير نيام نيام	يقول شيخ	وه	بسيط	١٦
١٦٥	المدح الكاذب	واهاً لشعبك	ته	كامل	١٠
٦٠	بلاء الدنيا	أنت يا دنيا	يه	مجزوء الرمل	٥٧
٨٤	ميادة	خطرت وورد	يها	كامل	٢٥
١٥٥	فلسفة الخلود	لابد من تغير	متعددة	رجز	٧
١٦٦	صورة رمزية	من أولعوا	متعددة	رجز	١٨

فهرس الخمسات

صفحة	المفمس	صاحب الأساس	القافية	صفحة	المفمس	صاحب الأساس	القافية
١٧٧	نيل للى	امرؤ القيس	بُ	٢٥٨	عجة الأعداء	الشاعر القروي	بي
١٨٠	الرفعة الروحية	عنزة	بُ	١٩٣	من هو ؟	أبو العتاهية	بيه
١٨١	هجران	عنزة	بُ	٢٠٨	زوال الهوى	المتنبى	بيه
١٨٧	الحب بعد الموت	قيس العامري	بُ	٢٥٦	الحب والشراب	الحيام / رامي	بُ
١٨٨	التوبة الكاذبة	قيس العامري	بُ	ت			
١٩٧	المتعلقون	عبد القدوس	بُ	٢٣٠	هلال الشك	عمر بن الفارض	ت
١٩٨	ظلم الحبيب	أبو فراس	بُ	٢٣٢	جزاء الحب	البهاء زهير	ت
٢٠٦	يقظة العقل	المتنبى	بُ	٢٤٧	الحياة والموت	احمر شوقي	ت
٢١٨	تلفت القلب	الشريف الرضي	بُ	٢٦٥	اضحوكة الآتي	الياس فرحات	ت
٢٤١	ما ذنبى		بُ	٢٦٥	غسل الجراح	جورج صيدح	ت
٢٥٨	فخص النفوس	الشاعر القروي	بُ	٢٤٩	النور والظلام	جبران	تبه
٢٤٠	عاقبة الدلال		بها	ج			
٢٥١	الأمة العاقلة	حافظ ابراهيم	با	٢٢٩	الحرب الأبدية	عمر بن الفارض	ج
١٩٦	الايشار على الحبيب	البحتري	ب	ح			
١٩٦	العوبة الحب	البحتري	ب	٢٢٠	ذكرى	مهيار الديلمي	حا
١٩٧	للشيب	ابن المعتز	ب	٢٥٧	خط ومحا	بشارة الخوري	حا
٢٠٣	لولا الموت	المتنبى	ب	٢٥٣	سر الحظوظ	ايليا أبو ماضي	ح
٢٠٥	تعويذ المجد	المتنبى	ب	٢٦٨	الحب والشعر	أنور العطار	ح
٢٠٨	ذم الدنيا	المتنبى	ب	٢٥٥	زوال الباطل	الحيام / رامي	ح
٢٦٣	لذة الأرواح	عمر أبو ريشة	ب	د			
٢٦٩	هوى الروح	الله وبردي	ب	١٩٢	اصدقاء	العباس بن الأحنف	د

صفحة	المحمس	صاحب الأساس	القافية	صفحة	المحمس	صاحب الأساس	القافية
٢٠٤	عهد الحسناء	المتنبى	دُ	٢٦٦	النداء الأخير	أنور العطار	رى
٢١٢	مجمع المتحذلقين	المتنبى	دُ	١٩٤	الصبر الجليل	أبو العناهية	رِ
٢٢٢	الوجد المفقود	الحلاج	دُ	٢١٨	أحلام الجلال	أبو العلاء المعري	رِ
٢٥٢	خالد بن الوليد	شكيب ارسلان	دُ	٢٢٨	عاقبة الصبر	محمد بن يسير	رِ
٢٦٤	أناهيد	شفيق معلوف	دُ	٢٣٦	الساھر	ابن سهل	رِ
٢٦٧	الفن	أنور العطار	دُ	٢٥٠	سحر الطبيعة	الرصافي	رِ
١٨٦	شرف الرئاسة	القنع الكندي	دا	٢٦٠	جراحة الإقرار	الشاعر القروي	رِ
٢٠١	طبائع الناس	المتنبى	دا	٢٧١	النظام الفاسد	الله ويردي	رِ
٢٢٧	الشوط الأخير	الأرجاني	دا	٢٧٣	سبيل التفاهم	الله ويردي	رِ
١٧٨	رواية الأيام	طرفة بن العبد	دِ	س			
١٩٠	أيها اجدى	ابن المدينة	دِ	١٩١	السكران الصاحي	الخليفة المأمون	سِ
٢١٢	قدر الشهادة	المتنبى	دِ	٢٣٤	نفوس العشاق	البها زهير	سِ
٢٢٧	الجهد الضائع	الأرجاني	دِ	٢٦٠	عشرة الناس	الشاعر القروي	سِ
٢١٥	تجربة الدنيا	أبو العلاء المعري	دِ	ع			
١٨٥	الفصة الباقية	أبو صخر الهذلي	رُ	١٨٤	الحزم الرفيع	أبو ذؤيب الهذلي	عُ
١٨٥	الحب الندي	أبو صخر الهذلي	رُ	١٩٤	بين الاقدام	أبو العناهية	عُ
١٩٨	صلاة عاشق	أبو فراس	رُ	٢٠٢	الآثار الباقية	المتنبى	عُ
٢٢١	خفة الظل	البهلول	رُ	٢٢٢	محبة الله	الحلاج	عُ
٢٤١	الحب الخالد		رُ	٢٥٠	وجه الله	الزهاوي	عُ
٢٤٢	الدنيا مزرعة		رُ	٢٦١	الطمع	الشاعر القروي	عُ
٢٦٢	عرس المجد	عمر أبو ريشة	رُ	٢٥٩	الأشعاع	الشاعر القروي	عوا
١٨٤	العفو والانتقام	أوس بن حبناء	رُ	٢٢٣	لائمذليه	ابن زريق	عُ
١٨٣	العظمة الحقيقية	سالم الأسدي	را	٢٧٠	نصيحة للاغنياء	الله ويردي	عُ
٢١٠	شفاعة الشعر	المتنبى	را	٢٥١	الله أكبر	حافظ إبراهيم	عا
٢٣٨	غاية الحياة		را	١٨٩	حكمة الدهور	قطري بن الفجاءة	عرا

صفحة	المخمس	صاحب الأساس	القافية	صفحة	المخمس	صاحب الأساس	القافية
١٨٠	صفات الشجاع	عنترة	م	٢٠٠	العلم	المتني	ن
١٩٩	اللذة في الألم	المتني	م	٢٢٥	جهل وحسد	الأيوردي	ن
٢٠٢	الحياة والموت	المتني	م	٢٣٣	آلام الحياة	البهاء زهير	ن
٢٠٦	ميزان الفهم	المتني	م	٢٣٥	الاخاء الانساني	محي الدين بن عربي	ن
٢١١	جزاء الاستقامة	المتني	م	٢٤٤	بين نارين	اسماعيل صبري	ن
٢١٩	نهاية الغرام	الشريف الرضي	م	٢٤٨	فتنة الجمال	أحمد شوقي	ن
٢٢٨	ضيعت ايامي	سبط الفارض	م	٢٦٣	نسيان الماضي	عمر ابو ريشة	ن
٢٧٢	جريح الغرام	الله ويردي	م	٢٧٣	باب النجاة	الله ويردي	ن
٢٧٢	رحلة العمر	الله ويردي	م	٢٦٤	الشاعر الملهم	عمر ابو ريشة	ن
٢٣٣	التقلب	البهاء زهير	م	٢٥٧	حظ الجملول	الحيام / رامي	ن
٢٤٩	الصب الملول	جيران	م				
٢٥٤	آلام الحياة	الحيام / رامي	م				
٢٦٢	الفن الدفين	عمر ابو ريشة	م				
٢٠٩	الأمل الضائع	المتني	ن	٢٢٦	حلاوة الجور	الايوردي	و
٢٢٤	مقارعة الزمان	الايوردي	ن	٢١٦	أولو الفضل	أبو العلاء المعري	و
٢٤٠	سحر العيون	؟ . . .	ن	٢٦٦	أحلام وأصداء	أنور العطار	و
٢٢٣	حياة الاديب	الحلاج	نه	٢٤٥	خمر الجمال	اسماعيل صبري	ياه
١٨١	فخر العرب	عمرو بن كلثوم	نا	٢١٧	ظلم الحكام	أبو العلاء المعري	وها
١٨٩	قاضي الهوى	جرير بن عطية	نا	٢٤٦	يا آسي الحبي	اسماعيل صبري	ياها
٢١٠	الدائم والزائل	المتني	نا	٢٢٥	حب لا يبلى	الايوردي	يا
٢٣٤	صحبة الكرام	البهاء زهير	نا	٢٣٩	حفظ الوداد	؟ . . .	يا
٢٣٦	الفنائة في الحب	ابن زيدون	نا	٢٧١	الجهاد الصحيح	الله ويردي	يا
٢٤٣	اقصر نوادي	اسماعيل صبري	نا	٢٤٨	الطغاة	أحمد شوقي	ء
٢٦٧	ندامة	أنور العطار	نا	٢٣٧	قساء	صاحب البدائع	ء
٢٧٤	حب وسلوان	الله ويردي	نا	٢٤٧	بؤس الحكماء	حفي ناصف	ء
١٨٨	لارحمة في الحب	قيس العماري	ن	٢٥٣	القلوب المتحجرة	ابلياً أبو ماضي	ء
١٩٥	طبع الكريم	ابو تمام	ن	٢٣١	الحب المتبادل	البهاء زهير	يه
				٢٤٦	نار الغرام	خليل مطران	يه
				٢٣١	اتفاق القلوب	عمر بن الفارض	ي

فهرس الثنائيات والثلاثيات

صفحة	العنوان	صفحة	العنوان	صفحة	العنوان
٢٩٦	لي الانتقام ...	ت		٢٩١	الزهره العطش
٢٩٩	المواهب المفيدة	مكافأة	٢٨٦	٢٩٨	لاكرامة لني
٣٠١	صوت سيد	الوحدة العامة	٢٨٨	٣٠٥	فتاة الجنة
٣١١	غبط الأكفاء	أسباب التفرقة	٢٨٩	٣٠٧	التشب بالسكري
٣١٣	ادعياء العلم	لغة الإنسانية	٢٨٩	٣١٠	هلوا تتعاون
٣١٥	عواء الحساد	الكفاية	٢٩٨	٣١١	غنّي وزاهد
٣١٦	ذنب من لا ذنب له	جهد البشر	٣٠١	٣١٢	عميان
٣١٦	العبيد الأحرار	حذار	٣٠٣	٣١٥	الكسّابون ...
٣١٧	معبد الابتاحات	هاربة من الجنة	٣٠٦	٣٢٣	أين الحقيقة
٣٢٤	ما العروبة	عاشق الروح	٣٠٩	٣٢٥	آخر الداء الكمي
٣٢٥	عزة الشعراء	إسرار	٣٠٩		
٣٢٦	العرش الهاوي	أيها الظالم	٣١١	ب	
	ر	صاحب شهادات	٣١٣	٢٨٥	الروح الأسير
٣٢٦	المنافعون	شقاه الناس	٣٢٨	٢٨٧	واترك لنا ما علينا
	ـ	ج		٢٩٠	حياة المناذل
٢٨٥	الفاني والباقي	الاتاج	٣١٦	٢٩٩	بشراك
٢٨٦	الطيب الساري	ع		٣٠٠	الأديب والمآل
٢٨٦	سيان	الخمرة الروحية	٢٩٠	٣٠٢	النّاظر
٢٨٦	عرفان الحقيقة	تذكّر الصديق	٢٩١	٣٠٥	صبابة المرتاب
٢٨٨	عدالة اجتماعية	التسامح	٣٠٢	٣٠٦	أوهم الهوى
٢٨٨	قدوة	بهجة الدنيا	٣٠٤	٣٠٦	صائفة القلوب
٢٨٨	الممالك	حال الماديّن	٣١٢	٣٠٩	التوبة
٢٩١	العقل الباقّة	عقبى المستنزيّن	٣١٣	٣٠٩	معنى الهوى
٢٩٢	ذبح العدل	و		٣١٠	طالب الدنيا
٢٩٤	طريقان	رسالة	٢٨٥	٣١٩	الحالدون
٢٩٥	الشعر	انتقام	٢٨٧	٣١٩	علم والياسة
٢٩٥	بحر العمر	بدء الخلود	٢٩٠	٣٢٠	زوال الاضطاعة
٢٩٥	غبطة الروح	أولادي الشهداء	٢٩٢	٣٢٢	مسابقة ديوقراطية
٢٩٧	نحو النور	الإخاء الانساني	٢٩٣	٣٢٢	التمثيل الصحيح
٢٩٨	جزاء الإحسان	المنصف	٢٩٣	٣٢٧	حرب الفناء
٢٩٩	أين الحقيقة			٣٢٩	أس السلام
٣٠٣	الاقرارف				

صفحة	العنوان	صفحة	العنوان	صفحة	العنوان
٣٠٧	المخدوع	٢٨٥	ل	٢٩٣	ع
٣٠٧	انتقام الموسيقى	٢٨٦	درم عمل ...	٢٩٣	الأثنية
٣٠٨	الحسناء الجاهلة	٢٨٦	الحق والجدل	٢٩٦	الاطماع الهدامة
٣١٢	المغامر	٢٨٨	الخطأ والصواب	٣٠٢	مسؤولية الإنسان
٣١٤	الخطيئة الجديدة	٢٩٢	ضياء الروح	٢٨٧	ظلال الاخاء
٣١٦	حانة الدجالين	٢٩٢	اكنزوا لكم	٢٩٠	ضعف وعزم
٣١٧	العقول الصغيرة	٢٩٣	إغراء الدنيا	٢٩٧	صديق الحق
٣١٧	المعم والانتاج	٢٩٤	عاقبة الدنيا	٣١٤	الفلسفة بالله
٣١٨	الدجالون	٣٠٠	الاستقامة	٣٢٣	انتخابات
٣٢٣	وحدة الدنيا	٣٠٤	الأمانى العابرة	٣٢٨	عالم واحد
٣٢٦	رجال السياسة	٣٠٦	المادة مستحكة	٣٠٧	دواء التوابع
٣٢٧	هوى الشر	٣١٠	النقد	٣٢٤	الأخاء والسياسة
	س	٣١٢	الإغراء الفاسد	٣٢٨	وحدة البشرية
٢٩٩	شاعر القرن العشرين	٣١٤	الإيمان بالبرهان		ل
٣٠٠	النجاة	٣١٥	شعراء آخر زمان	٢٩١	الفن الروحي
٣٠٣	التجديد حياة	٣١٩	الحكام المبرون	٣٠٥	عودة الذكرى
	ع	٣٢٠	الرسائل	٣١٨	شبه التينة
٢٩٣	الأثنية	٣٢٢	المبادئ والسياسة		
٢٩٦	الاطماع الهدامة	٣٢٤	مساواة الدول		
٣٠٢	مسؤولية الإنسان	٣٢٦	دعوى فاسدة		
	ف	٣٢٨	خدمة السلام		
٢٨٧	ظلال الاخاء		م		
٢٩٠	ضعف وعزم	٢٨٥	فخر الهزار		
٢٩٧	صديق الحق	٢٨٩	العلاج الحاسم		
٣١٤	الفلسفة بالله	٢٩٧	المصلح الزاهد		
٣٢٣	انتخابات	٢٩٧	النبطة الصحيحة		
٣٢٨	عالم واحد	٣٠١	غاية الحضارة		
	و	٣٠٣	الوهم والحقيقة		
٢٩٨	دواء التوابع	٣٠٤	الشاعر		
٣٢٤	الأخاء والسياسة	٣٠٨	هوى الأوهام		
٣٢٨	وحدة البشرية	٣٠٨	كاتم الهوى		
	ل	٣١٠	وآد العبقرى		
٢٩١	الفن الروحي	٣١٣	الشيء		
٣٠٥	عودة الذكرى	٣١٧	النقد البري		
٣١٨	شبه التينة	٣١٨	متحف		
		٣٢٠	تهريج السياسة		
		٣٢١	واقع الحياة		

فهرس الشذرات

صفحة	المفردة	مطلعا	فانينها	بحرها	عدد أبيانها
١٥٦	وحدة الكون	عندما تنفصل	د	مجزوء الرمل	٥
٣٣١	النساء	يتمنعن وهن	ت	رمل	٦
٣٣١	حب الغراب	دع عنك لومي	ر	بسيط	٤
٣٣٢	الذكر الخالد	ما احتيالي	ل	خفيف	٥
٣٣٢	عدل	كتاب الكفر	وه	وافر	٥
٣٣٣	نتيجة الحياة	أين كنت	اه	مجزوء الخفيف	٥
٣٣٣	زوال الشر	نغر المني	ل	جديد	٥
٣٣٤	المزمور الأول	طوبى لمن	متنوعة	مجزوء الرجز	١٤
٣٣٥	صلاه	عرفتك يا ربّي	تي	طويل	٤

فهرس الترييع

صاحب الاساس	طويل	قيس بن ذريح
٢٧٥	ذكرى الحبيبة	أراني وقد عاد
٢٧٥	ألم واشفاق	تركوني وسروا

فهرس التشطير

٢٧٦	الأخلاق والأمهات	هي الأخلاق	ت	وافر	معروف الرصافي
٢٧٨	استغفار	دعني اقبل	يك	مجزوء كامل	فؤاد الخطيب
٢٧٩	الاخلاص في الحب	انا من مكر	ل	رمل	أبو الوائيد بن الشرف
٢٨٠	ألم الفراق	غدا يتفرق	ع	متقارب	أشجع السلمي
٢٨٠	العاشق اليأس	لم يبق لي	عا	كامل	أبو الفتح
٢٨١	مكارم الأخلاق	إذا رمت	ن	طويل	الإمام الشافعي
٢٨١	الحفاظ على الصديق	إذا خانني	م	طويل	إسماعيل صبري
٢٨٢	كبرياء	حواء هل نلتقي	ف	بسيط	آدم ؟

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



مِنْ خَاتَمِ خَلِيسَةِ لَقَّةٍ وَرَوِّی

ألهاء :

إلى الردع الموحية،

والى كل شاعر يقدر ، أهدي زهر الرب

دعنا ١٤٧٦/١/١ = ١٩٥٦/١/٢٠

٢١



میخائیل غلیسلا لاهه ویری

فاتحة الكتاب

قِيلَ : زَهْرُ الرَّبِّ سَبَّحُ الزَّوَالِ
قُلْتُ : إِنْ لَمْ يَحْبِدْ نَدَى وَظِلًّا لَا
تَكُنْ ذِكْرِي شَوْقُ أَهْلِ الْخِيَالِ
عِنْدَ مَا يَذْكُرُ الْجَمَالَ الْجَمَالَ
لَا أَرَاهُ أَنْقَضَتْ كَمَرُ اللَّيَالِي
رُبَّ ذِكْرِي تَطْوِي سِنِينَ الطُّوَالِ

م . الله وبره

كَلِمَةُ الْمُؤَلِّفِ*

كان والدي الطيّب الذّكر الأستاذ خليل ميخائيل الله ويردي (١٨٦٨-١٩٤٥) خبيراً بالتربية والتعليم ، متضلّعاً من العربية والرياضيات ، وعلوم الدين والدنيا ، متمكناً من التركية واليونانية ، ملماً بالروسية . ولما رأى أن تلميذ المدرسة لا ينال كل يوم من الثغرات الأساتذة أكثر من عشر دقائق ، قرّر أن ينشئني تنشئةً خاصة ، فبعد أن أتممت العلوم الابتدائية في مدرسة البنات ، باشر تدريسي البرامج الثانوية مع إضافات ، فعرفت شيئاً من علومه ، وكان يتطلب حلّ القضايا على عدة أشكال ، لاجراء المفاضلة واختيار الأصالح .

وفي السنة الثالثة من الحرب العظمى ، انتقلت والدي المرحومة مريم نقولا عطا الله إلى دار البقاء (١٨٧٨-١٩١٦) وكانت الحرب في إبّان احتدامها ، والأيام حالكة السواد على أكثر الناس ، وفي السنة ذاتها استدعي والدي للخدمة الاحتياطية ، ولما أعني عاد إلى أسرته ليتابع أعماله مع تعليمي ، أما اخوتي فأرسلهم إلى المدارس .

وبعد أن أتممت دراستي بدأت العمل محاسباً في المحال التجارية ، ولما افتتح معهد الحقوق بدمشق ، وددت الانتساب إليه ، وتعذّر عليّ ترك عملي ، فأخذتُ أطالع شرح المجلة وقانون التجارة وما نصل إليه يدي من أبحاث حقوقية ، فعهدت إليّ المحاكم بمهمات متعدّدة ، كنتُ أحاول فضّها بالحسنى ، وإلا فبالعدل والإنصاف .

ولم أنصرف إلى نزوات الشباب ، فأعمالي الكثيرة وتربيتي الخاصة ، أبعدتني عن المغريات ،

* وُلِدَ في دمشق سنة ١٩٠٤ ، والكنية (الله ويردي) تركية معناها (عطا الله) .

فكنتُ أرفقه عن نفسي بالمطالعة الدائمة ، ثم درستُ الموسيقى وعزفتُ النوبة على العود ، وأولعتُ بهوايات التصوير الشمسي ، وجمع الطوابع البريدية ، وإنشاء المقالات والمنظومات ، وتعلمت شيئاً من الفرنسية والانكليزية ، وشغفتُ بعلوم ما وراء الطبيعة .

وفي سنة ١٩٣٠ تخرجتُ شقيقى سمعان من جامعة بيروت الاميركية ، فأسست معه عملاً حرّاً ، لا تزال تتعاطاه إلى هذا اليوم .

وفي خلال سنوات (١٩٢٢ — ١٩٣٢) ساهمت بتأسيس النادي الأدبي ، والنادي الموسيقي السوري ، والرابطة الموسيقية ، وعملت على نشر الأدب والفن في محيطي . وفي سنة ١٩٣٢ انعقد مؤتمر الموسيقى في القاهرة ، ولما اطلعت على خلاصة أعماله ، أسفتُ لأنه لم يتوصل إلى نتيجة حاسمة ، فصممتُ على حلّ ما حال دون نجاحه ، وأخذتُ أجهد نفسي في تمحيص علوم الموسيقى منذ خمسة وعشرين قرناً ، ولما ميزت الغث من السمين ، وعرفتُ النواقص والأخطاء ، شرعت سنة ١٩٣٧ بتأليف كتابي « فلسفة الموسيقى الشرقية » وأنجزتُ طبعه سنة ١٩٤٨ ، فصادف تقديراً ، وأعلن مرشحاً لجائزة نوبل في ١٩٥١/٢/٢٣ ولما تزل نظرياته قيد البحث والتمحيص .

والآن أقدم إلى أمتنا الانسانية هذا الكتاب الجديد ، فالشعر والموسيقى صنوان ، يهدفان إلى غاية واحدة ، هي تثقيف عقول البشر وإيصالهم إلى السعادة ، مهما تعددت السبل وتنوّعت الوسائل ، وقد وضعتُ له مقدمة من روحه ، شرحتُ فيها بعض الأسباب التي أدّت إلى إخراجها ، وبعض النظريات والغايات التي كانت مسيطرةً على تفكيري أثناء تأليفه ؛ ويحدُ فيها المطالع عرضاً واضحاً لتلك الآراء التي أحسبها غاية الشاعر ، ومهمة العالم والأديب في عصرنا الحاضر ، فإذا كان ممن سمت نفوسهم وأحبّوا العدل والإنصاف ، وأدركوا أن التسامح والتساهل هما ميمنة طريق المحبة وميسرتها ؛ وإذا كان ممن لمسوا فوائد التضامن الاجتماعي ، وترفعوا عن المهارات التي لن تؤدّي إلى السلام ؛ وإذا كان ممن يلذّ لهم أن

يستعرضوا ما تشعر به النفوس الأبية من العواطف والانفعالات ، التي تذكي هوى الدنيا ممثلاً بهوى الحسان ، فتؤدي إلى نجاح أو إخفاق ، تبعاً لما يصاحبها من هدوء وطمأنينة أو عواصف وظنون ، كأنها قوات موجبة وسالبة تصطرع وتتدافع حتى تصل بالمرء إلى الغاية التي خطتها له الأقدار ؛ فقد عرف مواضيع « زهر الربى » وغاياته ، فهي بعض أماني المؤلف وخيالاته ، وقد تصبح قريباً حقائق ملموسة ، يجد فيها البشر طريق الخلاص مما يتخبطون فيه من الأوهام وأسباب الشقاء .

فأرجو أن تجد أيها المطالع العزيز في كتابي هذا ، ما يبهج نفسك وينال إعجابك ، فتذكر منه ما يروق لك ، وتتكرم بالتنبيه إلى ما تعثر عليه من نقص أو خطأ ، لأن العصمة لله .

صانك المولى يا أخي ! من مصير القوم الجاهلين ،
فإن أمجادهم تنتهي كأعمارهم ، عند أبواب القبور ،
أما أنت ، بحكم خلود ما أحيت ، فمن الخالدين ،
تستقبل صدر الأبد ، مجتازاً عبر الدهور .

م الله وبره

دمشق : ١ أيار ١٩٥٤ - ٢٨ شعبان ١٣٧٣



مُقدِّمةُ الكتاب

لما زرتُ مسجدَ محمد علي في القاهرة سنة ١٩٤٦ ، فتنتُ بروعة ما فيه من بدائع الفن ، لا سيما بقصيدة « البردة » المنقوشة فوق نوافذه بخط جميل مذهب ، وتمنيت أن يُفتح عليّ بقصيدةٍ مثلها تستحقُّ هذا النصيب .

وانقضتُ أعوام كانت تضطّرني خلالها مشاغل الحياة إلى العزوف عن أمنيّتي ، لا سيما أن أوقات فراغي القليلة ، كانت مخصصةً لإخراج « فلسفة الموسيقى الشرقية » .

بفظة في منام : وفي أواخر سنة ١٩٥١ رأيتُ فيما يراه النائم ، أنني في مسجد عالي الأقباس ، مزدان بنقوش عربية رائعة ، تكثر فيها الألوان البرتقالية والخضراء ، وبينما أنا مشدوه بما أرى ، ظهر أمامي في الجهة الجنوبية الشرقية كهلٌ وسم الطلعة ، أصلع الرأس ، له عينان فائقتا الجمال ، ولحية كستنائية مستديرة ، وكان يرتدي قفطاناً من الحرير الأبيض فيه خطوط أشدُّ لمعاناً ، وبعد أن قرأتُ عليه السلام ، ذكرتُ أن قصيدة البردة كانت منقوشة فوق النوافذ ؛ فأجاب : لست الآن في القاهرة ، إنك في مقرّي . وإذا صرختُ غفواً ، دنا مني يبشاشة قائلاً : أنت من أحبائي ، فكنْ مطمئناً ، أما البردة فقد فُتحَ عليك بمنزلها ، ثم لمسَ جبتي فشعرتُ بانقفاضةٍ واستيقظتُ من نومي .

وفي البردة : وبعد برهةٍ وجدتُ أنني على استعداد تام لتحقيق أمنيّتي ، فكتبتُ مطلع القصيدة :

أنوارُ هادي الوري في كعبة الحرم فاضت ، على ذكر « جيران بذى سلم »
وتتالت أبياتها بسرعة عجيبة ، وتمت في غضون ثلاثة أيام ، فتلوتها على مسامع كثيرين من الشعراء والأدباء الذين شرفوني بزيارتهم ، فقالوا إنها موفقة جداً .

ولما نُشرت للمرة الأولى في الرسالة ، نالت استحسان الأدباء ، وتناقلتها صحف ومجلات ،
وقدّم لها كثيرون بدراسات ، وقرّظوها بمدائح .

واتخذت جمعية التمدن الإسلامي بدمشق قراراً يعبر عن تقديرها لعملي ، وكذلك فعل
بعض علماء المملكة السعودية لدى المفوضية السورية هناك .

التقارب الديني : لقد أردتُ أن أشيد بروحي البردة صرح مودة خالدة بين المسيحيين
والمسلمين ، فالدين لله الذي تعالى عن إدراك البشر ، وأغلق بصيرة كل من يتفلسف فيه ،
ولعل من يدرك هذه الحقيقة لا يجد صعوبة في قبول ما وصلتُ إليه ، وإذا كنا نعتبر
ميخا وحجي وملاخي من النبيين ، لا لشيء سوى أنهم كتبوا بضع صفحات في التوراة ،
فبالأحرى أن نعتبر محمداً (ص) في طليعة الأنبياء ، وقد آمن برسائله مليارات من البشر
منذ أربعة عشر قرناً حتى الآن ؛ وهل يمكن أن يقوم في الدنيا تقارب ديني عام ، إذا لم
تؤيده هذه الأمة الكبيرة ؟

مآثر الإسلام : كلنا يعلم أن الإسلام قدّم للعالم خدمات جلّى ، فقد دعا إلى العشر
والزكاة ، ونقّذ هذا النظام عملياً أمداً طويلاً ، ولو ظلّ نافذاً حتى اليوم ، لما تحبّط الناس بين
النظم الاجتماعية المتناقضة ، التي يهدّنا اصطدامها بأعظم الويلات ؛ ثم إنه قضى على فظاعة
وأد البنات ، واشترع حقوق المرأة التي اقتبسها الغرب بعد مئات السنين ، ومحا نظم الجاهلية
وعبادة الأوثان ، وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر ، ولم ينقض شيئاً من جوهر
الأديان الأخرى .

زهد الرسول : وكفاك علماً أن النبي (ص) مات ، وهو لا يملك من حطام الدنيا ،
سوى عصا وجلد شاة ، ودرج مرهونة وعدة دريهمات ، أمر بتوزيعها على المعوزين ، وهكذا
لم يرث آل بيت النبي شيئاً من ماله ؛ فهل سُمع بمثل هذا الزهد عن عظيم أمة بيده الأمر
والنهي والحل والعقد ؟ أما مودّته للمسيحيين فحدث عنها بهذه الآية الباهرة :

« لتجدنَّ أشدَّ الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ، ولتجدنَّ أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ، ذلك بأنَّ منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون » (ما — ٨٢) فكيف لا يتوجَّب علينا أن نقابل الإسلامَ بمثل منطوق هذه الآية ؟

هذا ما أوردته في « وحي البردة » بقصدِ توطيد الإخاء الإسلامي المسيحي ، وإن كنتُ أسف أحياناً لتصرُّفاتٍ ، يسيء بها إلى روح الإسلام بعضُ المنتسبين إليه . وخلاصة القول أن لصاحب الرسالة فضلاً على كل عربي ، فهو سيِّدُ هذه الأمة وجامعُ شملها ، وحافظُ لغتها بالقرآن ، وفيه من الإعجاز والبيان ، ما يسمو بكل شاعر وكاتب ، يودُّ التعبير عن أفكاره باللغة العربية ، فلو تنبَّه كلُّ منهم لهذا السرِّ ، ودرس القرآن منذ حداثة ، لوصل إلى مثل ما وصلتُ إليه ، فهأنذا أقدمُ إلى العالم شعراً عربياً ، من مميزات أنه أفكار متجسِّدة ، يمكن أن تُنقل بسهولة إلى أية لغة .

في عماد الشعراء : لقد شُغفتُ بالنظم منذ حداثتي ، ولي قصائد في مطلع شبابي ، لم أثبت منها في هذا الكتاب سوى القليل ، عملاً برأي القائلين : « على الشاعر اثبات شيء من منظوماته في مراحل حياته ، ليطلع الباحثون على تطوُّر أسلوبه وتفكيره » لذلك أثبتُ بعض ما نظمتهُ يومَ لم أكن أحسبُ أنني سأصبحُ صاحب « زهر الربى » وأوَّلَ شاعري مسيحي يعارض « البردة » الذائعة الشهرة .

ويرى المطالع في قصيدة « الأخلاق والأمهات » أنني أولعتُ منذ حداثتي بالتشطير ، وبعده بالتخميس ، ثم أهملتُ هذه الناحية ، التي يدَّعي بعضهم أنها لا تستحقُّ الاهتمام ، وعدتُ إليها لما أنستُ من نفسي انطلافاً واتفاقاً مع أيِّ شاعر مجيد ، فشهد كثيرون أنني خدمتُ الأدب العربي ، بعرضٍ جديد ، لأحسن ما تيسَّر لي انتقاؤه من أقوال شعرائنا ، على كثرِ عصور الأدب ، بعد تطعيمه بآرائي وأساليبي الخاصة ، وإحاطة صوره باطارات مناسبة .

فلنأس إذن رأيان في التخميس والتشطير ، وكلاهما صائب : فإذا كان العمل متفكراً ومنسجماً مع شاعر الأساس ، واستطاع الخمس أو المشطر مناقشة الفكرة وتوسيعها ، أو تجميلها وتطعيمها بالجديد ، حتى تبرز على الأقل كصورة أُحيطت بإطار ، فقد أتى عملاً فنياً رائعاً ، لا يدرك شأنه إلا من عاناه ، أما إذا كان العمل خارجاً عن هذه الشروط فيعتبر ترفيعاً وتكراراً ، وإطناباً في موضع الإيجاز ، ولا شك في أن هذا النوع لا يستحق أيَّ اهتمام .

اسلوبى رغباني : لقد تمشيتُ في « زهر الربى » مع واقع الحياة ، فلم أنظم إلا ما شعرت به وتأثرت ، ويخيل إليَّ أن أسلوبى يجتذب عشاق القديم من جهات ، وعشاق الجديد من جهاتٍ أخرى ، فمضى أن ينال رضى الفريقين ، وإنني لا أحكمُ لنفسي ، فالحكم على كل حال لأذواق القراء وتطور الأحوال ، وأنتَ ترى أنني تمشيتُ عن المديح والرثاء ، والخمرات والهجاء ، وملتُ إلى شعر الحياة والحكمة والغزل والقصة ، متبّعاً قول شوقي رحمه الله :

« والشعرُ ما لم يكن ذكرى وعاطفةً أو حكمةً فهو تقطيع وأوزان »

فأسأل المولى أن يجعل من هذا الكتاب ، وسيلةً لنموِّ روح الإخاء والتحاب ، بين أبناء الشرق وسائر بني الإنسان ، وأن يُلهم قادة البشر تنفيذَ آرائى ، بوضعِ نظامٍ عالمي ، يؤمن العدالة والكفاية مادياً ومعنوياً ، لكل فردٍ على هذه الأرض ، حتى يتحقق ، بصورة عملية لا كلامية ، تأمينُ الناس من خوفِ العوز والجهل والمرض ، فيتفادون حربَ الفناء ، التي تهددهم بالويل والثبور ، يومَ اصطدامِ المذاهب الاجتماعية المتناقضة .

تناجى الصدام : إنَّ مطامعَ بعض الأفراد والأمم ، قد أوصلت دنيانا إلى أسوأ حال ، فبات الإنسان يحارب أخاه بقواتٍ هائلة لا تخضعُ لسلطانه ، وقد يؤدِّي هذا الجنون إلى انفجارِ الأرض ، أو انقلابها بتناقل أحد قطبيها ، وقد يسبب التهاب إحدى سلاسل المادة فينفكُّ نظام هذه المعمورة ويفنى أهلها . وما من سببٍ لهذا البلاء ، سوى التهافت على هوى الدنيا ، التي تمثلتها عادةً حسناء ، عديمة الإخلاص ، صُغتُ في وصفها بعض القصائد .

راء الانسانية : ولعل أعجب العجب ، تلك النداءات التي يُرسلها عظماء الأرض في المناسبات ، داعين الناس إلى الصلاة لأجل السلام ، بدلاً من كبح المطامع وإصلاح النظام ، فهل جهلوا أن المولى لا يُغَيَّر ما يقوم « حتى يغيروا ما بأنفسهم » ؟ وهل تناسوا أن أسلافهم حطّموا الإنسانية قطعاً متناثرة كإناء الزجاج ، بالعقائد والطبقات ، والأوطان واللغات ، فعجز الناس عن إدراك السلام ، وقضي عليهم بالشقاء والركض وراء الأوهام ؟

أمنية السلام : إن إناء الإنسانية المحطّم ، يمكن أن يُصبّ في قالب جديد بأسلوب يختلف عما ألفناه ، عندئذٍ نصل إلى السلام ، وهو لا يتم بمجرد التمني ، بل بالسعي الحثيث وفق أسلوب علمي يعرفه القادة ويتجاهلونه ، فكأنهم يريدون سرّاً بقاء الإنسانية على حالها الحاضرة ، مُموّهين بالسعي لضمّ أجزاء الإناء المحطّم ، باللفّ والدّوران ، عن طريق الاتفاقات والمعاهدات ، وسوف يظلّون بعيدين عن السلام ، حتى يسلكوا الطريق القويم التي تؤدّي إليه . وهأنذا أرسمها بشكل نيرشائق ، فإذا لم يسلكوها ثبت أنهم غير جادّين في رغبتهم ، أما الذين سيسلكونها ، فإنهم يستطيعون أن يقدموا للعالم خير الضمانات على أمانها وجدواها ، وكلنا يعلم أن الذين تصرفوا بمقدرات البشرية ، وأوصلوها إلى ما هي عليه من اليأس والشقاء ، لم يقدموا أيّ ضمان ، ولم ينلهم أيّ عقاب .

وكما أن السلام المنشود لا يتمّ بالأقوال ، فهو أيضاً لا يتمّ بإملاء إرادة الأقوياء ، لأنّ كلّ نظام يُفرض ، أو يوضع على غير أساس ، لا يلبث أن ينهار ، والطريق العلمية لإيجاد السلام العالمي ، تشبه حبة القمح التي لا يمكن أن تعطي غلالاً قبل وضعها في الأرض ، ومضيّ المدة الكافية لنموّها . فما على السلطة العالمية إذا رامت الخلاص من الشرّ الحاضر ، إلا أن تشرّع دون أيّ تأخير بوضع هذه الخطط قيد الدراسة والتنفيذ ، وقد شرحتها بمقالات ، نُشرت وترجمت وأذيعت في عدة مناسبات ، وإليك خلاصتها للعبرة والدّكرى ، وقد تبقى حبراً على ورق ، ريثما يقضي الله أمراً كان مفعولاً .

« طريق السهرم »

أ - من الرمزية المادية :

- (١) - وضع حدٍّ أدنى للفقر وحدٍّ أعلى للثراء ، بقرارٍ من هيئة الأمم المتحدة ، ولا مانع في بادئ الأمر من أن يكون الحدان متفاوتين ، بالنسبة إلى مستوى المعيشة في كل دولة ، مع الحفاظ على التناسب بينهما ، وتعديله تبعاً لتطور الشعوب ، وتكثُّل الدول .
- (٢) - فتح الحدود وإزالة القيود ، والتعاون على اصلاح كل بقعة في الأرض .

ب - من الرمزية المعنوية :

- (١) - توحيد لغة الموسيقى - وقد شرحته في « فلسفة الموسيقى الشرقية » أما السبب في كونه الدرجة الأولى ، فلأنه مؤيدٌ ببراهين علمية ورياضية لا تُنقض ، وهو لا يمتُّ بصلة إلى مشاكل الأوطان والأديان واللغات ، فإذا لم يتفق الناس على قبوله ، فكيف يمكن أن يتفقوا على الدرجات العليا ، وهي غير مؤيدة بمثل تلك البراهين ؟
- إن هذه الدراسة الفريدة تعلمنا كيفية الإقلاع عن الخطأ والرجوع إلى الصواب في أشد القضايا الفنية غموضاً وتعقيداً ، فيمكن أن تُتخذ كمفتاح لحل أية قضية يختلف فيها الناس ، فتشغلهم هذه الأبحاث مدة قرن على الأقل ، وينجم عنها تأليف كتب متعددة لمعاهد العلم والموسيقى في العالم كله ، وإيجاد آلات جديدة لتطبيق تلك النظريات ، مما يؤدي إلى تنقيح الألحان العالمية الرائعة ، مع الحفاظ على روحها وأسلوبها الإنشائي ، فيزداد جمالها أضعافاً ، وهكذا يتمتع الناس بموسيقى صافية ، خالية من الشوائب ، تبهج نفوسهم وتولد فيها هدوءاً وانسراحاً ، وتقرب بين أذواقهم بصورة أكيدة فعالة ، تجاري أحكام الطبيعة . *

★ ولو وقفت أبحاث الموسيقى عند هذا الحد الخطير لهات ، ولكن نظام التناسب الموسيقي عامٌ شامل ، لا يقتصر على الأنغام واهتزازاتها ، بل يتناول كل ما في الكون ، فهو نتائج فعل الحركة بالحركة ، وفق أشكال من سلاسل التناسب الموسيقي ، فالقدرة تواتد حركة ، أو هي متحركة بذاتها ، والعوامل الفاعلة بها كالحرارة والبرودة ، والنور والظلمة ، والضغط والانفلات ، والسرعة والبطء

(٢) — توحيد اللغات — وهو يتم بالاتفاق على واحدة يتكلم بها جميع البشر، لقاء مساعدات

النح ، حالات من سير الحركة ، فالقدرة تنتقل بهذا التفاعل إلى مرحلة أعلى ، حتى تصبح جاذبية منفصلية ، وهذه تنتقل إلى مرحلة أعلى ، فتغدو كهربائية موجبة أو سالبة ، ثم تفعل بها العوامل ، فتتكون منها ذرات مختلفة الأحجام ، تدور حول كل موجبة سالبة ، بكميات متباينة ، حسب حركات سلسلتها الموسيقية واختلاف عواملها ، فتشكل تلك الذرات واتحادها تتألف العناصر ، ثم تتألف المواد الأخرى بالمزج والتركيب ؛ وعليه فإن إطلاق طاقة الذرة ، أي رد الصورة إلى القدرة فجأة ، لا يعد أمراً خطيراً إزاء رد الصورة إلى القدرة على مراحل ، بمعرفة حركات التناسب الموسيقي والعوامل الفاعلة في كل مرحلة ؛ ومن طُبِيت هذه النظرية عملياً ، توصل العلماء إلى نقل المادة من صورة إلى أخرى ، وإلى إيجاد عناصر لا نعرفها الآن ، قد تكون موجودة في كواكب أخرى ، واعتقد أن هذه الأبحاث ستوجد للناس أعمالاً لا تنتهي ، وتخلق فيهم تفكيراً سامياً يصرفهم عن جهالة الحروب .

ثم إن التناسب الموسيقي سيبيد الطب فائدة عظيمة ، يوم يصبح العلاج قضية رياضية غير قائمة على التجارب ، بل على الحقائق الثابتة ، فكل عضو في الجسم مبني على شكل من التناسب الموسيقي ، وليس المرض سوى خلل أصاب إحدى أو بعض حركات ذلك التناسب ، فيمكن الرجوع إلى الأصل باستعمال عوامل على تناسب معاكس ، والبحث مراعٍ خطير ، تنجم عنه دراسات لا حدود لها .

وكذا يعلم أن الموسيقى تفيد في شفاء بعض الأمراض ، لكننا نجعل هل يتم الشفاء بفعل اهتزازات الاصوات ، وما بينها من تناسب نغمي متنوع الدرجات ، أم بتأثير أشكال الايقاع ، أم بقوة الفكرة الفنية أو الأسلوب الأنثائي في اللحن الذي سمعه المريض ؟ وإذا كانت الموسيقى وحدها تفيد ، مع أنها لا تؤثر في المرء إلا عن طريق حاسة السمع ، فإذا تكون النتيجة فيما لو سلطنا على المريض جيشاً من التناسب الموسيقي عن طريق الحواس الأخرى ، في وقت واحد ، كالألوان عن طريق البصر ، والروائح عن طريق الشم ، والتدليك عن طريق اللمس ، والأدوية والمأكولات والمشروبات عن طريق الذوق ؟

إن جميع هذه الوسائل ، إذا جاءت وفق سلاسل موسيقية لا تختلف عن تناسب النغم واتفاقاته ، تزيد التأثير في المريض ، فيمسي الشفاء سريعاً مضموناً حسب قواعد ثابتة ، ولا شك في أن شخصية كل فرد وأخلاقه ، قد تكونت وفق سلسلة من التناسب الموسيقي ، فكلت بحركاتها عوامل مختلفة ، كالفرح والطمع والصحة والحرة ... وإحداها ، ومن تبنه أطباء النفس لهذه الناحية ، سهل عليهم حل العقد ومداواة أمراض النفوس بالتناسب الموسيقي الذي لا تحصى فوائده . ويؤسفني أن هذه النظريات ، لا يمكن تطبيقها في بلاد ليس فيها معهد للأبحاث ، ولا مجمع علمي يهتم بمثل هذه الشؤون . وإذا علمنا أنفسنا بأننا سنصل يوماً إلى مثل ما وصلت إليه الأمم الرافية ، تكون تلك الأمم قد وصلت يومئذ إلى الكواكب ، بينما نحن لا تزال لاهين بفهرسة الكتب وتحقيق التراث ... فاعلمنا إلا أن نتعاون بجد وسرعة كي نعوض ما فات ، والا فلن يكون لنا شأن في خدمة الإنسانية عن طريق الأبحاث العلمية الحديثة .

(المؤلف)

يؤديها من تختار لغتهم لهذه الغاية ، ولا مانع في بادئ الأمر من بقاء جميع اللغات الحية الآن ، لأنها ستتمل مع الزمان ، حين تسمي اللغة العالمية بالنسبة إلى كل فرد كلغته الأساسية ، ولا فضل للغة على لغة ، فكلها ألفاظ وقواعد موضوعة بشرعة بشرية لأجل نقل الفكر ، ولا أهمية لها بالنسبة إلى العلوم والفنون . فإلى متى يملأ الناس أذهانهم بالعرض دون الجوهر ، وحيثما يتفرقون في سبيل الألفاظ ؟ .

(٣) — توحيد الأديان — وهو يتم بالاتفاق على دستور إيمان عالمي ، يرتكز على عبادة الله ، وحبّ القريب ، وعدم مقاومة الشر بالشر ، وما شاكلها من المثل العليا ، التي لا تناقض أيّ دين ، يُسنّ بواسطة مجمع علماء ، يمثلون جميع السلطات الدينية ، مشهود لهم بعدم التعصب ، ثم يُدرّس في جميع معاهد العالم ، فيجد كلّ دين أن هذا الدستور يوافقته في الأساس ، ويُقرّب ما بينه وبين سواه . وهكذا يخفّ التعصب الديني بالتدريج حتى يزول ، فأكثر الفوارق خيالات وأوهام ، لا تقوم عليها براهين مقنعة .

هيئة الأمم المتحدة : ولا يخفى أن جميع هذه القضايا لا تتم إلا بقرارات من هيئة الأمم فهنا شغلها الطبيعي وواجبها الصحيح ، فتى انصرفت إليه ، حقاً على كل فرد أن يؤيدها ، لأنها أجل فكرة توصل إليها الإنسان . وإن كان تأليفها على الشكل الحالي خطأ يئناً ، فهي تضم الآن رجال سياسة يتصارعون لأجل تنفيذ مآرب حكوماتهم ، بينما يقتضي أن تتألف من فلاسفة مشهود لهم بالشرف والوجدان ، يمثلون شعوبهم شكلاً ، ولا يصغون إلا لصوت الحقيقة ونداء الضمير ، لأنهم يصبحون بدخول الهيئة مواطنين عالميين . عندئذٍ تتقيّد كل أمة طوعاً باتّباع قرارات هيئة كهذه ؟ ومتى تمّ تنفيذ ما تقدّم عملياً ، ينبثق عنه بصورة آلية نظام حكم جديد ، تقبله جميع الشعوب بلا إكراه . وهكذا تنمو بذور السلام الدائم ، الذي هو ملكوت الله على الأرض ، فعلى كل مفكر أن يسعى له ، عملاً بقول السيد المسيح له المجد « طوبى لصانعي السلام ، فإنهم أبناء الله يُدعَوْنَ » .

مردب المستقبل : وقد يعترض بعضهم بأن هذا السلام يؤدي إلى الخمول ، ويمنع النشاط الذي تولده الحروب ، ولا شك في أنهم مخطئون ، لأن زوال الحرب بمعناها الحالي ، أي قتل الإنسان الإنسان حياً بالأطاع والنفوذ الزائل ، سيعقبه نشوب حروب من نوع جديد ، لا نهاية لها ، ولا حد لما تولده من النشاط والإبداع ، هي حرب البشرية جمعاء ، ضد أسرار الطبيعة المحجوبة ، التي لا نعرف منها سوى القليل ، هي الحرب ضد الكوارث التي يمكن أن تصيب هذه الأرض ، فتقضي على حياة البشر كلهم ، تلك الكوارث التي تفتك بنا ، ولسكننا لم نشرع حتى الآن باستنباط أية وسيلة للنجاة منها ، فنحن عنها غافلون ، مع أن التفكير الجماعي ، يمكن أن يوصلنا إلى النتيجة المرجوة .

قوة الروح : إن المفكرين الملهمين ، من شعراء وأدباء وعلماء ، هم المهندسون والمنفذون ، هم قادة الانسانية الحقيقيون ، ولا يضيرهم أن يؤجل الغرضون تحقيق آرائهم ، لا سيما إذا كانوا مثلي ممن لا تدعمهم دول قوية ، فأنا بحكم المنشأ واللغة ، أنسب إلى أمة ليس لها من القوة والغنى ما لغيرها من الأمم ، ولكن لها تراثاً روحياً ثليداً ، لا تفوقها فيه أمة أخرى ، فما علينا بعد أن رأينا ما آلت إليه دنيانا من جراء تصادم الأطماع ، إلا أن ننشر على العالم تراثنا الروحي ، بالأساليب الحديثة ، حتى يقوم التناسب بين القوى المادية والمعنوية ، وهكذا تؤدي للبشرية أعظم خدمة في سبيل الوصول إلى السكال .

دأب هذا الجيل : إن السلام الدائم لا يتم إلا بتطهير الفرد من أطماعه وعنعناته ، حتى تطهر منها الأمم أي مجموعات الأفراد ؛ وهل يمكننا أن نرتاح في حياتنا ، أو نترك لأبنائنا عالماً أفضل ، إذا أورثناهم أمراضنا النفسية والاجتماعية ؟ إنهم سوف يتخبطون بمثل مصائبنا ، ثم يورثونها أولادهم وهكذا دواليك ، فلا بد إذن من مجيء جيل يتحمل حرب الإنسان ضد نفسه حتى يغير ما فيها ، ولعل جيلنا المنكود ، الذي عانى أهوال حربين عظيمتين عدا الحروب الصغيرة — وما زال يعاني مهاترات الحرب الباردة التي قد تجرنا إلى حرب الفناء ،

بفضل القنابل الذرية والغازية ، وما يصحبها من أخطار التلاعب بالعوامل الطبيعية — هو الجيل الذي يتحتم عليه ، أن يكفر عن سيئاته بتحقيق تلك الحسنة ، أي بناء السلام على أسس علمية ثابتة ، قوامها تحرير الإنسان من أطماعه وعنعناته ؛ فمن مصلحة جميع أبناء جيلنا المتعب ، بعد أن وصلنا إلى هذا الحد الخفيف في تهئية أسباب الدمار ، أن يعملوا على التقارب والتحاب ، وإزالة الأسباب الأساسية التي قد تجرنا إلى الحرب العالمية الثالثة ؛ ولعل طيبة القلب تدفعني إلى الاعتقاد بطيبة قلوب أبناء المعسكرين الشرقي والغربي على السواء ، لأن كلا منهما لا يقبل أن يكون معتدياً ، ولكنها نظريات مختلفٌ عالمها ، يمكن أن تُحلَّ بالتساهل والاقناع ، فعادة الإنسان وازدهار حضارته ، هي الغاية العليا التي يتحلى بها كل شعب مفكر ، والفرد حجر في بيت الانسانية ، فهل تقتل بعضنا لنهدم بيتنا بأيدينا ؟ أم نتحد لنحارب أعداءنا الحقيقيين الذين يعيقون سير الانسانية نحو الكمال ، ويهددون حضارتنا بالزوال ...

نظريته نسطرمانه : وإذا استقصينا الأسباب الخفية للصدام الذي نخشاه ، نجد أنها ليست عداء متأصلاً بين شعوب المعسكرين ، بل خلافاً على نظريتين اجتماعيتين ، كلٌ منهما تزعم أنها أصلح لحياة الانسانية ، كما زعمت كلتا المرأتين أمام سليمان ، أنها أم الطفل المهدد بالموت ، فأية النظريتين هي أم الانسانية المهددة ؟ إن إحداها تقول بتخفيف الفوارق الطبقيّة في الحياة المادية ولو أدّى ذلك إلى استعمال الضغط ؛ والأخرى تقول ببقاء تلك الفوارق حفاظاً على حرية الفرد ، ولو أدّى ذلك إلى تمكين الأقوياء من مصّ دماء الضعفاء ؛ فإذا اقترب أحد المعسكرين من ناحية ، وجب على الآخر أن يقترب من الناحية الأخرى ، وهكذا يتم التفاهم بينهما ، ومهما كانت وعورة الطريق وفداحة النفقات ، فإنها أخف وطأة من ويلات حرب ثالثة ، وأضمن عقبى لديمومة الحضارة الإنسانية ، فهل تتفق على الحلّ الرياضي لهذه المشكلة ، بوضع حدٍّ أدنى للفقير وحدٍّ أعلى للثراء ، أم نظل كالذئب تقتل بعضها ، بعامل الجوع أو جمع الحطام ؟ هذا ما سيثبتهُ المستقبل القريب ، وفيه الحكم على درجة تفكير أهل الأرض واستحقاقهم للحياة ، تحت راية نظام يؤمن كل فردٍ من مخاوف الغد ، ويقيد

كل حكومة بواجبها المفروض نحو كل فرد ، فهي مسؤولة عنه منذ سماحها بعقد قران والديه ، ومن الظلم أن تطالبه بواجبه نحوها ، إذا كانت مقصرة في أية ناحية من واجبها نحوه . ولعل الخلاف البادي بين المفروض والواقع هو الذي أدى الى تفاقم الصدام بين الروح والمادة .

مؤتمرات : ولعل أشد ما يملأ النفس ألماً وخيبة ، مؤتمرات يعقدها عمال بعض الدول الغنية ، داعين فيها إلى إيجاد تقارب بين الروح والمادة ، وهم يعلمون أن لا نتيجة لمسايعهم سوى التخدير والتأمويه ، لأنهم إذا كانوا يستطيعون تنفيذ قراراتهم فلماذا لا يتبعون أقوم خطة تؤدي إلى الهدف ؟ وإذا كانوا لا يستطيعون التنفيذ ، فلماذا يعملون كآلات لإلهاء الناس ، وإبقاء البشرية على الحال الحاضرة أطول مدة ممكنة ؟ ترى ألا يعلمون أن الهيئات الدينية مازالت ترسل مواعظ هذا التقارب ، منذ مئات السنين ، فما جنت سوى النتائج المعكوسة ؟

الأغنياء والفقراء : إن الأقوياء الذين يمتلكون المادة ، ظنوا لكثرة ما سمعوا من الوعظ والارشاد ، أن المال الذي جمعوه حق لهم ، يريد الضعفاء سلبه منهم عن أهون سبيل ، فاعتادوا سماع أنغام الوعظ المزعجة ، وازدادوا جشعاً وتمسكاً بحقوق مزعومة ، خفيت مصادرها ؛ وتناسوا أن المسال لله يمتحن به رقة النفوس ؛ فلم يبق أمام المعدمين ، بعد أن ملوا البقاء على هذه الحال ، إلا الانخراط في المبادئ المضادة ، التي تستهجن فكرة الإحسان ، وتعلم أن المادة كالروح حق لكل إنسان ، تلك المبادئ التي ما زالت تنتشر وتبتقوى بدون رعاية ولا إعلان ، حتى أصبحت قوة مخيفة تهدد الأغنياء بضيايع سلطانهم ، فراحوا يدرسون ليلاً نهاراً : هل تجدي الحرب نفعاً مع اولئك المشاغبين ؟ ولما أدركوا أن الفقراء ، وقود الحروب ، لا يغنمون منها شيئاً ، وأن للفقير رابطة أشد من أية رابطة أخرى ، حسبوا ألف حساب لئلا يفتنهم عن قتل أنفسهم ، في سبيل الإبقاء على سلطانهم واستبدادهم ؛ ولما انتهوا إلى أن الحرب الحديثة قد تقضي عليهم وعلى أموالهم وراء الساحات ، وأدركوا أن كفاح الطبقات المعدمة للتخلص من أرستوقراطية المال ، لن يختلف عن كفاحها في الثورة الفرنسية ، لما تخلصت

من أرسوقراطية الدم ؛ فقد ازدادت مخاوفهم وصاروا يتلوون كالتائبين في الهجير ، يلقفون ما بهم بمغاطس الحرب الباردة ، فليتهم يفهمون أن لا سبيل لاجتناب الصدام بين الفقر والغنى إلا بالاتفاق على حلول عالمية ، تضمن لكل فرد حق الحياة مادياً ومعنوياً ؛ وليتهم يدركون أن النصر لله لا للشيطان ، يعطيه لمن لا يعبدون رباً ، مترا كضين وراء المال ، متظاهرين بحب الله ، مقترين منه بأفواههم ، أما قلوبهم فمبتعدة عنه بعيداً .

مفرد البشريّة : والخلاصة ان أي نظام اجتماعي ، له صفة العقيدة ، لا يمكن أن يزول بالقوة ، بل بإيجاد نظام أحسن منه ، يجتذب الناس إليه ، تتوفر فيه أسباب التعاون والاتحاد ، وتنضال فيه أسباب التّحاسد والشّقاق ، فما علينا نحن أبناء العالم الحرّ ، مناوئ الشّوعية ، إلا أن نبدع للدنيا نظاماً أفضل ، يدفع عن كل فرد مخاوف الفاقة بشكل حاسم ، وإلا كنا كنّ يتّقي الموت بالعصا ، أو يعلل الجوع بطبخ الحصى .

نداء الانسانية : أيها المفكرون ! إن البشريّة ذاقّت أهوال الحروب ، وخبرت نتائجها في فظّ المشاكل ، فما جنت ربحاً غير البكاء والدمار ، وما أفادت منها سوى تأخير السير نحو الكمال ، فلا تكاد حرب تنتهي حتى تقع في أشدّ منها هولاً وشرّاً ، ولو أحصينا ما أُنقِ على الحروب من أتعاب وأموال ، لكانت تلك الوسائل المهدورة كافيةً لنحو الجهل والفقر والمرض عن وجه الأرض ، كانت كافيةً لأن تمسح من كل عين كلّ دمة ، ومن كلّ قلب كلّ حزن وألم ، وليد الظلم والبؤس والحرمان .

فيما حماة الانسانية ! إن الإنسانية المضطربة بحاجة إلى ألحان سليمة تهدئ أعصابها الثائرة ، إن الإنسانية المعذّبة بحاجة إلى أعمال سلام طويلة الأمد ، إن الإنسانية المتعبّة بحاجة إلى ساسة يسوّون المشاكل بالصراحة والافئاف ، لا بالدسائس والحروب ، وكفاها من قادة يحسبون العناد والمصالح شرفاً ، ثم يزعمون أن الشرف لا يرضى إلا بضحايا تُحرق على مذبحه ، كأنّ هذا الشرف الموهوم أعلى من العليّ عزّ وجلّ ، الذي قال فيه سفر المزامير :

« إنك لا تُسرُّ بالحرقات ، فالذبيحة أمامك روح منسحق » فويلٌ للذين يصرفون
الناس عن حياة ملؤها الفنُّ والجمال ، ويدفعونهم إلى المذابح كالأنعام « يوم لا ينفع مالٌ
ولا بنون ، إلا من أتى الله بقلب سليم » .

إن الشعلة التي تضاء في مركز الأملب ، وتُنقل إلى أية مدينة يقام فيها أولمبياد ، ترعاها
أيدي كريمة بارة ، كيلا تنطفئ قبل أن تصل إلى المكان المعد لها ، هكذا الشعلة التي أضاءها
الخالق في بني الإنسان ، بغية إيصالهم إلى السعادة والكمال ، يجب أن ترعاها أيدي كريمة
بارة ، كيلا تنطفئ بالحروب الطاحنة ، والمهاترات العاصفة ، بل تظل في أمان ، ريثما تأذن
الحكمة العليا ، بأن تبني على الأرض ، ملكوتاً غير قائم على نعيم الأجساد الفانية ، بل على نعيم
الروح ، وسموِّ الفكرة المتألقة ، في النفوس الخالدة .

ميشيل انيڤيردي

دمشق : ٢٧ رمضان ١٣٧٣ الموافق ١٩٥٤/٥/٢٩

مؤلف زهر الرى





زهر الربى

الرّوصه الأوّل

الورد والأقحوان

قصائد وموشحات

مجلد السبعين



وَحْيُ الْبُرْدَةِ

مآثر العرب والإسلام ، والرسول الكريم محمد بن عبد الله ﷺ

أَنْوَارُ هَادِي الْوَرَى فِي كَعْبَةِ الْحَرَمِ
وَأَرْسَلْتَ نَعْمَ التَّوْحِيدِ عَنْ مَلَكٍ
فَمَزَجَ رُوحَكَ بِالرُّوحِ الَّتِي أَزْدَهَرَتْ
وَشَمَكَ الْعِطْرَ فَوَاحًا بِرَوْضَتِهَا
وَمَنْ يَهْمُ بِعَظِيمٍ يَتَّحِدُ مَعَهُ
وَالْحُبُّ صِنَوَانُ حُبِّ الرُّوحِ خَيْرُهُمَا
يَا لَيْتَ أَحْلَامَ عُمَرِي لَمْ تَضِعْ بَدْدًا
وَلَيْتَنِي لَمْ أَهْمُ إِلَّا بِمَنْ عُرِفُوا
فَكَمْ حَبِيبٍ إِذَا خَالَفْتَ فِكْرَتَهُ
وَمَنْ يُسَاقِ حَبِيبًا صَدَّ شَهْرَتَهُ
فَارْبَأُ بِنَفْسِكَ أَنْ تَنْهَارَ مِنْ أَلَمٍ
وَأَجْعَلَ هَوَاكَ رَسُولَ اللَّهِ تَلَقَّ بِهِ

فَاضَتْ ، عَلَى ذِكْرِ جِيرَانٍ بِذِي سَلَمٍ
كَالرُّوحِ مُنْطَلِقٍ ، كَالزَّهْرِ مُبْتَسِمٍ
يُغْنِيكَ عَنْ مَزَجِ دَمْعٍ سَاجِمٍ بِدَمٍ
أَلَّذِي مِنْ عِشْقِ رِيمِ الْقَاعِ وَالْأَكَمِ
بِالرَّأْيِ وَالْفِكْرِ قَبْلَ الْوَسْمِ وَالْأَرَمِ^١
فَلَا تَكُنْ لِلْهَوَى الْفَانِي بِمُلْتَزِمٍ
بِحُبِّ قَصْرِ مِنَ الْأَوْهَامِ مُنْهَدِمٍ
بِرِقَّةِ الْقَلْبِ لَا بِالظُّلْمِ وَالْعَقَمِ
جَاذَاكَ بِالصَّدِّ قَبْلَ الْبَحْثِ فِي التَّهَمِ
وَسِحْرَ الْحَانَةِ يَنْدَمُ وَيَنْفَطِمِ
وَارْبَأُ بِحُسْنِكَ أَنْ يَرْبَدَّ مِنْ سَامٍ
يَوْمَ الْحِسَابِ شَفِيعًا فَائِقَ الْكَرَمِ

(١) أَرَمَ الشيء أَرَمًا ، كطلب طلبًا ، جمه إلى بعضه ، ومنه الأرومة التي تغم جذوع الشجرة ، والمعنى أن الاتحاد الروحي أهم من الشكلي.

هَذَا رَسُولُ الْهُدَى فَأَرْشُفْ عَلَى ظَمَائِهِ
 مِنْ وَرْدِهِ الْعَذْبِ عَطْفًا شَاقَ كُلِّ ظَلَمِي
 كَأَنَّمَا قَلْبُهُ يَنْبُوعُ مَرَحَةٍ
 مُسْتَبْشِرٌ بِالرَّوْءَى جَذْلَانُ بِاللَّسَمِ^(١)

٢

يَا أَيُّهَا الْمُصْطَفَى الْمَيْمُونُ طَالِعُهُ
 وَحَدَّثَ رَبِّكَ لَمْ تُشْرِكْ بِهِ أَحَدًا
 وَكَيْفَ تُشْرِكُ بِالرَّحْمَنِ آلِهَةً
 عَادَيْتَ أَهْلَكَ فِي تَخْطِيمِ بِدْعَتِهِمْ
 كَانَ رَبُّكَ لَمْ يَخْلُقْ لِدَوْلَتِهِ
 أَدَى الرِّسَالَةَ حَتَّى ضَجَّ مِنْ سَأَمٍ
 وَأَفْلَسَتْ بَعْدَ إِقْبَالِ جَهَنَّمِ
 كَانَ أَحْمَدَ بِالْأَصْفَادِ كَبَلَهُمْ
 شَرَعَ عَلَى أَقْوَمِ الْأَرْكَانِ أَسَّسَهُ
 غَذَى عُيُولَ الْوَرَى حَتَّى أَتَاكَ لَهُمْ
 وَعَلَّمَ الْعَرَبَ حَتَّى سَادَ تَسْلُهُمْ
 كَأَنَّمَا الشَّرْعُ جُزْءٌ مِنْ نَفْسِهِمْ
 « قَوْمٌ إِذَا اسْتُخْصِمُوا كَانُوا فَرَاغَةً »
 قَدْ أَطْلَعَ اللَّهُ مِنْكَ النُّورَ لِلظُّلَمِ
 وَأَنْتَ تَسْجُدُ بِالْإِغْرَاءِ لِلصَّنَمِ
 لَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّ الرُّوحِ لِلرَّمَمِ^(٢)
 مَنْ يَنْصُرِ اللَّهَ بِالْأَصْنَامِ يَضْطَهِمِ
 سِوَاكَ مِنْ مُرْسَلٍ بِالْحَقِّ مُعْتَصِمِ
 أَجْنَادُ إِبْلِيسَ وَأَشْتَدَّ الْأَمَى بِهِمْ
 وَلَمْ تَجِدْ حَظَبًا فِي الْأَشْهُرِ الْحُرُمِ
 فَأَرْتَدَّ جَيْشُهُمُ الْمَقْهُورُ بِالسَّدَمِ^(٣)
 لِلْعَالَمِينَ نَبِيٌّ طَاهِرُ الشِّيمِ
 عَيْشَ النِّعَمِ وَتَقَاظُمُ مِنَ الْأَثَمِ
 هَامَ الْمَمَالِكِ وَأَرْتَاخَتْ لِعَذْلِهِمْ
 فَإِنْ هُمْ وَعَدُوا اسْتَغْنَوْا عَنِ الْقَسَمِ
 وَإِنْ هُمْ قَسَمُوا أَرْضُوكَ بِالْقِسَمِ^(٤)

(١) اللسم : نفس الروح ، ونفس الريح حين تقبل بلين كالنسيم . (٢) الرمم : العظام البالية .
 (٣) السدم : الهم مع الندم . (٤) الصدر : لصفي الدين الحلي .

وَحَلَدُوا مُلْكَهُمْ رِيَانًا مُؤْتَلَقًا
 إِنَّ الْمَالِكَ إِنْ شِيدَتْ عَلَى جَشَعٍ
 وَقَدْ يَمَلُّ الْفَتَى بِالشَّيْبِ مِنْ أَرْبٍ
 أَتُونُ نَارَ زَفُورٍ جِدًّا مُحْتَدِمٍ
 لَوْ أَدْرَكَ الْمَرْءُ أَنَّ الْمَالَ تَارِكُهُ
 وَلَوْ دَرَى الْعَاشِقُ الْمَوْتَورُ كَيْفَ سَلَا
 كَفَاكَ هَمًّا فَأَهْوَاهُ الذَّنَى غُصَصُ
 وَالزُّهْدُ رَاحَةٌ فِكْرٍ مِنْ مَتَاعِهِ
 هَمِّنَا بِفَانٍ فَأَغْرَانَا وَأَذْهَلْنَا

وَكُلُّ مَا شَادَتْ الْأَطْمَاعُ لَمْ يَدُمِ
 تَقَرُّسٌ، وَلَا خَيْرٌ فِي الْحِيتَانِ لِلْبَلَمِ^{١)}
 وَلَا يَمَلُّ عَبِيدُ الْمَالِ مِنْ بَشَمِ^{٢)}
 وَالْمَالُ يَهْوِي بِخَلْقٍ جِدًّا مُزْدَحِمٍ
 لَمَلِّ صُحْبَةِ خَوَانِ الْوِدَادِ عَمِي
 أَحْبَابُهُ لَمْ يَدْتَ يَوْمًا بِقُرْبِهِمْ
 تَوَدِي بِصَفْوِكَ مِثْلَ الشَّمِّ فِي الدَّمِ^{٣)}
 فَإِنْ دَعَانَا وَأَهْمَلْنَا يَنْتَقِمِ
 وَأَيُّ قَلْبٍ بِحُبِّ الْأَرْضِ لَمْ يَهْمِ؟

٣

يَا أَزْهَدْ النَّاسِ فِي الدُّنْيَا وَفِي يَدِهِ
 عَجِبْتُ كَيْفَ تُعَانِي الْجُوعَ مُرْتَضِيًا
 وَلَمْ تُبَالِ بِتَيْجَانٍ مُرَصَّعَةٍ
 تَقُولُ رَبِّي أَجْرُهُمْ مِنْ عَمَائَتِهِمْ
 فَاسْتَضْحَكَ الْقَوْمُ هَزْءًا وَأَسْتَبَدَّ بِهِمْ
 كَانَ أَفْكَارُهُمْ مِنْ طَوْلِ مَا شَقِيتَ

خَزَائِنُ الْمُلْكِ وَالْأَنْصَارُ كَمَا خَلَدِمِ
 حَظًّا الْفَقِيرَ وَلَمْ تَلْتَذَّ بِالنَّخَمِ
 وَلَمْ تَكُنْ لِلْأُلَى صَلَوًا بِمُرْتَسِمِ^{١)}
 وَتَصْرِفُ النَّفْسَ نَحْوَ الْمَوْرِدِ الشَّيْمِ^{٢)}
 وَهُمْ فَصِيرُهُمْ لَحْمًا عَلَى وَضَمِ^{٣)}
 أَلْقَتْ بَارِوَاهِهِمْ فِي وَهْدَةِ الْحُطَمِ^{٤)}

(١) تفرس : تصبغ مفترسة والبلم : السمك الصغير . (٢) البشم : التلعة . (٣) النصص : الأحزان
 والأهموم . (٤) المرتسم : المقتل . (٥) الشيم : البارد . (٦) الوضم : الخشبة التي يقطع عليها اللحم ،
 ومعنى المثل : أذلهم وأوجعهم . (٧) وهدة الحطم : هوة النيران .

وَالنَّارُ حُرْقَةٌ نَفْسٍ مِنْ نَدَامَتِهَا
فَاسْلَمْ بِنَفْسِكَ إِنَّ الرُّوحَ يَمُوزُهَا
فَلَا طَعَامُ مِنَ الْبَاسَاءِ يُنْقِذُنَا
وَهَلْ تُفِيدُكَ أَبْرَاجُ مُشِيدَةٍ
وَالْمَرْءُ يَفْنَى إِذَا لَمْ يَبْقِ مَأْتَرَةٌ
وَالْعُمُرُ إِنْ طَالَ يَوْمٌ لَا رُجُوعَ لَهُ
أَسَلَّمْتُ لِلَّهِ أَمْرِي فَهَوَ يَكْلُونِي
أَلَسْتُ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ أَفْضَلَهَا ؟
فَإِنْ يَغِيبُ عَنْكَ أَنَّ الْعَيْشَ مَرَحَةٌ
وَكَيْفَ تَسْمُو بِرُوحٍ بِالثَّرَى عَلَقَتْ

يَا بُؤْسَ مَنْ لَمْ يَحِذَ عَنْ شَرِّ مُغْتَنَمٍ
رَضِيَ الَّذِي عَلَّمَ الْإِنْسَانَ بِالْقَلَمِ
وَلَا لِبَاسٍ يَقِينَا شِرَّةَ الضَّرَمِ
وَالْمَوْتُ فِي الْقَصْرِ مِثْلُ الْمَوْتِ فِي الْخِيَمِ
تَحْيَا إِذَا بَاتَتْ الْأَجْسَادُ فِي الرَّجَمِ^١
فَهَيَّ الزَّادَ قَبْلَ الشَّيْبِ وَالْهَرَمِ
كَأَزْهَرٍ فِي الْحَقْلِ وَالْأَطْيَارِ فِي الْعِلْمِ^٢
وَبَارِي السَّكُونِ قَدْ حَلَّاكَ بِالْحَكَمِ
فَكَيْفَ تُدْرِكُ أَنَّ الْفَوْزَ بِالْأَلَمِ ؟
وَكَيْفَ تَعْلُو عَلَى الْآسَادِ فِي الْأَجَمِ ؟

٤

أَقُولُ لِلْمُصْطَفَى أَعْظَمُ بِمَا ابْتَدَعَتْ
لَوْ يَتَّبِعُ الْخَلْقُ مَا خَلَقْتَ مِنْ سُنَنِ
وَلَمْ يَرَ النَّاسُ أَحْكَامًا وَفَلَسَفَةً
مَذَاهِبٌ أَخَذَتْ فِي الْأَرْضِ بَلْبَلَةً
أَيْنَ الزَّكَاةُ وَأَيْنَ الْعُشْرُ يَحْمِلُهُ

آيَاتُ بَرِّكَ مِنْ خَيْرٍ وَمِنْ نِعَمٍ
لَمْ يَفْتِكِ الْجَهْلُ وَالْإِعْوَازُ بِالْأُمَمِ
فِي الْأَجْتِمَاعِ سَتْلَقِيهِمْ إِلَى الْعَدَمِ
وَأَوْرَثْنَا بَلَايَا الْحَرْبِ وَالْإِزْمِ^٣
أَهْلُ الْغِنَى لِلْأُلَى مَا تَوَا مِنَ السَّقَمِ ؟

(١) الرجم : القبر . (٢) العلم : الجيل . (٣) الازم : الشدائد .

هَلْ كُنْتَ تُبْصِرُ مَا أَوْدَى بِعَالَمِنَا
أَمْ هَلْ تَنْبَأُتَ عَمَّا تَمَّ فِي زَمَنِ
نُبُوَّةِ حَارِبِ الْجَبَّارِ مُنْكَرِهَا
فَيَا نَبِيَّ الْهُدَى حَيَّتَ مِنْ عِلْمٍ
أَخْبَيْتَ دِينَكَ لَمَّا قُلْتَ أَكْرَمُكُمْ
وَقُلْتَ إِنِّي هُدَى لِلْعَالَمِينَ وَلَمْ
فِي دِينِكَ السَّمِجُ لَا جَنْسٌ وَلَا وَطَنٌ
اللَّهُ أَكْبَرُ، وَالْأَكْوَانُ فَانِيَةٌ
سُبْحَانَ مَنْ بِيَدَيْهِ الْمُلْكُ أَجْمَعُ

مِنْ قَبْلِ أَنْ فَاضَ بِالْوَيْلَاتِ وَالنَّعَمِ
تَسْوَدُهُ فِكْرَةُ الْإِلْحَادِ وَالنَّهَمِ؟
وَرَوَّعَ النَّاسَ بِالْتَّعْذِيبِ وَالْحُمَمِ
بِالطُّهْرِ مُتَّسِمٍ بِالْعَدْلِ مُدَّعِمٍ^{١)}
أَتَقَاكُمْ، وَتَرَكْتَ الْحُكْمَ لِلْحَكَمِ
تَلْجَأُ إِلَى الْمُنْفِ بَلْ أَقْنَعْتَ بِالْكَلِمِ
فَكُلُّ فَرْدٍ أَخٌ يَشْدُو عَلَى عِلْمٍ^{٢)}
وَمَنْ يَلْذُ بِجَلَالِ اللَّهِ لَا يُضْمِرُ^{٣)}
وَيُرْجِعُونَ إِلَيْهِ يَوْمَ بَعْثِهِمْ^{٤)}

٥

يَا عَبْقَرِيَّ الْوَرَى الْأُمِّيَّ هَلْ سَمِعْتَ
آيَاتِكَ الْغُرَّ إِنْجَازُ تَنْزِهِ عَنْ
كَأَنَّمَا النَّاسُ آلَاتٌ مُبَعَثَرَةٌ
مَنْ عِلْمَ الْجَاهِلِيَّ الْغَرِّ مَكْرُمَةٌ؟
مُحَمَّدٌ رَدٌّ مَنْ ضَلُّوا وَعَلَّمَهُمْ

مِنْ قَبْلِكَ الْعُرْبُ وَخِيَا جِدَّ مُنْسَجِمٍ
نِدٍّ، وَلَيْسَ دَعْيُ الْحُبِّ كَالسَّدَمِ^{٥)}
أَخْرَجْتَ مِنْهَا جَمِيلَ اللَّحْنِ وَالنَّغَمِ
وَأَدُّ الْبَنَاتِ أَمْ الْبَالِي مِنَ النُّظْمِ؟
حَقَّ النِّسَاءُ اللَّوَاتِي كُنَّ كَالرُّمَمِ^{٦)}

(١) العلم : سيد القوم وزعيمهم . (٢) العلم : المنارة . (٣) كل من عليها فان ، ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام (الرحمن ٢٦/٢٧) . (٤) فسيحان الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون (يس ٨٣) . (٥) السدم : الشديد المشق . (٦) الرمم : الجواري الكئيسات .

يَا فَخْرَ أُمَّتِنَا فِي الْأَرْضِ قَاطِبَةً
عَزَّزْتَ كُلَّ فِتْنَةٍ حِينَ صِحْتَ بِنَا :
فَأَنْتَ أَوَّلُ مَنْ نَادَى بِمَأْثَرَةٍ
خَاطَبْتَ كُلَّ ذِي حَسَبٍ قُدْرَتِهِ
وَكُنْتَ أَرَأَفَ بِالْمَسْكِينِ مِنْ دُولِ
إِنْ كَانَ يَنْجَعُ طِبُّ النَّاسِ فِي جَسَدِ
تَرْغَى الْيَتِيمَ وَتَرْغَى كُلَّ أَرْمَلَةٍ
فَارْعَ النُّفُوسَ الَّتِي ذَلَّتْ وَيَتَمِّهَا
وَهَبْ لَنَا مَبْدَأَ حَيَاةٍ وَتَضَحِيَةً
لَيْتَ الْإِخَاءَ الَّذِي فِي يَثْرَبٍ انْتَشَرَتْ
إِنَّ الْقُلُوبَ إِذَا أَلْفَتْهَا انْتَلَفَتْ
مَاذَا يُطَهِّرُ قَوْمِي مِنْ تَنَابُذِهِمْ ؟
أَجْفَوَةٌ وَرُعَاةٌ غَرَّمُ طَمَعِ
أَسْمَعْتَنَا فَنَسِينَا ، وَأَسْتَقِلَّ بِنَا
فَأَنْفُخْ بِنَا نَخْوَةً يَجْمَعُ أَوَاصِرَنَا
أَبْنَاءَ بَابِلَ أَفْتَتَهُمْ مَا عَمَّا

وَسَيِّدَ الْمُصْلِحِينَ الْعُرْبِ وَالْعَجَمِ
مَا أَوْلَدَ الْعِزَّ غَيْرَ السَّادَةِ الْحُشَمِ^(١)
يُظَنُّهَا الْعَرَبُ مِنْ آلَاءِ بَعْضِهِمْ
وَلَمْ تَكُنْ بِنَعِيِّ الْقَوْمِ بِالْبَرِّمِ^(٢)
رَأَتْ بِأَمثَالِهِ سِرْبًا مِنَ الْغَنَمِ
فَأَنْتَ تَفْعَلُ بِالْأَرْوَاحِ كَالْحُشَمِ^(٣)
رَغَى الْأَبِ الْمُسْتَفِيقِ الْبَاكِي مِنَ الْيَتَمِ
فَقَدْ الْكَرِيمَيْنِ : حُبَّ الْخَيْرِ وَالشَّمِ
بِهَا تَفَرَّدْتَ بَيْنَ النَّاسِ مِنْ قَدَمِ
رَايَاتِهِ ظَلَّ فِينَا غَيْرَ مُنْقَصِمِ^(٤)
وَالْوُدَّ حَبْلٌ فَإِنْ تَصَرَّمَهُ يَنْصَرِمِ
وَالصَّدَّ يَمْلُقُ بِالْأَرْوَاحِ كَمَا لَرَّشَمِ^(٥)
كَأَنَّهُمْ عَنْ نِدَاءِ الْحَقِّ فِي صَمَمِ ؟
هُوَّى ، فَأَمْسَى عَزِيزُ الْقَوْمِ كَالْحَطَمِ^(٦)
وَأَبْعَثْ بِنَا هِمَّةً يَا بَاعِثَ الْهِمَمِ
وَأَلْ فِرْعَوْنَ مَا شَادُوا سِوَى الْهَرَمِ

(١) الحشم : جمع حشم . (٢) البرم : المتأفف اللول . (٣) الحسم : مشاهير الأطباء . (٤) يثرب :
المدينة المنورة ، وقد آخى الرسول (ص) بين أغنيائها وفقرائها . (٥) الرشم : الأثر والعلامة .
(٦) الحطم : المنكسر في نفسه .

وَتَذْمُرُ وَمَغَانِيهَا غَدَتُ خِرْبًا
يَا لَيْتَ مَنْ شَيَّدَوهَا لِلْغِنَاءِ رَأَوْا
زَالُوا وَزَالَتْ مَعَ الْآثَارِ عِزَّتُهُمْ
وَالْمُصْطَفَى خَالِدٌ فِي النَّاسِ مَا بَرَعَتْ

٦

يَا أَيُّهَا الْعَرَبُ الْمَأْثُورُ مُجْدُمٌ
أَيُّضِبِحُ الْخَيْرِ شَرًّا ، مِنْ تَخَاذُلِنَا
إِنَّ الْكِرَامَةَ تَأْتِي أَنْ نَذِلَّ وَلَمْ
فَلَسْتَ جَمِيعُوا أَمْرَكُمْ فَاللهُ وَحْدَكُمْ
وَشَرَعُ أَحْمَدَ بِالْقُرْآنِ هَذَبَكُمْ
يَا أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ الْفَخْرُ فَخْرُكُمْ
فَأَيَّدُوا بِالْفِعَالِ الْفُرَّ دِينَكُمْ
مَا الدِّينُ إِلَّا هَوَى فِي نَفْسٍ عَاشِقِهِ
سَيَّانٍ يَأْقُومُ مَنْ يَقْضِي بِلَا أَمَلٍ
صُوفِيَّةٌ أَذْرَكَتْهَا النَّفْسُ فَاَنْصَرَفَتْ
فَأَسْتَهْدِ بِالرُّوحِ فِي الْأَفْلَاكِ وَأَهْوَا كَمَا

مَا فَازَ بِالْمَجْدِ شَعْبٌ شَبَهُ مُخْتَصِمٍ
وَنَقْتَدِي نُهْبَةً الْغُرَبَانِ وَالرَّخَمِ ؟
نَهَضُمْ حُقُوقَ الْوَرَى كَالْهَائِجِ الضَّرِمِ^(١)
وَالْمَكْرُفَرِّ قَسَمَكُمْ فِي حَوْمَةِ الْجُسَمِ^(٢)
وَجَدَّ فِي أَمْرِكُمْ بِالْحُبِّ وَالسَّلَمِ^(٣)
وَنَحْنُ إِخْوَانُكُمْ فِي النُّطْقِ وَالْعَلَمِ^(٤)
فَقِيَمَةُ الْحُبِّ عِنْدِي أَعْظَمُ الْقِيَمِ
وَمَنْ يَبِيعْ بِالْهَوَى يَوْمَ النَّوَى يَلِمَ
وَمَنْ يَنَالُ الْمُنَى فِي عَالَمِ الْعَدَمِ
عَنِ الدُّنْيَا وَمَنْ يَهْوِ الْعُلَى يَصُمُ^(٥)
تَهْوَى الْمَلَانِكُ وَجْهَ اللَّهِ وَأُسْتَقِمَ

(١) الإرم : الحجارة المنصوبة للدلالة . (٢) الفرم : الجائع ، ويراد به المستعمر . (٣) الجسم :
الأمور الجسام ، جمع جسيم . (٤) السلم : اسم من السلام . (٥) العلم : الزاينة . (٦) يعم : يتتبع .

وَقُلْ لِمَنْ أَذْمَتِ الْاَهْوَاءُ مُهْجَتَهُ
رَمَتْ فُؤَادِي بِسَهْمِ الْحُسْنِ فَاتِنَةٌ
نَدَّتْ اَنَاشِيدُهُ نِيرَانِ لَوْعَتِهِ
إِنْ لَمْ يُخَلِّدْ فُؤَادِي الْحُبُّ فَالْتَمَسِي
عَلَّ الْمَنِيَّةُ تَنْسَانِي كَمَا نَسِيتُ
أَمَّا أَكْتَفَيْتَ مِنَ الدُّنْيَا بِحُبِّهِمْ ؟
فَأَعْجَبَ لَصَبِّ جَرِيحِ ثَابِتِ الْقَدَمِ
فَقَرَّجَتْ عَنْ عَلِيلِ بِالْجَمَالِ رُمِي
يَا نَفْسُ كَهْفًا يَبْطِنُ الْأَرْضِ وَأُعْتَصِمِي
عَرَائِسُ الْبَحْرِ صَيْدَ النَّسْرِ فِي الْقِمَمِ ١١

٧

يَا نَفْحَةَ مَنْ جَنَّانِ الْخُلْدِ سَارِيَةً
لِأَنِّي مُحِبٌّ وَمُحْبُوبٌ وَلَوْ زَعَمُوا
فَالنَّاسُ مِنْ آدَمَ بِالْمُصْطَفَى اجْتَمَعُوا
يَا أَجَلَ الْخَلْقِ سِيَاءَ ، وَأُظَرَفُهُمْ
عَشِقْتُ مِنْكَ صِفَاتٍ جَلَّ مُبْدِعُهَا
يَرَوْنَ فَيَمْنَحْنَهُ وَحِيًّا يُخَلِّدُهُ
وَرُبَّ نَجْمٍ مُنِيرٍ يَسْتَقْصِي بِكُمْ
وَحُسْنُ شِعْرِي بِكُمْ مِنْ شَمْسِكُمْ قَبَسُ
فَإِنْ أَجَدْتُ بِهَذَا الطَّلَّ مَذْحِكُكُمْ
حَيَّاكَ رَبِّي بِآيَاتٍ مُفَصَّلَةٍ
كَالْوَرْدِ يُلْتَمُّ فِي الْأَسْحَارِ مِنْ أَمِّ ١٢
أَنَّ الْمَحَبَّةَ بِالْأَنْسَابِ وَالرَّحِمِ
وَشِرْعَةُ الْحُبِّ أُمُّ النَّاسِ فَأَتِمِّمْ
طَبْعًا وَأَوْفَاهُمْ بِالْعَهْدِ وَالذِّمِّ
كَالْعِيدِ تَفْتِنُ لُبَّ الشَّاعِرِ الْفَهْمِ
وَرُبَّ حُبٍّ مُثِيرٍ جَاءَ بِالْعَظَمِ
«فَأَنْتُمْ الشَّمْسُ لَمْ تُدْرِكْ وَلَمْ تُرَمِّ ١٣»
وَالنَّبْعُ مَا سَالَ لَوْ لَا صَيَّبَ الدِّيمِ ١٤
فَكُلُّ مَعْنَى بِكُمْ كَالْهَاطِلِ الْعَرِمِ
وَالنَّاسُ أَعْجَزُ عَنْ إِدْرَاكِ رَبِّهِمْ

(١) القمم : الأعالى . (٢) امم : قرب . (٣) عجز البيت : للشيخ نجيب الحداد . (٤) الدِّيم : جمع ديمة ، وهي المطر المندرار .

لَكِنَّهَا صُورَةٌ بِالشَّعْرِ أَرْسُمُهَا لَا مُشْجِرَ بِهَا إِنْ بَتَّ كَالْحُلْمِ
يَا هَادِي الْفِكْرِ أَهْدَاهُ إِلَهُ إِلَى عِبَادِهِ مِنَّةً مِنْ فَضْلِهِ الْعَمَمِ
إِنْ يَمْدَحُوكَ بِآيَاتٍ مُنْمَقَةٍ فَأَنْتَ تَفَرِّقُ قُلُوبِي عَنْ قُلُوبِهِمْ
تَبَارَكَ اللَّهُ لَوْ شَاءَتْ مَرَاحِمُهُ لَشَعَّ نَوْرُكَ بَيْنَ النَّاسِ كُلِّهِمْ
إِنْ لَمْ تَكُنْ بِوَكِيلٍ فَاشْفَعَنَّ لَنَا بِحَقِّ تَرْدِيدِنَا التَّوْحِيدَ فِي الْحَرَمِ^١

* * *

صَلَّى إِلَهُ عَلَى نَحْيَاكَ فِي مُهْجٍ تَحْيَا بِهَا كَحَيَاةِ النُّورِ فِي السُّدُمِ^٢
صَلَّى إِلَهُ عَلَى مَثْوَاكَ مَا صَدَحَتْ وَرَقَاهُ أَوْ هَيْنَمَتْ عِطْرِيَّةُ النَّسَمِ
صَلَّى إِلَهُ عَلَى ذِكْرَاكَ مُتَمَدِّحًا حَتَّى تَوْثَّمَ صَلَاةَ الْبَعْثِ بِالْأَمَمِ

١٩٥١



(١) قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم ، فن اهتدي فانما يهتدي لنفسه ، ومن ضل فانما يضل
عليها وما انا عليكم بوكيل (يونس ١٠٨) (٢) السدم : جمع سديم ، حيث تتكون النجوم .

زَهْرُ الرَّبِّي

يَا هُدَى ! قُومِي أَنْظُرِي زَهْرَ الرَّبِّي عِنْدَ الصَّبَاحِ
إِنَّهُ أَحْلَامُ نَفْسِي لَبِسَتْ ذَلِكَ الْوِشَاحَ
ثُمَّ غَنَّتْ لِلرَّيَّاحِينَ أَنَاشِيدَ الرِّيَاضِ
وَتَنَنَّتْ كَالْكَنَّارِيِّ بِسِقَانِ مِرَاضِ

تِلْكَ أَزْهَارُ الرَّبِّي رَمَزُ زَوَالِ وَاهْتِجَاجِ
أَهْمَلُوهَا فِي الْبَرَارِيِّ بَيْنَ أَشْوَكِ السِّيَاحِ
وَهِيَ أَبْهَى مِنْ سُلَيْمَانَ بَدَا فِي مَجْدِهِ
إِنَّهَا الشَّعْرُ الَّذِي نَاغَى الْهَوَى فِي مَهْدِهِ

..

فَإِذَا أَغْفَتَ عَلَى صَدْرٍ وَوَافَاها الذُّبُولُ
أَيَقْنُ الْمَفْتُونُ أَنَّ الزَّهْرَ أَوْهَامُ تَزُولُ
وَكَيْفَ كَانَ الْعِطْرُ ، وَهُوَ الزَّهْرُ فِي عُرْفِ الْأَبْدِ
عَلَّمَ الْأَوْهَامَ أَنْ تَلْبَسَ فِي الرُّؤْيَا جَسَدَ

إِنَّهَا الدُّنْيَا ، كَأَحْلَامٍ يَرَاهَا النَّاسُ أَمُونُ
 سَيَطَرُ الْوَهْمُ عَلَيْهَا وَأَطْمَأْنَنُ الْعَابِسُونَ
 وَنَسِدُ الْوَهْمِ الَّذِي وَلَدَ فِي نَفْسِي الطُّمُوحُ
 بِأَحْبالِ السَّرِّ لِأَزْهَارِي ، وَمِثْلِي لَا يَبُوحُ
 فَتَعَرَّى الْأَمَلُ السَّاهِي لَدَى السَّرِّ الْعَظِيمِ
 وَتَعَالَى مِنْهُ نُورٌ بَدَّدَ الْإِيْلَ الْبَهِيمِ
 فَتَمَثَّلْتُ فُؤَادِي فِي ذُرَى الْحُبِّ بِطَيْرِ
 وَأُمَانِي الْحُبِّ كَالشُّهْبِ لَهَا عُمرٌ قَصِيرُ
 أَمَلٌ عَاشَ كَطَيْفٍ وَمَضَى مِثْلَ الظَّلَالِ
 أَيْتُهُ ظِلٌّ مُقِيمًا وَنَفَى عَنَّا الْمَلَالُ
 فَاتَّخَذْنَا مِنْهُ ظِلًّا وَتَحَدَّيْنَا الْمَنُونُ
 يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ لَا وَلَا نَجَى بَنُونَ
 يَوْمَ يَلْقَى الْمَرْءُ مَا يُضْنِي وَلَا صَوْتٌ يُجِيبُ
 فَيُنَادِي بِالتَّيْبَاعِ هَلْ أَرَى طَيْفَ الْحَبِيبِ؟
 فَإِذَا الْأَمَالُ وَلَّتْ وَقِطَارُ الْأُنْسِ سَارُ
 هَيَّا الْعَاقِلُ خَيْرَ الزَّادِ وَأَحْتَلِّ الْقِطَارُ

سَفَرٌ ، كُلُّ خَيْرٍ لَمْ يَسَافِرْ مِثْلَهُ
إِذْ يَحْنُ الْمَرَّةَ لِلْأَرْضِ الَّتِي حَنَّتْ لَهُ

وَهُنَا أَصْبَحْتُ لَحْنًا لَيْسَ يَحْوِيهِ مَكَانٌ
لَمْ يَزَلْ حَيًّا بِأَسْمَاعِ الْوَرَى طُولَ الزَّمَانِ
وَهُوَ فِي الْأَفْلَاقِ لَا مِنْ أَغَانِي الْعَاشِقِينَ
أَيْنَ أَهْوَاءِ الْبَرَايَا وَخَيَالَتِ السَّنِينَ؟

لَيْسَ لِلْفَنِّ نَصِيرٌ لَيْسَ لِلشَّعْرِ عَرُوسٌ
عَاشِقُ الرُّوحِ فَقِيرٌ وَمُنَى النَّاسِ فُلُوسٌ
وَقِيَامُ الْعَدْلِ إِزْهَاقُ حُقُوقِ الضُّعَفَاءِ
لَوْ مَنَحْنَا الضُّعْفَ سَيْفًا لَأَذَلَّ الْأَقْوِيَاءُ

وَلَا ضَحَى الْعَبْدُ حُرًّا وَأَتَقَصَّتْ دُونَ جِدَالِ
دَوْلَةِ الْمَالِ الَّتِي جَارَتْ وَشَارَفْنَا أَلْكَهَامَ
أَتُرَى صِرْنَا عَبِيدًا لِضَلَالَتِ الْعِبَادِ
أَمْ تُرَى خُلِدَ فِي الدُّنْيَا أَمْرُؤُ سَادَ وَشَادَ؟

عَبْنَا نَرْجُو نَعِيمَ الرُّوحِ فِي آفَاقِهِ
وَضَحَايَا الْبُؤْسِ مَا زَالَتْ عَلَى إِمْلَاقِهِ

إِنَّ مَنْ يَشْتِاقُ نَوْرَ الْفِكْرِ فِي أَفْلَاكِهِ
يُنْقِذُ الْوَرْدَ الْمُنْتَدِي مِنْ أَذَى أَشْوَاجِهِ

فَاذْكُرِي يَا نَفْسُ مَا أَسْتَهْوَاكِ مِنْ زَهْرِ الرَّبِّي
حُسْنُهُ أَمْسَى زَوَالاً وَهُوَ فِي شَرْخِ الصَّبَا

إِنَّ مَنْ يَهْوَى جَمَالَ الشَّكْلِ يَذْري مُنْتَهَاهُ
وَالَّذِي يَهْوَى جَمَالَ الرُّوحِ لَا يَذْري مَدَاهُ

صَانِكِ الْمَوْلَى بِفَضْلِهِ وَتَوَلَّاكِ هُدَاهُ
تَسْتَظِلِينَ بِظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ سِوَاهُ

١٩٥٠

الشَّاعِرُ الْمَلِكُ

أَبْصَرُوهُ فَلَمْ يُكْرِمُوهُ ، سَمِعُوهُ فَلَمْ يَأْبَهُوا لَهُ ، أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ

الشَّعْرُ عَاطِفَةٌ بِرُوحِكَ تَلْمَعُ وَالْحُبُّ أَزْهَارُ بَرَوْضِكَ تُمْرِغُ
وَمَرَامُ نَفْسِكَ أَنْ تَرَى مَا لَا يُرَى وَتُذِيعَ بَيْنَ النَّاسِ مَا لَمْ يَسْمَعُوا
تَهْوَى الْحَقِيقَةَ وَالظَّلَامُ يُخَفُّهَا لَا الْفَجْرُ لَاحَ ، وَلَا الْكَهَانَةُ تَنْفَعُ
أَتُصِيبُ مَا حَجَبَ الظَّلَامُ مِنَ الرُّؤْيِ وَسِرَاجُ غَيْرِكَ فِي الظَّهِيرَةِ يَخْدَعُ
يَا شَاغِلَ الدُّنْيَا بِقُوَّةٍ وَخِيَةِ إِنَّ الْعَصِيَّ عَلَى بَيَانِكَ طَعِمُ

رَفَقًا بِآيَاتِ الْبَلَاغَةِ وَالنَّهْيِ
وَكَمَالًا فَخْرًا أَنْ تَظَلَّ مُحَلَّقًا
لَوْ كَانَ أَهْلُ الرَّأْيِ مِثْلَكَ لَمْ يَسُدُّ
هَا مِهْرَجَانُ الْفِكْرِ يُرْسِلُ نَوْرَهُ
يَا قَاضِيَ الْفَنِّ الْجَمِيلِ وَبَاعِثَ
أَنْتَ الْمُصِيبُ إِذَا الْمُقُولُ نَظَّاحَنَتْ
تَتَلُو بَيَانَكَ مِثْلَمَا يُتَلَى الْهُدَى
فَكَأَنَّ مَجْدَكَ فِي الثَّرَيَا مُشْرِقٌ
وَكَأَنَّ فَنَّا فَخْرُ كُلِّ مُوَاطِنٍ
وَالْفَوْزُ حَظُّ الْعَامِلِينَ فَمَا الْعُلَى
وَالْمَجْدُ عَاقِبَةُ الْمَجْدِ فَلَيْتَ لِي
عَمَلٌ لِمَجْدِ اللَّهِ يُرْجَى نَشْرُهُ
لَا عِشْتُ فِي زَمَنِ إِذَا ضَاعَتْ بِهِ
فَالْجَهْدُ خَلَدَنِي وَبَيَّضَ صَفْحَتِي
إِنْ خَطَّ قَوْمٌ فِي الشُّخُورِ فَعَالَهُمْ
وَارُبَّ مُفْتَنٍّ يُعْطَرُ أُمَّةٌ
دُنْيَا الْمَخَافِ لَا تَدُومُ فَكُلُّنَا

آيَاتُكَ الْجَلِيلُ أَلَذُّ وَأَنْصَعُ
وَكُنِيَ شُهُودَكَ أَنْ نَجْمَكَ يَسْطَعُ
بَاغٍ وَلَا حَكَمَ الْوَرَى مُتَصَنِّعُ
وَأِمَامُهُ الْخَبِيرُ الْجَلِيلُ الْأَرْوَعُ
الْمَجْدُ التَّلِيدُ بِحُجَّةٍ لَا تُدْفَعُ
مَا ضَرَّ رَأْيِكَ أَنْ يَضِلَّ الْمَجْمَعُ
أَمْرًا عَلَى الدُّنْيَا ، وَمِثْلَكَ يُبْدِعُ
وَإِلَيْكَ إِنْ حَارَ الْهُدَاةُ الْمَرْجِعُ
كَالْبَدْرِ يَسْرِي وَالْعُرُوبَةُ تَتَّبِعُ
إِلَّا الْجِهَادُ ، وَمَا الْحَيَاةُ تَوَجُّعُ
أَيَّامٍ أَبْدِعُ مَنْ لِحَقِّي يَشْفَعُ
جَلَّ النَّدَاءُ ، وَقَلَّ مَنْ يَتَطَوَّعُ
فِيمُ الْجَمَالِ وَأَفْلَحَ الْمُتَبَرِّعُ
حُبُّ الْفُنُونِ وَمَنْ بِهِ لَا يَقْنَعُ ؟
فَالْفَنُّ أَدْعَى لِلْخُلُودِ وَأَمْتَعُ
عَصَفَتِ بَرُوضَتِهِ الرِّيحُ الْأَرْبَعُ
خَبَرٌ يُذَاعُ ، وَوَحْدَةٌ تَتَفَرَّعُ

أَجْمَعْتُ أَنْ أَحْيَا لِعِزَّةِ أُمَّتِي
 قَسَمًا بِرُوحِ الْفَنِّ مَا مِنْ رَوْعَةٍ
 أَضْنِي فُؤَادِي أَنْ أَعِيشَ مُنَاضِلًا
 لِكِنَّ عَزْمِي فَوْقَ كُلِّ مُلِمَةٍ
 إِنَّ الطَّبِيعَةَ بِالضِّيَاءِ ضَنِينَةٌ
 يَا بَنِي الْكَرِيمَةِ وَالْكَرِيمِ كِفَاكَ مِنْ
 أَنْعَشْتَ أَفْنِدَةَ الْعِبَادِ وَنَوَّرْتَ
 فَهَفًا لِسَوْتِكَ قَلْبُ كُلِّ مُفَكِّرٍ
 فَرَأَوْكَ وَحَدَّكَ لَا وَرَاءَكَ فَيَلْقُ
 وَمِنْ الْمَوَاقِفِ مَا تَشِيبُ لَهُوْلَهُ
 فَتَوَهَّمُوكَ مِنَ الْأَسَاطِيرِ الَّتِي
 وَتَهَيَّبُوا فِيكَ النُّبُوغَ وَأَكْبَرُوا
 أَنْتَ الَّذِي مَا زِلْتَ تُعْلِنُ صَارِخًا :
 لِلْفَقْرِ حَدٌّ كَالْأَثَرِ ، فَعِنْدَمَا
 فَإِذَا مَقَالِكَ مَاسَةٌ بِرَاقَةٍ
 وَالنَّصْرُ حَظُّكَ فِي الْخِنَامِ فَلَا تَخَفْ
 لَا خَيْرَ فِي الدُّنْيَا إِذَا اضْطَرَبَتْ وَلَا

وَالْغَافِلُونَ عَلَى الْمَطَامِيعِ أَتَجَمَعُوا
 إِلَّا أَتَيْتُ بِهَا فَلَمْ يَتَوَرَّعُوا
 أَغْطِي الْوَرَى نُورِي ، وَدَهْرِي يَمْنَعُ
 وَصُرُوحَ أَفْكَارِي أَعَزُّ وَأَمْنَعُ
 وَلَعَلَّ نَوْرَ الْمُتْلِهِينَ تَبْرُعُ
 أَوْهَامَ دَهْرِكَ عِطْرِكَ الْمُتَضَوِّعُ
 أَرْجَاءَ نَفْسِكَ بَارِقَاتُ لُحْمُ
 وَإِذَا بِقَوْمٍ أَنْصَتُوا وَتَطَلَّعُوا
 يَرْمِي النَّبَالَ وَلَا أَمَامَكَ مِدْفَعُ
 لِمِ الشَّبَابِ وَيَرْهَبُ الْمُتَدَرِّعُ
 فَاضَتْ جَدَاوِلُهَا وَغَابَ الْمَنْبَعُ
 وَحَيًّا يَفِيضُ بِهِ الْخَيَالُ الْمُبْدِعُ
 حَقُّ الضَّعِيفِ لَدَى الْقَوِيِّ مُضِيعُ
 تَقِفُ الْمَطَامِيعُ لَنْ تَسِيلَ الْأَذْمُعُ
 لَقِيتَ زُجَاجَهُمْ فَرَاخَتْ تَقَطَّعُ
 أَنْتَ الْمُنْظَمُ وَالْحَكِيمُ الْأَبْرَعُ
 عِيشُ يَلْدُ إِذَا أُغْتَرَاهُ نَصْدَعُ

وَالْعُمُرُ مُخَدُّودٌ ، وَمَالُكَ مَا اشْتَرَى
مَا ضَرَّ أَهْلَ الْأَرْضِ أَنْ يَتَعَاوَنُوا
يُغْنِيكَ عَنْ قَتْلِ الْمُسِيءِ صَدَاقَةٌ
فَلَقَدْ تُصِيبُ الْعَادِيَاتُ رُبْعَنَا
إِنْ كُنْتَ تَذَرِي مَا الْحَيَاةُ فَلَا تَكُنْ
ذَهَبَتْ هِيَ كُلُّ بَعْلَبِكَ وَأَهْلِهَا
يَا لَيْتَهُمْ تَخَذُوا الْإِخَاءَ شِعَارُهُمْ
تَتَكَسَّرُ الْأَمْوَاجُ دُونَ جَلَالِهِ
وَالنَّاسُ مِنْ خَوْفِ الصَّدَامِ نَعَامَةٌ
ضَاقَتْ بِهِ الدُّنْيَا كَأَنَّ رِحَابَهَا
وَمَضَتْ عَنَادِلُ رَوْضِنَا فَأَحْتَلَّهُ
وَالْمَرْءُ لَا يَنْفَكُ عَنْ أَهْوَائِهِ
نَهَوَى السَّلَامَةَ ، وَالْعَدَالَةَ تَقْتَضِي
وَكَأَنَّ عُشَاقَ السَّلَامِ مَرَائِبُ
وَالرِّزْقُ يُلْقَى فِي الْبَحَارِ سَفَاهَةً
أَيْنَ الْعَلِيمِ بِطَبِّ أَوْجَاعِ الْوَرَى
وَالْحَرْبُ تُفْنِي الْعَالَمِينَ فَلَا تَكُنْ
يَوْمًا يُضَافُ ، وَلَا دَوَاءٌ يَنْجَعُ
فَالْحَقُّ يَزَارُ وَالذُّهْرُ تَلْمِيعُ
وَعَنِ التَّفَرُّقِ ، جِيرَةٌ وَتَجَمُّعُ
وَنِظَامُ هَذَا الْكَوْنِ قَدْ يَتَزَعَّزَعُ
كَالْجَائِلِينَ تَسَاءَلُوا : هَلْ نُرْجِعُ ؟
وَكَأَنَّ مَنْ نَظَرُوا الْخَرَائِبَ لَمْ يَعُوا
فَهُوَ الْمُهَذَّبُ وَالْخَطِيبُ الْمِصْقَعُ
فَيَزُولُ قَبْلَ الطَّامِعِينَ الْمَطْمَعُ
وَالْحُرُّ عَنْ حُبِّ الْأَذَى يَتَرَقَّعُ
لِبَنِي الْمَطَامِيعِ وَالنَّقَائِصِ مَرْتَعُ
بَعْدَ الْمُغْنَيْنِ الْغُرَابُ الْأَبْقَعُ
حَتَّى يَنْقِيَهُ النَّظَامُ الْأَرْفَعُ
إِصْلَاحَ أَنْفُسِنَا ، فَهَلَّا نَسْمَعُ !
مَوْجٌ يَحُطُّ بِهَا وَمَوْجٌ يَرْفَعُ
وَالْقَوْمُ مِنْ غَرَقِ الْمَرَائِبِ رُوعُوا
فَالِدَلْمُ يُخَيِّى وَالْجَهَالَةُ تَصْرَعُ
يَمْنٌ بِالْأَمِ الْوَرَى يَتَمَتَّعُ

« وَإِذَا حَصَلَتْ مِنَ السَّلَاحِ عَلَى الْبُكَاءِ
بِئْسَ الْمَصِيرُ مَصِيرُ مَنْ لَا يَرْعَوِي
فَحْشَاكَ رُغْتَ بِهِ وَخَدَّكَ تَقْرَعُ^{١)}
حَتَّى يُفَاجِئَهُ الْقَضَاءُ الْمُفْجِعُ^{٢)}

إِنَّ السَّلَامَ الْعَالَمِيَّ هَوَىٰ بِهِ
كَالشَّمْسِ تُرْسِلُ نُورَهَا فَيَنَالُهُ
عَدْلٌ يُدَاسُ ، وَسُلْطَةٌ لَا تَرْدَعُ^{٣)}
مَنْ يَعْبُدُ الْمَوْلَىٰ وَمَنْ يَتَمَنَعُ^{٤)}

١٩٤٨

حَدِيثُ رُوحٍ

طِلَابُ الْخُلْدِ حَرَّرَ كُلُّ وَاعٍ
وَطَبَعُ الرُّوحِ يَنْفِرُ مِنْ قُبُودٍ
وَلَيْسَ الْجِسْمُ سَارَ إِلَىٰ أَنْحِطَاطٍ
فَخُذْ مِنْ حِكْمَةِ الْأَيَّامِ زَادًا
وَقِفْ نَبْثُ شَكَاوَانَا وَنَبْثُ
صَحَابِي ! إِنِّي مَازَنْتُ أَحْيَا
أُنَاجِيكُمْ عَلَى أَمْوَاجِ رُوحِي
فَإِنَّ الْهَيْكَلَ الْمَنْظُورَ فَإِنْ
وَعَشَقُ الْأَرْضِ قَيْدَ كُلِّ سَاعٍ
وَطَبَعُ الْجِسْمِ يَقْضِي بِأَنْصِبَاعٍ
كَمِثْلِ الرُّوحِ سَارَ إِلَىٰ أَرْتِفَاعٍ
وَدَعِ دُنْيَاكَ جُهْدَ الْمُسْتَطَاعِ
عَنِ الْجَسَدِ الدَّفِينِ بِقَيْدِ بَاعٍ
وَلَيْلُ الرَّمْسِ لَمْ يَحْجُبْ شُعَاعِي
وَإِنْ عَافَتْ يَدِي حَمَلَ الْيَرَاعِ
وَإِنَّ الْهَيْكَلَ الرُّوحِيَّ وَاعٍ

(١) البيت الغني . (٢) كهياة الأمم المتحدة مثلاً . (٣) من يخضع للحق ومن يتمرد عليه .

وَمَا نَفَعُ الْحَيَاةَ إِذَا تَسَاوَى
 رِبَاعُ الْخُلْدِ يَمْلَأُهَا جَمَالٌ
 فَمَا هَبَّتْ بِهَا النِّسَمَاتُ إِلَّا
 حَدَائِقُ بِهِجَةٍ فَاضَتْ نَعِيمًا
 فَلَا تَأْسَفُ عَلَى الدُّنْيَا إِذَا مَا
 أَلَيْسَ الْمَالُ وَالْأَطْمَاعُ شَرًّا
 أَلَيْسَ بَنُو السَّمَاءِ بَنِي أَيْكُمُ ؟
 بَنُو حَوَاءٍ مِنْ مَاضٍ وَآتٍ
 وَدُنْيَاكُمْ كَمَلَهِيَ لَيْسَ فِيهِ
 تَرَاتٍ فِيهِ أَطْيَافُ الْأَمَانِي
 مَتَاعُكَ مِنْ مَبَاهِجِ زَائِلَاتٍ
 وَمَنْ تَرْضِيهِ أَسْبَابُ الدُّنَايَا
 فَلَا تَكُ كَالْأُلَى تَحْمُوا لَدَيْكُمْ
 وَلَا تَحْفِلْ بِفَانِي الْمَلِكِ تَغْنَمُ
 وَقُلْ لِلرُّوحِ إِنَّ سَارَتْ بِوَادِي
 « فَإِنَّكَ إِنْ سَأَلْتَ بَقَاءَ يَوْمٍ
 مَصُونُ السَّرِّ بِالْخَبَرِ الْمُدَاعِ ؟
 مِنَ الْأَنْوَارِ مُزْدَهَرُ التَّلَاعِ
 عَلَى أَنْفَامِ هَاتِيكَ الرِّبَاعِ
 وَأَوْدِيَّةٌ خَلُوتَ مِنْ الْأَفَاعِي
 شَهِدَتْ مَجِيئِ خَاتِمَةِ الْمَسَاعِي
 سَيَبْتَلِعُ الْوَرَى شَرًّا أُبْتَلَاعُ ؟
 وَكَانُوا قَبْلَكُمْ أَسْرَى الْخِدَاعِ
 كَرُّ كِبَانٍ تَسِيرُ إِلَى اجْتِمَاعِ
 سِوَى صُورِ النِّقَائِصِ وَالنِّزَاعِ
 مُحَلَّقَةٌ كَأَطْيَارٍ مِرَاعِ
 غُرُورٌ لَنْ يُؤَدِّيَ لَاتِفَاعِ
 كَمَنْ تُفْنِيهِ أُنْيَابُ السَّبَاعِ
 فَبَاتُوا عِنْدَنَا مِثْلَ الْجِيَاعِ
 فَدَارُ الْخُلْدِ كَالْمَلِكِ الْمُشَاعِ
 ظِلَالِ الْمَوْتِ : وَيَحْكُ لَا تُرَاعِي
 عَلَى الْأَجَلِ الَّذِي لَكَ لَمْ تَطَاعِي »

وَمَنْ حَسِبَ انفِصالَ الروحِ هَوَلاً
فَقَدْ عَابَ المَنَوَاتَ وَلَمْ يُوفِّقْ
سَيِّهَرُمُ مِنْ مُقَارَعَةِ اللَّيَالِي
وَكَمْ رَأَيْ تَأَصَّلَ كَأَعْتِقَادِ
وَرَأَيْ خَالَهُ وَهَمَّ فَأَضْحَى
فَلَا تَفْخَرْ بِبَاسٍ أَوْ بِمَالٍ
وَقُلْ يَا رَبِّ ! أَتَقْذِنِي فَإِنِّي
مَشَى خَيْرُ الرُّعَاةِ عَلَى بَقَايَا
وَكَمْ حَمَلٍ يَرَى السَّكِينِ بَرّاً
حَنَانِكَ رَبَّنَا ! وَأَعْطِفْ عَلَيْنَا
أَلَمْ تُبْدَعْ وَرَادّاً ذَاتَ شَوْكِ
فَهَلْ عُدْتُ مَزَايَاهَا ذُنُوباً
كَذَلِكَ الْمَرْءُ يُولَدُ بِالْخَطَايَا
وَيَخْضَعُ لِلْمُقَدَّرِ وَهُوَ يَشْكُو
فَيُمْسِي يَأْساً كَأَخِي جِهَادٍ
وَلَيْسَ يَضِيعُ مِثْقَالُ فَتَخْشَى
كَأَنَّ الشَّخْصَ طَيْفٌ مِثْلَتُهُ

وَعَاتَبَ صَاحِبَ الْأَمْرِ الْمُطَاعِ
لِفَهْمِ الْقَصْدِ مِنْ هَذَا الصَّرَاحِ
وَيَسْأَلُ مِنْ مُدَامٍ أَوْ سَمَاعِ
يُبَدِّلُهُ أَنْفَتِي عِنْدَ النَّزَاعِ
يُسِيرُ رَوْحَهُ مِثْلَ الشَّرَاحِ
فَمَا أَغْنَاكَ عَنْ سَقَطِ الْمَتَاعِ
أَرَى نَفْسِي كَشَاةٍ فِي الْمَرَايِ
قَطِيعِ خَالٍ فِيهِ خَيْرٌ رَاجِ
وَيَحَارُ ضَارِعاً فِي كُلِّ دَاعٍ :
فَمَنْ يَمْلِكُ يُسَامِحُ أَوْ يُرَاعِ
وَلَيْلَا ذَا أَفْتِرَارٍ وَالْجَمَاعِ
أَمْ أَتَسَقَّتْ بِحُكْمٍ وَأَبْتِدَاعٍ ؟
فَتَمْتَرِجُ الْغَرَائِزُ بِالطَّبَاعِ
تَصَارِيفَ الْحَيَاةِ بِلا انْقِطَاعِ
يَرَى أَعْمَالَهُ دُرّاً بِقَاعِ
وَلَوْ أَخَفَّتْهُ أَسْوَارُ الْقِيَالِ
عَلَى الْأَسْتَارِ الْحَمَانُ الْوَدَاعِ

يُغَادِرُ دَارَهُ ، وَالْخُلْدُ أَبْقَى ،
وَمَا رِبْحَ الْغِنَى الرُّوحِيَّ إِلَّا
وَمَنْ يَهْلُ فَمَالُ الْخَيْرِ يَحْصِدُ
أَعْيُذُكَ أَنْ تَظُنَّ الْخُلْدَ مِثْلَكَ
فَرَبُّكَ حَدَدَ الْأَعْمَالَ أَسَا
فَلَا خَوْفٌ مِنَ الْآفَاتِ فِيهَا
وَلَا قَلْبٌ يُبَاعُ وَلَا دُمُوعُ
وَلَا طَمَعٌ وَلَا أَلْمُ أَحْتِيَاجُ
هَذَا يَخْنُو التَّقِيَّ عَلَى عَتِيٍّ
مَوَازِينُ يَحَارُ الْعَقْلُ فِيهَا
إِذَا مَرَّتْ بِهَا الْأَرْوَاحُ لَاحَتْ
فَقَشَبُ كُلِّ نَفْسٍ مِنْ هُدَاهَا
جَزَاكَ اللَّهُ عَنْ خَيْرٍ بِخَيْرٍ
فَلَوْلَا الرَّحْمَةُ الْمُظْمَى لَأَمْسَتْ
فَمَا شَعَرَ الْمُفَارِقُ بِالتَّبَاعِ
فَتَى طَلَبَ السَّكَمَ مِنَ الرِّضَاعِ
مِنْ اللَّذَاتِ غَائِلَةً الضِّيَاعِ
لِمَنْ بَاعُوهُ يَبْعًا بِالذَّرَاعِ
لِدَوْلَتِهِ بِمَدْلٍ وَأَقْتِنَاعِ
وَلَا حَرْبٌ تُهْدَدُ بِأَنْدِلَاجِ
وَلَا حُبٌّ يُكَانَأُ بِأَمْتِنَاعِ
وَلَا هُمْ أَرْتَحَالٍ وَأَصْطِرَاعِ
وَيُغْنِي الْفَهْمُ عَنْ سَيْفِ الشُّجَاعِ
تُخَالِفُ مَا أَلْفَتْ مِنْ اشْتِرَاعِ
كَمِرَاقٍ ، وَأَنْتَ عَلَى أَطْلَاعِ
وَأَيُّ هُدًى تَوْفَّرَ بِابْتِيَاعِ ؟
وَأَغْضَى إِنْ تُقَصِّرَ فِي الدَّفَاعِ
جِنَانُ الْخُلْدِ كَالْأَمَلِ الْمُضَاعِ



ذِكْرُ الْمُتَنَبِّي

في مهرجانه الألفي ، الذي أقيم في دمشق سنة ١٣٥٥ هـ = ١٩٣٦ م .

سَلَامٌ عَلَى ذِكْرِ الْعُلَى سَالِفِ الْعَهْدِ
وَيَبْعَثُ فِينَا نَفْحَةً يَعْرُبِيَّةً
وَيَجْمَعُ أَبْنَاءَ الْعُرُوبَةِ نُطْقُهُمْ
وَكَمْ مُرْتَقَى صَنْبِ الْمَسَالِكِ مُوهِنِ
فَلَا تَحْسَبُوا الْأَيَّامَ أَمَلَتْ مُرَادَهَا
تُنَادِي بِهَذَا الشَّعْرِ عِزَّةَ أُمَّةٍ
كَأَنَّ الضَّنَى وَقَفَ عَلَيْهَا لِأَنَّهَا
فَتَامِعٌ فِي تِلْكَ النُّفُوسِ كَرَامَةٍ
لَتَنْ تَتَحَدَّ نَمْلِكَ وَلَيْسَ يَصُدُّنَا
فِيَا بَهْجَةَ الدُّنْيَا إِذَا أَنْضَمَّ شَمْلُنَا
مَرَامٌ بِآذَانِ الشَّبَابِ دَوِيَّةُ
أَرَى كُلَّ قَصْدٍ قَاصِرٍ أَدُونِ قَصْدٍ مَنْ
وَأَبْقَى ثَنَاءً لَيْسَ تَبْلِي جَدِيدُهُ

فَإِنَّ أَذْكَارَ الْمَجْدِ يُذَكِّي هَوَى الْمَجْدِ
فَتَقْضِي عَلَى دَاءِ التَّفَرُّقِ وَالْحِمْدِ^١
لِأَنَّ اللِّسَانَ الْحَيَّ خَيْرٌ مِنَ الْحَدِّ^٢
تَمَّهَدَ بِالْإِقْدَامِ وَالْمَبْدَأِ الصَّلْدِ
سَنَمَلِي عَلَيْهَا مَا تَكُونُ وَمَا تُبْدِي
تُناوِثُهَا الدُّنْيَا فَتُقْضِي وَلَا تُرْدِي
تُهَيِّئِ مَاءَ الْوَرْدِ لِلْأَعْيُنِ الرُّمْدِ
كَمَا يَسْبِقُ الْإِبْرَاقُ دَمْدَمَةَ الرَّعْدِ
عَنَادُ ذَوِي الْأَطْمَاعِ أَوْ كَثْرَةُ الْجُمُودِ
وَشِدْنَا بِنَاءَ الْمَلِكِ بِالْعَدْلِ وَالْجِدِّ
وَحَقٌّ لِمَنْ يَسْمَعُ الْوُصُولُ إِلَى الْقَصْدِ
سَعَى لِلْمَعَالِي قَبْلَ سُكْنَاهُ فِي الْأَحْدِ
سُنُونُ بَلَاغِنَ الْآنَ أَلْفًا مِنْ الْعَدِّ

(١) يعرب : ابن قحطان وبنوه العرب العاربة . (٢) الحد : ما يفصل بين الشئين كحدود الدول .

إِذَا كَانَ طَلِيبُ الذِّكْرِ سِرًّا خُلِدْنَا
 فَمَا الْمُتَدَبِّي بَعْدَ ذَا الْيَوْمِ غَابِطُ
 وَلَكِنَّ سَيْفَ الدَّوْلَةِ أَرْتَدَّ ذِكْرُهُ
 نَشَرْنَا عَلَى الدُّنْيَا طَرَائِفَ فَخْرِهِ
 فَمَا لِلَّذِي غَنَى الزَّمَانُ بِشِعْرِهِ
 إِلَى الْمُتَدَبِّي فَلَيْسَ كُلُّ عَاشِقٍ
 هُوَ الشَّاعِرُ الْبَاقِي بِكُلِّ فَرِيدَةٍ
 يُصَعَّدُ فَوْقَ الْمُبْدِعِينَ خَيَالُهُ
 وَيُضْرَمُ فَيَمْنَنُ يَقْتَفِيهِ حِمَاسُهُ
 وَمَنْ كَانَ يَلْقَى الْأَسَدَ فِي حَوْمَةِ الْوَعْيِ
 بِعَاطِفَةِ الْإِنْسَانِ يَنْقَادُ عَقْلُهُ
 وَلَا عَيْبَ فِي قَلْبٍ يُقَلِّبُهُ الْهَوَى
 أَقُولُ لِمُعْتَرٍّ يَقِيسُ زَمَانَهُ
 فَلَا تَنْتَقِدُ يَوْمًا رَأَى عَكْسَ أَمْسِهِ
 وَلَا تَتَّخِذُ مِنْ دَوْلَةِ الشَّعْرِ رَافِدًا

وَكَانَتْ حَيَاةُ الْوَرْدِ فِي نَفْحَةِ الْوَرْدِ
 زِيَادًا عَلَى إِنْشَادِ يَتِيمِهِ فِي حَشْدٍ^(١)
 مَعَ الْمُتَدَبِّي فَأَنْتَشَى الدَّهْرُ بِالسَّرْدِ
 كَنَشْرِ بَيَاضِ السَّيْفِ مِنْ ظُلْمَةِ الْغَمِّ
 أَيْسَكَّتُهُ رَبُّ الْمَنُونِ عَنِ الْحَمْدِ ؟
 جَمَالَ بَنَاتِ الْفِكْرِ يُخَمِّدُ لَطْفُ الْوَجْدِ
 إِذَا ضَنَّتِ الْأَجْيَالُ بِالشَّاعِرِ الْفَرْدِ
 فَيَحْيَا حَيَاةَ النُّجْمِ مِنْ شِدَّةِ الْبُعْدِ
 وَلَكِنَّهُ يُغْزِي الْمُجَلِّينَ بِالزُّهْدِ
 أَيْدِرِكُهُ فِي الْخُلْدِ خَوْفٌ مِنَ الْأَسَدِ ؟
 وَمَا مِنْ عَظِيمٍ عَاشَ خِلْوًا مِنَ النَّقْدِ
 كَمَا فَعَلَتْ بِالرَّوْضِ غَائِلَةُ الْبَرْدِ
 بِمَضَرٍ مَضَى : مَا الْمَضَرُّ لِلْمَضَرِّ بِالنَّدِ
 رَوَى النَّاسُ مَوْجَ الْبَحْرِ فِي الْجَزْرِ وَالْمَدِّ
 غِنَى الرُّوحِ يَغْنِي الْمُجْتَدِينَ عَنِ الرَّفْدِ^(٢)

(١) أنشد سيف الدولة بيتي زياد النابغة الذبياني « ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم ... » أمام جمع من الناس ، فردّ المتنّي بأربعة أبيات « رأيتك توسع الشعراء بلاء » غبط بها زياداً ، أي حصد . دون أن يتنى زوال النعمة عنه . والقصة مفصلة في شرح اليازجي ص ٤٣٨ . (٢) الرفد : العطاء .

كثيرون عُشَّاقُ التَّبَاهِي فَلَا تَكُنْ
بُنَاةً رَفِيعَ الْمُلْكِ لِأَذْوَا بِشَاعِرٍ
وَأَنْعَشَ قَوْمًا ظَالِمِينَ كَأَنَّهُ
إِلَى الْمُتَنَبِّي فَلَيْسَ كُلُّ ظَالِمٍ
فِيَا شَاعِرَ الْإِبْدَاعِ وَالْقُوَّةِ الَّذِي
وَحَلَّى ثُرَانًا لِلْعُرُوبَةِ لَمْ يَكُنْ
أَتَجَمُّعُنَا الْفُصْحَى وَتُفْسِدُ بَيْنَنَا
أَرَى أَوْجَعَ الْأَلَامِ عِشْرَةَ مَا كَرِ
فَتَبًّا لَهُ إِنْ قِيلَ : عَوْنٌ وَمُرْشِدٌ ،
وَمَا الْعَبْدُ إِلَّا مَنْ طَغَتْ شَهْوَاتُهُ
لَيْتَ تُبْصِرُوا فِي سَاحَةِ الذُّلِّ أُمَّةً
فَمَا مَاتَ مَنْ تَأَقَّتْ إِلَى الْمَجْدِ نَفْسُهُ
أَشَدُّ الْأَذَى مَا لَا بَسَ النَّفْعَ شَكْلُهُ
وَمَنْ يَتَوَدَّدُ لِلْمُعَلَّلِ بِالْمُنَى
كُنِيَ الْمَرْءُ نَفْعًا أَنْ يُكْرِمَ نَفْسَهُ
إِلَى الْمُتَنَبِّي فَلَيْسَ كُلُّ رَاغِبٍ

كَوَارِثِ أَمْوَالٍ يُبَاهِي أَخَا كَدُ
فَأَرْسَلَ حَيَّ الْحَمْدِ فِي زَائِلِ الْجُهْدِ
نَسِيمُ الصَّبَا الرِّيَّانُ قَدْ هَاجَ مِنْ نَجْدِ
يُشَارِفُ حِيَاضَ الْمَجْدِ سَائِغَةَ الْوَرْدِ
بَنَى هَيْكَلًا لِلشَّعْرِ يَعْبُقُ بِالنَّدِ
مِنْ الدَّرِّ بَلَّ أَغْلَى ، وَأَحْلَى مِنْ الشَّهْدِ
مَآرِبُ خَنَاسٍ وَمُسْتَعْمِرٍ وَغَدِ ؟
يَرِيشُ سِهَامَ الْكَيدِ مَسْمُومَةَ الْحَدِّ
وَوَاهَا لِرَبِّ الْبَيْتِ يَأْتُمُّ بِالْعَبْدِ
فَضَرَ بَنَى الْإِنْسَانَ ضَرَ الْعِدَى الْأَدِّ^(١)
تُسَاقُ بِسَوَاطِ الضِّيمِ مَغْلُولَةَ الْأَيْدِي
وَلَوْ وَأَدُوا آمَالَهُ أَهْوَلَ الْوَادِ^(٢)
وَشَرُّ ضَلَالِ الْمَرْءِ مَا كَانَ عَنْ عَمْدِ
يُعَاقَبُ عَلَى بَذْلِ الْمَوَدَّةِ بِالصَّدِّ
وَمَنْ يَأْبَحُمَلِ الضِّيمِ يُكْرَمُ بِلا بُدِّ
بِنَفْضِ غُبَارِ الذُّلِّ يَقْرَأُ فَيَسْتَهْدِ

(١) جمع : ألد . (٢) الواد : دفن الشيء حياً كما كان يفعل الجاهليون بيناتهم .

أَرَاهُ ، وَقَدْ أَصَمِيَ الزَّمَانُ فُؤَادَهُ
أَسِيرَ غَرَامٍ يَحْسَبُ الْوَعْدَ ذِمَّةً
فَيَضْرِبُ فِي رَحْبِ الْفَضَاءِ مُخَاطِرًا
فَكَبَّرَ عَلَى شِعْرِ الْفُرُوسَةِ بَعْدَهُ
أَرَاهُ طَرِيحًا فِي الْفِيَا فِي مُضَرَّجًا
وَمَنْ عَاشَ مِثْلَ النَّسْرِ فِي قِمَّةِ النَّهْيِ
كَأَنَّ عُيُونَ الْغَدْرِ كَانَتْ وَلَمْ تَزَلْ
فِيَا أُمَّةَ الْأَعْجَادِ لَا مَسَّكَ الرَّدَى
وَإِنْ أَخْلَفَتْ بَعْضُ الشُّعُوبِ وَعُودَهَا
« إِذَا سَيِّدٌ مِنَّا خَلَا قَامَ سَيِّدٌ »
وَصَانَ بِلَادًا أَنْبَتَ الْمَجْدَ زُرْبُهَا
يُرْنَمُ شِعْرِي مَنْ جَلَّالِ الْفَنِّ فِكْرُهُ
وَمَنْ أَظْلَمَتْ عَيْنَاهُ لَمْ يُرْجَ عَدْلُهُ
إِلَى الْمُتَنَبِّئِ كَانَ شَوْقِي مُسِيرِي
وَلَوْ لَا أَهْتِمَامِي بِالْبَلَاغَةِ لَمْ تَجِدْ
أُغْنِي نَشِيدَ الْعُرْبِ شَأْنَ مُتَيِّمٍ

فَنَاحَتْ عَلَى آثَارِهِ قَافَةُ الْجُرْدِ ،^(١)
وَحِذْنُ الْوَفَا يَنْقَاطُ مِنْ نَاكِثِ الْوَعْدِ
وَيُقْتَلُ فِي لَيْلٍ مِنَ الْجَهْلِ مُسَوِّدٌ
أَمَا يَفْتَدِيهِ كُلُّ يَتِيمٍ مِنَ الْفُودِ؟^(٢)
كَأَنَّ لَمْ يُطَاعِنَ بِالْعَوَالِي وَلَمْ يُرِدْ
أَيَنْجُو مِنَ الْغُدَّارِ وَالْمُصْرَعِ الْإِدِّ؟^(٣)
تُمَارِسُ خَنْقَ الْفَضْلِ كَالطُّفْلِ فِي الْمَهْدِ
فَإِنَّ الرَّدَى بِالْغَدْرِ كَالْغَدْرِ بِالْمَهْدِ
فَإِنَّ وَعُودَ الْعُرْبِ ضَرْبٌ مِنَ النَّقْدِ
فَكَلَّلَ هَذَا الشَّعْبَ بِالْغَارِ وَالرَّيْدِ^(٤)
يَجِيئُ مِنَ الْأَبْطَالِ وَالْفَتِيَّةِ الْمُرْدِ^(٥)
وَيَفْخَرُ بِي مَنْ كَانَ بِالْفَهْمِ ذَا جَدٍّ
وَلَسْتُ بِمَنْ لَا عَدْلَ فِيهِ بِمُعْتَدٍّ
وَمِنْ عَادَةِ الْأَشْرَاقِ تَنْمِيَّةُ الْوُدِّ
لِهَنْدَسَةِ الْأَلْفَاظِ مِنْ قِيَمَةٍ عِنْدِي
فَتُصْنَعِي لَهُ الدُّنْيَا وَتُنْشِدُهُ بَعْدِي :

(١) القافة: متبعمو الآثار والجرد الحبول السبافة. (٢) الفود: الموت. (٣) الأد: اللفظ المشكر.

(٤) صدر البيت: للسموئل. (٥) جمع أمرد: وهو الشاب طر شاربه ولم تثبت لحيته.

إِذَا جَاءَنَا مُسْتَنْجِدٌ ضَاعَ مَا لَهُ يُشَارِكُ فِي النُّعْمَى وَبِرْفُلٍ بِالْبُرْدِ^١
 وَيَشْهَدُ إِكْرَامًا فَيَشْهَدُ عَنْ هُدًى لِأَخْلَاقٍ شَعْبٍ خَيْرٍ طَيِّبِ الْجَدِّ
 بَنَى الْحَرَمَيْنِ الطَّاهِرَيْنِ فَحَسْبُهُ الَّذِي وَهَبَا لِلْعَالَمِينَ مِنَ السَّعْدِ
 وَلَمَّا بَنَى أَعْلَى وَأَرْخَى لِظِلِّهِ فَمَدَّ مِنَ الْغَرْبِ الْقَصِيَّ إِلَى الْهِنْدِ
 فَيَا لَكَ مِنْ شَعْبٍ عَظِيمٍ إِبَاؤُهُ فَإِنْ تَقَبَّلَ الشُّكْرَانَ تَقَبَّلَ عَلَى الرَّدِّ
 وَإِنْ عِشْتَ ذَا بَأْسٍ فَلَسْتَ بِمُعْتَدٍ وَلَكِنَّكَ السَّاعِي إِلَى الْأَمْنِ وَالرَّغْدِ
 مَعَالِكَ عَاشَتْ بِالْجِهَادِ وَأَيُّنَعَتْ بِآبَائِكَ الْغُرِّ الْمَيَامِينِ وَالْوُلْدِ
 وَكُلُّ شَجَاعٍ شَامِخِ الرَّأْسِ كَالطَّوْدِ وَإِذَا طَلَبَ الْعَلِيَاءَ لَمْ يَرْضَ بِالضَّدِّ
 فَلَا تَنْسَ أَنَّ الْفَوْزَ عُقْبَى مُجَاهِدٍ رَأَيْتُ حُمَاةَ الْمَجْدِ فِي جَنَّةِ الْخُلْدِ
 وَدَعَّ عَنْكَ إِرْجَافَ الْجَبَانِ فَإِنِّي « عَلَى الْمُنْبَرِ الْعَالِي أَوْ الْفَرَسِ النَّهْدِ »^٢
 مِنْ الْمُتَنَبِّئِي شَيْخٍ كُلُّ مُفَاخِرٍ وَكُلُّ أَبِي النَّفْسِ مُسْتَوْجِبِ الْحَمْدِ
 إِلَى كُلِّ بَانٍ فِي ذُرَى الْمَجْدِ قُبَّةٌ لَكَ الشَّرْقُ دَارٌ فَأَمْلَيْهَا مِنَ الرُّشْدِ
 فَيَا نَهْضَةً كَانَ الْإِبَاءُ مُشِيرَهَا كَوْهَجِ الضُّحَى الْفَتَّانِ وَالشَّمْسِ فِي الرَّأْدِ
 بِشِعْرِ حَكِيمٍ يُوقِظُ النَّاسَ نُورُهُ وَيَسْتَبِقُ الْأَحْدَاثَ بِالْعَمَلِ الْمُجْدِي
 وَنَهْجِ زَعِيمٍ يَرْحَمُ الْمَوْتَ بِاسْمَا سَيَحْتَلُّ مَجْدُ الْعُرْبِ نَاصِيَةَ الْمَجْدِ
 وَذِكْرِ أَبِي الْعُرْبِ الرَّسُولِ مُحَمَّدٍ

١٩٣٦

(١) البرد: جمع بردة، وهي الكساء الفاخر. (٢) النهدي: الفرس الجسيم الجميل القوي، وعجز البيت للمعنى.

بَلَاءُ الدُّنْيَا

أَنْتِ يَا دُنْيَا حَرِيَّةٌ بِمَرَاثِي الْعَبَقْرِيةِ
مُذْ غَدَا الْجِبَاهُ أَسْيَادُ يَسُوسُونَ الرَّعِيَّةِ
وَطَفَى التَّدْلِيسُ مُخْتَالًا فَبَذَّ الْأَلْمَعِيَّةِ
أَظْلَمَ التَّارِيخُ مِنْ تِلْكَ الْحَكَايَا الْأَضْمَعِيَّةِ
وَعَدَا نَاشِرُ نُورِ الْفِكْرِ بِجَهْلٍ الْمُسَوِيَّةِ
وَقَضَى فِي الْفَنِّ أَسْتَاذُ الْحُرُوفِ الْأَبْجَدِيَّةِ

يَا رَعَاكَ اللَّهُ ! مَا الْفَنُّ أَكْتِسَابًا بَلْ سَجِيَّةٌ
جُودَةُ الْإِنْتِاجِ خَيْرٌ مِنْ نُعُوتِ مَجْمَعِيَّةِ
لَيْتَ مَا يَحْمِلُهُ الْيَعْسُوبُ مِنْ رُبِّ الْخَلِيَّةِ
كَانَ زَادَ الْمَجْمَعِ الْعَالِي وَحَلَوَاهُ الشَّهِيَّةِ
لَدَعُونَاهُ إِذَنْ : دَارَ الْمُلُومِ الْعَالَمِيَّةِ
وَحَسْبُنَا مَاءُ الْأَسْنِ خَيْرًا بَابِلِيَّةِ
فَتَيَّ تَصْحُو مِنْ النَّوْمِ الشُّعُوبُ الْعَرَبِيَّةِ ؟

لَيْسَتْ الْأَخْوَاضُ أَعْلَى مِنْ يَنَائِمِي النَّقِيَّةِ
إِنَّمَا الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا فُصُولٌ مَسْرُوحِيَّةٌ
كَمْ تَطَلَّبْتُ نَعِيمًا مِنْ مَجَالِهَا الْبَرِّيَّةِ
فَرَأَيْتُ الْكُلَّ كَأَلْظَلٍّ اخْتَفَى عِنْدَ الْعَشِيَّةِ

قِيلَ : لَمْ يَصُبْ إِلَى مَالٍ وَلَمْ يَحْفَلِ بِمِثَّةِ
تَحِذِ الْفَنِّ حَبِيبًا وَالْأَنَاشِيدِ حُلِيَّةِ
وَأَبْتَنَى دَارَ خُلُودٍ بِمَعَانِيهِ السَّنِيَّةِ

فَأَجَبْتُ : أَلْفَنُ نِبْرَاسُ تَرَاءَى لِلْبَرِّيَّةِ
هُوَ لِلرُّوحِ غِذَاءٌ وَنُسَيَاتُ نَدِيَّةِ

أَيُّهَا اللَّحْنُ الْمُدَوِّي بَنِينَ أَبْنَاءِ الْمُنِيَّةِ
يَا مَنَارَ الْخُلْدِ ! حَيَّاكَ الْهُدَى أَحْلَى تَحِيَّةِ
قَدْ مَلَأْتَ النَّاسَ نُورًا مِنْ مَصَابِيحِ خَفِيَّةِ
فَعَسَى أَنْ يُذَرِّكَوَا فِيكَ الْمَسَرَّاتِ الْهَنِيَّةِ
أَوَلَيْسَ الْمَجْدُ إِبداعَ الصِّفَاتِ الْأَدَبِيَّةِ ؟

ضَلَّ مَنْ يَسْعَى لِبَذْخٍ وَنَوَى أَسْوَأَ نِيَّةٍ
 كَمَلِيلٍ خَزَنَ الْمَالَ وَمَا فِيهِ بَقِيَّةٌ ...
 حَاجَةُ الْمَرْءِ كَفَافٌ مِنْ حُطَامِ الْمَدِينَةِ
 وَاکْتِنَازُ الْمَالِ ضَرْبٌ مِنْ جُنُونِ الْوَثْنَةِ

كَمْ ضَعِيفٍ يَدْعِي الْفَوْزَ عَلَى الْإِيْدِي الْقَوِيَّةِ
 وَبِحَالٍ الْقَوْلِ لِلْوَاقِعِ لَا لِلنَّظَرِيَّةِ
 أَنْظِلْ الْأَرْضُ وَالْخَيْرَاتُ لِلْبَاغِي مَطِيَّةٌ ؟
 سَلَبُ حَقِّ الْعَيْشِ أَذْهَى مِنْ شُرُورِ الْبَرَبَرِيَّةِ
 لَيْسَ فِي الْجُوعِ مَكَانٌ لِدُرُوسِ فَلَسْفِيَّةِ
 يَطْلُبُ الْمُعْوِزُ وَالْبَاكِي حُلُولًا عَمَلِيَّةِ

مُنْتَهَى الْمَسْكِينِ كَالْمُوسِرِ رَبُّ الْمُنْجِيَّةِ
 فَلْتَرْتِ « نَحْنُ - أَنَا » تَنْفَصِلِ الدَّعْوَى الْعَصِيَّةِ
 سَيِّدُ النَّاسِ مُنْجِي النَّاسِ مِنْ تِلْكَ الْبَلِيَّةِ

أَفْسَدَ الْمَالُ الْبَرَايَا فَأَنْظُرُوا عُقْبَى الْقَضِيَّةِ :
 أَصْبَحَ الْمَلِكُ كِبَانِيهِ بَقَايَا أَمْرِيَّةِ
 وَأَقْضَى النُّوحُ وَوَدَّ الذَّنْبُ لَوْ تَرْضَى الضَّحِيَّةِ
 بِئْسَ مَا صَارَ إِلَيْهِ الظُّلْمُ مِنْ حَالٍ زَرِيَّةِ

إِنَّ فِي الْفَانِي لِمَنْ يُؤْلَعُ بِالْفَانِي أَذِيَّةٌ
وَمِنْ الْأَطْمَاعِ مَا يَعْصِفُ بِالنَّفْسِ الرَّضِيَّةِ
مَرْكَبٌ تَصْدِمُهُ أَمْوَاجُ أَهْوَاءِ عَتِيَّةِ

فَاخْذَرِي الْأَهْوَاءَ أَعْدَاءَكَ ، يَا نَفْسِي الْغَنِيَّةُ !
يَا أُبْنَةَ الْفَنِّ الَّذِي يَحْيَا حَيَاةَ أَبَدِيَّةِ
يَا أُبْنَةَ الْأَنْوَارِ وَالْأَزْهَارِ ، يَا لَحْنَ الْبَرِيَّةِ
يَا مَدَارَ الْفَخْرِ فِي الْمَحْيَا وَمَا بَعْدَ الْمَنِيَّةِ

فَازَ بِالرَّاحَةِ مَنْ يُصْلِحُ أَحْوَالَ شَقِيَّةِ
وَلَيْنَ أَعْيَا كَمَنْ هَامَ بِصَحْرَاءِ خَلِيَّةِ
مَلَكَ الدُّنْيَا الَّذِي يَمْتَلِكُ النَّفْسَ الْآيِيَّةِ
وَأَغْنَى بِالرُّوحِ لَا بِالْمَالِ مَنْ يَرْجُو رُقِيَّةِ

فَلْيَصُنْ رَبِّي بِلَادِي مِنْ شُرُورِ الْأَشْعَبِيَّةِ
رَيْثَمَا يَقْضِي بِإِنصَافٍ ضَحَايَا الْبَشَرِيَّةِ

١٩٤٩



المصير

مَنْ أَعَدَّ الْعَيْشَ فَوْقَ السُّحُبِ لَيْسَ يَخْلُو مِنْ دَوَاعِي النَّصَبِ
فَالْأَمَانِي كُلَّمَا ثَارَتْ بِهِ أَضْرَمَتْ نَاراً خَلَتْ مِنْ لَهَبِ
وَاللَّيَالِي ، وَلَتُنْ طَاوَلْنَهُ لَيْلَةً تَمْضِي وَلَمَّا تَوْبِ
لَا تَبْتَ فِي أَسْرِ هَمٍّ دَائِمٍ : طَلَبِ الدُّنْيَا وَخَوْفِ الْعَطَبِ
إِنَّمَا الدُّنْيَا أَبْتِذَالُ كُلِّهَا مِثْلُ دَمْعِ الْعَاشِقِ الْمُنْسَكِبِ
لَسْتُ أَهْوَى بَعْدَ مَا شَاهَدْتُهَا غَيْرَ أَنْ أَرْسُمَهَا فِي الْكَتَبِ
تِلْكَ ذِكْرِي لِفَتَى مَرَّ بِهَا فَرَأَى مِنْهَا عَظِيمَ الْعَجَبِ

قُلْ لِمَنْ يَأْلُمُ مِنْ أَتْعَابِهِ كَثْرَةُ الشَّكْوَى أَسَاسُ التَّعَبِ
إِنَّ مَنْ لَمْ يُكْتَبِ النَّصْرُ لَهُ يَتَوَلَّاهُ أَطْلَابُ الْغَلَبِ

لَسْتُ أَذْرِي هَلْ أَنَا مِنْ مَعْشَرِ أَلْفُوا الْحَرْبَ وَخَمَلِ الْقُضْبِ
أَمْ قُسُومٍ تَجِدُوا الضَّعْفَ وَمَا أَغْرِبُوا إِلَّا بِنَصْبِ الصُّلْبِ
أَمْ قُضَاةٍ حَكَمُوا عَنْ عِفَّةٍ وَتَفَوَّ بِالْعَدْلِ شَرَّ الْكُرْبِ
أَمْ تِجَارٍ لَاحِقُوا أَرْزَاقَهُمْ كَخُرُوفٍ فِي مَكَانِ عَشْبِ

كُلُّهُمْ عَاشُوا فَهَلَا أَدْرَكُوا كَمْ وَرَاءَ الْقَبْرِ مِنْ مُنْتَحِبٍ
أَمْ قَضَوْا لَاهِينَ لَمْ يَذْكُرُوا لَذَّةَ الْحُزْنِ وَعُقْبَى الطَّرَبِ؟
كَمْ جَهْلٌ شَدَّهُ بِي قَدَرٌ شَدَّ أَسْبَابِ الرِّضَى بِالْمُغْضَبِ
سَارَ فِي الْأَرْضِ عَلَى غَيْرِ هُدًى هُمُ قَنْصُ ضَمِيفٍ وَغَبِي
فَإِذَا مَدَّ لَهُ شَخْصٌ يَدًا صَادَفَتْ فَعَا فَلَمْ تَنْسَحِبِ
هَاجِمَ الْمُسْكِينِ فِي مَأْمَنِهِ وَسَبَى مَا عِنْدَهُ مِنْ سَلَبِ
وَأَعْتَدَى وَأَخْنَالَ فِي أَعْمَالِهِ وَتَهَادَى بِالثَّبَابِ الْقُشْبِ
وَتَرَدَّتْ بِالْمَعَاصِي نَفْسُهُ فَبَدَأَ فِيهَا كَذِبِ كَلْبِ
وَتَدَنَّتْ مِثْلَهُ أَخْلَاقُهُ كُلُّ شَرٍّ نَاشِئٍ عَنْ سَبَبِ...
إِنَّ مَنْ قَدْ ذُكِرَتْ أَوْصَافُهُ صَارَ يُدْعَى تَاجِرًا ذَا نَشَبِ
مَالُهُ وَالنَّارُ صِنَوَانٍ ، وَمَا قَدْ أَتَاهُ فَرَكَامُ الْحَطَبِ
كَلَّمَا حَاوَلْتُ أَنْ أَنْذِرُهُ رَاجِبًا فِي خَيْرِهِ أَسْتَهْزَأُ بِي
فَكَأَنَّ الْمَالَ قَدْ قَالَ لَهُ : لَا تَخَفْ ، مَا الْمَوْتُ بِالْمُقْتَرَبِ
إِنَّهُ يَرْهَبُ قَصْرًا بِإِذَا فَأَعْتَصِمْ فِيهِ بِأَقْوَى الطُّنْبِ
وَأَصَامَ عَنْ حَزَنِ صَارِيخِ وَتَجَبَّرْ وَادْرِغْ بِالصُّحْبِ"
لَمْ يَكُنْ فِي الْأَرْضِ زَلْزَالٌ وَمَا لَاحَ نَجْمٌ فِي السَّمَاءِ ذُو ذَنْبِ"

* * *

(١) جمعُ صواب جمع صاحب . (٢) يعتبر النجم المذنب نذير شر .

مَرَّتِ الْأَيَّامُ كَالْمَاءِ جَرَى فِي الْفَبَافِي مِنْ قَدِيمِ الْحَقَبِ
وَعَدَا التَّاجِرُ شَيْخًا مُدْنِقًا عَذْبَتُهُ عَادِيَاتُ الْوَصَبِ
فَارْتَأَى اسْتِدْعَاءَ جَارٍ زَاهِدٍ كَانَ يَلْقَاهُ بِصَدْرِ رَحَبِ
وَرَجَا مِنْهُ حَدِيثًا ، قَائِلًا : أَيُّهَا الْجَارُ الرَّفِيعُ الْأَدَبِ
قَدْ فَتَنَتِ النَّاسَ أَنِّي أُلْتَفَتُوا بِمَعَانٍ وَلِسَانٍ ذَرِبِ
فَارْتَمَنَ لِي خُطَّةٌ تُنْقِذُنِي إِنِّي كَأَيَّاسٍ الْمُضْطَرِبِ

* * *

قَالَ : خُذْنِي كَيْشَالٍ وَأَعْتَقِدْ أَنِّي مَا كُنْتُ بِالْمُكْتَنِبِ
صِدْقُ قَوْلِي شَاهِدٌ عَدْلٌ عَلَى أَنِّي أَكْرَهُ طَرَفَ الْكَذِبِ
لَسْتُ أُدْعَى تَاجِرًا بَيْنَ الْمَلَا مَنْ دَعَا الْبَذْرَ سُهَى لَمْ يُصَبِ
إِنِّي أَسْبُرُ آلَامَ الْوَرَى مِثْلَ دَرَمِي مَا وَرَاءَ الْحُجُبِ
وَفُنُونِي زِينَتِي إِنْ يَفْخَرُوا بِحَصَى الذَّرِّ وَجَمْعِ الذَّهَبِ
حَسِبْتَنِي غَادَةً فِي سِرِّهَا بِسَمَةِ الْفَجْرِ عَلَى ثَغْرِ صَبِي
وَرَأَتْ بِي وَرْدَةً فِي رَوْضِهَا حُلْمَ الزَّهْرِ عَلَى رَمْسِ نَبِي
فَإِذَا اسْتَهْوَتْ فُؤَادِي شَهْوَةً فَتَرَتْ نَفْسِي وَلَمْ تَنْجَذِبِ
فَكَأَنَّ قَدْ شَبِعَتْ فِي سَيْرِهَا مِنْ أَمَانٍ وَأَكْتَفَتْ مِنْ أَرْبِ
وَعَدَتْ نَشْوَى وَكَمْ مِنْ غِبْطَةٍ تُسْكِرُ الْمَرْءَ كَبِنَتِ الْعِنَبِ

شَهَوَاتُ النَّفْسِ أَغْلَالُ لَهَا :
كُلُّ قَيْدٍ مَعْنَوِيٌّ ذَلَّةٌ
مَا صَفَاءُ الْعَيْشِ إِلَّا رَغْبَةٌ
وَمَشَتْ فِيهِ عَلَى هَامِ الْعُلَى
إِنَّمَا الْأَرْوَاحُ فِي أَذْوَارِهَا
أَيُّ رَبِيجٍ مِنْ حَيَاةٍ تَنْقُضِي
فَأَبْذُلِ الْمَالَ لِكَيْ تَكْنِزَهُ
كَمْ أَجِيرٌ لَكَ لَا تَعْرِفُهُ
فُكَّ أَغْلَالِ سَجِينٍ يَثْبُ !
ذَلَّلَ الْقَيْدُ أَسْوَدَ الْهَضْبِ
عَانَقَتْ رَوْحًا رَفِيعَ الطَّلَبِ
لِيرَى مُبْدِعَهُ عَنْ كَثَبِ
تَتَنَقَّى بِأَحْتِمَالِ النُّوبِ
فِي أَنْجَارٍ كُلُّهُ كَاللَّعِبِ
لَا تُورَثُ دِرْهَمًا ذَا نَسَبِ
مَاتَ عَنْ إِرْثٍ فَلَمْ تَتَحَبِّ

* * *

فَبِكَيْ التَّاجِرُ مِنْ أَقْوَالِهِ
وَرَأَى آمَالَهُ مِنْ عُمْرِهِ
قَالَ لِزَاهِدٍ لَا يَنْفَعَنِي
أَنْتَ أَسْمَى مِنْ مَقَامِي مَنْزِلًا
لَيْسَ فِي عَيْنَيْكَ نَارٌ إِنَّمَا
طَالَمَا نَاصَرْتَ فِي مُعْتَرِكِ
مَلَكَتْ آيَاتُكَ الْغُرُ النَّهْيُ
وَأَزْتَوَى مِنْ سَلْسَبِيلِ عَرَبِ
كَلِيلٍ أَسْرَعَتْ فِي الْهَرَبِ
كُلُّ مَالِي ، فَالْعُلَى بِالرُّتَبِ
أَنْتَ أَسْتَاذِي ، بَأْتِي وَأَبِي
إِنْ رَمَى لِحْظُكَ غَرًّا يَذْبُ
مَطْلَبًا حَقًّا وَلَمْ تُتَدَبَّ
وَعَدَا شِرْكُكَ فَخَرَّ الْعَرَبِ

١٩٣٥

نَجْمَةُ الصُّبْحِ

نَجْمَةُ الصُّبْحِ الْمُنِيرَةِ أَنْتِ وَدَّعْتَ النُّجُومَ
وَتَصَدَّرْتَ أَمِيرَةً فَوْقَ شَفَافِ الْغُيُومِ

فَأَطَّلِي مِنْ عُلَاكِ
لِمُحِبٍّ إِنْ رَأَاكَ
رَحَلَتْ عَنْهُ الْهُمُومُ

وَأُبْعَثِي فِي النَّاسِ مِنْ إِشْمَاعِكَ الزَّاهِي رَجَاءً
فَلَقَدْ مَلَّ فُؤَادِي بَعْدَ أَنْ وَلَّى الْوَفَاءُ
أَمَلٌ مَاتَ عَلَى الْأَرْضِ فَأَخِيَّتُهُ السَّمَاءُ

مَا عَسَاكَ تَتَشُدُّ مِنْ مُنْذُ تَجْهُولِ الْعُصُورِ
أَجْدِيداً تَأْمَلِينَ مِنْ مِيَاهِ وَصُخُورِ؟
إِنَّ أَشْبَاحَ السَّنِينَ وَأَنَاشِيدَ الدُّهُورِ
مِنْ سُرُورِ وَأَنِينِ وَغَمِّ رَامٍ وَنُفُورِ
تَتْرُكُ الذِّكْرَ الْحَزِينَ طَيِّبِ أَعْمَاقِ الصُّدُورِ

وَإِذَا فَكَّرْتُ فِي الدُّنْيَا وَأَتَمَّابِ الْبَشَرِ
وَبَارَاءِ وَعَادَاتِ لَهُمْ تَوْحِي الضَّجَرِ
زِدْتُ بُعْدًا عَنْ مَأْسِ سَافِرَاتٍ وَعَبْرَ

نَجْمَتِي ! مَا كُنْتُ يَوْمًا كَالنَّجُومِ السَّائِرَةِ
أَنْتِ مِثْلِي تُدْرِكِينَ الْعَاطِفَاتِ النَّائِرَةِ
فَأَسْمَعِي مَاذَا تُعَنِّي الصَّادِحَاتُ الطَّائِرَةِ
وَأَنْظُرِي كَيْفَ عِنَاقُ الْمَائِسَاتِ الزَّاهِرَةِ
ثُمَّ سِيرِي بِسَلَامٍ ، لَا تَظَلِّي حَائِرَةَ

كُلُّ هَذَا زِينَةٌ عَابِرَةٌ ، وَالْأَصْلُ رُوحُ
وَكَأَنَّ الْحُسْنَ مِنْ آتٍ إِلَى مَاضٍ يَنْوَحُ
قُوَّةً تَلْبَسُ شَكْلًا وَكَمَا تَنَاقِي تَرُوحُ

١٩٣٣



رَجُلُ الْمَبْدَأِ

جَدَلٌ ، وَقَلْبِي لَا يَزَالُ عَلِيلاً ، أَجْلِي الْهُمُومَ وَبَاتَ فِيهِ نَزِيلًا ،
فَتَكَاثَفَتْ فِي جَوْهِ سُحُبًا عَلَى قِمِّ الْمُنَى ، وَتَضَافَرَتْ إِكْلِيلًا ،
قَدْ كَانَ يَرْتَعُ صَادِحًا بَيْنَ الرَّبِّيْ وَبَرَى الْوُجُودَ وَمَا يَضُمُّ جَمِيلًا ،
فَإِذَا بِهِ وَالْدَّهْرُ كَدَّرَ صَفْوَهُ يُنْسِي وَيُصْبِحُ يَأْسًا مَغْلُولًا ،
لَ الْمُنَامَ مَعَ الظَّلَامِ وَلَمْ يَكُنْ بِذُرِّ الْمُنَى وَجَاهَهُ تَمْلُولًا ،
مِنْ أَجَلِهِ عُدَّ الْهَوَى تَذْبَابًا وَلَوْ ذَاقَ الْمُحِبُّ الْيَأْسَ وَالتَّنَكُّيلًا ،
كَمْ مِنْ شَهِيدٍ فِي الْأَنَامِ ضَحِيَّةٍ لِلْمَبْدَأِ السَّامِي قَضَى نَجْهُولًا ،
وَالْمُجْرِمُونَ سَطَوْا عَلَيْهِ فَأَتَخَنُوا فِيهِ الْجِرَاحَ ، وَعَذَّبُوهُ طَوِيلًا ،
لَوْ كَانَ لِلْوُجْدَانِ حَكْمٌ عِنْدَهُمْ لَمْ تَلَقَ يَوْمًا لِلنِّزَاعِ سَبِيلًا ،
نُكْرَانُهُمْ حَقَّ الْأَدِيبِ وَفَضْلُهُ أَمْسَى عَلَى مَا يُبْطِنُونَ دَلِيلًا ،
فَبِمَسْكِرِهِمْ يَذْنُونَ مِنْهُ سَاعَةً وَبِحُورِهِمْ يَنَازُونَ عَنْهُ جِيلًا ،
إِنَّ النَّزَاعَ هَوَى الْمَطَامِعِ أَصْلُهُ وَلَمَلَّ صَبْرَكَ مِنْ زَمَانِكَ عِيْلًا ،
قَدْ يُدْرِكُ الْإِنْسَانُ أَجَرَ جِهَادِهِ إِنْ كَانَ يَفْقَهُ عَارِفُوهُ جَمِيلًا ،
زَيْنُ الْفَتَى أَخْلَاقُهُ ، وَفَخَارُهُ أَنْ يَعْرِفَ التَّحْرِيمَ وَالتَّحَايِلًا ،
وَإِذَا أَنَاهُ الْقَاصِدُونَ رَأَوْا بِهِ شَهْمًا كَرِيمًا يَكْرَهُ التَّذْجِيلًا ،
يَحْنُو عَلَى الضَّغَفَاءِ إِشْفَاقًا وَيُعْمَلُ بِالْعَتَاةِ الصَّارِمِ الْمَصْقُولًا ،

إِنَّ الرِّجَالَ أَثْنَانِ ، فَأَخْتَرُ مِنْهُمَا
 « فَإِذَا هُمَا اجْتَمَعَا لِنَفْسٍ حُرَّةٍ »
 حُبُّ الْعِظَائِمِ مَوْرِثُ عُشَّاقِهَا
 فَأَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ الْمَبَادِي تَتَّخِذُ
 فِيهِمُ الْأُلَى لَا يَمْسُكُونَ إِيْرَبَحُوا
 وَهُمْ الَّذِينَ إِذَا أَحْسَوْا ذِلَّةَ
 عَظَمَتِ نَفُوسِهِمْ فَكَانَتْ مَقْدِسًا
 فَإِذَا بِهِمْ يَتَدَرَّجُونَ إِلَى الْعُلَى
 لِي مَبْدَأُ أَهْوَاهُ ، لَسْتُ أَخُونَهُ
 حَارَتْ بِهِ الْأَقْوَامُ فَأَنْقَسَمَتْ إِلَى
 وَأَثَابَنِي الْجُهَالُ عَنْ شَغْفِي بِهِ
 وَالْمَبْدَأُ السَّامِي بِنَفْسِي حَاكِمُ
 نُورٌ يَرَى الْعُمِيَّاتُ فِيهِ ظُلْمَةً
 هَانَتْ لَدَيْهِ الْحَادِثَاتُ كَأَنَّهَا
 فَتَا مَرَّ الْأَعْدَاءُ ضِدِّيَ مِثْلَمَا
 وَسَأَلْتُ مَا ذَنْبِي فَقِيلَ تَقَرُّدُ
 مَنْ جَرَّ حَمْدًا لَا غِنَى وَذُبُولًا
 كَانَتْ لِإِصْلَاحِ الْفَسَادِ رَسُولًا
 أَمَدَ الْحَيَاةِ مَتَاعِيًا وَنُحُولًا
 مَثَلًا ، وَرَتَّلْ فَضْلَهُمْ تَرْتِيلًا
 وَهُمْ الْأُلَى لَا يُخْلِفُونَ مَقُولًا
 تَرَكَوا الْغَنَائِمَ وَالْهَوَى الْعَسُولًا
 وَبَدَأَ تَرْفَعُهُمْ فَكَانَ جَلِيلًا
 وَمِنْ الْمَبَادِي يَمْتَنُّونَ خَبُولًا
 أَوْ أَرْتَضِي عَنْهُ الْحَيَاةَ بَدِيلًا
 شَيْعَ تَعْلُلُ أَمْرَهُ تَعْلِيلًا
 لِقَبَا يُمَثِّلُ جَهْلَهُمْ تَمْثِيلًا
 يَسْتَأْهِلُ التَّكْرِيمَ وَالتَّبْجِيلًا
 وَمَحَاسِنُ لَمْ تَأْلَفِ التَّجْمِيلًا
 فَرَحُ الدَّجَاغَةِ حِينَ يَلْقَى الْفِيلًا
 تَرَكَ اللَّثَامُ ابْنَ الْكِرَامِ قَتِيلًا
 ذَنْبُ الْمَلِيحَةِ أَنْ تَكُونَ الْأُولَى

صَوْتُ سُورِيَّة

قِنَا نَحْمَدُ الْإِيَّامَ إِنْ كَانَ يُحْمَدُ سُكُونٌ عَلَى شَكِّ يَثُورُ وَيَحْمَدُ
 وَإِلَّا فَهَبُوا كَالنُّسُورِ تَسَابَقَتْ لِنَحْقِيقِ آمَالِ الْبِلَادِ وَرَدُّدُوا:
 كَفَانَا فَخَارًا أَنَا إِخْوَةٌ مِمَّا « إِذَا مَاتَ مِنَّا سَيِّدٌ قَامَ سَيِّدٌ »^١
 وَقُولُوا لِنُؤَابِ الْعُرُوبَةِ كُلِّهِمْ: عَقَدْنَا عَلَيْكُمْ مَأْمَلًا، فَتَعَهَّدُوا
 فَا فِيكُمْ بَاغٌ يَبِيعُ خُمَيْرَهُ وَإِنْ نَمَّ مُحْتَالٌ وَضَلَّ مُفْسِدُ
 فَسُونُوا لَنَا مَا فِيهِ خَيْرٌ لِأَنَّا سَنَمْضِي وَإِيَّاكُمْ إِلَى حَيْثُ تَقْصِدُ
 أَرَى الْوَطَنِيَّ الْحَقَّ مَنْ رَدَّ غَارَةً وَتَقَدَّ مِثَاقًا بِهِ تَقْقِدُ
 فَهَا غَارَةُ التَّقْلِيدِ، وَالْجَهْلُ مُطْبِقُ، وَهَا غَارَةُ الْفَقْرِ الَّتِي تَتَهَدَّدُ
 وَهَا شَبَحُ الْأَطْمَاعِ، فِينَا مُكَشَّرُ، وَهَا شَبَحُ الذَّلِّ الَّذِي يَتَوَعَّدُ
 أَلَا، فَاطْرُدُوا الْأَشْبَاحَ عَنَّا فَإِنَّهَا نَذِيرُ الْبَلَايَا، وَهِيَ بِالْعَزْمِ تَطْرُدُ
 لَقَدْ أَرْعَجْتَنَا وَأَسْتَلَّانَتْ قَنَاتَنَا، أَلَيْسَ لِرَدِّ السَّكَيْدِ يَا صَاحِبُ مَوْعِدُ؟
 لَعَلَّ لِبَمَثِ الْمَجْدِ فِي الْعُرْبِ سَاعَةً يَزُولُ بِهَا مُسْتَعْفِرٌ وَمُعَرِّبُ
 فَهَلَّا أَفْدَيْتُمْ مِنْ أَذَى الضَّيْمِ عِبْرَةً وَهَلَّا رَأَيْتُمْ مَا رَأَاهُ مُحَمَّدُ؟
 إِذَا لَمْ نُهَيِّ لِلْمَلِمَاتِ عُدَّةً فَلَيْسَ لَنَا فِي سُدَّةِ الْمَجْدِ مَقْمَدُ

(١) للسومل .

وَكَمْ فَاحِصٍ أَخْلَقْنَا قَالَ : إِنَّهَا
فَمَا نَحْنُ مَنْ يَرْضَى لَجَارٍ مَذَلَّةً
وَلَا نَحْنُ مَنْ يَنْسَى يَدَا أَوْ مَبْرَّةً
إِلَى اللَّهِ نَشْكُو مَا أَصَابَ دِيَارَنَا
وَمَا الذَّنْبُ إِلَّا غِرَّةٌ وَتَنَابُذُ
« أَخَاكَ أَخَاكَ إِنَّ مَنْ لَا أَخَا لَهُ »
وَيَحْسَبُهُ الْأَعْدَاءُ غِرًّا مُقْصَرًّا
نَمُوتُ وَلَا نَرْضَى أَنْتِدَابًا لِأَنَّا
فِيَا وَطَنِي ! إِنِّ الْفَرَنْسِيَّسَ أُمَّةً
تَرَاقِبُ مَسْعَانَا وَتَذْكُرُ وَعْدَهَا
فَقُولُوا لَهَا : إِنَّا نُرِيدُ تَقَاهَا
وَإِنِّ فَرَضَتْ ذُلًّا عَلَيْنَا فَإِنَّا
فَهَلْ يَنْتَفِي أَخْرَارُهَا قَتْلَ أُمَّةٍ
أُولَئِكَ أَسْبَادُ بَنَوَا بِجِهَادِهِمْ
وَبَثُّوا هَوَاهَا فِي الشُّعُوبِ فَسَطَرُوا
نُرِيدُ لَهُمْ ، وَاللَّهِ ، مَا لَا يُرِيدُهُ
وَيَرْمِيهِمْ مِنْ مَكْرِهِ بِقَنَابِلِ

مِثَالُ النَّدَى لَكِنَّمَا الدَّهْرُ أَرْمَدُ
وَلَا نَحْنُ مِنَ الْجَوْرِ ضَعُفًا وَعَيْدُوا
فَهَلْ لِكِرَامِ الْأَرْضِ فِي نَصْرِنَا يَدُ ؟
فَقَدْ تَنْفَعُ الشَّكْوَى وَيَنْجُو الْمُقَيَّدُ
فَهَلْ وَحَدَّ الْعُرْبِ الْأَبَاةَ مُوَحَّدُ ؟
يَجُورُ عَلَيْهِ غَاصِبٌ مُتَشَرَّدُ^(١)
وَقَدْ يَطْمِسُ التَّارِيخَ وَهُمْ مُجَرَّدُ
حَمَلْنَا لَوَاءَ الرُّشْدِ وَالْدَّهْرُ يَشْهَدُ
وَفِيهَا مِنَ الْأَحْرَارِ مَا لَا نَعُدُّ^(٢)
وَإِنِّ الْعَدَاةَ الدَّانِيَةَ لَنِعْمَ الْمُؤَيَّدُ
فَإِنْ نَفَذْتَ عَهْدًا فَذَلِكَ أَحْمَدُ
سَتَرْفُضُهُ ، أَمَّا الدَّلِيلُ فَيُلْحَدُ
إِذَا لَمْ تَكُنْ غَيْرَ الْكَرَامَةِ تَذْشُدُ ؟
لِحُرِّيَّةِ الْإِنْسَانِ مَا لَيْسَ يُجْحَدُ
لَهُمْ فِي سَجِلِ الْفَضْلِ ذِكْرًا يُخَلَّدُ
لِدَوْلَتِهِمْ نَدُّ يَضُرُّ وَيُحْسَدُ
تُقَوَّضُ مِنْ بُسْتَانِهِمْ وَتُجَرَّدُ

وَمَنْ رَامَ خَيْرًا وَأَزْدِهَارًا لِقَوْمِهِ
فَيَا أَيُّهَا الْأَخْرَارُهَا رَوْعَةُ أَسْمِكُمْ
فَمَنْ غَيْرُكُمْ أَوْلَىٰ بِيَوْمِ بِلَادِنَا
وَمَا نَحْنُ مِمَّنْ يَجْهَلُ الْحُكْمَ جَدُّهُ
وَمَا نَحْنُ مِمَّنْ يَهْوَىٰ حَيَاةَ رَخِيصَةٍ
وَمَا الْمَجْدُ نَوْحٌ وَادَّكَارٌ مُّشَوِّقٌ
فَمَا الْمَجْدُ إِلَّا الْجِدُّ، وَالْعِلْمُ سُورُهُ،
سَأَسْمِي إِلَىٰ تَجْدٍ يَعَزُّ مِثَالُهُ
مَرَامٌ أَنَادِي الْعُرْبَ أَنْ يَقْتَدُوا بِهِ
كَأَنَّ فُنُونِي حَذَّرْتَنِي وَأَشْفَقَتْ
وَتُعْرِي فُؤَادِي بِالْخُلُودِ فَإِنْ أُمْتُ

يَسِيرُ عَلَىٰ آثَارِهِمْ وَيُسَبِّدُ
وَتَارِيخِكُمْ، فَأَقْضُوا بِمَا نَحْنُ نَعْبُدُ
وَمَنْ غَيْرُكُمْ أَهْدَىٰ، إِذَا رَاحَ يُرْشِدُ
وَلَكِنَّا بِالْجِدِّ سَوْفَ نُجَدِّدُ
فَمِنْ إِرْتِنَا الْمَجْدُ التَّلِيدُ الْمُؤَبَّدُ
يُعْذِيهِ وَهُمْ حَابِرٌ وَتَرْدُّدُ
فَيُخَلِّدُ بِأَعْمَالٍ تُقِيمُ وَتُقْعِدُ
فَلَا يَدْعِيهِ نَاسِخٌ أَوْ مُقَلِّدُ
وَمِثْلِي إِذَا رَامَ أَلَمَاءُ يُجُودُ
عَلَىٰ الْمَجْدِ أَنْ يَبْلَىٰ فِرَاحَتُ تَغْرُدُ
يُبْرِزُ بَقَائِي فِي الْحَيَاةِ الْتَفَرُّدُ

١٩٣٥



نزهة

مقدمة لديوان « ظلال الأيام » مهداة إلى الشاعر الأستاذ أنور العطار

دَعْ عَنْكَ غَطْرَسَةَ الْعُتَاةِ وَأَقْضِ الْحَيَاةَ مَعَ الْحُدَاةِ
وَأَسْجُدْ كَعُبَادِ النُّجُومِ أَمَامَ فَاتِنَةِ الْهُدَاةِ
فَالْعِطْرُ فَاحٌ بِخِذْرِهَا مِثْلَ الْبَخُورِ مِنَ الصَّلَاةِ
أَحْفِيفُ رُوحٍ فِي الدُّجَى أَمْ شَدُو حَادٍ فِي الْفَلَاةِ؟
طَرَبُ كَأَلْحَانِ الْمَلَائِكِ أَذْهَلَتْ جَمْعَ الرُّعَاةِ
قَالَتْ أَنَا شَيْدُ الْهَوَى : عَنْ « أَنْوَرَ الْعَطَارِ » هَاتِ
يَا غَادَةَ لَعِبَتْ بِلَبِّي إِنِّي شَيْخُ الدُّهَانِ
وَقَدْ اسْتَرَحَ الْفِكْرُ بَعْدَ الْحُبِّ مِنْ أَلَمِ الْحَيَاةِ

* * *

وَأَتَتْ عَرُوسُ الشَّعْرِ تَنْثُرُ فِي الْبَرَايَا أَيْ طَيْبِ
حَافَتْ مَقَاصِيرَ الْغِنَى وَتَخَيَّرَتْ كَهْفَ الْأَدِيبِ
عَشِقَتْ لَطَافَةَ رُوحِهِ وَرَوَائِعَ الْفِكْرِ الْخَصِيبِ
فَوَشَّاحُهُ الشَّفَافُ أَبْهَى مِنْ حُلَى الثَّوْبِ الْقَشِيبِ

هَتَفَتْ بِهِ وَالْعُرْيُ مَذْهَبُهُ : أَعِشْتَ بِلا رَقِيبٍ ؟
وَالْهَنْفَ قَلْبِي أَنْتَ تَبْدُو كَالْبَرِيءِ عَلَى الصَّلَيبِ
وَتَعَانَقَا مِثْلَ النَّسِيمِ يَمِيسُ بِالْفُضْنِ الرَّطِيبِ
وَأَسْتَقْبَلَا عَرْشَ الْخُلُودِ بِمَوْكِبِ الشَّعْرِ الْمَهِيبِ

* * *

إِنِّي لَأَلْقِي الْعَبْقَرِيَّةَ رَهْنَ دِيْوَانِ طَرِيفِ
جَمَعَ النُّعُومَةَ وَالْجَمَالَ ، بِأَيْمٍ أُسْلُوبِ ظَرِيفِ ؟
فَكَأَنَّ أَحْلَامَ الْحَيَاةِ تَرَاقَصَتْ بَيْنَ الدُّفُوفِ
وَالنَّايِ وَالْأُوتَارُ تَعَزَّفُ لَحْنُ « أَوْرَاقِ الْخَرِيفِ »
يَا فَرَحَةَ الْأَزْوَاجِ فِي طَيْرَانِهَا وَصَدَى الْحَفِيفِ
شَيَّدَتْ قَصْرًا لِلْعُرُوبَةِ لَيْسَ مِنْ حَجَرٍ صَفِيفِ
لَكِنَّهُ بَاقٍ بَقَاءَ الْفَنِّ وَالشَّعْرِ اللَّطِيفِ
يَحْيَا حَيَاةَ الزَّهْرِ فِي قَارُورَةٍ أَبَدِ الْمُنِيفِ

* * *

وَالْعُمُرُ مَدْرَسَةٌ وَكَمْ تَرَكَ الْأَوَائِلُ لِلْأَوَاخِرِ
وَلِكُلِّ عَصْرِ دَوْلَةٌ وَرِجَالُهَا وَالْدَّهْرُ سَاخِرُ
يَتَهَالَكُونَ عَلَى الْقُشُورِ وَيَخْفُلُونَ عَنِ الْجَوَاهِرِ

كَمْ يُغْرَمُونَ بِبَاطِلٍ وَالْحَقُّ مِثْلَ الصَّبْحِ سَافِرٌ
وَيُنْحَ الْعَوَادِي كَمْ تُغَالِي فِي مُقَارَعَةِ الْعَبَاقِرِ
أَدَبُ الْقَرِيحَةِ زَائِلٌ وَتَنَاجُهِمْ فِي الدَّهْرِ سَائِرٌ
وَشَهَادَةُ الْأَجْيَالِ خَيْرٌ مِنْ مَقَائِيسِ الظَّوَاهِرِ
وَكِفَاكَ مَنْ قَسَمَ الْحُظُوظَ وَفِي الْوَرَى خَطَّ الْمَصَائِرِ

وَتَنَالَتْ الْأَفْكَارُ هَامَةً بِأَفَاقِ السَّمَاءِ
فَكَأَنَّهَا الْأَشْبَاحُ قَدْ حَامَتْ عَلَى دَارِ الشَّقَاءِ
وَطَبِيعَةُ الْأَشْيَاءِ تُغْرِى النَّاسَ طُرًّا بِالْبَقَاءِ
يَتَهَيَّبُونَ حَمَى الْخُلُودِ وَيُوجِسُونَ مِنْ الْفَنَاءِ
فَرَأَيْتُ أَنْ الظِّلَّ أَصْدَقُ عِبْرَةٍ لَاحَتْ لِرَأْيِ
وِظْلَالِ مَا تَلِدُ الطَّبِيعَةُ تَحْتَفِي عِنْدَ الْمَسَاءِ
لَكِنْ « أَنْوَرَ » خَالِدٌ كَأَلرُّوحِ مَالِئَةٍ الْفَضَاءِ
وِظْلَالُهُ تَبْقَى عَلَى الْأَيَّامِ وَارِفَةُ الرُّوَاهِ

١٩٤٨



الحقُّ والعاطفة

« كلمة الحق للعاطفة »

شَدَّتِ العنادُ يا جميلةً فأرتدي ثوبَ البهاءِ وَكَالعنادِ أَنْشِدِي :
 إِنَّ المَلالَ ليمتَرنِي كُلَّما راحَ المُحقُّ فَرِيسَةً لِلْمُعْتَدِي
 وَالْعَيْشُ حَرْبُ ضاعَ أَمْرُ شَهِيدِها فَإِذا عَرَفْتَ بَلَاءَهُ فَتَجَلَّدِي
 سِيبانٍ في نَظَرِ العَدالَةِ : مُجْرِمُ حازَ البراءَةَ ، وَالنَّزِيهُ المُهْتَدِي

* * *

وَلَأَنْتِ أَسْمَى ما أَتى الباري بِهِ قَبِكَ أَبْتَدَأْتُ وَعِنْدَ عَرشِكَ أَنْتَهِي
 إِنْ كُنْتُ بَذراً فَالظُّلَامُ يَحْفَني وَأَدورُ حَوْلَكَ في الفَضاءِ المُزْدَهِي
 أَوْ كُنْتُ قِسْطاسَ العِبادِ فَإِنِّي عَبْدُ شَجاةٍ أَنْسُ مَعْناكِ البَهي
 ها قَدْ نَشَرْتُ عَلَى الخَلائِقِ رايَتِي فَتَأَمَّلِي تِلْكَ المَوَاقِبَ كَيْفَ هِيَ !

« واقع الحياة »

وَكَأَنَّا الدُّنْيا غُبارُ شائِرُ فَالْحَقُّ ذَاوِ وَالْمَطامِعُ قائِمَةُ
 هِيئاتَ فخرُ يَرْتَجِيهِ مُوَمِّلُ ثارتِ بِمُجْتَهِيهِ مُيولُ ظالِمَةُ
 يَكْفِي بوجْدانِ الفتى فخرًا لَهُ فَإِذا أَرْتَضَيْتَ هُداهُ فَأَرعَ مَراسِمَهُ
 وَإِذا تَحَكَّمْ في المَشاكِلِ تَنْتَهِي فَأَعْجَبْ لِمُخَكِّمِ يُسَيِّرُ حاكِمَهُ

« ردُّ العاطفة »

إِنِّي نَظَرْتُ إِلَى مُنِيرَةِ أَرْضِكُمْ وَالْحَقُّ يَقْضِي أَنْ تَصُونَ ضِيَاءَهَا
وَحَبِيتُ مِنْ عَطْفِ الْأَزَاهِرِ عِطْرَهَا وَمِنْ الْحَمَامِ شَذْوَهَا وَغِنَاءَهَا
وَمِنْ الْكَرِيمِ نَوَالِهِ وَحَنَانِهِ وَمِنْ الْأَدِيبِ فُنُونَهُ وَسَنَاءَهَا
فَمَنْ أُرْتَوَى مِنْهَا تَمَلَّكَ رُوحَهُ حُكْمُ الْعَوَاطِفِ وَأَبْتَنَى أَفْيَاءَهَا

« مطالعةُ الشاعر »

إِنِّي أَرَى بِالْعَطْفِ أَهْلِي فَرَحَةً فَلْتَضْمَحِلَّ الْمُشْكِلَاتُ الْغَابِرَةَ
وَإِذَا ضِيَاءُ الْفَجْرِ أَشْرَقَ بِاسْمَا يَمْحُو مِنْ أَلْقَلْبِ الْأَسَى وَبَوَادِرَةَ
إِنْ كَانَ شَخْصُكَ بِالْتُّرَابِ مُقِيداً فَنُهَاكَ حُرّاً وَالْخَوَاطِرُ ثَائِرَةً
كَمْ هَامَ فِي كُنْهِ الْوُجُودِ مُفَكِّراً وَمَضَى وَخَلَى لِلْأَنَامِ خَوَاطِرَهُ

* * *

وَلَكُمْ صَبَا قَلْبِي فَضِيعَ فَرَحَتِي بِالْحُبِّ جَانٍ لَا يَطُولُ عَلَائِي
فَتَنَ الْحَبِيبَةِ بِالزَّخَارِفِ فَأَرْتَمْتُ سَكْرِي بِخَمْرِ الْمَالِ وَالْإِغْرَاءِ
إِنَّ النِّسَاءَ إِلَى الصَّدَامِ دَفَعْنَا لَمَّا عَشِقْنَ زَوَائِلَ الْأَشْيَاءِ
فَتَعَامَتِ الْأَرْوَاحُ عَنْ حُبِّ الْعُلَى وَاهْتَمَّتِ الْأَجْسَادُ بِالْأَهْوَاءِ

* * *

فَخُذُوا الْحَبِيبَةَ وَأُتْرُكُوا لِرُوحِهَا مَا الشُّعْرُ بِالْأَلْفَاظِ وَالْأَوْزَانِ
إِنِّي عَدَلْتُ عَنْ أُمْتِلَاكِ قِصَائِدِي فَالْرُّوحُ رُوحِي وَالْيَبَانُ يَبَانِي

إِنْ يَفْتَخِرْ أَهْلُ الْغِنَى بِثَرَاثِهِمْ وَالْأَفْويَاءُ بِمَا لَهُمْ مِنْ شَانٍ
فَلْيَفْتَحِرْ قَلْبِي بِمِرَّةِ خَالِقِي وَلْيَزْدَهَرْ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ

* * *

إِنْ الْمَطَامِعَ مَزَقَتْ مَجْمُوعَنَا وَغَدَا التَّنَابُذُ آفَةً الْأَوْطَانِ
فَنُحْذُوا الْإِخَاءَ كَنِعْمَةٍ عُلُويَّةٍ وَتَبَادَلُوهُ بِأَخْرَجِ الْأَزْمَانِ
هَا مَهْمَةُ الدُّنْيَا الَّتِي ضَاعَتْ بِهِ أَحْلَامُ مَنْ سَلَفُوا يَبْذُخُ ثَوَانِ
وَشَذَا الْعَوَاطِفِ خَيْرٌ مَا أَسْتَهْوَى الْوَرَى، وَأَجَلُ مَا مَلَكَتْ يَدُ الْإِنْسَانِ

* * *

وَلَكُمْ مُحَقٌّ فِي سَبِيلِ مُرَادِهِ جَلَبَ الشُّقَاءُ لِقَوْمِهِ وَبِلَادِهِ
يَا لَيْتَهُ بَدَلَ الْحُقُوقِ ضَحِيَّةً لِسَعَادَةِ الْمَجْمُوعِ أَوْ أَفْرَادِهِ
هَذَا الْجِهَادُ بِذِكْرِهِ يَحْيَا الْفَتَى إِنَّ أَهْمَلَ النَّاسِ أَذْكَارَ وَدَادِهِ
وَلَعَلَّ مِنْ نِعَمِ الْحَيَاةِ عَلَيْكَ أَنْ يَرِثَ الْمُحِقُّ خُلُودَهُ بِجِهَادِهِ

« الخلاصة »

مَا بَيْنَ مُعْتَرِكِ الْحُقُوقِ تَكَسَّرَتْ آمَالُ أُمَّتِنَا فَبَاتَتْ وَاجِفَةً
إِنْ لَمْ يَسُدَّ عَطْفُ يَضُمُّ شَتَاتَنَا لَمْ يُرَجَّ إِصْلَاحُ الْحَيَاةِ الزَّائِفَةِ
وَإِذَا الْمَطَامِعُ وَالْأَمَانِيُّ اتَّقَضَتْ نَلْقَى الْعَوَاطِفَ فِي الْعُيُونِ الذَّارِفَةِ
وَالْحَقُّ مَا فَتَنَ الْأَنَامَ جَمَالُهُ إِلَّا إِذَا حَلَاهُ سِحْرُ الْعَاطِفَةِ

صِرَاحَةُ عَاشِقٍ

إِلْبَكُمُ حَدِيثًا لَمْ يُسْطَرَّ بِأَسْفَارِ
 تَخَيَّلْتُ أَنِّي عَاشِقٌ فَتَبَيَّنَتْ
 وَبَعْتُ النِّوَانِي بِالْأَغَانِي وَلَمْ أَكُنْ
 أَأَخْذَعُ نَفْسِي وَهِيَ تَعْشَقُ ذَاتَهَا
 أَهْمُ بِهَا ، وَالْحُسْنُ فِيهَا مُهَيِّمٌ
 وَكَمْ فِكْرَةٍ يَسْبِي الْعُقُولَ جَاهِلُهَا
 فَإِنْ أَهْوَى غَيْرِي خِلْتُ فِيهِ مُمَاطِلِي ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ ، جَسَمْتُ شَخْصًا بِأَفْكَارِي
 وَطَارَحْتُهُ الْأَشْرَاقَ ، لَاعَنَ صَبَابَةٍ ،
 وَهَلْ كُنْتُ يَا نَارِي سِوَى نُورِ فِكْرَةٍ

سَرَتْ فِي خَبَائِلِ الرَّحْبِ كَالْكَوْكَبِ السَّارِي؟

فَإِنْ قَالَ غَيْرِي: أَنْتَ عَاشِقُ نَفْسِهِ
أَجَبْتُ: نَعَمْ، وَالشَّعْرُ الْحَازُ قَبْثَارِي
كَأَنِّي وَهَذَا الْكَوْنُ فِكْرٌ مُوَحَّدٌ
تَوَلَّدَ مِنْ حُبِّ الْبَرِيَّةِ لِلْبَارِي
نَصَبْتُ أَدَمْتَ الْأَهْوَاءِ فِيهِ فَمَا نَجَا

مِنْ الشَّرِكِ الْمَنْصُوبِ إِلَّا الْفَتَى الدَّارِي

نِداء الحُبِّ

غادني ! هل ذكرتِ لحنَ الجمالِ حيثُ زهرُ الربِّي يُحلي النُّللاً ؟
 ناضِرٌ لونهُ ، لطيفٌ شذاهُ
 والمناقيدُ نورَتْ في الدَّوالي وغُصونُ التفاحِ مدَّتْ ظِللاً
 كنعمِ الفقى الجديدهُ هَواهُ
 والسَّماءُ الزرقاءُ ذاتُ اللَّالي والنَّسيمُ الذي تَهاهى اغتِلالاً
 فتَمَنَّى الوادِي وطابَ حِماهُ
 تجلسُ الأنسُ فوقَ هامِ الجبالِ بيناتِ الأفكارِ ماسَ دلالاً
 وتَنالَتْ أحلامُهُ ورُؤاهُ
 وتعالَتْ أنعامُهُ فنعالِي ترثِّفُ كأسُهُ ونفسَ الزَّوالِ
 فالهوى يُنسي كُلَّ زهرِ رُباهُ
 سحرُ عَينيكِ كانَ زادَ الخيالِ والحديثُ الطَّيِّبُ كالخمرِ سالا
 ما درى الفنُّ مَنْ أَحَبَّ سِواهُ
 يا أبنَةَ الحُسْنِ المُزدهي بالكمالِ والصفَّاتِ التي تَزينُ الرِّجالاً !
 والحياةُ ————— تأملُ واتَّجاءُ

إِنْ كَفَّاكَ فَنِّ فَرِيدُ الْمِثَالِ فَأَفْرَحِي بِالْأَمَالِ وَأُنْفِي الْمَلَالِ
فَهُوَ قَفَرُ الدُّنْيَا ، وَتِلْكَ الْمِيَاهُ

وَأَضْفِرِي الشَّعْرَ وَأَمْرَحِي كَأَلْفِ زَالِ فَرَبِيعُ الشَّبَابِ يَنْوِي أَرْتَحَالَا
وَالنَّعِيمُ الْمَرْجُوُّ فِي مُنْتَهَاهُ

لَا تَقُولِي : دَغْنِي فَلَسْتُ أُبَالِي فَمِنْ الْكُفْرِ أَنْ تَصُدِّي الْجَمَالَ
إِنَّ قَاضِيَ الْهَوَىٰ إِلَيْكَ شَكَاهُ

وَلَكُمْ كَافِرٌ يَقْضِي أَلْيَالِي نَادِمًا يَمْلَأُ السَّمَاءَ أَبْتِهَالَا :
بَعْدَ أَنْ غَابَ فِي ذُرَاهَا مُنَاهُ

رَبِّ هَبْ لِي هُدًى لِيَهْدَأْ بَالِي وَأَعِنِّي كَيْ لَا أَحِبَّ الضَّلَالَا
أَسْعَدُ النَّاسَ مَنْ أَتَاهُ هُدَاهُ

١٩٠٠



مِيَادَه

«خَطَرَتْ وَوَرَدَ الرُّوضِ بَيْنَ يَدَيْهَا
وَتَحَدَّثَتْ فَإِذَا الْقُلُوبُ خَوَافِقُ
« فَسَأَلَتْ مَنْ تِلْكَ الْمَدْلِيحَةُ يَا تَرَى؟
« قَالُوا: رَعَاكَ اللَّهُ، فَاتِنَةُ الْوَرَى
وَأَحْفَظُ هَذَا فَكَمْ حَدِيدٍ بَارِدٍ
فَكَأَنَّمَا قَطَفْتَهُ مِنْ خَدَّيْهَا »
مِنْ مَنْطِقٍ يَحُلُو عَلَى شَفَتَيْهَا
أَمِنْ الْمَلَانِكِ أَمْ نَسَبِنَ إِلَيْهَا »
فَارْحَمْ فُؤَادَكَ « مِنْ هَوَى عَيْنَيْهَا »
يُورِي الْأَطْيُ إِنَّ يَتَّصِلُ بِيَدَيْهَا

* * *

غَابَتْ وَذِكْرَاهَا تَجُولُ بِخَاطِرِي
أَمْ أَنَّهَا مِنْ كَثْرَةِ الْعُشَاقِ مَا
تَعْلُو الْكَرَامَةَ بِالْفَتْحِ فَوْقَ الْهَوَى
وَأَعْلَقَ بِنَنْ خَالِدٍ فَجَبَاهَا
إِنْ غَادَرَتْ زَهْرَ الرَّبِّيِّ وَنَسِيمَهُ
وَأَشَدُّ مِنْ أَلَمِ الْفِرَاقِ قَضِيَّةُ
أُتْرَى هَوَايَ يَرِنُ فِي أُذُنَيْهَا؟
عَزَّتْ كَرَامَاتُ الرِّجَالِ لَدَيْهَا؟
فَدَعِ الْأَلَى ذَلُّوا عَلَى قَدَمَيْهَا
يَذْوِي إِذَا بَكَتِ الْعُيُونُ عَلَيْهَا
فَأَعْجَبَ لِأَمٍّ أَهْمَلْتُ وَلَدَيْهَا!
تَطْوِي، وَلَا يَذْرَى الْفَتَى حَدَّيْهَا

* * *

يَا آلَ وَدِّي! آيَةُ السَّحْرِ الَّتِي
وَجْهٌ صَبُوحٌ مَلُوءٌ عِطْرُ الصَّبَا
عُرِفَتْ بِهَا، فَهَمَّا الْفُؤَادُ إِلَيْهَا:
وَالشَّعْرُ مُنْسَدِلٌ عَلَى كَتِفَيْهَا

(١) : بشارة الحوري .

وَهِيَ الْأَدِيبَةُ فَالظُّنُونُ بَعِيدَةٌ عَنْهَا ، وَإِنْ هَزَّ الْأُسَى عَطْفُهَا
 لَمْ أَذِرْ هَلْ أَسْبَابُهُ مِنْ دَهْرِهَا أَمْ أَنَّهَا وَرِثَتُهُ عَنْ أَبَوَيْهَا
 فَكَأَنَّهَا لَيْسَتْ تَنَالُ مَسَرَّةً إِلَّا بِحُزْنٍ بَالِغٍ ضَعْفِهَا
 وَلَمَلًا لَمْ تَلَقْ فَانْ لُبَّهَا لِيَضُمَّ بَيْنَ ضُلُوعِهِ حُسْنِهَا
 الْمَجْدَلِيَّةُ فِي مُشِيرِ نَحْيِهَا وَشَذَا الطُّيُوبِ يَفُوحُ مِنْ بُرْدِهَا
 إِلَّا فَتَاةٌ وَدَعَتْ آمَالَهَا بِالْمَدْمَعِ الْمَنْشُورِ مِنْ عَيْنِهَا
 غَسَلَتْ بِهِ مَا أَسْوَدَ مِنْ أَيَّامِهَا فَتَلَلَاتِ قِيمُ الْحَيَاةِ لَدَيْهَا
 وَطَوَتْ مَبَاهِجَهَا بِرُوحِ زَاهِدٍ لَنَرَى حَقِيقَتَهَا عَلَى وَجْهِهَا

* * *

يَا رَبَّةَ الْحُسْنِ اسْمِي لَحْنُ الْهَوَى ، لَحْنُ الدُّمُوعِ تَسِيلُ فِي نَهْرِهَا :
 مَنْ بَاعَ صَفْوَ الْقَلْبِ بَاعَ نَعِيمَهُ فَالْأَرْضُ لَا شَيْءَ اسْتَمَرَ عَلَيْهَا
 وَأَسَوْفَ يَطْوِينَا، وَحُبُّكَ، مَنْ طَوَى أُمِّي وَأَطْبَقَ فِي الثَّرَى جَفْنِهَا
 ذِكْرَكَ ذِكْرَاهَا ، وَنُورَكَ نُورُهَا فَضَمِي يَدَيْكَ عَلَى صَنِيعِ يَدِهَا

١٩٥٠



نور الهدى

ذِكْرِي لِيَا لِيِ الْهَوَى الْعُذْرِي تُصْبِينَا
 وَمَا الصَّبَابَةُ إِلَّا سِحْرُ فَاتِنَةٍ
 فَظَنُّ نَارِ الْهَوَى لَهْوًا وَتَسْلِيَةً
 وَحُسْنُ ظَنِّكَ بِالْعَادَاتِ مُعْجِزَةٌ
 أَطْلَعَةُ الْبَدْرِ أَوْلَعْنَا بِرَوْتِهَا
 صَالَتْ عَلَيْنَا بِهَا حَتَّى إِذَا فَتَكَتْ
 وَلَيْسَ يُجَدِّيه نَفَمًا زَهْرُ رَوْضَتِهَا
 عَشِيقَتُ مِنْهَا ذَكَاءُ جَلٍّ مُبْدِعُهُ
 وَرَنَّةٌ بِجَمَالِ الصَّوْتِ عَالِقَةٌ
 فَإِنْ تَحَدَّثَتْ رَوَتْ أَوْ أَرْسَلَتْ مَثَلًا
 وَمَا دَرَتْ مَا الْهَوَى حَتَّى نَعَاتِبَهَا
 وَبَابُهَا عَامِرٌ بِالْقَادِمِينَ فَإِنْ
 جَمَعَ مِنَ الْمُغْرَمِينَ الْمُخْلِصِينَ لَهَا
 لَوْ أَنَّهَا صَحِبَتْ جَيْشًا لِمُعْتَرِكِ
 وَمَدَمَعَ الرُّوحُ يُغْنِي عَنْ مَأَقِينَا
 تَلَاعَبَتْ بِفُؤَادٍ عَاشَ مِسْكِينَا
 وَظَنَّ نُورَ الْهُدَى طِفْلًا يُنَاقِينَا
 يَا لَيْتَ مَنْ قَالَ: لَا، أَعْطَى الْبَرَاهِينَا
 أَمْ قَامَةُ الرُّمُحِ لَأَنْتَ مِثْلُهُ لِينَا؟
 بِمُجْهَةِ الصَّبِّ أَوْلَتْهُ الرِّيَاحِينَا
 كَفَاهُ مِنْ حُرْقَةِ الْأَشْوَاقِ تَكْفِينَا
 كَأَنَّهُ الْبَرْقُ بِاللَّأَلَاءِ يَسْبِينَا
 صَفَاوْهَا عَنْ شَجَبِي اللَّحْنِ يُغْنِينَا
 نَثْرًا وَشِعْرًا وَإِنْشَادًا وَتَلْحِينَا
 فَكُلُّ عُشَاقِهَا أَلْمَاضِينَ بَاكُونَا
 رَمَتْهُمْ بِلِحَاطٍ لَا يَفْرُوْنَا
 تَلْقَاؤُهُمْ لِلْمَنَـأَيَا مُسْتَعِدِّينَا
 وَنَادَتْ النُّصْرَ صَاحَ الْجَيْشِ: آمِينَا

فَدَى لِعَيْنَيْكَ إِنِّ مَتْنَا بِلَا أَمَلٍ فَكَيْفَ إِنِّ كُنْتُ بِالْمَحْيَا تُمْنِدَا
فِيَا حَيَاةَ رَشَفْنَا مِنْ غَضَارَتِهَا « مُنَى ضُرُوبًا وَلَذَاتِ أَفَانِدَا »
قُولِي بِرَبِّكَ ، هَلْ تَرْضَيْنِ عَنْ أَحَدٍ فَالْعَاشِقُونَ عَلَى لَيْلٍ يُغْنُونَا
فَلَمْ تُجِبْ ، وَلَعَلَّ الْحِظَّ حَيَّرَهَا : عِشْرُونَ صَبَاً عَلَى قَلْبٍ يُصَلُّونَا

* * *

وَعُدْتُ أَشْكُو الْهَوَى وَالصَّحْبُ رَدَّ مَعِي : تَخَيَّرِي الْآنَ مِنَّا مَنْ تَشَائِدُنَا
فَاطْرَقَتْ وَأَجَابَتْ : سَوْفَ أَسْأَلُكُمْ ، وَالْقَلْبُ يَقْضِي بِمَا أَنْتُمْ تَقُولُونَا ..
مَاذَا يُهَيِّئُ لِي مَنْ لَمْ يَفْزُ بِيَدَيَّ ؟ فَمَا غَدَتْ حُرَّةً زَوْجًا لِعِشْرِينَا
فَبَعْضُهُمْ قَالَ : إِنِّ مَتْنَا بِغَيْرَتِنَا فَتَقَالُ مَنْ فَازَ تَنَارُ لَيْسَ يَكْفِينَا
وَبَعْضُهُمْ قَالَ : بَلْ تَقْتَصُّ مِنْكَ فَلَئِنْ نَمُوتَ إِلَّا مَعَا ، مَا لَمْ تُرَاضِدُنَا
وَوَاحِدٌ قَالَ : بَلْ أَنْضِي عَلَى أَمَلِي فَالْأَيُّ رَأَيْكَ ، وَالْمَوَلَى يُدَاوِينَا
فَكَمْ عَطَفْتُ عَلَى غَيْرِي وَعَذَّبَنِي مِنْكَ الصَّدُودُ فَقَرَّبْتُ الْقَرَابِينَا
أَقْسَمْتُ بِالْحُبِّ لَا أَلْقَاكَ هَائِمَةً حَيْرِي ، تُلَاقِينَ مِنَّا مَا تُلَاقِينَا
وَمُنِيَّتِي أَنْ تَطْلِي الْعُمَرَ هَائِمَةً فَاسْتَلِمَ لِي الْحُبُّ حُكْمًا وَأَعْدَلِي فِينَا
أَعِيدُ قَلْبَكَ أَنْ يُنَى بِلَا عِجَّةٍ وَإِنْ عَرَفْتُ الْهَوَى الْمَذْرِيَّ فَارْتِينَا
وَوَاحِدٌ قَالَ : فَلَا نَلْقَاكَ بَعْدَئِذٍ وَأَسْتَحْفِي طَيْفَكَ : أَنْ لَا يُوَافِينَا
وَسَاعِدَنِي عَلَى قَتْلِ الْهَوَى بِيَدَيَّ فَكَثْرَةُ الصَّدِّ بِالسُّلُوفِ تُغْرِينَا

(١) لأحمد بن زيدون .

بَانَتْ وَبِنَا، كَأَنَّ النَّأْيَ يَنْفَعُهَا
 وَالذَّمُّعُ مَا زَالَ يَهْمِي مِنْ مُحَاجِرِهَا
 أَسْمَعْتُهَا مِنْ فُؤَادِي خَيْرَ فِلَسْفَةٍ
 وَعِفَّتِي نَوَّرَتْ أَرْجَاءَ مُهْجَتِهَا
 فَلَسْتُ أَبْدِي لِمَنْ أَهْوَى مُصَانَمَةً
 فَفَضَّلْتَنِي عَلَى الْمُشَاقِّ كُلِّهِمْ
 وَأَرْسَلْتُ دَمْعَةً ذَابَتْ لِرُؤُوسِهَا
 وَقُلْتُ يَا قَلْبُ اسْرِعْ وَاسْتَعِدَّ لَهَا ،
 رَضَى وَسُخْطٌ وَتَقْدِيرٌ وَعَرَبْدَةٌ ؟
 تُرَى أَتَرْضِيكَ يَا ابْنَ الْفَنِّ عَابِثَةً
 لَوْ أَنَّهَا حَفِظَتْ لِلْبَدْرِ رُبَّتَهُ
 وَلَوْ أَحَبَّتْ بَدِيعَ الشَّعْرِ لَاتَّخَذَتْ
 وَلَوْ تَسَامَتْ إِلَى أَفْلَاكِنَا لَشَدَتْ :
 فَلَسْتُ مُسْتَرْجِعًا ذِكْرِي مَوْدَّتِنَا
 حَتَّى أَرَى مِنْ هُدَانَا مَا يُسَلِّينَا

* * *

نَارُ الْهَوَى كَهْرَبَالَهْ لَوَعَتْ كَبِدِي
 مَنْ يَأْتُرِي مِنْ أَذَى الْعَيْنَيْنِ يَشْفِينَا ؟
 فَلَا غُصُونُ الذَّنَا رَدَّتْ مَبَاهِجَنَا
 وَلَا الرِّيَاضُ وَلَا الْأَوْتَارُ تُلْهِمُنَا

(١) لأحمد بن زيدون .

وَلَا اتَّخَذْنَا بَدِيلًا عَنْ هَوَاكَ هَوًى
 « وَلَا اخْتِيارًا تَجَنَّبْنَاكَ عَنْ كَشَبِ
 وَالْآنَ، مَا زِلْتُ أَرْجُو خَيْرَ تَرْضِيَةٍ
 لَا خَيْرَ فِيهِ، فَمَنْ يَحْفَظُ كَرَامَتَهُ
 لِي مِنْ شَبَابِي شَفِيعٌ مَا اسْتَجَبْتَ لَهُ
 وَمِنْ تَأَلَّقِ فِكْرِي مَا يُخَلِّدُ لِي
 فَإِنْ أَرَدْتَ أَنَا صَفْوًا وَتَسْلِيَةً
 وَالْحُبُّ رُوحَانِ لَا جِسْمَانِ فَاتَّخِذِي
 وَهْلَ أَحِبِّكَ فِي دَارِ الْخُلُودِ إِذَا
 زَهَرَ الرَّبِّيُّ زَالَ أَمَّا ذِكْرُهُ فَقَدْ
 لَا تَحْسِبِيهِ ظِلَالًا لَا بَقَاءَ لَهَا
 فَشَارِكِي خَالِدًا، أَوْ فاعْمَلِي عَمَلًا
 وَنَبِّهِي الْعَبْدَ أَنْ يَأْخُذَنَا مَثَلًا
 وَقَدْ يَحْدِنُ بِمَا دُفِنَاهُ مَدْرَسَةً
 يَا لَيْتَنَا لَمْ نَبْتَ إِلَّا عَلَى أَمَلٍ
 وَلَا تَرَكْنَا الْهَوَى حَتَّى يَفَرِّقَنَا

فَبَعْدَ نُورِ الْهُدَى لَا بَدْرَ يُصْبِيْنَا
 لَكِنْ عَدْتْنَا عَلَى كَرَمِ عَوَادِينَا »^١
 فَالْحُبُّ إِنْ كَانَ زَقُومًا وَغَسَلِينَا
 يَحْدِ بِدِيلِ الْهَوَى وَزَدًا وَنِسْرِينَا
 وَمِنْ جَمَالِ فُنُونِي مَا يُؤَاسِينَا
 فِي قِيَّةِ الْمَجْدِ كُرْسِيًّا وَقَانُونَا
 صَفَحْتُ عَمَّا رَأَيْتَاهُ بِمَا ضَمِينَا
 مِنْ دَوْلَةِ الرُّوحِ مَا يُبْقِي تَصَافِينَا
 لَمْ نَبْتَ الدَّارَ فِي الدُّنْيَا بِأَيْدِينَا ؟
 عِطْرًا يَفُوحُ كَأَرْوَاجِ تَزْجِينَا
 زَهَرَ الرَّبِّيُّ يَا أَمِيمَ الْقَلْبِ يُحْيِينَا
 يُرْضِي الْخُلُودَ، فَحُبُّ الْأَرْضِ يُفْنِينَا
 فَقَدْ يَنْلَنُ ضِيَاءُ مِنْ لَيْالِينَا
 تَكْفِي الْمُحِبِّينَ إِرْشَادًا وَتَبْدِينَا
 وَلَمْ نَلَاقِ عَذَابًا ظَلَّ يُشْقِينَا
 مِنْ حَادِثِ الدَّهْرِ مَا يُؤْذِي الْمُحِبِّينَا

عائدة

سَلِي عَنْ مَقَامِي يَا ابْنَةَ الْفَتَرِ وَالِدِينَ
وَسِيرِي تَطَلِّي فِي الْفُرَادِ مُقِيمَةً
وَقَدْ قِيلَ : إِنَّ النَّأْيَ لَيْسَ بِمَانِعٍ
فَأَرْسَلْتُهُ يَهْدِيهِ إِلَيْكَ نَحْيَتِي
فَبِتُّ عَلَى نَارِ أَنْتِظَارٍ مُعَلَّلًا
حَكِيمًا يُدَانِنِي وَنِدَا يُسَامِينِي
فَلَسْتُ بِسَالِيكَ، وَإِنْ لَمْ تُسَلِّبْنِي
نَسِيمَ الصَّبَا عَنْ حَمْلِ رِيَا الرِّيحَيْنِ
فَرَدَّ الصَّدَى عَنْكَ أَنْتَظِرْنِي إِلَى حِينِ
فَوَادِي لِمِرَاكِ بِشَعْرِ وَتَلْحِينِ

* * *

وَعُدْتُ إِلَى زَهْرِ الرَّبِّي فِي أَكْتَامِهِ
وَمَا كَانَ قَلْبِي غَيْرَ زَهْرٍ عَرَفْتِهِ
فَرُدِّي لَهُ شَيْئًا مِنَ الزَّهْوِ وَالْهُسْدَى
فَأَمْنَحَ قَنِي وَهُوَ هَيَّامٌ مُدْنِفٌ
وَمِثْلُكَ يَدْرِي بَعْضَ مَا قَدْ لَقِيتُهُ
وَهَلْ يُحْجِبُ الشَّمْسَ الْمُنِيرَةَ حَاسِدٌ؟
أَعْلَلُ نَفْسِي بِاتِّصَارِ كَمُنْشِدٍ
وَأَشْعُرُ أَنِّي بِالْخُلُودِ مُكَافَأٌ
وَمَنْ كَانَ نَوْرُ الْفَنِّ نَاشِرَ ذِكْرِهِ
وَقَدْ هَاجَهُ مَسُّ الْهَوَى كَأَنَّ عَشْرِينَ
تَنَامَرَ عِنْدَ الْفَجْرِ بَيْنَ الْأَفَانِينَ
وَلَوْ بِقَلْبِلٍ مِنْ رُؤْيِ الْوَحْيِ مُدْنِي
حَيَاةً فَيَغْدُو كَالنَّسِيمِ وَيُحْيِينِي
فَكُلُّ حَسَوْدٍ بِالْمَسْكَانِدِ يَجْزِينِي
وَهَلْ تَحْمَدُ الْغَرْبَ بِأَصْوَتِ الْحَسَاسِينَ؟
يُنْفِي الْوَرَى الْأَلْحَانَ بَيْنَ الطَّوَاحِينِ
وَإِنْ ذُقْتُ فِي الدُّنْيَا عَذَابَ الْمَسَاجِينِ
يَطَأُ فِي ظِلَالِ الْمَوْتِ شَرَّ الثَّعَالِينِ

وَلَسْتُ مَلُولًا مِنْ عَظِيمِ مَتَاعِي
فِيَا وَيْحَهُمُ، وَالْجَهْلُ يَغْشَى عُمُوهُمْ
لَقَدْ رُمْتُ لِلدُّنْيَا سَلَامًا وَغِبْطَةً
فَصَاحَ الْعِدَى: ضَلَّ السَّبِيلَ وَأَطْرَقُوا
وَلَمْ يَتَّبِعُونِي بَلْ مَضَوْا فِي سَبِيلِهِمْ
وَلَسْتُ بِمَنْ يَدْعُو لِحِزْبٍ وَمَذْهَبٍ
وَوَحْدَةُ رَبِّي وَحْدَتُ كُلِّ صُورَةٍ
دَعَوْتُ إِلَى الْعَدْلِ الْمُبِينِ فَرَأَهُمْ
وَقُلْتُ: غَدَا الْإِنْسَانُ عَبْدًا لِمَالِهِ
وَلَيْسَتْ فُضُولُ الْمَالِ غَيْرَ خَزَائِنٍ
فَأَمْسَى عَبْدُ الْمَالِ فِي الْأَرْضِ سَادَةً
فَإِنَّ التَّسَاوِيَّ بِالْحُقُوقِ وَبَعْضُنَا
وَمَنْ بَاعَ وَجْدَانًا بِمَالٍ فَهَالِكٌ

* * *

أَقُولُ لِقَلْبِي، وَالْأَحَادِيثُ جَمَّةٌ
كَأَنَّكَ فِي «دَارِ الْمَجَانِبِ» قَائِمٌ
وَقَدْ عَمَّهُمْ هَرَجٌ وَمَرْجٌ فَأَصْبَحُوا
وَحَوْلِي مِنَ الْإِخْوَانِ بَعْضُ الْمِيَامِينِ:
فَعُرْجٌ وَعُمَيَّانٌ غَدَا كَالسَّلَاطِينِ
كَسِرْبِ زَنَايِرٍ سَطَا كَالشَّوَاهِينِ

وَلَيْسَ مَقَامُ الْجَهَنَّمَ الْفَرْدِ يَدْنُهُمْ
سَمِّتُكَ دَاراً أَنْبَتَتْ كُلَّ غُصَّةٍ
وَمَا عَبَّرِي الْقَوْمَ إِلَّا كَشَعْلَةٍ
أَرَادَ بِهِ الرَّحْمَنُ إِعْلَاءَ أُمَّةٍ
فَدَدٌ عَلَى الدُّنْيَا ظِلَالاً نَدِيَّةً
أَنَا السَّابِقُ الْآتِي بِكُلِّ غَرِيبَةٍ
سَيَرْفَعُ فَنِي الشَّرْقَ ، فَالْفَنُ قَائِدُ
فَنِيكَ بِلَادُ الْفِكْرِ ، عَزَّ حَبِيبُهَا ،
عَمِلْتُ لِمَجْدِ اللَّهِ بَيْنَ عِبَادِهِ
وَسِرْتُ بِأَحْلَامِي كَنَجْمٍ مُغْرَبٍ
وَلَسْتُ إِلَى دُنْيَا الْأَمَانِي بِمَائِدٍ

بِأَسْعَدَ مِنْ سُقْرَاطَ بَيْنَ الْمَبَانِينِ
فَإِنْ تَنْجُ مِنْ دَرَسِ أَتَتِكَ بِتَعَرِينِ
بِهَيْبِ كُلِّ فَنٍّ بَيْنَ وَرْدٍ وَلَيْسَرِينِ
وَعَوَّذَهُ مِنْ كَيْدِ أَذْهَى الشَّيَاطِينِ
وَقَالَ : هُدَى رَبِّي إِلَى الْخَيْرِ يَهْدِينِي
وَمَا زُهِدُ قَوْمِي بِالْمَسَاكِيرِ يَثْنِينِي
وَسَاحَاتُهُ دُنْيَا الْأَبَاةِ الْعَرَانِينِ
تُذِيعُ جِهَادِي فِي الْبَرَايَا وَتُعَلِّمُنِي
فَعَزَّتْهُ مِنْ سُدَّةِ الْمَجْدِ تُدْنِينِي
أَوَاكِبُ حُسْنًا فِي الْأَعَالِي يُرَوِّبُنِي
فَكَّرُ اللَّيَالِي بِالتَّصَوُّفِ يُغَرِّبُنِي

* * *

وَقَدْ عُدْتُ أَنْتِ الْآنَ ، أَمَا أَنَا فَلَنْ
وَمَا كُلُّ ذِكْرِي تَمَلُّ الْقَلْبَ بِهَجَّةٍ
وَمَنْ عَدَّ أَخْطَاءَ الْوَرَى ضَاقَ ذَرْعُهُ
فَأَعْجَبُ شَيْءٍ فِي حَيَاتِي رَأَيْتُهُ :

أَعُودَ إِلَى الْأَوْهَامِ ، فَالْفَنُ يُغْنِينِي
وَلَا كُلُّ شَادٍ بَابُنِ فَنٍّ فَيَرْضِينِي
هُدَى اللَّهِ غَرًّا بِالَّذِي فِيهِ يَرْمِينِي
حَنِينُ بِلَا حُبٍّ ، وَحُبُّ بَتَمْنِينِ

حِكَايَةُ قَلْبٍ

أَطَلْتُ بِكَ النَّجْوَى وَطَيْفُكَ فِي فِكْرِي

فِيَا طَوْلَ شَجْوِي مِنْ هَوَاكِ مَدَى الْعُمُرِ

وَيَا شَوْقَ الْحَنَانِي إِلَيْكَ إِذَا شَدَّتْ مُطَوَّقَةُ لَحْنِنَا عَلَى الْفَنَنِ النَّضْرِ

وَخَلَّتْ فُؤَادِي سَائِلًا مِنْ مَحَاجِرِي بَيْلُ نَدِيِّ الزَّهْرِ بِالْأَذْمُجِ الْحُمْرِ

فَأَكْرَمَ بِحُبِّ لَيْسَ يَشْفِي غَلِيلَهُ سِوَى النَّعْمِ الْمَسْجُورِ مِنْ شِدَّةِ الذِّكْرِ

وَمِنْ عَجَبِ أَنْ الْغَرَامَ مُبَرِّحِي وَأَسْخَرُ مِنْ أَصْحَابِهِ أَعْظَمَ السَّخَرِ

فَلَوْ عَلِمَ الْمَشَاقُ أَنِّي غَرِيمُهُمْ ، لَعَاذُوا بِضَرْبِ الرَّمْلِ وَالْبَحْثِ فِي الْجَفْرِ

* * *

سَلَامٌ عَلَى الْحُبِّ الْبَرِيِّ لِأَنَّهُ إِذَا أَنْصَفَ الْمَشَاقُ يَرْفَعُ مِنْ قَدْرِي

وَإِنْ كَانَ قَدْرِي فَوْقَ كُلِّ مُفَاخِرٍ كَمَا فَاقَتْ الْأَطْيَارَ أَجْنَحَةُ النَّسْرِ

فِيَا بَهْجَةَ الدُّنْيَا ! دَعِينِي بِرَاحَةٍ فَمَا بَعْتُ قَلْبِي بِأَلْكَ كَثِيرٍ مِنَ التَّبَرِّ

وَإِنْ صَدَّنِي عَنْكَ الْعُدَاةُ تَجَنُّيًا فَكَمْ هَاجَنِي شَوْقٌ إِلَى آيِكَ الْغُرِّ

وَكَمْ مِنْ حَبِيبٍ بَاحِثٍ عَنْ حَبِيبِهِ يَطُوفُ بِبِلَادِ اللَّهِ قُطْرًا إِلَى قُطْرٍ

وَمَا تَفْعُ دُنْيَانَا وَتَفْعُ مَتَاعِهَا « إِذَا كُنْتَ فِي شَطْرٍ وَقَلْبُكَ فِي شَطْرٍ »^{١)}

(١) لأنور العطار .

أَشْكُو إِلَى زَهْرِ الرَّبِّي لَوْعَةَ الْجَوَى ؟ وَقَدْ عَلِمَ الشَّمَارُ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِي
 مَهَاءَ سَبَتَ لُبِّي لِأَوَّلِ وَهْلَةٍ وَمَرَّتْ لَيَالٍ وَالْمَحَبَّةُ فِي صَدْرِي
 بِعَيْنَيْنِ نَجْلَاوَيْنِ نَارُكَ مِنْهُمَا تَرْفَانِ رَفَّ الْمَاءِ فِي الْأَعْيُنِ الْخُضْرِ
 وَشَمْرٍ هَدِيلٍ كَالْعُصُونِ تَرَاقَصَتْ عَلَى رَنَّةِ الْإِيْقَاعِ فِي صَفْحَةِ النَّهْرِ
 وَدُرٌّ نَضِيدٍ ، فِي فَمٍ مُتَوَرِّدٍ ، تَلَالًا لِلرَّائِنِ كَالْأَنْجُمِ الزَّهْرِ
 وَلَا عَيْبَ فِيهَا غَيْرَ أَنَّ حَدِيثَهَا لَعُوبٌ بِالْبَابِ الْأَلْبَاءِ كَالْخَمْرِ
 وَمِنْ طَبْعِهَا أَنْ لَا تُوَدَّعَ مُغْرَمًا ، فَإِنْ لَمْ يَعُدْ قَالَتْ : مَعَ الْحَمْدِ وَالشُّكْرِ
 وَإِنْ عَادَ لَمْ تَأْبَهُ فَمَا أَهْتَمَّ قَبْلَهَا أَبُو الْهَوَلِ بِالْعُشَاقِ مِنْ زَائِرِي مِصْرٍ
 فَمَا فَتَتُوا الْأَهْرَامَ لَكِنْ تَفَتَّتْ مِنَ الصَّبِيحِ وَالْإِمْسَاءِ وَالْبَرْدِ وَالْحَرِّ

* * *

فَلَا تَشْكُ يَا قَلْبِي هَوَاهَا وَدَلَهَا فَأَنْتَ جَمَالُ رَائِعِ الطَّيِّ وَالنَّشْرِ
 وَمَا أَنْتَ مِمَّنْ لَا يَرَى الْحُبَّ آيَةً إِلَى اللَّهِ تُدْنِينَا ، فَأُولِعَ بِالْعَهْرِ
 وَلَا أَنْتَ مِمَّنْ لَمْ تُفِدْهُ كَرَامَةً فَأَغْنِي عَلَى شَكِّ وَأَغْضِي عَنِ الطَّهْرِ
 تُرِيدُ فَوَادًا عَاشَ بِكَرًّا لِرَبِّهِ وَمَنْ عَاشَ بِكَرًّا لَا يَحْمِدُ عَنِ الْبَكْرِ
 عَذَابُكَ فِي الدُّنْيَا طَوِيلٌ فَلَنْ تَرَى صِفَاتِ كَرُوحِ الزَّهْرِ فِي نَفْحَةِ الْعِطْرِ
 وَإِنْ لَمْ تَنْلُ حَظًّا فَلَا تَبْكِ وَأَعْتَمِدِ بَيْتَ الْهَوَى الْفَانِي عَلَى الْفَنِّ وَالشَّعْرِ
 وَخَلَّ الْغَرَامَ الْحَيَّ يَحْتَلِدُ ، بِحَقِّ مَنْ رَأَوْا فِي الْهَوَى الْعُذْرِيَّ ضَرْبًا مِنَ السَّحْرِ
 وَلَا تَرْضَ بِالْأَوْهَامِ مَهْرًا لِفَادَةٍ غِنَى النَّفْسِ يُغْنِي الْعَاشِقِينَ عَنِ الْمَهْرِ

أَلُوفٌ مِنَ الْأَهْوَاءِ تَعْصِفُ بِالْفَتَى
 قَدَعَتْ عَنْكَ أَحْلَامَ الْعُثُورِ عَلَى الْمُنَى
 وَمَا النَّاسُ مُوسِيقَى لِتَرْضَى جِوَارِهِمْ
 أُعِذُّكَ أَنْ تَحْيَا مُحِبًّا مُدْهَمًّا
 فَمَنْ يَدْفَعُ التَّضَلِيلَ عَنْكَ فَإِنَّهُ
 وَكَمَ مِنْ دَعْيٍ فِي الْهَوَى كَانَ حُبُّهُ
 وَكَمَ مِنْ كَرِيمٍ لَمْ يَنْلُ غَايَةَ النِّفَى
 يُضَحِّي بِمُلْكِ الْأَرْضِ صَرْنًا لِحُبِّهِ : سَعَادَةُ حُبِّ الْكُوخِ خَيْرٌ مِنَ الْقَصْرِ
 يَعِيشُ بِحَالٍ لَمْ يَعْشْ مِثْلَهَا مَثَرِ

وَمَنْ يَفْتَقِرَ لِلْحُبِّ يَسَامُ مِنَ الْفَقْرِ
 وَأَيْسَرُ مَا فِي الْحُبِّ ضَرْبٌ مِنَ الْعُمَرِ
 وَمَنْ يَشْبِعِ الْقَلْبَ الْكَبِيرَ مِنَ الْكَبْرِ
 يَرِ الذَّلَّ أَذْهَى مِنْ أَذَى الْمَسَلَكِ الْوَعْرِ

وَرُبَّ هَوَى تَسْتَنْكِرُ النَّفْسُ حَمْلَهُ
 يَرُدُّ الْمَعْنَى عَنْ هَوَى الْكَرِّ وَالْفَرِّ
 أَلَذُّ الْهَوَى مَا كَانَ فِيهِ تَجَاوُبٌ ، وَأَشْقَى الْهَوَى مَا أَلْهَبَ الْقَلْبَ كَالْجَمْرِ
 فَتَنْ الْهَوَى الْعَذْرَى كَالْوَرْقِ فِي الْفَجْرِ
 وَنَوَزَ بِهِ الْأَكْوَانُ كَالشَّمْسِ وَالْبَدْرِ

وَقَاكَ الَّذِي يُخَيِّ الْأَنَامَ بِفَضْلِهِ
وَأَحْيَاكَ فِي رَوْضِ الْأَمَانِي مُكَرَّمًا
مِنْ الْوَجْدِ وَالْآلَامِ يَا دُرَّةَ الْعَصْرِ
فَمَنْ يَنْصَرِفُ لِلنَّفْعِ يُعْرِضُ عَنِ الضَّرِّ

* * *

وَعَابِثَةٍ بِالنَّاسِ ظَنَنْتُ قُلُوبَهُمْ
تَجَزَّأَ مِنْهَا الْقَلْبُ حَتَّى كَأَنَّهُ
فَهَلَّا دَرْتُ أَنَّ النَّدَامَةَ حَظُّهَا ، وَأَنَّ الْهَوَى الْمَهْدُورَ شَاكٍ أَذَى الْهَذَرِ
وَأَنَّ الَّذِي يُغْرِي الْوَرَى وَيَصُدُّهُمْ
فَخَلَّى فُؤَادًا أَنْ تُلَاقِي مَثِيلَهُ
فَقَدْ يُكْثِرُ الْحُسَادُ ذِمِّي تَشْفِيًا
وَكَمْ مُكْتَرٍ لَمْ يَحْفَظِ الدَّهْرُ قَوْلَهُ
وَيَكْفِيكَ أَنَّ النَّاسَ تَقْرَأُ أُسْطُرِي
يَمُوتُ الْهَوَى كَأَنَّمَا يَنْبَسُ عَوْدُهُ
وَلِنْ أَخْرَقَ الْمُلْتَمَاعُ ذِكْرِي غَرَامِهِ
فَإِنْ مَاتَ أَمْسَى مُومِيَاءَ بِقَلْبِهِ
فَأَكْرَمَ بِحُبٍّ لَا فَنَاءَ لِلْمُلْكِهِ
أَلَا عَيْبَ أَطْفَالٍ فَضَّاتُ وَلَمْ تَذَرِ
إِنَّا زُجَاجَ هَامَ بِالنَّقْرِ وَالْكَسْرِ
كَمْ يَرْتَجِي النَّفْعَ الْعَمِيمَ مِنَ الشَّرِّ
وَتِيهِي عَلَى الدُّنْيَا بِأَحْبَابِكَ الْكَثْرِ
وَلَكِنْ كُنْهُ الْحَقُّ يُدْرِكُ بِالسَّبْرِ
وَكَمْ مِثْلٍ أَحْيَا الْفَسَى قَلَّ عَنْ سَطْرِ
وَفِي كُلِّ سَطْرِ مَا يُنِيفُ عَلَى سِفْرِ
فَيَجْمَعُهُ الْخَطَابُ لِلْحَرْقِ وَالنَّشْرِ
فَرُبَّ صَبُورٍ حَنَطَ الْحُبَّ فِي الصَّدْرِ
لِيُبْعَثَ فِي يَوْمِ النُّشُورِ عَلَى الْفَوْرِ
كَهَذَا الْهَوَى الْمَوْلُودِ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ

* * *

أَقُولُ لَهَا، وَالْقَلْبُ هَيَّانَ مُدْنِفُ
أَعَشَقُ قَلْبًا كَأَلْبَحِيرَةٍ حَارًّا
وَفِي وَهْمِهِ أَنَّ الْبَخِيلَةَ لَا تَقْرِي :
بِرُورِ عُشَاقٍ عَلَى سَطْحِهَا يَجْرِي ؟

هُوَ الْقَلْبُ صُونِيهِ سَلِيمًا حُبٌّ مَنْ
فَمَنْ أَحْصَنَتْ دُونَ الْعَوَادِي فُؤَادَهَا
وَكَمْ ضَيَّعَتْ حَسَنَاءَ حَظًّا بِجَهْلِهَا
وَرُبَّ ذَكَاءٍ مَا أَفَادَ ذَكِيَّةً
فَخَلَّى الْحَدِيثَ الْحُلُوءَ مِلْكَاً لِسَيْدٍ
وَإِلَّا فَذَوْقِي حَظٍّ مَنْ وَزَعَ الْهَوَى ، كَتَوَزِيعِ أَرْزَاقٍ عَلَى السَّكْرِ الْمَجْرٍ
سَمَرُ ضَيْدِنَهُ أَهْلًا عَلَى الْحُلُوءِ وَالْمُرِّ
رَأَتْ أَنَّ خَيْرَ الْأَجْرِ فِي أَطْوَلِ الصَّبْرِ
وَتَفْضِيلِهَا الصَّبَّ الدَّلِيلَ عَلَى الْحُرِّ
وَرُبَّ حَدِيثٍ جَرَّ قَلْبًا إِلَى الْأَمْرِ
تَخَيَّرْتَهُ وَاسْتَقْبَلِي النَّاسَ بِالْمُذَرِّ
وَالْأَفْذُوقِي حَظٍّ مَنْ وَزَعَ الْهَوَى ، كَتَوَزِيعِ أَرْزَاقٍ عَلَى السَّكْرِ الْمَجْرٍ

* * *

أَقُولُ لَهَا ، وَالْقَلْبُ بَاتَ بِحُبِّهَا
حَنَانِيكَ دَاوِينِي بِمَا يُبْرِئُ الْجَوَى ، وَصُدِّي ، وَإِلَّا فَاطْرُدِي الشَّرَّ بِالْخَيْرِ
وَلَا تَتْرُكِي فِي الْقَلْبِ شَكَاً لِأَنِّي
أُرِيدُ نَجَاةً يَا أُمَيَّةُ فَأُبْعَثِي
فَقَدْ ضَيَّعَ الْعُشَاقُ قَبْلِي عُقُولَهُمْ ، وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَسْكُبُوا الطَّيِّبَ فِي الْبَحْرِ
وَمَا فَضَّلُوا مَيْتًا عَلَى الْحَيِّ ذِكْرُهُ
وَلَكِنَّ لِلْأَقْدَارِ فِي النَّاسِ غَايَةً
فَسُبْحَانَ مَنْ ضَحَّاكَ نَذْرًا لِعَرْشِهِ
أَسِيرَ رِيَّاحِ كَالْيَمَامَةِ فِي الْفَقْرِ :
غَرِيقٌ يَرَى الْغُرْبَانَ حَامَتٍ عَلَى الْبَرِّ
نَصِيرًا مِنَ الْأَرْوَاحِ لِلْيَائِسِ الْغَرِّ
عَلَى كُلِّ فَرْدٍ ، شَاءَ أَوْ لَمْ يَشَأْ ، تَسْرِي
وَضَحَى شَبَابِي الْغَضَّ نَذْرًا عَلَى نَذْرِ

* * *

تَرَكْتُ الْمَلَاهِي فَادَّعَى النَّاسُ جَفَوْتِي
كَأَنَّ الَّذِي يَهْوَى الصَّرَاحَةَ لَا يُغْرِي

وَكُنْتُ رَوُوفًا بِالْأُلَى لَا أَحِبُّهُمْ، فَلَمْ يَعْرِفُوا وَصَلِي وَلَمْ يَشْتَكُوا هَجْرِي
صَنِينٌ بِقَلْبِي أَنْ أَرَاهُ مُتِمًّا تَمَذَّبَ كَالْمُصْفُورِ ضَلَّ عَنْ الْوَكْرِ
فَيَا رَبِّ أَتَقْدِني وَطَهِّرْ جَوَانِحِي ! لِأَنَّ أَلْهَوَى الرُّوحِيَّ يَلْمَعُ فِي فِكْرِي
وَبِأُظْلِيَّةِ الْقَلْبِ الَّتِي شَاعَ ذِكْرُهَا ! وَقَدْ مَلَّهَا غَيْرِي ، فَالَتْ إِلَى الثَّأْرِ
خُذِي ذَنْبَكَ الْمَعْلُومَ لِلرَّمْسِ غُصَّةً فَمَا طَابَ بَعْدَ الْيَوْمِ ذِكْرُكَ فِي تَغْرِي
وَإِنْ مَرَّ قَلْبِي بِالْمَسْكَانِ الَّذِي بِهِ جَلَسْنَا كَجَارِ الشَّوْءِ ظَهْرًا إِلَى ظَهْرِ
أَسِفْتُ لِمَا قَدْ كَانَ مِنْكَ وَسَاءَ لِي مِنْ السَّرِّ مَا يُغْنِي الْأَدِيبَ عَنْ الْجَهْرِ
فَإِنْ يُؤْجَرِ أَلْمَانِي لِفَرْطِ عَنَائِهِ فَكَمْ مِنْ شَهِيدٍ ظَلَّ خِلَوعًا مِنَ الْأَجْرِ
وَكَمْ مِنْ فُؤَادٍ هَامَ بِالْحُسْنِ وَالطَّهْرِ وَعَذَّبَهُ الْأَحْبَابُ بِالْمَدِّ وَالْجَزْرِ
وَكَمْ مُسْتَجِيرٍ بِأَلْهَوَى مَاتَ بَائِسًا ، مَلُولًا مِنَ الشَّكْوَى عَلِيلًا مِنَ الْمَكْرِ
فَإِنْ أَتَقَدَّ الْمَنَانُ قَلْبِي مِنَ الضَّنَى فَكَمْ أَضْنَتِ الْأَيَّامُ مِنْ وَالِدِ غَيْرِي
وَمَنْ ذَا الَّذِي يُرْضِيهِ إِهْلَاكُ نَفْسِهِ ؟ مَتَى أَدْرَكَ الْجَبَّارُ عَاقِبَةَ الْجَبْرِ
فَيَا مُنِيَّةَ الرُّوحِ الَّتِي كَانَ حَظُّهَا كَطَالِبٍ صَيْدٍ رَدَّ سَهْمًا إِلَى النَّعْرِ
أَرَاكَ ، وَقَدْ غَيَّتْ فِي الثَّرْبِ زَهْرَتِي ، وَزَهَرَ الرَّبُّ فِي الْقَبْرِ كَالنَّجْمِ فِي الْفَجْرِ
شَهِيدَةً أَخْطَاءَ تَنْجِي فُؤَادَهَا ، مِنْ الْحُزْنِ وَالزَّلَّاتِ بِأَلْكَبَتِ وَالْقَهْرِ
فَمَا ضَرَّ لَوْ طَهَّرْتَ نَفْسَكَ بِأَلْهَوَى وَبُحْتِ بِمَا يُضْنِيكَ مِنْ غَامِضِ الدَّرِّ
فَقَدْ يَذْبُلُ الْقَلْبُ الَّذِي مَضَى الْأَمَى وَيَنْفَجِرُ الْعَقْلُ الْمُقَيَّدُ بِالزَّجْرِ

حَبِيبَةَ قَابِي ! لَا قَضَيْتِ بِحَسْرَةٍ
لَقَدْ تَقِمَ الشَّاقُّ مِنْكَ لِأَنَّهُمْ
يُحِبُّونَ شَيْئًا غَيْرَ رُوحِكَ فَأَحْذَرِي
فَكَمْ هَذَبَ الرُّوحُ الذِّكْرَ مَوَاهِبًا
بَنَى الْأَرْضَ الْأَذَلَّ أَمْرًا وَصَانَ غَادَةً ، مِنْ الذَّلِّ وَالْإِغْوَاءِ وَالْمَسْكَرِ وَالنُّشْكِ
فَإِنْ تَمَشَّقُوا مِنْهَا جَمَالًا مُوَلَّيَا
وَأِنْ تَسْأَلُونِي مَا أُرِيدُ أَجَبْتُكُمْ :
وَأِنْ تَسْأَلُونَهَا مَا تُرِيدُ تَحَيَّرْتُ
وَقَالَتْ لَكُمْ : وَاللَّهِ لَا أَذْرِي

* * *

جَزَاءُ مِنَ الْأَقْدَارِ خُطَّ عَلَى الرَّبِّي
فَمَنْ يَغْضُ عَنْهُ لَمْ يُوَفَّقْ بِحُبِّهِ
رَبِّي وَعَيْنِيكَ اللَّئِينَ سَقَاهُمَا ، مِنَ السُّحْرِ مَا يُغْرِي بَنَى الرُّوحَ بِالْشُّكْرِ :

ذُرِّي الزَّهْرَ نَضْرًا كُلَّ يَوْمٍ عَلَى الصَّدْرِ

وَلَا تُبْعِدِيهِ دُونَ ذَنْبٍ عَنْ أَخِذْرِ

وَلَا تَحْرِمِيهِ الشَّمَّ فَهُوَ حَيَاتُهُ
وَلَا تَطْرَحِيهِ فِي التُّرَى قَبْلَ مَوْتِهِ
كَفَاهُ فِرَاقُ الرُّوضِ فِي شِرْعَةِ الْقَدْرِ
فَقَيَّ الزَّهْرَ رُوحٌ لَيْسَ يَهْنَأُ بِالْعَفْرِ
وَصَلَّى عَلَيْهِ يَسْتَرْخِ مِنْ عَذَابِهِ ، بِفَاتِحَةِ الذِّكْرِ الْحَكِيمِ مَعَ الْعُشْرِ

فَقَدْ تَجَمَّعَ الْأَزْهَارُ فِي الْحُبِّ بَيْنَنَا كَمَا تَلْتَمِي الْأَرْوَاحُ فِي دَارَةِ الْحَشْرِ
هَذَاكَ تَذْرِي كُلَّ نَفْسٍ مَتَمَامَهَا وَتَدْفِنُ مَا فِيهَا مِنْ التَّيِّهِ وَالْكَبِيرِ

* * *

تَعُودُ بِنَا الدُّكْرَى إِلَى الْبَلَدِ الَّذِي دَفَنَّا بِهِ زَهْرَ الرُّبَى أَبَدَ الدَّهْرِ
فَأَسْمِعْ الْحَمَانَ اللَّوَاتِي رَثِينَهُ رِثَاءَ شُعَاعِ الشَّمْسِ فِي آخِرِ الْمَصْرِ
وَأَشْهَدْ أَلْوَانَ الزَّوَالِ كَأَنَّمَا، غُصُونُ الرِّيَاضِ الْخُضْرُ آلَتْ إِلَى صَفْرِ
فَأَحْسَبُنِي صَوْتَ الْخُلُودِ مُرَدِّدًا أَنَاشِيدَ أَطْيَافٍ تَنُوحُ عَلَى الْقَبْرِ

١٩٥١



الْمَفْتُونُ

أَيْهَا الشَّاعِي وَلَا نَاصِرَ لَهُ ! تَنْشِيدُ الشَّعْرِ وَتَهْوَى رَمْلَهُ
خَبِرِ الْأَصْحَابَ : مَاذَا فَعَلْتَ بِفُؤَادِي كَلِمَاتٍ مُرْسَلَةٍ
كَانَ جَهْلًا طَلَبِي الْمَاءَ مِنَ النَّارِ ، وَالطُّيْرَ مِنَ الْمُبْتَذَلَةِ
عِنْدَمَا أُولَعْتُ بِالْحُسْنِ الَّذِي قِيلَ فِي شَرْعِ الْهَوَى : مَا أَجَمَّةُ
وَأَنَا الْكَارَهُ تَقْبِيلَ فَمٍ يُنْكِرُ الْحُبَّ وَيُعْطِي قُبْلَةً
يَا عَذَابًا أَشْتَهِي سُلْوَانَهُ فَإِذَا نَبَتْ الْمُنَى عَادَ الْوَلَهُ
كَنْشِيدٍ كُلِّهَا أَنْهَيْتُهُ صَفَقَ الْقَلْبُ وَغَنَى أَوَّلَهُ
أُتْرَى أَبْرَأُ مِنْ دَاءِ الْهَوَى وَالَّذِي أَلْقَاهُ يَذْكِي شِعْلَهُ ؟

* * *

عَبَثًا تَأْمِرُ لُبِّي غَادَةً ذَاتُ قَلْبٍ كَيْفَهَا مَالِ أَدَلَهُ
عَشِقْتُ مِنِّي لِسَانًا ذَرِبًا وَتَغَاضَتْ عَنْ فُنُونِي الْمُنْزَلَهُ
تِلْكَ رُوحِي وَأَغَانِيَّ الَّتِي خَلَدَتْ ذِكْرِي وَشَافَتْ رُسْلَهُ
فَهِيَ تُغْنِينِي عَنِ النَّسْلِ وَمَنْ يَعْتَصِمُ بِالْفَنِّ يَحْمِلُ مَشْعَلَهُ
وَلَيْتَنِي طَالَ بِهِ اللَّيْلُ فَقَدْ يَنْجَلِي الصُّبْحُ وَيَمْحُو مَلَلَهُ

طالَ ليلي وتَداعى جلدِي
 خَضِبْتَ أَدْمُعُهُ أَخْلَامَهُ
 يا لَصَبٍّ لَمْ يَقُلْ : ما أَطْوَلَهُ !
 مُذْ بِكِي آمالَهُ الْمُرتَحِلَةَ
 حَسِبَ الْمُحِبُّوبَ طَهْرًا مائِلًا
 وَإِذَا بِالْعَقْلِ كَالْحَادِيَةِ شَدَا :
 أَيُّ زَهْرٍ لَمْ يَلَامِسْهُ النَّدى
 أَيُّ رَوْضٍ ما رَشَفْنَا جَدْوَلَهُ ؟

* * *

يا بَنِي الْإِنْسَانِ ! ما أَظْلَمَكُمْ
 حاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ عَمَّا جَنَّتْ
 لا تُرْجُوا عَسَلًا مِنْ حَنْظَلَةٍ
 كُلُّ ظُلْمٍ سَيْلاقي أَجَلُهُ
 كُنَّا أَخْطَا لِلَّهِ فَمَنْ
 كُنَّا سِلْسِلَةً وَاحِدَةً
 فَإِذَا أَفْسَدَ فَرْدٌ جَارَهُ
 لا تَقُلْ : تَقْضِي عَلَى خَاطِئَةٍ ،
 فِيهِ نَسْمُو وَلَا خَيْرَ لَنَا
 وَأُنْحَنِينَا لِثَرِيٍّ مَآكِرٍ
 إِنَّمَا أَعْدَاؤُنَا أَنْفُسُنَا
 فَارْشِفُوا الْمَاءَ الَّذِي كَدَّرَهُ
 جَسَدٌ عَذْبُهُ أَغْضَاؤُهُ
 وَكَفَاهُ الْمَا ما أَحْتَمَلَهُ

تَلْعَبُ الْأَهْوَاءُ فِي صَدْرِ الْفَتَى
يَا لِهَذَا الْعُمُرِ مَا أَقْصَرُهُ
وَلِذَاكَ الْمُنتَهَى مَا أَرْدَلَهُ !
دَارُ مَنْ عَاشَ وَلِيًّا أَصْبَحَتْ
كَيفَ لَا تُنْقِذُهَا أَجْنَحَةٌ
رَفَعَتْهُ، وَأَحْبَبَتْ مِثْلَهُ ؟
وَأَدْعَى الْبَغْيُ زَوَالَ الْمُعْضَلَةِ
أُمِّمْ فِي غِيَّهَا مُسْتَرْسِلَةٌ
مَوْطِنًا لِلْآثِمِينَ السَّفَلَةَ
وَرَعَايَا كَالْبَقَايَا الْمُهْمَلَةَ
يَنْشُدُونَ الْخَيْرَ مِنْ مُفْسِدِهِمْ
وَضَحَايَا الشَّرِّ تَمْشِي مُنَوَّلَةً
أَمْعَنَ الْمَفْتُونُ فِي فِتْنَتِهِ
تُصْلِحُوهُ تَأْمَنُوا مُسْتَقْبَلَهُ
وَالْوَرَى يُنْعِنُ فِي غَفْلَتِهِ
سَاعَةً، وَأَحْتَلَّ جِسْمِي مَوْتِلَهُ
قَادَةُ تَقْتَادُهُمْ أَهْوَاؤُهُمْ
قَبْلَ أَنْ يَلْتَمِيَ الْفَتَى مَا عَمِلَهُ
يَنْشُدُونَ الْخَيْرَ مِنْ مُفْسِدِهِمْ
قَبْلَ أَنْ يَلْتَمِيَ الْفَتَى مَا عَمِلَهُ
عَالِمٌ أَوْدَى بِهِ الْبَغْيُ فَإِنْ
لَيْتَ عَيْنِي أَبْصَرْتَ نَمَاءَهُ
فَلَقَدْ تَلَقَى الدَّرَارِي حَفَفَهَا

١٩٥١



ظِلَالُ الْبُحَيْرَةِ

يَا طُيُوفَ الْحُبِّ مَدْمِي فِي الْمِيَاهِ كَظِلَالِ الْبَابِ عَاتِقْنَ النَّخِيلِ
وَالْتَمِي طَيْفًا عَلَى الْمَاءِ أَرَاهُ حَرَكَ الْأَمْوَاجِ فِي الشَّطِّ الْكَحِيلِ
وَمِنْ الْأَشْوَاقِ فَاضَتْ مُقْلَتَاهُ بَعْدَ أَنْ وَدَّعَهُ الصَّبْرُ الْجَمِيلِ
فَضَحَتْ عَيْنَاهُ أَسْرَارَ هَوَاهُ وَالْهَوَى الرُّوحِي كَالنُّورِ يَسِيلُ
يَا لَصَبِّ ظَنٍّ فِي الْمَاءِ مُنَاهُ وَظِلَالُ النَّخْلِ كَالنَّيْدِ تَمِيلُ

* * *

كَانَ يَحْيَا هَازِنًا كَالْعَنْدَلِيبِ بِهُبُوبِ الرِّيحِ أَوْ مَيْسِ الْغُصُونِ
لَمْ يَكُنْ يُدْرِكُ مَا مَعْنَى النَّحِيبِ لَا وَلَا عَذَابُهُ دَاعِي الْفُتُونِ
فَإِذَا بِالْحُبِّ كَالضَّيْفِ الْغَرِيبِ حَلَّ فِي قَلْبِهِ هُوَ الدَّيْرُ الْمَصُونِ
وَمَضَى يَلْهُو بِهِ دُونَ رَقِيبِ وَعَذَابُ الْقَلْبِ فِي الْحُبِّ يَهُونُ
فَكَأَنَّ الْحُبَّ فِي الدُّنْيَا صَلِيبُ وَكَأَنَّ الْعَاشِقِينَ الْمُجْرِمُونَ

لَا تَكُنْ يَا صَاحِبَ كَالْصَّبِّ الْأَسِيرِ رَوْحُهُ تَهْتَزُّ مِنْ لَوْعَتِهِ
يُرْسِلُ الْأَنَاتِ حَرَى فِي الْأَمِيرِ كَالْهُوَى النَّابِيعِ مِنْ مُهْجَتِهِ
لَيْتَهُ بَرَدَ ذِيكَ السَّعِيرِ كُلَّمَا أَمِنَ فِي حَدَّتِهِ
فَظِلَالُ الْأَيْكَ فِي الْمَاءِ النَّمِيرِ تَذْهَلُ الْمَفْتُونُ عَنْ فِتْنَتِهِ
وَعِلَاجُ الْمُشْتَكِي أَمْرٌ بِسِيرِ نَشَأَتْ شَكْوَاهُ عَنْ خَفَّتِهِ

* * *

مَا أَلْهُوَى إِلَّا أَذْكَارُ وَأَشْتِيَاقُ وَحَيْنٌ لِلِقَاءِ وَوِصَالُ
فَإِذَا غَنَيْتَ بِالْمَاضِي أَسْتَفَاقُ وَأَلْهُوَى إِنْ هِجَّتْهُ أَزْدَادُ أَشْتِمَالُ
فَاطْرُدِ الذِّكْرَى بِالْحَنِّ الْفِرَاقُ إِنَّمَا الدُّنْيَا مَجْبِيَّةٌ وَأَرْتَحَالُ
وَعَذَابُ الْحُبِّ وَهُمْ لَا يُطَاقُ وَأَمَانِيهِ كَالْوَانِ الزَّوَالُ
كُلْنَا مَاضٍ إِلَى يَوْمِ التَّلَاقِ وَالَّذِي يَتْرُكُهُ الْمَرْءُ مَقَالُ

* * *

صَاحِبِ ! بَدَّلْ حُبَّ لَيْلَى بِنَشِيدِ فَهُوَ يَشْفِيكَ مِنَ أَلَمِ الْمُقِيمِ
إِنَّ مَنْ خَلَّتْكَ فِي الْحُبِّ شَرِيدِ تَخَذَتْ مَنْ لَا يُدَانِيكَ نَدِيمِ
أَنْتَ تَهْوَى الرُّوحَ وَالسَّرَّ الْبَعِيدِ وَهِيَ لَا تَهْتَمُّ لِلْأَمْرِ الْعَظِيمِ
أَيُّهَا الْمَفْتُونُ ! لَا تَحْفَلْ بِغَيْدِ ذَلَّلَ الْعَادَاتِ فَتَانَ لَيْمِ
لَيْسَ فِي بَثِّ أَلْهُوَى شَيْءٌ جَدِيدِ فَازْ مَنْ غَنَى عَلَى الْأَخْنِ الْقَدِيمِ :

بِالَّذِي عَطَّرَ مِنْ فَيْكِ الْقُبْلَ مِثْلَ شَمِّ الْوَرْدِ فِي رَوْضَتِهِ
وَالَّذِي أَرْسَلَ عَيْنِيكَ مِثْلَ عَمَلِ الْأَكْوَابِ مِنْ رَوْعَتِهِ
حَدَّثَنِي رُوحِي بِمَا يَنْفِي الْمَلَلَ يَرْجِعُ الْقَلْبُ إِلَى بَهْجَتِهِ
وَأَمْسَحِي دَمْعِي بِمَنْدِيلِ الْأَمَلِ دَمْعَةُ الْعَاشِقِ مِنْ حُرْقَتِهِ
لَيْسَ يُجْدِيهِ إِذَا جَاءَ الْأَجَلَ مُشْفِقٌ يَسْعَى إِلَى نَصْرَتِهِ

* * *

وَأَجَلْتُ الطَّرْفَ فِي ذَاكَ الْخِضَمِّ وَبُحَيْرَاتُ الرُّؤْيَى عَنْ جَانِبَتِهِ
فَرَأَيْتُ السَّبَّ فِي مَهْوَى الْعَدَمِ كَغَرِيقٍ كُلَّمَا مَدَّ يَدَتِهِ
أَعْرَضَتْ عَنْهُ الَّتِي جَارَتْ وَلَمْ تَرْتِ لِلصَّبِّ وَلَمْ تَعْطِفْ عَلَيْهِ
فَكَأَنَّ الْحُسْنَ لَا يَرْعَى الذَّمَّ وَضَحَايَاهُ مَسَرَّاتُ لَدَنَتِهِ
وَكَأَنَّ الْبَدْرَ شَادٍ فِي الظُّلَمِ : ظَفِرَتْ بِالْبَدْرِ مَنْ حَنَّتْ إِلَيْهِ

* * *

لِلْهَوَى دَاعٍ وَلِلْبَهْوَى سَبَبٌ نَظْرَةٌ كَالنَّارِ فِي يَوْمِ الْحِسَابِ
وَحَدِيثُ فَاتِنٍ هَاجَ الطَّرَبُ وَأَمَانٌ تَتَرَأَى كَالسَّرَابِ
بِهَجَّةِ الْكَوْنِ اتِّتِلَافٌ وَنِسَبٌ وَهَوَى الرُّوحِ اتِّفَاقٌ وَأَصْطِحَابُ
تِلْكَ مُوسِيقَى لَهَا شَرَعٌ عَجَبٌ رَبٌّ وَرَقَاءُ أَطْمَأْنَتْ لِنُغْرَابِ
وَهَزَارٍ لَمْ يَنْلُ مِنْهَا الْأَرْبُ أَكْثَرَ الشَّدْوِ وَلَمْ يَلْقَ جَوَابِ

حَارَ فِي سِرِّ الدُّنَى لُبُّ الرِّشِيدِ مُذْ غَدَا الْحُبُّ مُجُونًا وَأَبْتِذَالِ
وَسَطَا الْمَسْكُورُ عَلَى الصِّدْقِ الْكَيْدِ وَشَكَا أَهْلُ الْهَوَى غَدَرَ الْجِمَالِ
كَمْ مُحِبٌّ مَا رَأَى يَوْمًا سَمِيدَ هَامَ بِالطُّهْرِ وَقَدْ عَزَّ الْمَنَالِ
عَاشَ كَالْأَيَّامِ مَحْرُومًا وَحِيدَ فَاغْتَرَاهُ أَهْمٌ وَازْدَادَ الْمَلَالِ
لَا دَهَاكَ الْيَأْسُ فَالْحُبُّ شَهِيدُ : لَيْسَ فِي الدُّنْيَا مَعَ الْحُسْنِ كَمَالُ

* * *

وَإِذَا بِالْحُسْنِ يَهْوِي كَالشَّهَابِ غَائِصًا فِي لُجَّةِ الْيَمِّ الرَّهِيْبِ
كَانَ تِمَثَالًا مِنَ الطِّينِ فَذَابِ وَتَلَاسَتْ مِنْهُ آثَارُ اللَّيْبِ
وَكَمَالُ الرُّوحِ بَادٍ كَالسَّحَابِ يُمِطُّرُ التَّمَثَالَ بِالدَّمْعِ السَّكِيْبِ
ثُمَّ شَاهَدَتْ عِرَاكَ وَأَضْطَرَابِ وَظِلًّا لَا تَتَلَوَّى وَتَتَيْبِ
أَغْنِي نَاحَتَ عَلَى عَهْدِ الشَّبَابِ عِنْدَمَا أَدْرَكَهَا عَهْدُ الْمَشِيْبِ

* * *

« كَانَ لِي بِالْأَمْسِ قَلْبٌ فَقَضَى وَأَرَاخَ النَّاسَ مِنْهُ وَأَسْتَرَاخَ »
« ذَاكَ عَهْدٌ مِنْ حَيَاتِي قَدْ مَضَى بَيْنَ تَشْيِيبٍ وَذِكْرِي وَنُوحِ »
« فَكَأَنَّ الْحُبَّ نَجْمٌ فِي الْفَضَا نُورُهُ يُنْعِي بِأَنْوَارِ الصَّبَاحِ »
كَمْ فَتَى بَاتَ عَلَى جَرِّ الْغَضَا بَدَّدَتْ آمَالَهُ هُوجُ الرِّيَاخِ
فَإِذَا عَاوَدَهُ الْمَاضِي أَرْضَى إِنَّ تَذْكَارَ الْأَمْسِ يَشْفِي الْجِرَاخِ

(١) لَجْرَانِ خَلِيلِ جَبْرَانِ .

لَيْسَ يَا قَلْبِي لِمَا مَرَّ رُجُوعٌ أَمَلْتُ مَاتَ فَلَا يُجْنِي الطَّبَّابُ
لَا تَسْكُنْ فِي الْحُبِّ كَمَا أَطْفَلُ الْوَلُوعِ قَضَتِ الْأُمُّ وَأَغْيَاكَ النَّجِيبُ
وَالْهَوَى أَمْسَى دَفِينًا فِي الضُّلُوعِ شَاهِدْ أَعْدَا عَلَى ظُلْمِ الْحَبِيبِ
وَإِذَا الْأَصْلُ ذَوَى تَذَوَى الْفُرُوعُ كَظَلَالٍ تَخْتَفِي عِنْدَ الْمَغِيبِ
فَاَنْتَظِرْ فِي دَوْلَةِ الْحُبِّ يَسُوعُ يَبْعَثُ الْأَمْوَاتَ بِالْأَمْرِ الْعَجِيبِ



غرامُ الفلاسفة

عَشِقْنَا ، وَلِلْعُشَاقِ فِي حُبِّهِمْ سِرٌّ
وَرَوْضُ الْهَوَىٰ أَخْبَاهُ النَّحْلِ وَالزَّهْرُ

وَمَا الْحُبُّ إِلَّا دَمْعَةٌ وَأَبْتِسَامَةٌ ، فَصِفُ الْهَوَىٰ بَرْدٌ وَنِصْفُ الْهَوَىٰ حَرٌّ
قُلِ الْحُبُّ تَعَرُّ النَّاسِ لِلْحُبِّ هِزَّةٌ « كَمَا انْتَفَضَ الْعُصْفُورُ بِدَلَّةِ الْقَطْرِ »^١
فَلَا تَكُ مِمَّنْ لَا يَرَى الْحُبَّ مُنِيَّةً ، وَقَدْ عَشِقَ الْأَغْشَابَ بِنْتَ الْأَنْدَى الصَّخْرُ
فَالْقَتُّ عَلَيْهِ حُلَّةٌ مُخْمَلِيَّةٌ كَسَتْ صَدْرَهُ حُسْنًا شُعِيرَاتُهَا الْخَضِرُ
فَإِيَّاكَ يَا قَلْبِي إِذَا لَاحَ بَارِقٌ ، مِنْ الْحُبِّ أَنْ تَأْتِي ، فَتُزْعِ الْهَوَىٰ قَسْرُ
وَأَنْتَ الَّذِي عَانَيْتَ كُلَّ مُلِمَةٍ وَأَذْرَكَتَ أَنَّ الْحُلُوهَ يَأْتِي بِهِ الْمُرُّ

* * *

وَأِنْ عَيَّرَ الْعُشَاقُ نَشْرُ غَرَامِهِمْ فَإِنِّي لِمِمَّنْ زَانَهُ النِّقْدِ وَالنَّشْرِ
وَإِنِّي لِمُعْتَدٍّ بِعَدَلٍ مَطَالِي ، وَمَنْ يَدْرِغُ بِالْحَقِّ يُكْتَبُ لَهُ النُّصْرُ
وَلَمْ أَكُ مِمَّنْ عَقَلُهُ عَبْدٌ قَلْبِهِ فَيَصْرِفُهُ عَنْ قَصْدِهِ النَّعْيِ وَالْأَمْرِ
أَعَاكِسُ مَنْ أَهْوَى لِأَصْلَحِ شَأْنِهَا فَيَنْتَابِي الْإِيذَاءَ وَالنَّظْرُ الشَّرُّ
وَتَعَبْتُ بِي عَنْ غَايَةٍ لَا هِدَايَةَ وَمَنْ غَابَ عَنْهُ الْخَيْرُ لَمْ يَدْرِ مَا الشَّرُّ

(١) لَفَيْسُ الْعَامِرِيِّ .

وَرُبَّ حَبِيبٍ لَيْسَ رَأْيُكَ رَأْيَهُ بَنَى الْقَصْرَ ظَنًّا مِنْهُ أَنَّ الْهَوَى قَصْرُ
وَلَمْ يَدْرِ أَنَّ الْحُبَّ رُوحٌ تَلَالَتْ وَأَنَّ قُصُورَ الْأَرْضِ فِي عُرْفِهَا قَبْرُ
فَلَا خَيْرَ فِي الْفَانِي وَإِنْ عَزَّ قَدْرُهُ وَلَا نَفَعَ مِمَّنْ غَرَّهُ الْمَاسُ وَالذُّرُ
وَإِنْ حُرِّمَتْ بِنْتُ الْكُرُومِ فَكَمْ فَتًى، تَغْنَى بِرَاحِ الْحُبِّ شَرَفُهُ الشُّكْرُ
دَهَانِي وَلَمْ يَظْلِمْ سِوَايَ بَفْهَمِهِ، وَهَلْ يَدْرِكُ الْبَحَّاثَةُ الْفَذُّ مَا السَّحَرُ؟
وَكَمْ وَالِهِ قَبْلِي تَغْنَى وَلَمْ يَكُنْ لِإِنْشَادِهِ يَوْمَ اخْتِبَارِ الْهَوَى أَجْرُ
وَكَمْ مِنْ خَلِيٍّ أَدْرَكَ الْحُبُّ قَلْبَهُ فَخَلَّدَهُ التَّرْدِيدُ لَمَّا انْقَضَى الْعُمُرُ
هُوَ الدَّافِعُ الْمُغْرِي الَّذِي يَبْعَثُ الْهَوَى، وَأَسْعَدُ خَلْقِ اللَّهِ مَنْ حُبُّهُ الطَّهْرُ
وَفِي الْأَمَلِ الْبَاقِي عَزَاهُ لِعَاشِقٍ وَفِيهِ افْتِتَانٌ هَامَ فِي كُنْهِهِ الْفِكْرُ
يُضِيهِ سَنَاهُ كُلِّ نَفْسٍ كَرِيمَةٍ فَيَلْمَعُ فِي آفَاقِهَا الْفَنُّ وَالشُّعْرُ
وَيَسْنُوذُ شِعْرٌ دُونَ رُوحِ ثُبْرِهِ، وَلَكِنْ شِعْرِي أَيْضًا مَذْنَبَتِ الشُّعْرُ
جَاءَتْ قَوَافِيهِ كَمَا اسْتَحْسَنَ الْهَوَى وَسَارَتْ مَعَانِيهِ كَمَا اسْتَرْسَلَ الدَّهْرُ
فَمَنْ كَانَ مِثْلِي هَامَ مِثْلِي بِحُبِّهِ وَمَنْ لَمْ يَهَمْ بِالْبَحْرِ فَلْيَسْكِفِهِ النَّهْرُ
فَاعَابَ رَحْبَ الْبَحْرِ جَهْلُ الْوَرَى بِهِ وَلَا ضَيْقَ النُّكْرَانِ مَنْ صَدْرُهُ بِحَرْ
كَفَى الْحُبَّ حَمْدًا أَنَّهُ أَلْمَاءُ إِنْ جَرَى تَحَوَّلَ رَوْضًا مِنْ مَآثِرِهِ الْقَفَرُ
وَكَمْ دَارَةٍ لِلْحُبِّ لَمْ تَبْنِ سِوَاهَا يَدُ، نَوَّرَتْ أَبْرَاجَهَا الْأَسْطَرُ الْغُرُ
وَعَنَّتْ عَلَى أَفْنَانِهَا الْوُرْقُ آيَةً: سَقَيْتَ الْهَوَى الصَّافِي، وَتَفَرَّكَ مُفْتَرُ

فَسَقِيَا لِهَيْدِ الْحُبِّ سَقِيَا فَإِنَّهُ
يُمَارِجُ أَنْفَاسَ الْمُحِبِّ عَيْبُهُ
فَيَا شَارِبَ الْحُبِّ الَّذِي عَاشَ ظَاهِمًا
وَإِنْ كَانَ حَظِّي مَا ذَكَرْتُ فَهَلْ تُرَى
فَيَا مَنْ قَضَيْتُ الْعُمْرَ أَرْوَمُ شَكْلَهَا، بِفِكْرِي كَأَنَّ الرَّسْمَ فِي شِرْعَتِي مَهْرُ
وَمَا كُنْتُ مِمَّنْ قَصَدَهُ اللَّهُ وَالْهَذَرُ
فَقَدْ يَخْطِئُ الرَّسَّامُ وَالنَّفْسُ تَغْتَرُ
تُرَى مِنْ ضِيَاءِ الْبَذْرِ مَا يَكْتُمُ الْبَذْرُ؟
وَهَلْ نَلْتَقِي إِنْ لَمْ يَقُمْ بَيْنَنَا جِسْرُ؟
أَرَادَتْ، وَقَدْ يَقْضِي عَلَى نَفْسِهِ الْغَرُّ!
مَتَى أَتَلَفَ اثْنَانِ: الْجَرَادَةُ وَالنَّسْرُ
وَلَا كُلُّ مَنْ صَاغَ الْقَرِيضَ لَهُ ذِكْرُ
كَمَا أَنْصَقَلِ الْإِبْرِيزُ وَأَنْصَهَرَ التَّبَرُّ

١٩٤٠



عَذَابُ الْعَبَقْرِ

ذَلِكَ الْبَدْرُ كُنْتُ أَذْرِي مَصِيرَهُ بَيْنَ قَوْمٍ لَا يَسْتَحِقُّونَ نُورَهُ
فَكَأَنِّي بُنْتُ مِنْ عَالَمِ الْغَيْبِ خَفَايَاهُ ، أَوْ قَرَأْتُ سُطُورَهُ
وَتَمَعَّنتُ فِي الْحَقَائِقِ مِثْلَ النَّاسِ ، لَكِنْ سَبَقَتْهُمْ بِالْبَصِيرَةِ
فَأَتَيْتُ الْوَرَى بِكُلِّ صَرِيحٍ وَأَتَوْنِي بِتُرَاهَاتٍ كَثِيرَةٍ
لَيْتَ شِعْرِي أَكَلَمَا أَحْزَنُوا الْحَقَّ تَعَهَّدْتُ أَنْ أَرُدَّ سُورَهُ
أَوْ أَقَامُوا لِلْبُطْلِ سَوْرًا تَصْدَيْتُ لِبُطْلَانِهِمْ فَهَدَمْتُ سُورَهُ ؟
هَا أَنَا سَائِرٌ وَحَوْلِي أَنَاسٌ يَمْنَعُونَ عَنْ كُلِّ حُرٍّ مَصِيرَهُ
يَحْجُبُونَ الضِّبَاءَ عَنْ كُلِّ رَاءٍ أَيُّ مِسْكٍ صَانَ الْخَبَاءَ عَائِرَهُ ؟

* * *

أَيُّهَا الْعَبَقْرِيُّ ! لَا تَخْشَ شَرًّا عَاشِقُ الشَّرِّ مَنْ يُغْذِي جُذُورَهُ
نَكَدُ الْأَرْضِ نَاجِمٌ عَنْ بَنِيهَا رَبُّ أُمَّ مِنْ وَلَدِهَا مُسْتَجِيرَهُ
أَنْكَرُوكَ وَعَذَّبُوكَ طَوِيلًا مَنْ تَرَى يَطْمِسُ الْبَدُورَ الْمُتَنِيرَهُ ؟
سَوْفَ يَلْقَوْنَ مِنْكَ خَيْرَ جَزَاءٍ يَوْمَ تَسْتَأْسِدُ الظُّبَاءُ الْغَرِيرَهُ
وَسَتَحْيَا بِالرَّغْمِ عَنْهُمْ قَرِيرًا ، عَالَمُ الْفِكْرِ لَا يَخُونُ أَمِيرَهُ

* * *

قِيلَ : إِنِّي مُشَاغِبٌ فِي سَبِيلِ الْحَقِّ وَالْعَدْلِ ، قُلْتُ : نِعَمْ الْوَتِيرَةَ
 ذَاكَ فَخَرِي ، وَذَاكَ سِرُّ جَهَالِي وَأَجَلُ الْجَمَالِ طَهْرُ السَّرِيرَةِ
 فَدَعِ الْغَانِمَاتِ يُحْيِينَ ذِكْرِي حِينَ يَرَوْنَ لِلْوَرَى خَيْرَ سِيرَةِ
 قَدْ عَشِقتُ الْجَمَالَ أَنِّي تَبَدُّى فَوَجَدْتُ الْجَمَالَ يَهْوَى نَظِيرَةَ
 وَالْجَمَالَ الْكَمَالَ ، فَأَرِثَ لِحَبِّهِ إِنْ تَرَأَى لَهُ جَهَالَ بِصُورَةٍ...
 فَهُوَ يَغْدُو كَمَا لَطْفُ قَلْبٍ فِيهِ هَوَى مَا يَرَاهُ ، وَلَيْسَ يَدْرِي مُرُورَةَ
 أَيِّ حُسْنٍ مِنَ الْمَثَالِبِ خَالٍ ؟ أَيُّ عَيْنٍ بِسِرِّ نَفْسِي خَيْرَةَ ؟
 إِنْ شَرَّ الْجَمَالَ مَا لَعِبَ التَّضْلِيلُ فِي كُنْهِهِ وَأَذْرَكَتْ زُورَةَ
 أَوْلَيْسَ التَّضْلِيلُ عَيْنًا مَهُولًا وَذُورُهُ اللَّثَامُ شَرُّ عَشِيرَةٍ ؟

* * *

لَيْتَ مَنْ يَمْلِكُ الْجَمَالَ يُخْلِيهِ بَرِيئًا مِنَ الْعُيُوبِ الْخَطِيرَةِ
 وَيُعَنِّي مِثْلَ الْمَلَائِكِ لِحَنَّا يَمْلَأُ الدُّنْيَا بِالْأَغَانِي النَّثِيرَةِ
 قُلْ لِبَدْرِ الدُّجَى سَمِيرِ اللَّيَالِي : يَا حَبِيبَ النُّجُومِ ، وَالْحُبُّ جِيرَةُ
 لَا تَلُمُهَا ، فَسَنُ أَحَبَّتْ وَحِيدًا حَفِظَتْ عَهْدَهُ وَوَفَّتْ نُدُورَةَ
 لَيْتَ مَنْ رَدَّدَتْ غَرَامَكَ مِرًّا أَظْهَرَتْ حُبَّهَا وَرَوَتْ بُدُورَةَ
 لَيْتَهَا أَذْرَكَتْ هَيْامَكَ بِالرُّوحِ فَعَاشَتْ عَلَى هَوَاكَ قَرِيرَةَ
 لَيْتَهَا شَارَكَتْكَ فِي الْوَحْيِ وَالْإِبْدَاعِ يَا ذَا الرُّؤْيَى ، وَكَانَتْ مُشِيرَةَ
 لَوْ رَعَتْ عَهْدَكَ الْكَرِيمَ لَبَاتَتْ ، فِي ظِلَالِ الْمُنَى أَعَزَّ سَمِيرَةَ

وَأَعَذَابِي! مِنْ فَاتِنٍ حَسِبَ الْإِخْلَاصَ بَغْيًا، وَالْمَكْرُمَاتِ جَرِيرَةً
 تَاهَ فِي مَهْمَةِ الضَّلَالِ فَلَمْ أَذْرِ: أَأَبْقَى حَتَّى الْمَمَاتِ أَسِيرَةً
 أَمْ أَمُدُّ يَدَيْهِ فَأَسْحَقُ فِي قَلْبِي هَوًى ثَانِرًا وَأَكْسِرُ نِيرَةً؟
 عِزَّةُ النَّفْسِ أَذْرَكَتْنِي فَخَلَّ الدَّهْرُ يُفْنِي تِلْكَ الْأَمَانِي الْحَقِيرَةَ
 وَدَعِ الْكُرْهَ يَطْرُدُ الْحُبَّ حَتَّى يَتَلَاشَى، فَيَمْلِكُ الْكُرْهُ دَوْرَةَ
 ثُمَّ يَأْتِي النِّسْيَانُ بَعْدَ سُكُونِ الْحَالِ مُسْتَظْلِمًا، وَيُلْقِي سُتُورَهُ
 أَوَّلَيْسَ النِّسْيَانُ خَيْرًا مِنَ الْعَفْوِ عَنِ الْاَوْثَمِ وَالنَّفُوسِ الصَّغِيرَةِ؟
 فَيُجَازِئُ فِي دَوْلَةِ الرُّوحِ عَاتٍ لَمْ تَكُنْ رُوحُهُ بِرُوحِي جَدِيرَةً

* * *

حَدَّثُونِي عَنِ الْمَحَاسِنِ فِي الزَّهْرِ فَثَلِي يَهْوَايَ الرِّيَاضَ النَّصِيرَةَ
 وَيُشِيرُ الْحَنَاتَ فِيهِ غِنَاهُ يَا لِرُوحِ يَهْوَى الْفُنُونِ الْمُثِيرَةَ
 أَتُرَى تُصْبِحُ الْحَيَاةُ نَعِيمًا عِنْدَمَا الْمُدَّعِي يَقَاضِي خَمِيرَةَ؟
 لَيْتَ نَفْسِي عِطْرُ يَطْيَبُ دَهْرِي لَيْتَ فَنِّي الْجَمِيلَ كَانَ أَثِيرَةَ
 لَرَأَى النَّاسُ مِنْ بَسَاطَةِ رُوحِي مَا يُنِيرُ الدُّنْيَا كَشَمْسِ الظَّهِيرَةَ
 وَيُقِيمُ السَّلَامَ فِي الْأَرْضِ حَتَّى يَسْعَدَ الْمَرءُ فِي الْحَيَاةِ الْقَصِيرَةَ
 « تَعَبَ كُلُّهَا الْحَيَاةُ » فَهَلَا تُدْرِكُ الْمُتَنَهَى الْعُيُونُ الْحَسِيرَةَ؟^{١١}

(١) لَأَنِّي الْعَلَاءُ الْمَرْي .

أَيُّهَا الْعَبْقَرِيُّ! لَا تَبْكِ فَالْنَّوْحُ كَبِيرٌ عَلَى الْنَفُوسِ الْكَبِيرَةِ
 إِنِّي أَكْبَتُ الْكَاتِبَةَ حَتَّى يَفْرَقَ الْقَلْبُ بِالدُّمُوعِ الْغَزِيرَةِ
 وَلَعَلَّ الدُّمُوعَ تَغْسِلُ حُزْنِي حِينَمَا تَقْضِي الذِّكْرِيَّاتُ الْمَرِيرَةَ
 ذِكْرِيَّاتُ الْجَهْلِ، مَنْ أَبْصَرَ الْحُسْنَ وَوَالَاهُ ثُمَّ جَافَى بُدُورَهُ
 وَأَسْتَعَاضَ النُّجُومَ عَنْهَا بَدِيلًا آمِلًا مِنْ أَضْوَائِهَا أَنْ تُنِيرَهُ
 مَنْ أَضَاعَ الْبَدْرَ الْمُنِيرَ سَيَحْيَا نَادِمًا يَشْتَكِي اللَّظَى وَسَمِيرَهُ
 فَجَمِيعُ النُّجُومِ لَا تُدْرِكُ الْبَدْرَ جَمَالًا، وَلَا تُضَارِعُ نُورَهُ

* * *

هَذِهِ قِصَّةٌ سَمِعْنَا صَدَاهَا فَسَأَلْنَا عَنْهَا الْقُلُوبَ الْكَسِيرَةَ
 فَأَجَابَتْ: لَا تَسْأَلُوا الْأَسَدَ الْوَرْدَ بَيَانًا، فَقَدْ سَمِعْتُمْ زَيْبَرَةَ
 فَهَتَفْنَا: لَكِنَّهُ كَهَزَارٍ فَرَّ مِنْ أَسْرِهِ فَأَبْدَى حُبُورَهُ

١٩٣٤



الأم الفرام

الْحُبُّ يَذْكِيهِ صَعْبُهُ وَيَلْدَعُ الْقَلْبَ شَبُّهُ
وَيُضْرِمُ الشَّكَّ فِي الصَّبِّ كُلَّمَا رَفَّ هُدْبُهُ

وَالشَّكُّ كَالنَّارِ ، وَالْمُسْتَهَامُ يُؤْذِيهِ رُعْبُهُ
فَلَا تُشَكِّكْ مُحِبًّا ، فِي التَّجَاوُبِ جَذْبُهُ
وَفِي الصَّدُودِ عَذَابُ وَالْحُبُّ يَصْعَبُ غَلْبُهُ

كَأَنَّ عُنُقَوْدَ قَلْبِي شَاقَ الْمَوَازِلِ نَهْبُهُ
لَكِنَّ عَزَمِي صَخْرٌ إِنْ أَوْهَنَ الصَّبُّ إِرْبُهُ
لَا يُحْمَدُ الْحُبُّ إِلَّا إِذَا انْتَفَى مِنْهُ خِيبُهُ

« قَدْ كُنْتُ أَعْجَبُ مِمَّنْ يُحِبُّ مَنْ لَا يُحِبُّهُ »
« حَتَّى أَبْتَلَيْتُ بِمَنْ لَا يُحِبُّنِي وَأَحِبُّهُ »
نَجَوْتُ مِنْهُ بِلَبِّي وَالْهَجْرُ لِلْقَلْبِ طِبُّهُ
وَرُحْتُ أَهْزَأُ مِمَّنْ طَفَى عَلَى الْفَهْمِ عَجْبُهُ
لَا خَيْرَ فِيهِ فَيُرْجَى وَالْهَزْءُ بِالصَّبِّ دَابُّهُ

يَا غُرَّةَ الدَّهْرِ هَلْ عَابَ صَاحِبَ الْفَضْلِ سَبُّهُ
وَهَلْ رَأَيْتَ دَعِيًّا يَهْمُ بِالْفَنِّ لُبُّهُ؟

هَوَاكَ دَائِي عِيَالِي رَعَى فُؤَادَكَ رَبُّهُ
فَإِنْ قَضَيْتَ بَرِيئًا أَحْيَا غَرَامَكَ صَلْبُهُ
وَإِنْ دَهَى الْمَرْءَ حُزْنٌ فَكَمْ تُسَلِّيهِ كُتْبُهُ
وَإِنْ جَفَا الْبَدْرَ قَلْبٌ فَقَدْ تُوَاسِيهِ شُبُهُهُ

مَا ضَرَّ قَلْبَكَ إِمَّا تَلَبَّدَتْ فِيهِ سُحْبُهُ؟
فَأَمْنَعُ عَنِ الْأَرْضِ دَمًا يُزْرِي بِنَفْسِكَ سَكْبُهُ
يَا بَاعِثَ الْحِسِّ فِي ابْنِ التُّرَابِ! هَلْ أَنْتَ حَرَبُهُ؟
إِنَّ الْفَخْرَ بِحُبِّ الْفَسَادِ يَعْمُرُ رَأْيُهُ...
مَا الْحُسْنُ إِلَّا صَفَاءٌ فِي الرُّوحِ يَسْمَدُ صَبُّهُ
وَالطُّهْرُ قَلْبٌ سَلِيمٌ يَحْلُو هَوَاهُ وَقُرْبُهُ
فَلَا تُعَاشِرْ جَمِيلًا كَمْ مِنْ جَرِيحٍ يَسْبُهُ

إِنَّ الْجَمَالَ وَلِيدُ الْإِخْلَاصِ، وَالصِّدْقُ دَرَبُهُ
مَنْ يَأْلَفِ الذَّلَّ يَحْسَبُ أَنَّ الْكَرَامَةَ ثَلْبُهُ
وَرُبَّ طَبَّعٍ غَرِيبٍ شَرٌّ مِنَ الْمَوْتِ كَرْبُهُ
وَالْمَيْتُ نَفْسًا وَحِشًا أَغْيَا الْأَطِبَّاءَ خَطْبُهُ

وَقَالَ رَبُّكَ مِمَّا يُضِيرُ نَفْسَكَ شُرْبُهُ
فَدَعِ غَرَامَكَ يَذْوِيهِ فَالْرَوْضُ يَصْفَرُ عُشْبُهُ

وَرُبَّ ظُلْمِي غَرِيرٍ دَاءِ الْقَلْبِ عَيْبُهُ
لَا يَعْرِفُ الْعَطْفَ إِلَّا إِذَا تَقَرَّحَ جَنْبُهُ
غَنِيَّتُهُ الشَّعْرَ دَهْرًا فَأَعْجَزَ الشَّعْرَ جَلْبُهُ
تَمَافُ نَفْسِي حَبِيبًا يَعَافُ شَرْقَكَ غَرْبُهُ
وَيَسْتَقِيمُ لَدَيْهِ صَوْنُ الْكَمَالِ وَشَطْبُهُ

إِنْ قَالَ : إِنِّي مُحِبٌّ فَوَاضِحٌ مِنْهُ كِذْبُهُ
وَالصَّدْقُ خَيْرٌ مُنَجِّ فَلَيْتَ شِعْبَكَ شِعْبُهُ
وَلَيْتَ كُلَّ هَزَارٍ غَنَى عَلَى الْحَقِّ سِرْبُهُ

يَا عَاشِقَ الشَّكْلِ إِنَّ الْغَرَامَ مَا لَدَى غَضْبِهِ
فَلَا تَهْمُ بِحِمَالٍ أَعْلَى قَلْبِكَ رَيْبُهُ
يَا بَنِي زَمَانِكَ إِلَّا أَنْ يَفْسِدَ التَّرْبَ تَرْبُهُ
هَذَا سَبِيلُ الْمَعَاصِي فَلَا يَغُرُّكَ عَذْبُهُ
قُرْبٌ رَاعٍ غَرَامًا فِي نَفْسِهِ بَاتَ ذَنْبُهُ

تُبْدِيهِ الْخَفِيِّ فِعَالٌ إِنْ يَحْجُبِ الْمَرْءُ ثَوْبُهُ
وَمَنْ يُصَانِعُ هَوَاهُ فَإِنَّمَا الْحُبُّ لَعْبُهُ

كَمْ مِنْ غَرَامٍ مُوَلَّ أَغْرَى فُؤَادَكَ وَثُبَّةُ
وَهَلْ تُصِيبُ صَفَاءَ مِمَّنْ أَعَادِيكَ حَزْبُهُ ؟
فَلَا دَهَنَكَ اللَّيَالِي بِمَا يَسُوهُكَ كَسْبُهُ
مَا التَّبَرُّ إِلَّا تُرَابٌ وَآفَةُ الْمَرْءِ صَحْبُهُ
وَهَلْ يُضِيءُ مَنَارٌ يَطِيبُ لِلنَّاسِ قَلْبُهُ ؟
فِي ذِمَّةِ الْعَرَبِ بَذَرْتُ هَوَى الْكِرَاكِبِ عُرْبُهُ
رَأَى بَنُو الْعَرَبِ فِيهِ فَذَا عَلَا النَّجْمُ كَعْبُهُ
تُرَى أَبَا الدَّفَنِ يَحْيَا كَالنَّبْتِ يُنْمِيهِ ثُرْبُهُ ؟
أَمْ يَسْتَحِيلُ قَصِيدَا وَالشَّمْرُ يَحْمِيهِ رَبُّهُ ؟
فَنِي كَفِيلُ خُلُودِي إِنْ ضَيَّعَ الْفَذَّ شَعْبُهُ
هُوَ الْمُعِيدُ شَبَابِي إِنْ بَيَّضَ الشَّعْرَ شَيْبُهُ
فَثَوْبُهُ مِنْ نَسِيمِ بَيْنِ الْأَزَاهِيرِ هَبَّةُ
وَنَخْرُهُ مِنْ سَحَابِ شَاقِ الْمُحِبِّينَ صَوْبُهُ
حَوَتْ مَعَانِيهِ رَوْحًا كَالنَّبْعِ رَوَاكُ عَبَّةُ
سُطُورُهُ كَنَبَاتٍ أَمَّا النِّقَاطُ فَحَبَّةُ
وَلَيْسَ يَتْنِي نَبِيًّا عَنِ الرِّسَالَةِ شَجْبُهُ

وَمَا حَيَاتُكَ إِلَّا مِيلَادُ طَيْفٍ وَنَحْبُهُ
يَهِيمٌ بِالْأَرْضِ حُبًّا وَغَايَةُ الْأَرْضِ سَلْبُهُ

يَا مَنْ لَعِبْتَ بِقَلْبِي كَالْعُودِ حَلَاهُ ضَرْبُهُ
فَصَاغَ حُبَّكَ لِحْنًا وَآيَةُ الْقَلْبِ خِصْبُهُ
لَا تَعْبَثِي بِغَرَامِي فَالْعُودُ يَقْصِفُ رَطْبُهُ

أَبْدَى غَرَامِكَ سِرِّي وَصَانَ سِرِّكَ حَجَبُهُ
فَلَا تُغْنِي لِي مَنْ لَا يَصُونُ عِرْضَكَ طَلْبُهُ
غَنَى لِقَلْبِي، فَقَنِي وَالشَّعْرُ وَالْفَخْرُ رَكْبُهُ
وَلَيْسَ يَشْتَاقُ إِلَّا قَلْبًا فَلَيْتَكَ قَلْبُهُ

أَضْنَى هَوَاكَ فُؤَادِي وَضَاقَ بِالْحُبِّ رَحْبُهُ
فَلَا أَنْوَحُ عَلَيْهِ زَوَالُ مَنْ عَاشَ غِبُهُ
وَرُبَّ قَيْسٍ يُنَادِي : قَضَى عَلَى الصَّبِّ حِبُّهُ
فَإِنْ سَلَ الْحُبُّ قَلْبِي فَصَدُّ لَيْلَايَ حَسْبُهُ
وَإِنْ تَشَكَّى حَبِيبِي فَإِنَّمَا الذَّنْبُ ذَنْبُهُ

١٩٥١



انذار

غَدَاً أَبَدُلْ خُلَاتَنَا بِخُلَاتٍ
 فَلَيْسَ مِنْ مَذْهَبِي مَنْ لَا يُبَادِلُنِي
 وَمَا أَهْوَى بِالْأَهْوَى حَتَّى تُوَاجِبَهُ
 إِنِّي لَمِنْ مَعْشَرٍ تَأْتِي نُفُوسُهُمْ
 وَإِنْ بِي خَيْرَ أَسْبَابِ الْغَرَامِ فَلَمْ
 وَاهَا لِقَلْبِي إِذَا نَارَ الْهَيْيَامِ بِهِ !
 وَوَيْحَ نَفْسِي إِذَا هَاجَتْ مَخَافُهَا
 وَلَسْتُ بِمَنْ ثَوَتْ فِي الْأَرْضِ عِزَّتُهُ
 وَلَيْسَ لِي حَاجَةٌ فِي حُبِّ فَاتِنَةٍ ، إِنَّ لَمْ تَكُنْ أَدْرَكَتْ قُدْرِي وَإِحْسَانِي
 يَا مُنِيَّةَ الرُّوحِ إِنَّ النَّفْسَ زَاهِدَةً وَأَنْتِ عَالِقَةٌ بِالْعَالَمِ أَلْفَانِي
 آمَنْتُ بِالْحُبِّ فَاسْتَضَحَكْتَ مِنْ شَغْفِي ، وَلَمْ تُغْنِنِي أَنَاشِيدِي وَأَلْحَانِي
 مَا عُدْتُ مُضْنَاكِ بَعْدَ الْآنَ فَادِّ كِرِي ، يَوْمَ النَّدَامَةِ كَمْ زَعَزَعْتَ إِيْعَانِي

ثورة على الحب

أَقْلَمْتُ عَنْ حُبِّي وَصُنْتُ رَاعِي وَالْفَنُّ يُغْرِي الْقَلْبَ بِالْإِقْلَاعِ
وَصَفَحْتُ عَنْ مَلَلِي فَفِي آلامِهِ سِرٌّ يُسَاعِدُنِي عَلَى الْإِبْدَاعِ
وَالنَّفْسُ تَلْقَى فِي الْغَرَامِ مَذَلَّةً مِثْلَ الْخِرَافِ أَمَامَ سَوَاطِرِ الرَّاعِي
مَالِي فَتَنْتُ بِحُبٍّ مَنْ لَمْ يَسْبِهَا حُسْنُ الْبَيَانِ وَرَنَّةُ الْإِيقَاعِ؟
أَغَضَّتْ عَنِ الْأَدَبِ الْمُبِينِ خُلُودُهُ وَرَنَتْ إِلَى الرَّنَانِ وَاللَّمَاعِ
وَطَوَتْ عَلَى اللَّذَاتِ أَيَّامَ الصَّبَا كَالنَّحْلِ بَيْنَ الرُّشْفِ وَالْإِبْدَاعِ
بَنَسْتُ حَيَاةً مَا لَهَا هَدَفٌ سِوَى عِبٍّ اللَّذَائِدِ بِاتِّظَارِ النَّاعِي

* * *

وَأَطْلَمْتُ تَرْدِيدِي أَنَاشِيدَ الْمَلَالِ فِي مَذْجِ آمَالٍ تُشَادُّ عَلَى الرِّمَالِ
فَارْتَنَاعَ لُبِّي مِنْ أَضَالِيلِ الْمُنَى وَأَعْتَلَّ قَلْبِي مِنْ مُسَايِرَةِ الدَّلَالِ
كُلُّ يَظُنُّ حَبِيبَهُ خَيْرَ الْوَرَى حَتَّى يَغِيبَ الْحُبُّ فِي أَفْقِ الْخَيَالِ
وَكَاثِمًا إِشْرَاقُهُ كَمَغِيبِهِ وَهَمٌّ يَزُولُ مَعَ الزَّمَانِ وَلَا يُزَالُ
وَإِذَا سَأَلَتِ الْعَاشِقِينَ عَنِ الْهَوَى حَارَ الْعَلِيمُ وَلَمْ يَرُدَّ عَلَى السُّؤَالِ

صُورٌ وَآمالٌ تَجِي بِنَظَرَةٍ وَبِاخْطَةِ تَمْضِي وَيَقْبُهَا الزَّوَالُ
لَوْلَا اَلْتَّحَوُّلُ مَا تَجَدَّدَ كَانُ فَانٍ، وَلَا اُنْتَصَرَ الزَّوَالُ عَلَى الْجَمَالِ

* * *

وَاهَا لِلْيَلَى كَيْفَ أَذْرَكَهَا الضُّعْفَى وَالشَّهْدُ بَعْدَ أَنْ ارْتَوَتْ مِنْ دَمْعِنَا ؟
كَانَ الْجَمَالُ تَأَلَّفًا فِي لَحْظِهَا وَنَضَارَةً فِي وَجْهِهَا وَتَلَوْنَا
وَالْحُسْنُ ظِلٌّ إِنْ مَضَى عَنْ غَادَةٍ تَرَكَ الْقُنُوطَ بِقَلْبِهَا بَدَلَ الْمُنَى
لَيْتَ اَلتَّجَاعِيدَ اَلْجَدِيدَةَ عَلِمْتَ لَيْلَى اَلتَّوَاضِعَ وَاَلْحَدِيثَ اَللَّيْنَا
فَلَعَلَّ مَا قَدْ فَاتَهَا مِنْ دَهْرِهَا يَرْتَدُّ ثَانِيَةً ، وَمَنْ قَنَعَ اَغْنَى
يَا دَارَهَا ! رُدِّي لَهَا اَحْلَامَهَا ، وَأَسْتَبْشِرِي ، فَالَرَّوْضُ يَعْذِرُ مَنْ جَنَى
وَالزَّهْرُ يَصْفَحُ عَنْ اَذِيَّةٍ مُعْتَدٍ صَفَحَ اَلْجَرِيحُ إِذَا أَحَبَّ اَلْأَغْنَى

* * *

هَذَا هُوَ السَّرُّ الَّذِي شَغَلَ اَلْوَرَى يَشْقَى اَلْمُحِبُّ وَيَشْتَهِي أَنْ يَنْظُرَا
يَسْمَعُ بِشَوْقٍ كَأَلْفَرَاشَةٍ حَوَمَتْ حَوْلَ اَلْحَبِيبِ لِكَيْ تَمُوتَ تَحْسُرَا
عَشِقَتْ ضِيَاءَ كَانَ فِيهِ حَتْفُهَا وَقَضَتْ وَلَمْ تَهْوِ اَلظَّلَامَ تَكْبُرَا
وَالنَّفْسُ تَأَلَّفَ مَا يُمَائِلُ طَبْعَهَا وَلَعَلَّ فِعْلَكَ عَنْ صِفَاتِكَ أَخْبُرَا
وَكَأَنَّ قَلْبَكَ وَهُوَ أَنْبَلُ عَاشِقٍ صَلَّى بِمِخْرَابِ اَلْجَمَالِ وَكَبُرَا
وَأَلْتَفَّ بِالطُّهْرِ الَّذِي آيَاتُهُ نَشَرَتْ بِأَجْوَاءِ اَلْبَرِيَّةِ عَنَبُرَا
وَكَفَاكَ أَنْكَ مَا شَغِفْتَ بِحُبِّ مَنْ بَاعَ اَلْجَمَالَ وَلا حَسَدَتْ مَنْ اشْتَرَى

- ١١٣ -

يَا آيَةَ الْفَنِّ الْجَمِيلِ الْبَاقِي آمَنْتُ أَنَّكَ نِعْمَةُ الْخَلْقِ
 قَدَحَ الْهَوَى الْمُضْنِي وَخَلَّ هَوَانَهُ أَنْتَ الْجَدِيرُ بِأَذْمِجِ الْعُشَاقِ
 وَأَسْلَمَ بِقَلْبِكَ إِنْ أَحَبَّ وَلَمْ يَجِدْ فِي الرُّوضِ غَيْرَ الْعُودِ وَالْأُورَاقِ
 إِنَّ الَّذِي يَهْوَى الْجُسُومَ لِحُسْنِهَا لَا يَجْتَنِي إِلَّا لَطْفُ الْأَشْوَاقِ
 لَوْ أَنَّ فِي قِيَمِ الْحَيَاةِ تَنَاسُبًا بَيْنَ الْقَوِيمِ وَفَاسِدِ الْأَخْلَاقِ
 لَأَرْتَاحَ قَلْبِي مِنْ صِرَاجِ زَمِينِ وَمَا تَقَاهُ الرُّوحُ كُلَّ نِفَاقِ
 يَا عَاشِقَ الرُّوحِ النَّقِيَّةِ لَا تَبِعْ مِرَّ الْخُلُودِ بِقُبْلَةٍ وَعِنَاقِ

وَلَعَلَّ مَنْ تَهَوَّاهُ أَيْسَرَ يُمْتَدِّ فَا بُنِ الضَّلَالِ عَلَى الْهِدَايَةِ يَتَدَي
 وَلَسَوْفَ يَجْتَنُّ الضَّلَالَ وَأَهْلَهُ حُكْمُ الطَّبِيعَةِ بِاخْتِيَارِ الْأَجُودِ
 أَضْحَى النِّظَامُ صَحِيَّةً مَنبُودَةً وَطَنِي عَلَى الْإِنْسَانِ رُوحُ تَمَرُّدِ
 وَأَسْوَدَ دَهْرِكَ مِنْ تَسَاوُلِ مَا كَرِهَ : أَيْنَ الدَّلِيلُ عَلَى سَوَادِ الْأَسْوَدِ ؟
 كَانَ الْهَوَى الْمَذْرِي خَيْرَ سَجِيَّةٍ وَالْيَوْمَ أُمْنِي الْحُبُّ غَيْرَ مُقَيَّدِ
 وَإِذَا الشُّكُوكُ تَلَاعَبَتْ بِجُثِيمٍ يَرْتَدُّ عَنْ رَأْيِ الْعَشِيَّةِ فِي الْغَدِ
 لَا نِلْتُ حَظِّي مِنْ نَعِيمِ الْحُبِّ إِنْ أَتَتْ الشُّكُوكُ إِلَى الْحَبِيبِ عَلَى يَدِي

وَفَحَصْتُ قُلُوبِي بَعْدَ أَنْ عَصَمْتَ بِهِ
فَإِذَا بِأَزْهَارِ الْغَرَامِ نَشِيرَةٌ
وَإِذَا بِقُلُوبِي وَالْكَرَاهَةِ حَوْلُهُ
وَرَأَيْتُ لَيْلَى شَبَهَ يَائِسَةٍ وَقَدْ
فَعَجَبْتُ مِنْ ظُلْمِ الْحَبِيبِ لِأَنَّهُ
وَمَضَيْتُ لَا أَلُوِي، فَكَثْرَةُ صَدِّهِ
وَلَسَوْفَ يَذْكُرُنِي وَيَتَذَمُّ حِينَمَا
رِيحُ سَمُومٍ فَأَنْذَنِي عَنْ حُبِّهِ
لَعِبَ الذُّبُولُ بِهَا، وَسَارَ بِدَرْبِهِ
كَالْوَرْدِ وَالشَّوْكَ اسْتَقَرَّ بِجَنْبِهِ
صَجِبْتُ غُرَابًا تَسْتَعِينُ بِطَبِّهِ
أَذْكَى أَلْهَوِي، وَأَلْهَجُّ كَانَ بِذَنْبِهِ
نَجَتْ فُؤَادِي مِنْ قَسَاوَةِ قَلْبِهِ
يَلْقَى جَزَاءَ مَرَارَتِي مِنْ رَبِّهِ

١٩٥٢

* * *



مُسْتَهْتَرَةٌ

وَغَانِيَةً أَخْفَى الْجَمَالَ خِصَالَهَا
وَيُبْذِي لَكَ أَلْبَحَثُ الطَّوِيلُ خَفِيَّهَا
رَعْنَتِي وَلَمْ تَقْبَلْ دِفَاعِي عَنِ الْهُدَى
تَطُوفُ بِبِلَادِ اللَّهِ، وَالْفِكْرُ شَارِدُ
وَلَمَّا تَجِدُ مِثْلِي أَيْيَا تُجِلُّهُ
وَأَيُّ إِسَارٍ مِثْلُ سِخْرِي، وَمَنْ تُرَى
لَقَدْ كُنْتُ أَرْجُو عَذْلَهَا وَوَفَاءَهَا
فَاحْصَدْتُ مِنْهُمْ سِوَى ضَائِعِ الْمُنَى
وَرُبَّ قِصَاصٍ كَانَ خَيْرًا لِقَاؤُهُ
تَرَاهَا، فَتَهْوَى لَطْفَهَا وَجَمَالَهَا
فَتُذْرِكُ أَنَّ الطُّهْرَ أَلْهِيَّةٌ لَهَا
فَلَمْ تَدْعِي وَدَّيْ وَتَرْمِي نِبَالَهَا؟
وَأَنْتِ تَوَارَتْ تَلْقَ طَيْفِي حَيَالَهَا
وَيَمْلَأُ مِنْ فَيْضِ الْجَمَالِ خَيَالَهَا
يَفُكُّ مِنَ السُّحْرِ الْحَلَالِ عِقَالَهَا؟
وَلَكِنَّ حُبَّ الْأَدْعِيَاءِ أَسْتَمَالَهَا
فَلَا تَعْجَبُ إِنَّ غَيْرَ أَلْهَمَ حَالَهَا
وَدَاءُ تَقَى عَنْ ذَاتِ دَلٍّ مَلَالَهَا

* * *

سَأَرْتِي لَهَا حَتَّى تَعُودَ فَتَهْتَدِي
وَمَا الْحُبُّ وَالْإِخْلَاصُ إِلَّا بَلَاهَةٌ
وَأَجْهَلُ خَلْقِ اللَّهِ يَمْنَحُ قَلْبَهُ
وَالْأَفْئِدَةُ تَهْوَى مَنْ تَعَافُ أَحْتِمَالَهَا
وَالْأَفْئِدَةُ تَهْوَى مَنْ تَعَافُ أَحْتِمَالَهَا
لِيَهْزَأَ مِنْهُ مَنْ بِإِخْلَاصِهِ لَهَا

أَرَى الظِّلَّ يَسْتَمْوِي الْمُحِبَّ وَإِنِّي
فَإِنِّي وَإِيَّاهَا عَلَى الْحَقِّ أَتَقِي
أَقُولُ لِقَلْبِي وَهُوَ أَكْرَمُ عَاشِقٍ
فَمَا بَلَغَ الرُّكْبُ الْمُجِدُّونَ شِعْبَهَا
أَتَيْنَ شَغَلَتْ بَالِي بِكَثْرَةِ جَرِيهَا
وَأَضْرَمَ فِيهَا نَارٌ لَمْ يَبْجُ بِهِ

لَطَبِي تَقَوَّرُ إِنْ رَأَيْتُ ظِلَّهَا
وَلَكِنِّي لَا أَسْتَطِيبُ ضِلَالَهَا
حَذَارَكَ مِنْهَا إِنْ أَطَالَتْ دَلَالَهَا
وَلَا عَرَفْتَ خَيْلُ الطَّرَادِ مِثَالَهَا
فَلَا هَذَا الْمَوْلَى مِنَ الْجُرْيِ بَالَهَا
أَخُو نِعْمَةٍ إِلَّا تَعْنَى زَوَالَهَا

١٩٥٢

نَادِمَةٌ

عَاشَ يَهْوَاهَا وَيَسْتَوْحِي جِهَادَهُ
وَأَطَالَتْ فِي أَهْوَى تَعْذِيبِهِ
أَوْهَمَتْهُ أَنَّهَا تَهْوَى بِهِ
لَا ، فَقَدْ هَامَتْ بِمَنْ لَمْ يَحْفَظُوا
سَجَدُوا ذُلًّا لَدَيْهَا فَادَّعَتْ
نَهْمَ خَطِّ عَلَى أَظْفَارِهِمْ :
إِنَّ مَنْ تَأْسِرُهُ أَهْوَاؤُهُ
وَلَقَدْ يَسْطُو فَمَنْ لَادَتْ بِهِ

مِنْ هَوَى فَإِنْ رَأَى فِيهِ سَعَادَةً
وَلَعَلَّ الدَّلَّ عِنْدَ الْغَيْدِ عَادَهُ
مَبْدَأُ حُرًّا ، فَهَلْ صَانَتْ وَدَادَهُ ؟
عَهْدَهَا ، وَاتَّخَذُوا مِنْهَا وَسَادَةً
أَنَّ فِي الدَّلَّ عَلَى الْحُبِّ شَهَادَةً
مُنِيَّةُ الْجَائِعِ أَنْ يَقْنِصَ زَادَهُ
عَبْدُ رِقٍّ ، وَلَيْتَ أَخْفَى سَوَادَهُ
ضَيَّعَتْ أَثْمَنَ مَا تَمْلِكُ غَادَهُ

وَكَرِيمُ النَّفْسِ يَقْضِي عُمرَهُ ظَامِئًا، يَرْغَى الَّتِي أَذْمَتَ فُؤَادَهُ
 مُثْلُ عَلِيٍّ سَرَتْ فِي نَفْسِهِ جَعَلَتْ مِنْهُ أَيْيًّا ذَا إِرَادَهُ
 عَدْلُهُ يَفْتِنُ أَرْبَابَ النُّهَى فَإِذَا مَرَّ بِمَظْلُومٍ أَفَادَهُ
 كَانَ فِي نِيَّتِهِ إِسْعَادُهَا يَا لَصَبِّ سَلَبِ الْحُبِّ رَشَادَهُ

* * *

بِمَدِّ حِينَ أَذْرَكَتَ مَنْ أَهْمَلَتْ أَمْرَهُ، خُسْرَانِ أَخْلَامِ الرِّغَادَةِ
 فَمَضَتْ تَذْرِفُ دَمْعًا قَانِيًا وَمِنْ الدَّمْعِ صَلَاةٌ وَعِبَادَةٌ
 وَتَمَنَّتْ لَوْ رَعَتْ زَهَرَ الرَّبِّي قَبْلَ أَنْ مَاتَ وَلَمْ يُدْرِكْ مُرَادَهُ
 ثُمَّ لَمَّا أَذْكَرْتَ مَا سَمِعْتَ مِنْ شَهِيدٍ خَلَدَ الشُّعْرُ جِهَادَهُ
 مَلَأَتْ مَشْوَاهُ نَبْتًا نَاضِرًا وَغَدَتْ حَارِسَةً تَرْغَى وَرَادَهُ

١٩٥٢



يائسة

عَذَابِي أَلِيمٌ مِنْ مَهَاةِ أَصَابَهَا
 جُنُونٌ مِنَ الْإِخْفَاقِ عَاتٍ بِقَلْبِهَا
 وَجَيْشٌ مِنَ الْأَهْوَاءِ حَيْرٌ لِبِهَا
 وَقَدْ تَأَمَّنُ الذَّنْبَ الَّذِي ذَاعَ شَرُّهُ
 وَتَكْسُ أَلْفَاظَ الْحَدِيثِ تَنْدُرًا
 وَتَأْتِي بِمَا يُؤْذِي الْمُحِبَّ وَتَسْتَحْيِ
 وَلَا تَسْتَحْيِ مِنْ طَيْشِهَا وَأَنْفِرَادِهَا
 أَغَارُ عَلَيْهَا مِنْ أَزَاهِيرِ دَارِهَا
 وَأَشْفَقُ أَنْ تَقْضِيَ الْحَيَاةَ حَزِينَةً
 وَكُلُّ أَضْطِرَابٍ قَدْ يَزُولُ عَدَا الَّذِي
 وَمَا الْمَلَلُ الْمَسْتُورُ خَلْفَ ابْتِسَامِهَا
 فَقَدْ مَلَّهَا الْخُلَانُ وَأَسْتَهْزَأُوا بِهَا
 فَإِنْ ضَيَّعَتْ حُبِّي لِإِرْضَاءِ غَيْظِهَا
 وَإِنِّي لَذَوُ رُوحٍ أَبِي مُسَامِحٍ
 مِنَ الْعِشْقِ تَبْرِيحُ أَطَارِ صَوَابِهَا
 وَلَذَاتُ مَنْ ضَلُّوا أَسَالَتْ لُعَابِهَا
 فَالْطَفُ ذِي لُبٍّ يُشِيرُ أَضْطِرَابِهَا
 وَتَحْسَبُ مُخْلَاتِ الْحَيَاةِ ذُنَابِهَا
 كَأَنَّ ابْتِعَادَ النَّفْسِ يَعْنِي اقْتِرَابِهَا
 إِذَا قَالَ : رُدِّي ، أَنْ تَرُدَّ جَوَابِهَا
 يَبْضَعَةُ أَذْنَابِ دَعْتَهُمْ صِحَابِهَا
 وَمِنْ ذَاتِ طَوْقٍ لَيْسَ تَبْرَحُ بَابِهَا
 وَقَدْ أَبْهَجَتْ آيَاتُ شِعْرِي رِحَابِهَا
 يُلَاحِقُ مَنْ شَقَّ الضَّلَالُ حِجَابِهَا
 سِوَى أَمَلٍ ذَاوٍ وَهْمٍ أَذَابِهَا
 وَلَمْ تَشْكُرِ الْأَرْضُ الْعَرَاءَ سَحَابِهَا
 فَإِنَّ ضِيَاعَ الْحُبِّ كَانَ عِقَابِهَا
 وَرِقَّةٌ قَلْبِي لَا تُطِيقُ أَكْتِابِهَا

أُرِيدُ لَهَا سُلُوانَ ماضٍ أَمْضَاهَا
فَهَلْ عَلِقَتْ رُوحِي بِهَا وَأَصَابَنِي
فَرُحْتُ أَدَارِيهَا وَأُبْدِي مَوَدَّتِي
وَلَسْتُ بِمَنْ يَخْشَى الدَّفَاعَ وَإِنَّمَا
هِيَ الصُّخْرَةُ الصَّمَاءُ إِنَّمَا هِيَ الْوَرَى
وَإِنْ جَزَأَ اللَّهُ الرِّخِصُ فَوَادَهَا
وَحُبُّ الْمَعَالِي لَيْسَ بِسَمَحٍ لِلْفَتَى
فَيَا وَيْلَهَا مِنْ نَفْسِهَا كَمْ تَأَلَّمَتْ
وَعَاشَتْ كَنَحْلِ الرُّوضِ تَجْنِي لغيرِهَا
وَلَيْسَ لَهَا عَنْهُ غِنَى إِنْ تَبَاعَدَتْ
وَلَمَّا طَوَتْ مِنْ رَيْقِ الْعَمْرِ مَا طَوَتْ
فَبَاتَتْ تُصَلِّي كَالْحَمَامَةِ رُوِّعَتْ :
وَهَبْ لِي جَنَاحَيْهَا لَعَلِّي إِذَا أَعْتَلَى
وَجَدْتُ شَبَابِي كَالنُّسُورِ تَقَادَمَتْ
لَعَلِّي إِذَا عَادَ الْفُؤَادُ إِلَى الصَّبَا
فَرُبَّ سَبِيلٍ خِلْتُ فِيهَا سَعَادَتِي

فَتَأْتِي ، وَكَمْ زَادَ الْإِبَاءُ عَذَابَهَا
مِنْ الْغَادَةِ الْحَسَنَاءِ هَمْ أَصَابَهَا ؟
وَرَأَتْ تُرِينِي كَيْفَ تُرْمِي حِرَابَهَا
حِسَابُ غَرَامِي لَمْ يُوَافِقْ حِسَابَهَا
فَأَنِّي أَمَرْتُ الْقَلْبَ أَنْ لَا يَهَابَهَا
فَقَدْ وَحَّدَتْ نَفْسِي بِفَتَى رِغَابَهَا
بِحُبِّ لَعُوبٍ لَمْ تُطَالِعْ كِتَابَهَا
وَهَامَتْ بِدُنْيَاهَا فَلَاقَتْ صِعَابَهَا
وَقَدْ أَلِفَ الزَّهْرُ الْوَفَى اغْتِرَابَهَا
فَزَهْرُ الرُّبَى فِي الْيَأْسِ كَانَ شِهَابَهَا
أَثَارَتْ أَضَالِيلُ الْحَيَاةِ أُرْتِيَابَهَا
إِلَهِي ! أَمْبِنِي عَنْ عَذَابِي ثَوَابَهَا
فُؤَادِي عَنْ الدُّنْيَا أَمْجُ شَرَابَهَا
عَلَيْهَا اللَّيَالِي فَاسْتَعَادَتْ شَبَابَهَا
أَغْيَرُ عَادَاتِ أَلْفَتْ أَصْطِحَابَهَا
سَمِئْتُ مَرَاعِيهَا وَعِغْتُ شِعَابَهَا

فراق

هذا هَوَاكِ ! فَوَدَّعِي عَهْدَ الْهَوَايِ لَيْسَ الْهَوَايِ شَغْفِي وَقَلْبُكَ سَالِ
 بِي مِنْ مَعَانِي الْحُسْنِ مَا فَتَنَ الْوَرَايِ أَفَهْلَ أَكِيدُ ذِلَّةَ التَّنَالِ ؟
 وَأَنَا الَّذِي جَعَلْتَ مَحَابِرُ مُهْجَتِي أَدْبِي وَفَنِّي مَضْرِبَ الْأَمْثَالِ
 كَتَبَ إِلَهُ عَلَى جَبِينِي آيَةً : كُنْ كَيْفَ شِئْتَ فَإِنَّ قَلْبَكَ خَالِ
 يَحْتَلُّهُ مَنْ كَانَ نِدَّ جَمَالِهِ فَصَفَاؤُهُ قَدْ فَاقَ كُلَّ جَمَالِ
 كَالْمَاسِ عُدَّ مِنَ الثَّرَى وَسَمَا بِهِ شَرَفُ الضِّيَاءِ فَبِيعَ بِالْمِثْقَالِ
 يَا مَيَّ تَيَمَّنْتَ الْفُؤَادَ وَعِفَّتِهِ طَرَحُ الْمَوَدَّةِ مُنْتَهَى التَّرْحَالِ
 وَلَكُمْ مُتَيْبَةً تَرَكَتُ لِكُنِّي أَفِي لَكَ ، وَالْجَزَاءُ بِنِسْبَةِ الْأَعْمَالِ
 سَيَعِفُّ رَبِّي عَنْ حِسَابِي عِنْدَمَا يَتْلُو الْقَضَاءَ دَفَاتِرَ الْأَجْيَالِ
 فَلَقَدْ لَقِيتُ جَزَاءَ مَا صَنَعْتُ يَدِي : رَدَّ السَّهَامِ إِلَى الْفُؤَادِ الصَّالِي
 إِنَّ الْهَوَايِ كَالشَّهْبِ فِي أَطْوَارِهِ يَخْبُو ، وَيَتَّبَعُهُ شِهَابُ تَالِ
 وَالْعُمُرُ أَقْصَرُ مِنْ شِهَابٍ مُسْرِعِ إِنَّ لَمْ يُطَوِّلْهُ هُدُوءُ أَلْبَالِ

الموسيقار

نصوغُ من لا عِجَّ الأَشْواقِ الحَنا وَغَادَةُ الفَنِّ تَسْلُونَا وَتَنْسَانَا
كَأَنَّا لَمْ نَبْتَ «وَالسَّعْدُ ثَالِثُنَا» عَلَى الْمَلَذَاتِ وَالْآلَامِ خُلَانَا
وَلَمْ نُسَامِرْ نُجُومَ اللَّيْلِ فِي فَلَكَ مُغَرِّدٍ كَانَ بِالْآمَالِ مُزْدَانَا
فَسَلَّ نَدْيُ الْهَوَى الْعُذْرِيَّ كَمْ فَتَنْتَ، حَبِيبَةُ الرُّوحِ أَسْمَاعًا وَأُذْهَانَا
وَأَبْعَثْ لَهَا قُبْلَةً يَسْرِي بِهَا أَرْجُ وَقُلْ لِعَهْدٍ مَضَى: حَدَّثْ بِمَا كَانَا
وَعَنَّ بِالذِّكْرِيَّاتِ الْبَاعِثَاتِ بِنَا طَيْبَ الْحَيَاةِ وَخَلَّ الرِّاحَ وَالْحَنَانَا
يَا صَاحِبَ الْفَنِّ إِنَّ الدَّهْرَ فَرَّقَنَا وَالْحُبُّ يَبْعَثُ فِي الْمَفْتُونِ نِيرَانَا
وَأَنْتَ تُرْسِلُ غِيدًا تَرْتَدِي نَعْمًا كَأَنَّهُمَا أَعْيُنُ تَرْنُو لِنَجْوَانَا
فَهَلْ تُعِيدُ لَنَا مَا ضَاعَ مِنْ أَمَلٍ فِي حُبِّنَا الْفَنِّ أَمْ تَرْنِي لِبَلْوَانَا؟

* * *

كَمْ مِنْ عَظِيمٍ أَتَى لِلنَّاسِ مُعْجَزَةً وَذَاقَ مِنْ وَجَعِ الْحُسَادِ أَلْوَانَا
وَكَمْ فَلَانِدَ لَمْ تُدْرِكْ مَحَاسِنُهَا كَالْتَّبَرِ عَاشَتْ، وَلَمَّا تَلَقَّ عِرْفَانَا
وَلَمْ نَسْكُنْ رِبْشَةً تَلْهَوُ الرِّيحُ بِهَا لِنُنْكَرَ الْآنَ عِجْزًا وَتَيْنَانَا؟
وَأَنْتَ تُبْدِعُ مِنْ فِكْرٍ وَمِنْ وَتَرٍ رَوَائِعَ الْفَنِّ الْحَنَانَا وَأَوْزَانَا

تُمَثِّلُ الْكَوْنُ بِالْأَلْحَانِ مُتَّخِذًا
كَمْ آلَةٍ مِنْ جَمَادِي يَدِيكَ شَدَتْ
وَأَنْتَ تَسْقِي بِهَا السُّمَارَ رَاحَ نُهْيَ
وَأَلْفَنُ غَادَةٌ مَنْ لَا غَيْدَ تُؤْنِسُهُ
فَرُبُّ عَاطِفَةٍ مَكْبُوتَةٍ بَدَعَتْ
آمَنْتُ بِأَلْفَنٍ فَهُوَ الرُّوحُ حَلَّ عَلَى
لَوْلَاهُ مَا سَرَحْتَ بِالْفِكْرِ فَاتِنَةٌ
وَلَا رَأَيْتُ الْمُنَى كَالرَّاحِ صَافِيَةٍ
تَقُولُ مُوَحِّيتِي وَالْكَأْسُ فِي يَدِهَا
أَرَاكَ أَظْرَفَ مُفَتَّنٍ، فَوَاعِجِي
قَلْتُ يَا مَنْ مَلَكَتِ الرُّوحَ فَأَنْصَرَفْتَ عَنْ كُلِّ مُغَرٍّ وَرَامَتْ مِنْكَ تَحَنُّنَانَا :
لَا عَدَنِي أَلْفَنُ شَمْسًا فِي كَوَاكِبِهِ
كَمْ يَرْشِفُونَ الطَّلِيَّ مِنْ ثَغْرِ فَاتِنَتِي
وَيَتَنَوْنَ قُصُورًا يَمْرَحُونَ بِهَا
جَاوَزْتُ رَبِّي بِآيَاتِي وَهُمْ تَخَذُوا
فَخَلَدَ الدَّهْرُ مَا سَطَرْتُ مِنْ أَثَرٍ
فَلَيْتَ مَنْ مَحْصُوا آثَارَنَا جَعَلُوا
مِنْ كُلِّ عَاطِفَةٍ حَسَنَاءَ بُرْهَانَا
آيَ الْعِنَادِ إِبْدَاعًا وَإِتْقَانَا
وَشَارِبُ الْوَحْيِ مَا يَنْفَكُ ظَمَانَا
كَفَاكَ مِنْهُمْ تَعْذِيبًا وَنُكْرَانَا
فَنَّا، وَمَا أَنْجَبَتْ حُورًا وَوَلَدَانَا
زَهْرُ الرُّبَى فَقَدْ أَلْمَحَزُونَ فَرْحَانَا
وَلَا مَحْتٌ مِنْ حَنَايَا النَّفْسِ أَشْجَانَا
وَلَمْ أَعِشْ بِالْهَوَى الرُّوحِيَّ نَشْوَانَا
كَأَنَّهَا مُزِجَتْ رَوْحًا وَرَيْحَانَا :
إِنْ كُنْتَ تَرْفُضُ مَا أَرْضَاهُ أَحْيَانَا
إِنْ لَمْ أَعْظَمْ لَهُ بَيْنَ الْوَرَى شَانَا
وَأَنْفَقُ الْعُمُرَ بِالْحِرْمَانِ، وَلَهْنَانَا
وَأَبْتَنِي مِنْ بَقَايَا الرُّوضِ عِيدَانَا
مِنْ اللَّذَائِدِ وَالْأَطْمَاعِ جِيرَانَا
وَزَالَ مَا سَطَرُوا زُورًا وَبُهْتَانَا
لِقِيَمَةِ الْمَرْءِ مِقْيَاسًا وَمِيزَانَا

يا صاحبَ الفَنِّ دَعُهُمْ في عَمَائَتِهِمْ فَصَاحِبُ أُمَالٍ لَا يُعْطِيهِ مَجَانًا
وَأِنْ سَأَلْنَاكَ « هَلْ أُوتِيَتْهُ هِبَةٌ وَهَلْ خَلَقْتَ لَهُ طَبْعًا وَوَجَدَانَا »^١
فَقُلْ: هُوَ الرُّوحُ أَعْطَانِي لِأَعْطِيَكُمْ، وَدَعَكَ مِمَّنْ قَضَوْا بِالْمَالِ إِحْسَانًا
وَأَنْظُرْ إِلَى الْوَرْدِ وَالْأَشْوَاكُ جِيرَتُهُ، أَلَمْ يَكُنْ سَيِّدًا فِي أَرْوَضٍ جَذَلَانَا؟
حَارَتْ عُقُولُ الْمَهَا، فِي حُسْنِ ذَاتِ نُهَى، أَذْكَتْ بِقَلْبِهَا، مَا وَلَّهُ أَلْبَانَا
فِيَا مَهَاةَ مِنَ الْجَنَاتِ مُنْقِبَلَةً قَدْ حَرَّكَتْ فِي الرِّيَاضِ الْعَنُ أَفْنَانَا
وَأَنْشَدَتْ لَحْنَهَا بَيْنَ الْعِبَادِ فَمَا تَمَالَكُوا أَنْ شَدَّوْا لِلَّهِ شُكْرَانَا
أَتُنِي يَحْطُ بِكَ النَّرْحَالُ لَنْ تَجِدِي إِلَّا هُتَافًا وَتَصْفِيقًا وَآذَانَا

* * *

يا صاحبَ الفَنِّ إِنْ جُرْتَ الْحَيَاةَ وَلَمْ، تَنْلَ مِنَ الْأَرْضِ مَا أَعْطَتْ سُلَيْمَانَا
فَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ الْمَجْدَ مُنْبَثِقٌ مِنَ الْحَقَائِقِ، فَالْبَسْ تَاجَكَ الْآنَا
فَكُلُّ تَاجٍ إِذَا كَانَتْ لَالِيُهُ فَنَّا جَمِيلًا يَرَى الْأَعْدَاءُ أَغْوَانَا
قَوْمٌ بِمَجْدِ الدُّنْيَا عَاشُوا أَبَاطِرَةً وَأَنْتَ عِشْتَ بِمَجْدِ الْفَنِّ إِنْسَانَا
مَا ضَرَّ لَوْ أَنْصَنَمَتْ دُنْيَاكَ فَأَنْتَصَرْتَ لِحَقِّكَ الْبَاهِرِ الْمَهْضُومِ أَزْمَانَا

١٩٣٦



(١) لأحمد شوقي .

طريق السلام

أولعتُ بِالْعَدْلِ ، لا الأُحْدَاثُ تُلْهِمُنِي ، عَنْ حُبِّهِ ، وَالْمَنَايَا أَيْسَ تَتْنِي
 فَرُحْتُ أَنْصِفُ ، وَالْإِنْصَافُ ضَائِعَةٌ آيَاتُهُ ، كَالْهُدَى بَيْنَ الْمَجَانِينِ
 عَزَّتْ عَلَى مِثْلِهِمْ عَلَيَاؤُهُ فَعَدَّوْا يَرُونَ أَنَّ الْعَمَلِي إِذْلالُ مِسْكِينِ
 وَرُبَّ رَأْيٍ فَطِيرٍ سَارَ مُنْتَصِرًا بِقُوَّةِ الْمُدَّعِي لَا بِالْبَرَاهِينِ
 حُرِّيَّةُ النَّاسِ فِي تَحْرِيرِ عَيْشِهِمْ قَبْلَ التَّحَرُّرِ فِي التَّفَكِيرِ وَالَّذِينَ
 وَلَا يُفِيدُ الْوَرَى حَبْرٌ عَلَى وَرَقٍ وَلَا هُرَاءُ مُدَوِّ كَالطَّوَاحِينِ
 إِنَّ السَّلَامَ الَّذِي مَا زِلْتُ أَنْشُدُهُ مَا زَالَ بِالْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ يُغْرِي
 فَلَا وَجُودَ لِحَقِّ الْعَيْشِ فِي بَلَدٍ جِيَاعُهُ تَشْتَعِي حَظُّ الْبَرَاذِينِ
 وَالْأَغْنِيَاءُ بِهِ لَاهُوتٌ مِنْ بَطَرٍ لَا شَيْءَ يَرُدُّعُهُمْ عَنْ نَهْجِ « نَيْرُونِ »
 وَإِنْ يَجُذُّ بِفُضُولِ الْمَالِ وَاحِدُهُمْ فَإِنَّ غَايَتَهُ تَسْجِيلُ تَمَنِينِ
 أَسْمَوْهُ : إِحْسَانُ ذِي مَالٍ ، فَكَانَ بِهِ كَسَالِبِ رَدِّ بَعْضِ الْحَقِّ بِاللَّيْنِ
 مَا ضَرَّ لَوْ تَرَكَ الْأَمْوَالَ جَارِيَةً لِتَجْعَلَ الْفَقْرَ حَيًّا كَالْبَسَاتِينِ ؟
 بِئْسَ الْأَلَى سَلَبُوا حَقَّ الْعِبَادِ فَهُمْ أَسُّ الشُّرُورِ وَأَشْبَاهُ الشَّيَاطِينِ
 هُمْ يَرْتَجُونَ دَوَامَ الْحَالِ فَأَنْتَبِهُوا ؛ لَا خَيْرَ إِلَّا بِإِصْلَاحِ الْقَوَانِينِ
 لَيْسَ السَّلَامُ بِمِثَاقٍ نُسْطَرُّهُ إِنَّ السَّلَامَ بِإِنْصَافِ الْمَسَاكِينِ

نظامنا الاجتماعي

في نظام مُرَصَّع الْأَصْفَادِ ما حُجَّ بِالشَّقَاءِ وَالْإِجْهَادِ
 لَمْ يَزَلْ نَسْلُ آدَمَ فِي جَحِيمٍ يَتَلَطَّى، وَبُؤْسُهُمْ فِي أَرْذِيَادِ
 جَمَعَ الْمَالَ بَعْضُهُمْ فَأَطْمَأَنُّوا وَغَدَا غَيْرُهُمْ حَلِيفَ سُهَادِ
 يَرْتَجِي النِّعْمَى مِنْ نِظَامٍ عَقِيمٍ فَيَرَى الْبَابَ مُحْكَمَ الْإِبْصَادِ
 وَإِذَا شَاخَ لَمْ يَجِدْ مِنْ مُعِيلٍ دُونَ حَقِّ الْحَيَاةِ خَرَطُ الْقَتَادِ
 لَيْسَ بِالرُّوحِ وَحْدَهَا الْمَرْءَ يَحْيَا أَيْنَ حَقُّ الْأَجْسَادِ يَا ذَا الرَّشَادِ؟
 أَيْنَ حُرِّيَّةُ الْفَقِيرِ وَهَلْ فِي الْفَقْرِ إِلَّا قَضِيَّةٌ أَسْتَعْبَادِ؟
 وَالْمُسَاوَاةُ فِي الْحُقُوقِ هُراءُ وَالْقَوَانِينُ آلَةٌ أَسْتَبْدَادِ
 دَوْلَةُ النَّاسِ لَوْعَةٌ وَصِدَامٌ وَأَذَى مِنْ كَوَى الْمَصَالِحِ بَادِ
 أَبْدَلُوا عُجْبِيَّةَ الدَّمِ بِالْمَالِ، وَبُؤْسَ النُّفُوسِ بِالْأَكْبَادِ
 وَلَعَلَّ الْمَحْرُومَ يَرْتَاحُ لِلْمَوْتِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِنَ الزُّهَادِ
 وَإِذَا كَانَ عَالِمًا يَتَمَنَّى عَالِمًا خَالِيًا مِنَ الْأَحْقَادِ
 لَا يَجْمَعُ الْإِنْسَانُ فِيهِ وَيَعْرِى فَيَبِيعُ الْأَرْوَاحَ بِالْأَجْسَادِ
 مَا صِرَاعُ الْأَنَامِ إِلَّا نَذِيرٌ لِلْغَنِيِّ الْمُلْتَذِّ بِالْحُسَّادِ

فَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ شَقَاءِ سَوَادِ النَّاسِ حَتَّى يَلِينَ قَلْبُ الْجَمَادِ
 إِنَّمَا السُّقْمُ وَالْجَهَالَةُ فِرْعَانِ ، وَأَصْلُ الْبَلَاءِ فَقْرُ السَّوَادِ
 أَوْلَيْسَ الْمُحْتَاجُ عَبْدًا لِمَا يَحْتَاجُ مِنْ مَلْبَسٍ وَمَأْوَى وَزَادِ ؟
 سَيَثُورُ الْعَبِيدُ ضِدَّ طُغْيَانِ حَرَمَوْهُمْ بِالْفَقْرِ طَيْبَ الرُّقَادِ
 تَخَذُوا أَمْوَالَكُمْ لِلتَّحَكُّمِ ، فَاشْتَقْنَا إِلَى عَهْدِ الرِّقِّ وَالْأَسْيَادِ
 يَوْمَ كَانَ الْعَبِيدُ كَأَنْبَهُمِ الْأَمِينِ هَمَّ الْإِتِّفَاقِ وَالْإِيرَادِ

* * *

أَيْنَ شَرُّ الْخَيْتَانِ مِنْ نَهْمِ الْإِنْسَانِ ؟ أَيْنَ الْإِنْصَافُ بَيْنَ الْعِبَادِ ؟
 وَحُتُوقُ الْمَسْكِينِ حَبْرٌ عَلَى الْأَوْرَاقِ ، لِلْهَزْلِ أَوْ لِنَدْرِ الرَّمَادِ
 تِلْكَ أَضْحَوَكَةُ الدُّهُورِ ، وَإِشْبَاعُ الْجِياعِ بِرَنَّةِ الْأَغْوَادِ

* * *

إِنَّ سِرَّ الْحُرُوبِ لَمْ يَبْقَ سِرًّا فَتَتَى الْعَوْدُ عَنْ سَبِيلِ الْفَسَادِ ؟
 وَالسَّلَامُ الصَّحِيحُ فِي وَضْعِ حَدٍّ لِلْغِنَى عَنْ قَنَاعَةٍ وَأَعْتِقَادِ
 وَضَمَانِ الْفَقِيرِ مِنْ آفَةِ الْإِغْوَاكِ لَا يَعِيشُ كَالْأَوْغَادِ
 ذَلِكَ الْمَدْلُ غَايَتِي ، وَسَبِيلُ الْعَدْلِ فَرَضُ التَّعَاوُنِ الْأَتْحَادِي
 كُلُّ فَرْدٍ لِلْكُلِّ يَحْيَا ، وَمَا الْمَجْمُوعُ إِلَّا سَلَامَةُ الْأَفْرَادِ
 عَجَبًا لِلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّ الْمَرْءَ كَالْأَرْضِ تَابِعٌ لِلْبِلَادِ
 وَبِلَادُ الدُّنْيَا مُوَحَّدَةٌ فِي كَوْنِهَا سَائِرٌ إِلَى مِيعَادِ

مَا طَلَبْتُ السَّلَامَ إِلَّا لِأَحْيَا نَاعِمَ أَلْبَالٍ مُطْمَئِنِّ أَلْفُودٍ
 إِنَّ ذَاكَ الضِّيَاءَ غَايَتُنَا الْعُلَى يَا، فَرُدُّوا أَلْسُوفَ لِلْإِعْمَادِ
 وَأَسْلُكُوا، بَعْدَ أَنْ ضَلَلْتُمْ، سَبِيلًا تَضْمَنُ الْفَوْزَ بِالسَّلَامِ الْهَادِي
 هَلْ يُرِيدُ الْوَرَى دِمَارًا سَرِيحًا بِحُرُوبٍ أَتُونَهَا فِي اتِّقَادِ
 أَمْ يُرِيدُونَ غِبْطَةً وَنَعِيمًا لِرُقِيِّ الْأَرْوَاحِ قَبْلَ الْمَعَادِ؟
 لَا تَظُنُّوا السَّلَامَ بِالْحَوْلِ وَالطَّوْلِ، فَلَيْسَ الْإِرْعَادُ كَالْإِنْشَادِ
 إِنَّ أَعْمَالَ النَّاسِ تَعْمَلُ فِيهِمْ فَأَكْتُبُوا بِالْقُلُوبِ لَا بِالْمِدَادِ
 وَأَسْتَعِينُوا عَلَى الْفَسَادِ بِإِصْلَاحِ نِظَامِ الدُّنْيَا وَنَشْرِ الْوِدَادِ

* * *

وَكَأَنَّ السَّمَاءَ رَدَّتْ نِدَائِي بِخِطَابٍ عَنِ الْمَسِيحِ الْفَادِي
 فَهُوَ بِالرَّحْمَةِ الْغَنِيَّةِ آتٍ وَهُوَ بِالْحُبِّ وَالسَّلَامِ يُنَادِي :
 إِنَّ حَالَ الْأَرْوَاحِ فِي دَوْلَةِ اللَّهِ لَرَهْنٌ بِمَا أَتَتْهُ الْأَيَادِي
 فَإِذَا دَهَسَتْكَ عِنْدَلَةُ الْأَطْيَارِ فِي الرُّوضِ، يَبْنَ شَاكٍ وَشَادٍ
 وَرَأَيْتَ الْحُقُولَ تَرْفُلُ بِالْحُسْنِ زَمَانًا، فَأَذْكُرُ أَوَانَ الْحَصَادِ
 وَأَتَّخِذُ مِنْ حَيَاتِهَا صُورًا تَبْقَى فَإِنَّ الْأَيَّامَ رَهْنُ النِّفَادِ
 مَا لَنَا هَامِئِينَ وَالْمُلُوكُ لَهُوٌّ وَالْمَسَايَا تَعْدُو كَخَيْلِ الطَّرَادِ
 « رَبِّ لِحَدِيدٍ قَدْ صَارَ لِحَدَادٍ مِرَارًا ضَاكِ مِنْ تَزَاهُمِ الْأَضْدَادِ »^(١)

(١) لأبي العلاء المبري .

عِشْتُ مِثْلَ السَّجِينِ أَشَقَى بَوَادٍ وَفُؤَادِي وَمَا يَرُومُ بَوَادِي
أَرْسِلُ الْفِكْرَ فِي الْفَضَاءِ لِيَلْتَقِيَ رَبُّهُ مُطْلَقًا مِنْ الْأَصْفَادِ
فَأَرَاهُ مُقَيَّدًا بِنِظَامٍ مِنْ مُدِيرِي جَهَنَّمَ مُسْتَفَادِ
لِأَنِّي خَائِفٌ مِنَ الْغَدِ دَوْمًا كَيْفَ لَا؟ وَالشَّقَاءُ بِالْمُرْصَادِ
فَسَأَلْتُ أَخِي الْمُعَذَّبَ مِثْلِي: كَيْفَ نَنْجُو مِنْ زَلَّةِ الْأَجْدَادِ
وَلِمَاذَا نُلْقَى بِأَبْنَائِنَا فِي بُؤْسِنَا عَنْ تَعَمُّدٍ وَعِنَادِ؟
قُمْ نُبَدِّلْ مَا نَحْنُ فِيهِ وَإِلَّا لَنْ يُفِيدَ الْأَبْنَاءُ أَيُّ اجْتِهَادِ
كُلُّ يَوْمٍ يَمْضِي، يَزِيدُ بِهِ الْبُؤْسُ وَيَقْصِيهِمْ عَنْ طَرِيقِ السَّادِ
فَأَجَابَ الْأَخُ الْمُعَذَّبُ مِثْلِي قُمْ نُهْدِمْ بِنَاءَ هَذَا النَّادِ
فَلَقَدْ عَفْتُ مَا بِهِ مِنْ فَسَادٍ أَثْبَتَتْهُ مَبَاحِثُ النُّقَادِ
قُمْ نُبَاشِرْ إِصْلَاحَ أَنْفُسِنَا فَالْسَّيْرُ خَيْرٌ مِنْ أَنْتِظَارِ الْمُرَادِ
قُمْ نَشِيدْ عَهْدَ الْعَدَالَةِ فِي الدُّنْيَا لِكَيْ تَغْدُو بِهِجَةً الرُّوَادِ

١٩٥٣



الاقطاعية

فَرَحَ مِنَ الْجَنِّ بَيْنَ الْمُجْرِمِينَ رَبِّي
 فَيَسْتَحِيلُ إِلَى عَلَامَةٍ سَمِيتُ
 بِقُوَّةِ الْمَالِ يَسْطُو الْعَابِثُونَ عَلَى
 وَالسَّرُّ فِي بُؤْسِ دُنْيَانَا أَنَانِيَّةُ
 قَاسٍ، وَكَمْ يَدَّعِي رِفْقًا بِأَمَّتِهِ
 أَفْكَارُهُ بِقُيُودِ الْأَرْضِ عَالِقَةٌ
 وَكَلَّمَا شَنَّ حَرْبًا قَالَ مُفْتَخِرًا:
 بَنَسْتُ مُفَاخَرَةً كَأَلْفِ سَيْخٍ غَايَتُهَا
 إِنَّ الْغَنَى يَشُنُّ الْحَرْبَ عَنْ بَطْرِ
 سَيْلِهِبُ الْأَرْضِ هَذَا السَّرُّ فَأَنْتَبِهُوا
 إِنَّ السَّلَامَ بِنَشْرِ الْعَدْلِ نَبْلُغُهُ
 وَالْعَدْلُ لَا يَعْتَلِي مَا نَاحَ مُفْتَقِرُ
 وَالْجُوعُ كُفْرُ، وَمَا الْكُفَّارُ مَنْ سَجَدُوا، لِلنَّارِ أَوْ قَدَّمُوا الْإِكْرَامَ لِلنُّصْبِ

وَأِنَّمَا هُمْ عَبِيدُ أَمْوَالٍ مِّنْ جَمْعُوا ، وَجَرَّعُوا النَّاسَ كَأْسَ الذَّلَالِ وَالْوَصْبِ
 مَن ضَلَّ يَهْدِي إِذَا أَسْتَهْوَتْهُ مَوْعِظَةٌ ، لَسَكِنَّ مَن جَاعَ لَا يَقْتَاتُ بِالْخَشْبِ
 وَلَنْ يُسَرَّ بِأَطْمَارٍ مُّزَقَّةٍ وَبَعْضُهُمْ تَاهَ فِي أَثْوَابِهِ الْقُشْبِ
 وَلَنْ يُدَاوِيَ بِتَعْوِيدٍ وَشَعْوَذَةٍ مِّنَ الْفَظِيعَيْنِ : دَاءُ الصَّدْرِ وَالْجَرَبِ

* * *

يَا أَيُّهَا الْمَوْسِرُونَ الذَّنْبُ ذَنْبُكُمْ وَلَيْسَ ذَنْبَ فَقِيرٍ ذَلٌّ بِالْحَرْبِ
 لَوْ كَانَ مَا فِيهِ فِيكُمْ لَا تَنْصَرْتُ لَكُمْ ، وَلَوْ عَدَلْتُمْ أَمِنْتُمْ آتِي الْكَرْبِ
 سَلُوا أَلَلَّيْ هَلْ تَأْتِي بِفَائِدَةٍ ؟ سِرُّ الْجَمَالِ بِحُسْنِ الْأَخْنِ لَا الْقَصَبِ
 وَالْبَدْءُ وَالْمُنْتَهَى إِنْ تَعَمَّظَ بِهِمَا لَخَيْرٌ رَّدٌّ عَلَى أَحْسَابِ ذِي حَسَبِ
 كَذَلْ غَانِيَةٍ بِالْحُبِّ كَافِرَةٍ تَلْهُو بِمُتَحَبِّ وَلَهَانَ مُغْتَرِبِ

* * *

كَمْ يَقْتُلُ الْفَقْرُ آلَافًا مُّوَلَّفَةً وَجَامِعُ أَمْوَالٍ مَسْئُولٌ عَنِ السَّبَبِ
 وَلَيْسَ مَن يَدْعِي الْإِيمَانَ مُهْتَدِيًا مَا دَامَ يَغْمِطُ قِسْطَ الْبَائِسِ التَّعَبِ
 وَهَلْ يَعْيشُ الْفَتَى رُوحًا بِلا جَسَدٍ : حَقٌّ مُّبَاحٌ وَحَقٌّ غَيْرُ مُكْتَسَبٍ ؟
 حَقٌّ الْحَيَاةِ عَلَى الْأَرْضِ الَّتِي جَمَعَتْ بَيْنَ الْعِبَادِ لِأَسْمَى مَا أَتَاهُ نَبِي
 نَفْسٌ بِنَفْسٍ فَلَا تَقْبَلُ تَخْرُصَ مَن يُصَنِّفُ النَّاسَ بَيْنَ الرَّأْسِ وَالذَّنْبِ

يَسْتَعْبِدُ الْمَالُ مَنْ لَا مَالَ عِنْدَهُمْ
لَوْ أَدْرَكَ الْأَغْنِيَاءُ الْبُؤْسَ لَارْتَدَعُوا
يَقُولُ دُسْتُورُهُمْ : إِنَّا سَوَاسِيَةٌ
وَاللَّهِ مَا صَدَقُوا ، فَالْحَالُ نَاطِقَةٌ :
وَقَالَكَ رَبُّكَ مِنْ أَسْوَأِ مَهْزَلَةٍ
فَلَيْسَ حَقُّكَ فِي الدُّنْيَا كَحَقِّ أَخٍ
« تَخَافُ النَّاسُ حَتَّى لَا اتَّفَاقَ لَهُمْ
فَلْيَتَمِظْ مَنْ دَوَامُ أَحْصَالِ بَغْيَتِهِ
بِالْعَدْلِ تَزْدَهْرُ الدُّنْيَا وَيَمْلَأُهَا
هُنَا طَرِيقَانِ ، فَأَخْتَارُوا مُؤَدِّيَةَ

وَمَا الْمُسَاوَاةُ إِلَّا فِي دُجَى الثُّرْبِ
وَأَسْتَعْظَمُوا الْفَرْقَ بَيْنَ الْجِدِّ وَاللَّيْبِ
أَيُّ الْحَقِيقَةِ مِمَّا جَاءَ فِي الْكُتُبِ ؟
أَنَّ الْغَنِيَّ سَطَا كَالذُّبِّ فِي الْعِنَبِ
هِيَ الْجُنُونُ الَّذِي يَدْعُو إِلَى الْعَجَبِ
وَإِنْ نَكُنْ أُمَمًا مَوْصُولَةً النَّسَبِ
إِلَّا عَلَى شَجَبٍ وَالْخُلْفُ فِي الشَّجَبِ «
مِنْ قَبْلِ أَنْ تَسْتَحِمَّ الْأَرْضُ بِاللَّهَبِ
مَعَ الرِّغَادَةِ وَدُّ غَيْرُ مُضْطَرَبٍ
إِلَى السَّلَامِ فَطَيْفُ الْحَرْبِ عَنْ كَثَبِ

١٩٥٣



التَّافُوتُ هَـدَام

بِلَادِي هَوَى الدُّنْيَا وَمَأْوَى الْغَرَائِبِ
 وَفِيهَا قَوَانِينُ كَأَثَارِ بَابِلَ
 وَفَقْرٌ وَإِثْرَاءٌ، وَخَفْضٌ وَرِفْعَةٌ
 جَنَّانُ رِحَابٍ تَمَلُّهُ النَّفْسُ بِهَجَّةٍ
 تَلِيهَا نَوَاجِحُ خِيَمِ الْبُؤْسِ فَوْقَهَا
 يَسِيرُ بِهَا الْفَلَاحُ عُرْيَانٌ حَافِيًا
 وَمَا كَانَ إِلَّا خَادِمًا وَأَبْنَى خَادِمٍ
 وَكَمْ مَرَّةً زَارَ الْمُسَيِّطِرُ أَرْضَهُ
 وَمَنْ أَصَمَّتِ الْأَطْمَاعُ عِزَّةَ نَفْسِهِ
 إِذَا بَاتَ مَنْ لَا خَيْرَ فِيهِ مُسَيِّطِرًا
 وَمَا غَيْرَ الْمَوْلَى مَعَايِبَ أُمَّةٍ
 لَقَدْ مَزَقَتْ تِلْكَ الْمَهَازِلُ شَمْلَنَا
 فَهِيََا نُوحِذْ لِلْمَظَاظِمِ هَمْنًا
 وَمَا مِنْ سَبِيلٍ غَيْرُ وَضْعِ ضَمَانَةٍ
 فَتَنْ لِي بِقَانُونٍ يُطْمِئِنُّ أُمَّتِي
 بِلَادِي خَلِيطٌ مِنْ جَمِيعِ الْمَشَارِبِ
 تَذَكَّرُ قَوْمِي بِالْمُصَوِّرِ الذَّوَاهِبِ
 كَانَ قِيَامُ الْعَيْشِ رُوحُ التَّضَارُبِ
 إِذَا نُظِّمْتَ أَضْحَتْ مَحْطَّ الرَّغَائِبِ
 وَلَيْسَ بِهَا مَاءٌ يَسُوغُ لِشَارِبٍ
 كَمَنْ أَلْفَتَ رَجُلَاهُ دَوَسَ الْعَقَارِبِ
 لِمَنْ جَدُّهُ اسْتَجْدَى أَكْفَ الْمَنَاصِبِ
 فَكَانَ عَلَى الْفَلَاحِ حَمْلُ الْحَقَائِبِ
 يُسَمِّي الَّذِي لَمْ تُصْنِهِ بِالْمُشَاغِبِ
 فَقَدْ أُمِسَّتِ الْأَوْطَانُ دَارَ الْعَجَائِبِ
 إِذَا لَمْ تُغَيِّرْ مَا بِهَا مِنْ مَعَايِبِ
 وَبَدَّدَتْ الْأَهْوَاءُ حُبَّ التَّقَارُبِ
 وَنَدَفَعَتْ عَنِ الْأَبْنَاءِ شَرَّ الْمَصَائِبِ
 تَرُدُّ عَنِ الْأَفْرَادِ سُوءَ الْعَوَاقِبِ
 وَيَعْدِلُ بَيْنَ النَّاسِ عَدْلُ الْمُحَاسِبِ

وَمَا الْعَدْلُ إِلَّا مَزْجُنَا الْفَقْرَ بِالْفَنَى
 يُخَدِّرُ رَهْطَ الْبَائِسِينَ هُنَيْهَةً
 وَلَا خَيْرَ فِي حُكْمٍ يُعَالِجُ جَانِبًا
 فَيَا وَيْلَ مَنْ سَادُوا إِذَا قَالَ رَبُّهُمْ :
 وَأَجْعَلْ حُكْمَ الْأَرْضِ وَفَقًا عَلَى الَّذِي،
 يَوْمَئِذٍ لِلْمُحْتَاجِ شَتَّى الْمَطَالِبِ
 فَلَيْسَ الَّذِي يَنْجُو بِقُوَّةِ مَالِهِ
 وَلَيْسَ غَنِيٌّ لَا يُؤَدِّي ضَرْبَةً
 تَفْتَحُ بَابَ الْمُعْضِلَاتِ أَمَامَهُ
 فَرَبُّكَ لَمْ يَخْلُقْ عَبِيدًا وَسَادَةً
 وَسَاوَى جَمِيعَ النَّاسِ يَوْمَ مَحْجِيهِمْ
 وَلَيْسَ كَلَامًا فَارِغًا كَالسَّبَاسِبِ
 وَيُصْبِحُ كَالْأَحْلَامِ عِنْدَ التَّجَارِبِ
 مِنْ الدَّاءِ، أَغْنَى عَنْ عَدِيدِ الْجَوَانِبِ
 سَائِرًا لِلْمَسْلُوبِ مِنْ كُلِّ سَالِبِ
 كَمِثْلِ الَّذِي يُرِيدُهُ حَمْلُ الْمَتَاعِبِ
 كَمِثْلِ فَقِيرٍ مُثْقَلٍ بِالضَّرَائِبِ
 وَفِي سَدِّهِ ضَاقَتْ جَمِيعُ الْمَذَاهِبِ
 وَلَكِنَّهُ مَازَ الْفَتَى بِالْمَوَاهِبِ
 عُرَاةً، وَيَوْمَ الدَّفْنِ طَيَّ الْغِيَاهِبِ

١٩٥٣



ذِكْرُ الشَّهِيدِ

القائد يوسف العظمة بطل ميلون

لا تَذْرِفا دَمْعًا عَلَى فَقْدَانِهِ فَاَلْمَجْدُ وَالْإِقْدَامُ مِنْ أَقْرَانِهِ
قَضِيًّا عَلَى مَضَضٍ بِقَصْفِ شَبَابِهِ خِلُودِهِ وَشَقَاءِ أَهْلِ زَمَانِهِ
وَالْمَوْتُ، كَرْهًا بِالْوَرَى وَكِفَاحِهِ يَتَصَيَّدُ الْأَبْطَالَ مِنْ شُبَّانِهِ
وَيَرَى النُّضَالَ تَحْدِيًا لِجَلَالِهِ فَالْبَطْشُ وَالْإِرْهَابُ مِنْ بُرْهَانِهِ
جَرَحَ الطَّبِيعَةَ فِي صَمِيمِ فُؤَادِهَا مَنْ قَطَّ غُصْنُ الْوَرْدِ فِي نَيْسَانِهِ
وَالْوَرْدُ لَا يَنْفَكُ يَقْطِفُ نَاضِرًا وَدُمُوعُهُ يَمْلَقُنَ فِي أَجْفَانِهِ
يُعْطِي وَلَا يُعْطَى، وَيَبْدُو بِاسْمَا وَيَرَى النَّعِيمَ الْمَخْضُفَ فِي حِرْمَانِهِ
جَعَلَ الْبَشَاشَةَ فِي الْحَيَاةِ شِعَارَهُ فَبَلُطْفِهِ يُغْنِيكَ عَنْ شُكْرَانِهِ
فَأَعْجَبَ لِمَنْ فَتَنَ الْأَنَامَ وَلَمْ يَزَلْ عَظَمَاؤُهُمْ مَاضِينَ فِي نِسْيَانِهِ
وَالْمَرْءُ كَفَّارٌ، فَإِنْ أَغْرَيْتَهُ بِالْبَذْلِ أَبْدَى الْعُذْرَ عَنْ إِمْكَانِهِ
مَنْ لَمْ يُلَبِّ الْمَجْدَ عِنْدَ دُعَائِهِ أَيْعَدُ يَوْمَ الْفَخْرِ مِنْ خُلَانِهِ ؟
يَا جَارَ ذَا الْوَادِي الْمُقَدَّسِ تُرْبَهُ بِدِمَاءِ مُهْجَتِهِ وَصِدْقِ طِعَانِهِ
وَمُرُوءِي الْأَمَالِ فِي أَبْنَائِهِ وَمُصَارِعِ الْأَحْدَاثِ عَنْ جِيرَانِهِ
آمَنْتُ بِاللَّهِ الَّذِي كَتَبَ الْجَاهُ دَ عَلَى الرَّسُولِ وَخَصَّهُ بِدِيَانِهِ

وَرَأَيْتُ فِيكَ، وَأَنْتَ تَقْفُو إِثْرَهُ
فَتَنَّتْكَ عِزَّتُهُ، فَكُنْتَ حَبِيبَهُ
هَامَ الْفُؤَادُ بِكُلِّ أَرْوَعٍ مَاجِدٍ
إِنْ كُنْتَ جَنَانًا حَرَسْتَ رِيَاضَهُ
أَذْلَى فُؤَادِكَ أَنْ تَزُولَ وَلَا تَرَى
يَحْمِي الدِّيَارَ مِنَ الْعَوَادِي بِأَسُهُ
وَاهَا لِمَيْشِ أَخِي السَّلَاحُ فَإِنَّهُ
وَلَعَلَّهُ أَذْرَى بِصَوْنِ ذِمَارِهِ
شَرَفُ الْجُنُودِ وَفَاوُؤُهُمْ وَنِظَامُهُمْ
وَهُمْ هُمْ أَبْنَاؤُنَا وَسَيَاجُنَا
قَالَ الْحَكِيمُ لِشَعْبِهِ وَجُنُودِهِ :

* * *

يَا قَائِدَ الْجُنْدِ الْقَلِيلِ عَتَادُهُ
مَا كُلُّ مَنْ عَشِقَ الْعُلَى أَحْلَوَى لَهُ
حَبَاتُ قَلْبِكَ كَالْبُذُورِ نَثَرَتْهَا
أَكْرَمَ بِتُرْبِكَ أَنْ يُثِيرَ قُلُوبَنَا
فَالْمَرْءُ أَرْبَحُ صَفْقَةً بِزَوَالِهِ
وَالرُّوحُ أَهْنَأُ إِنْ تَوَارَى فِي الثَّرَى
هَلْ تَنْقِذُ ابْنَ الْفَنِّ رِفْعَةً شَانِهِ ؟
يَحْلُو أَلْهَوَى بِالْمُرِّ مِنْ أَحْزَانِهِ
فَجَنَيْتَ حَظَّ الرُّوضِ مِنْ غَرْبَانِهِ
فِي كُلِّ عَامٍ لِأَرْثِيَادِ جِنَانِهِ
إِنْ ضَاءَ لَيْلُ الْعُمْرِ مِنْ لَمَعَانِهِ
جَسَدٌ جَمِيلٌ أَلْذَكْرُ مِنْ أَكْفَانِهِ

تِلْكَ الْمَنِيَّةُ فَوْقَ كُلِّ كَرَامَةٍ : رَاجِ يُضْحِي النَّفْسَ عَنْ خِرْفَانِهِ
أَرَأَيْتَ يَوْسُفَ كَيْفَ حَنَّ لَوِرْدِهَا ؟ كَحَنِينِ غَرِيدٍ إِلَى الْحَانِهِ
فَاتَّبَعَ هُدَاهُ تَعِشْ عَزِيزًا أَوْ تَمُتْ فَاَلَمُوتُ عِنْدَ الْحُرِّ دُونَ هَوَانِهِ
إِنَّ الَّذِي يَهْوَى الثَّمَارَ شَرِيَّةٌ لَا يَتْرُكُ الدَّيْدَانَ فِي بُسْتَانِهِ
وَالْعِيدُ تَدْفَعُ شَرَّ مُغْتَصِبٍ وَلَوْ خَدَشَتْهُ ، أَوْ ظَفِرَتْ بِثَلَمِ سِنَانِهِ
نَدِمَ الْجَبَانُ كَأَنَّ مَا عَانَاهُ مِنْ أَلَمِ الْمَذَلَّةِ حَزٌّ فِي وَجْدَانِهِ
وَتَنَفَّخَتْ أَوْدَاجُهُ مِنْ غَيْظِهِ وَتَقَلَّصَ الْمُتَعَدُّ مِنْ إِيْوَانِهِ
فَتَرَبَّعَ الْمُسْتَعْمِرُونَ بِصَدْرِهِ وَتَنَمَّرُوا كَالْهَرِّ فِي دِيْوَانِهِ
وَتَقَاسَمَتِ أَسْرَابُهُمْ بُسْتَانَهُ شَأْنُ الْجَرَادِ أَتَى عَلَى أَغْصَانِهِ
سَلَبُوا بَنِيهِ الْقُوتَ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَالْمَرْءُ لَا يُجْدِيهِ عَضُّ بَنَانِهِ
وَالْجُوعُ شَرٌّ يُخْرِجُ الْقَدِيسَ عَنْ أَطْوَارِهِ ، وَالرُّوحَ مِنْ جُثْمَانِهِ
فَاقَ ابْنُ آدَمَ كُلَّ وَحْشٍ كَاسِرٍ حَتَّى تَلْطَى الْغَابُ مِنْ طُغْيَانِهِ
مَلَأَتْ مَطَامِعُهُ قَرَارَةَ نَفْسِهِ وَلَعَلَّ بَابَ الشَّرِّ عَقْدُ قِرَانِهِ
كَانَ الْوَرَى يَهْوَى الْحُرُوبَ لِنَافِيَةٍ عَيْشَ الْفِقَارِ عَلَى أَذَى رَوَّغَانِهِ
ثُمَّ ادَّعَى بِالذُّودِ عَنْ أَوْطَانِهِ فِكْرِيَّةٌ كَالذُّودِ عَنْ أَذْيَانِهِ
وَالْمَالُ يَسْتَهْوِي النُّفُوسَ مَرِيضَةً وَالْآنَ بَاتَ يَذُودُ عَنْ رَنَانِهِ
أَعْظَمُ يَمْنٍ يَقْوَى عَلَى شَيْطَانِهِ

أَمِنْ الْحُرُوبِ، فَلَيْسَ يَمْنَمُهَا سِوَى
وَالْعَدْلُ أَجْمَعُ: وَضَعُ حَدًّا لِلْغِنَى
وَالْفَقْرُ، بِالْتَعْدِيلِ فِي مِيزَانِهِ
فَمِنْ الْبَلَاءَةِ أَنْ نُحْطَمَ بَعْضُنَا
عَدْلٍ يَرُدُّ الْمَرْءَ عَنْ عُدْوَانِهِ
مَنْ يَصْطَبِغُ بِدَمِ الضَّعِيفِ رِدَاؤُهُ
حُبًّا بِمَا لَا بُدَّ مِنْ سُلوَانِهِ
وَلَعَلَّنَا بَعْدَ الضَّلَالَةِ نَهْتَدِي
لَا يَأْمَنُ الْوِيَلَاتِ مِنْ هَيْجَانِهِ
لَوْ كَانَ لِلْبُرْكَانِ عِنْدَ مُخْرَجِهِ
وَيَعُودُ ذُو الْأَطْمَاعِ عَنْ بُهْتَانِهِ
أَيْنَ الْعُقُولُ؟ وَجُلُّ مَنْ تَلْقَاهُ مِنْ
عَقْلٍ بَسْكَى أَسْفَا عَلَى ثَوْرَانِهِ
بَشَرٍ يَرَى فِي الْحَرْبِ سِرَّ كِيَانِهِ

* * *

يَا صَاحِبَ الشَّرَفِ الرَّفِيعِ عِمَادُهُ
مَنْ لَا يَهَابُ الْمَوْتَ يَقْرَعُ بَابَهُ
وَمُسَابِقِ الْفُرْسَانِ فِي مَيْدَانِهِ !
أَمَّا الَّذِي يَهْوَى الْحَيَاةَ فَإِنَّهُ
بَسُوفِهِ وَالشُّرَّ مِنْ مُرَاتِهِ
وَكَاثَهُ يَخْشَى الرَّدَى فِي صَخْرِهِ
يَلْقَاكَ بِالْمَنْهَلِ مِنْ نِيرَانِهِ
غَلَبَ الشَّجَاعَةَ مَكْرُ كُلِّ مُخَنَّثٍ
فَقَرَاهُ يَكْرَعُ مِنْ رَحِيقِ دِنَانِهِ
يَا أَيُّهَا الطَّوْدُ الَّذِي شَهِدَ الْوَعَى
مَا السَّرُّ يَوْمَ الْكُرِّ كَسْبُ رِهَانِهِ
إِنْ كُنْتَ تُلْقِي الدَّرْسَ فِي أَنْ الصُّمُودَ عَلَى الْمُصَابِ يَهْدُ مِنْ أَرْكَانِهِ
تَفْرِي الصُّخُورَ، وَلَمْ يَزَلْ بِمَكَانِهِ !
فَانْظُرْ إِلَى الْوَادِي الَّذِي فِي جَوْهِ
تَلْقَ الْحَدِيدَ يَعْجُ فَوْقَ أَدِيمِهِ
هَجَمَتْ مَنَاطِيدُ عَلَى عِقْبَانِهِ
بَارِئِ الْحَدِيدِ يَضِجُ فِي طَيْرَانِهِ

مَشَتْ الْمَدَافِعُ وَالْجُيُوشُ بِمَعْقِلِ « وَبَنَاتُ دَبْدَبَ » عَيْنَ فِي وَدْيَانِهِ
وَبَدَتْ طَوَائِرُهُمْ يُرْزَلُ قَذْفُهَا حُمَا، أَخَا الْهَيْجَاءِ عَنْ إِيمَانِهِ
وَمَشَيْتَ بِالسَّيْفِ الَّذِي أَجْدَاكَ تُسَمِّمُهُمْ فَصِيحَ لِسَانِهِ
فَأَسْتَكْبَرُوا فِيكَ الْإِبَاءَ وَهَالَهُمْ بَطْلٌ كَانَ الْمَوْتُ مِنْ فُرْسَانِهِ
وَفَعَلْتَ مَا فَعَلَ الْجَبَّارُ، إِنَّمَا غَالِ الْقَضَاءِ اللَّيْثَ قَبْلَ أَوَانِهِ
لَوْ أَنَّ فِي ذَاكَ الْقِتَالِ تَكَافُؤًا لَحَمَى عَرِينَ ذَوِيهِ ثَبَتُ جَنَانِهِ
وَالْحَقُّ أَبْلَجٌ، لَا يُقَاوِمُ حَامِلٌ بَأْسَ الْغَنِيِّ يَبِشُّ مِنْ أَطْيَانِهِ
فَأَبْكُوا عَلَى زَمَنِ تَمَلَّكَ أَهْلُهُ مَا يَمْلِكُ الْفُجَّارَ مِنْ عِبْدَانِهِ

* * *

يَا سَاكِنَ الْقَبْرِ الْمُظْلِلِ رَوْضَهُ عَلِمَ، بَقَايَا الْمَجْدِ مِنْ أَغْوَانِهِ
قُلْ لِلَّذِي يَبْسِكِي عَلَى أُنْجَادِهِ وَالْمَجْدُ حَيٌّ فِي هَوَايَ أَوْطَانِهِ :
خُذْ مَا تَرَاهُ مِنَ الْعُلَى الدَّانِي الْقُطُوفِ تَصِلُ إِلَى الْعُلُويِّ مِنْ أَفْنَانِهِ
وَكَفَاكَ مِنْ رَوْضِ الْعُلَى الْفَيْنَانِ أَنْ يَتَفَيَّأَ الشُّمْرَاءُ أَيْكَةً بَانِهِ
مَنْ ذَا يُكَافِي فِضْلَكَ الْبَاقِي عَلَى هَامِ الْبِلَادِ سِوَى فَرِيدِ زَمَانِهِ ؟
عَقْدٌ مِنَ الشَّعْرِ الَّذِي حَسَنَاتُهُ جَمَعَتْ « مَعْرِيَهُ » إِلَى حَسَانِهِ «
يَهْدِي إِلَى الْبَطْلِ الَّذِي فَتَنَ الْوَرَى فِي مَيْسَلُونَ، وَمَاتَ فِي إِبَانِهِ
رَضِيَ الْإِلَهُ عَلَيْهِ فِي مَلَكُوتِهِ وَأَثَابَهُ بِالْخُلْدِ عَنْ إِحْسَانِهِ

حياة العلماء

إِنْ لَمْ تَعْظُنَا الْآيُ وَالسُّورُ فَلَمْ تَعْظُ بِمَصِيرٍ مَنْ غَبَرُوا
 « إِنَّا وَفِي آمَالِ أَنْفُسِنَا طَوْلٌ، وَفِي أَعْمَارِنَا قِصَرٌ »
 « لَنَزَى بِأَعْيُنِنَا مَصَارِعُنَا لَوْ كَانَتْ الْأَلْبَابُ تَعْتَبِرُ »
 ذَهَبَ الْقَوِيُّ يَتْنُ مِنْ أَلَمٍ وَمَضَى الْخَبِيرُ بِمَا بَقِيَ مُضَرُّ
 وَتَقَامَمَ الدُّنْيَا بَنُو لَهَبٍ فَطَفَعُوا بِهَا، وَبِفَضْلِهَا انْتَصَرُوا
 شَبِعُوا، وَجَاعَ بُنَاةُ أُمَّتِهِمْ حَظُّ الْأَدِيبِ أَلْهَمُ وَالضَّجَرُ
 وَلَتِنْ شَكَ الْعُلَمَاءُ دَهْرَهُمْ فَالْفَقْرُ فِي شَرْعِ النَّهْيِ ظَفَرُ
 لَمْ أَشْكُ يَوْمًا ضِيقَ ذَاتِ يَدِي فَتَهَايَ بِحَرٍّ مِلْوُهُ الدَّرُّ
 لَكِنِّي أَشْكُو الزَّمَانَ فَقَدْ سَادَ الظُّلَامُ وَبُرُقِعَ الْقَمَرُ
 وَالْكَهْرَبَاءُ تَبَاعُ غَالِيَةً وَضِيَاءُ شَيْخِ الْعِلْمِ مُحْتَقَرُ
 وَالْبَدْرُ لَيْسَ لِنُورِهِ ثَمَنٌ فَلَا لِمَ عَدَلَ النَّاسِ يَنْتَظِرُ؟
 يُلْقِي إِلَيْهِمْ كُلَّ مَأْثَرَةٍ وَكَأَنَّهُمْ مَا جَاءَهُمْ خَبَرُ
 لَوْ لَمْ أَجِئْ بِرِسَالَةٍ كَرُمَتْ لَنَبَذْتُ فَنَّا بَذَهُ الْحَجَرُ

(١) البيتان : لابن هانئ الأندلسي .

تَهْوَى الْمَلَائِكُ حُسْنَهُ فَإِذَا
لَمْ يُدْرِكُوا بِالْعَقْلِ رِفْعَتَهُ
أَعْدَاءُ مَا جَهِلُوا، وَلَا عَجَبُ
مَاذَا يُزِيلُ الْجَهْلَ مِنْ بَلَدٍ
أَغْرَاهُمْ الْفَنَاءُ فَلَا فِكْرُ
وَبَلِيَّةُ الْعُلَمَاءِ مَا بَرَحَتْ
لَوْ أَنَّهُمْ تَنَرَّوْا بُدُورَهُمْ
هَامُوا بِذِكْرِ لَا يَزُولُ، وَلَوْ
وَعَزَاؤُهُمْ مَا قَالَ وَاحِدُهُمْ:
فَالِي الْإِفَاضَةِ فِي مَكَارِمِكُمْ
وَاللَّهُ يَكْلُونِي كَزَنْبَقَةٍ
كَمْ قَدْ غَرَسْتُ وَلَمْ أَنْلِ ثَمَرًا
أَشْقَى، وَأَبْذُلُ مَا تُطِيقُ يَدِي
وَلَيْسَ كَشْفُ التَّارِيخِ بَعْدَئِذٍ
عَصَرُوا بَنَاتِ الْكَرَمِ فَأَنْعَصَرَتْ
وَقَضَوْا حَيَاةَ كُلِّهَا عِبَرُ
قَبْلَ التَّجَسُّدِ عَافَهُ الْبَشَرُ
وَأَضَلَّهُمْ مَا أَذْرَكَ الْبَصَرُ
جَهْلُ الْحَقَائِقِ فِي الْوَرَى قَدَرُ
أَبْنَاؤُهُ بِالزَّائِلِ افْتَحَرُوا؟
تَسْتَوِفُ الدُّنْيَا وَلَا صُورُ
كَالْقَفْرِ ضَاعَ بِتَرْبِهِ الْمَطَرُ
بَيْنَ الرِّيَاضِ لَا يَنْعَ الثَّمَرُ
عَرْضُهُ لَمْ تَحْفَلِ بِهِ الْبَقَرُ
رَكِبُ الْحَضَارَةِ أَصْلُهُ غَجَرُ
وَأَنَا عَلَى التَّوَجِيهِ أَقْتَصِرُ
بِأَشِعَّةِ الْأَفْلَاكِ تَدِيرُ
وَلَكُمْ وَصَلْتُ أَحِبَّةً هَجَرُوا
تَمْضِي الْجُسُومُ وَيَخْلُدُ الْأَثَرُ
أَعْمَالُ مَنْ غَدِرُوا وَمَنْ غَدَرُوا
أَهْوَاؤُهُمْ تَبَعًا لِمَا عَصَرُوا
رَاحَتُ مُحَدَّثَةٍ مَنْ أَعْتَبَرُوا

المُسْتَهْزِئُونَ

قالوا : أترجو من إلهك نصرة ؟ أولست تعلم يا غيبي مشاغلة !
 ما أنت إلا ذرة في ملكه ستظل عن سر السعادة غافلة
 فأنعم ولذ بما حوت دنيائك من متع ، ولا ترج العطايا الآجلة
 أنفقت عمرك في المباحث غائصة والعلم بخر لست تدرك ساحله
 والأرض ملك الصالحين فإن تكن منهم ، لاغنتك العلوم الطائفة
 والله ليس بناصر عبدا غوي ما دام يسرق علمه ليمايله

فأجبتهم : إني أرى أنواره فأجبتهم : إني أرى أنواره
 وأحس أن مباحثي طابت له وغیوث رحمته الغنية عاجله
 فيهم بعضهم الرؤوس ويزدري بعض بآمال يراها فاشله
 فيصيبني الشك المذيب وليس لي صبر على حر الشكوك الهائلة
 وأصارع الشرك الذي نصبوه لي وتتمر بي ساعات يأس قاتله
 فينالهم فرح يطول تألمي وتنقص روعي بالدموع الهاطلة
 وأخالني مثلهم لا شأن لي فأصبح مرتعدا ، وتعمشي القافلة
 وأرى كأنني قد قطمت علاقتي برجاء نفسي كالفقاة الجاهلة
 أولعت بالخط القويم فمابني قوم يحبون الخطوط المائلة

كَمْ يَهْزَأُ الْجُهَالُ مِنْ أَهْلِ النُّهَى
بِشُكُونِ شُحِّ الْفِكْرِ غَاضَ مَعِينُهُ
وَكَأَنَّمَا أَمَّاكَ الَّذِي يَهُوُّنُهُ
لَا يَسْتَوِي الْعُلَمَاءُ وَالْجُهَالُ فِي
شَرَفِ ابْنِ آدَمَ يَوْمَ يَعْرِفُ نَفْسَهُ

* * *

وَإِذَا بِصَوْتِ سَجَلَتِهِ مَسَامِعِي :
سَيَكُونُ كَنَزُّكَ نُورَ نَفْسِكَ وَالْأَلَى
وَلَسَوْفَ يُنْقِذُكَ الَّذِي يَمِينُهُ
فَيَكُونُ قَدْرُكَ فَوْقَ قَدْرِ مَنْ أَرْتَضَى
فَالشَّعْرُ يَبْقَى لِلْخُلُودِ ، وَتَنْقُضِي
مَنْ هَامَ بِالْوَرْدِ الْوَدِيِّ تَهْوُلُهُ
ظَلَمَ ابْنُ عَبْدِ الْمَالِ شَيْخَ بَنِي الْحِجْلِيِّ
وَأَسْتَضْحَكَ الْفَانِي مِنَ الْبَاقِي وَلَمْ
وَالشَّرُّ أَدْعَى لِلْخَرَابِ مَتَى غَفَتَ
إِنْ كَانَ لِي يَا رَبُّ عِنْدَكَ حُرْمَةٌ
إِذَا ذَاكَ تَنْتَصِرُ الْعَدَالَةُ فِي الْوَرَى

مُهَنْدِسُ السَّلَامِ

نَشَرُ السَّلَامِ إِزَالَةُ الْأَطْمَاعِ
عَبَثًا تُحَاوَلُ قَبْلَهَا إِقْنَاعِي
يَهْوَى السَّلَامَ الْمُوسِرُونَ لِغَايَةِ
هِيَ مَدُّ عَهْدِ الرِّقِّ وَالْإِقْطَاعِ
وَيَرَى بِهِ الْفُقَرَاءُ نَشْرَ عَدَالَةٍ
بَيْنَ ابْنِ رَبِّ الْمَالِ وَابْنِ الرَّاعِي
شَتَانٌ بَيْنَ الْفِكْرَتَيْنِ، وَلَيْتَنِي
حَكَمُ الْخِلَافِ وَفَاتِحُ الْأَصْقَاعِ
لَأَرَيْتُ رَهْطَ الْمَاكِرِينَ عَجَائِبًا
مِنْ عَدْلِ أَحْكَامِي وَمِنْ إِبْدَاعِي
وَفَتَحْتُ أَعْيُنَ مَنْ تَعَامَوْا أَذْهَرَاءَ
عَنْ حَقِّ شَعْبٍ جَانِبِ مُلْتَمَعِ
وَوَصَلْتُ نَارَ قِصَائِدِي بِقُلُوبِهِمْ
مِنْ بَعْدِ أَنْ وَصَلْتُ إِلَى الْأَسْمَاعِ

١٩٥٣

الْحَمَالُونَ

دُنْيَاكَ لَهْوٌ، وَالْحَيَاةُ زَوَالُ
مَاذَا يُفِيدُ الْكَرَمَةَ الْإِقْبَالُ؟
وَالنَّاسُ قَطَّافُونَ بَعْضُهُمْ أَرْتَضَى
أَكَلَ الْقَلِيلِ، وَبَعْضُهُمْ حَمَالُ
يَقْضِي الْحَيَاةَ بِنَقْلِ أَغْنَابِ الْأُلَى
لَمْ يَأْكُلُوا، وَجَزَاؤُهُ الْإِغْفَالُ
إِنَّ النِّهَايَةَ قِصَّةٌ مَعْلُومَةٌ
عَنْ مَرْجِعِ طُرْحَتٍ بِهِ الْأَثْقَالُ
تَقَلَّ الْغَنِيُّ الْمَالُ مِنْ أَيْدٍ إِلَى
أُخْرَى، فَهَلْ هُوَ عِنْدَهَا عَتَالُ؟
وَمَضَى بِلا أَجْرِ سِوَى لَعْنَاتٍ مَنْ
سَلَبَتْ حُقُوقَهُمْ، وَظَلَّ الْمَالُ
لِلْمَرْءِ مِنْ دُنْيَاهُ حَاجَةً عَيْشِهِ
وَهَوَى الزِّيَادَةِ حُرْقَةً وَوَبَالُ

١٩٥٣

فَلَسَفَةُ الْخُلُودِ

لَا بُدَّ مِنْ تَغْيِيرِ الْأَشْكَالِ
فَالْأَرْضُ لَمْ تَأْلَفْ دَوَامَ الْحَالِ
وَالشَّيْءُ لَا يَفْنَى، فَإِنْ كُنْتَ جَسَدًا
فَأَطِيعْ فِي شَرْعِكَ بَاقِيًا لِلْأَبَدِ
وَإِنْ يَعُدُّ لِلْقُوَّةِ الْأَصْلِيَّةِ
عُدَّتْ لَهَا وَانْتَهَتْ الْقَضِيَّةُ
وَلِنْ تَقُلْ رُوحٌ أَنَا، أَجِبْ: عَجَبٌ!
أَتَحْسَبُ الرُّوحَ يَنَالُهَا الْعَطَبُ؟
مِنْهَا تَأْتَتْ سَائِرُ الْأَكْوَانِ
وَسَوْفَ تَنْحَلُّ مَعَ الزَّمَانِ
وَعَبْرُهَا يَبْدُو وَيَمْضِي، وَالْعَمَلُ
مَا زَالَ فِي تَسْلُسُلٍ مُنْذُ الْأَزَلِ
وَأَنْتَ فِي الْحَالَيْنِ بَاقٍ سَرْمَدًا
وَإِنْ تَكُنْ تَجْهَلُ مَا تَعْدُو غَدًا

١٩٥٣

الْمَدِينَةُ الْفَاضِلَةُ

لَا خَيْرَ فِي بَلَدٍ عَمَّ الثَّرَاءُ بِهِ
إِنْ لَمْ يَهْمِ أَهْلُهُ بِالْعَدْلِ وَالْكَرَمِ
وَكَيْفَ يَسْمُو الْأَلَى أَخْلَاقُهُمْ ذَهَبَتْ
لَمَّا اسْتَعَاذُوا عَنِ الْأَنْوَارِ بِالظُّلَمِ؟
وَأَنْكَرُوا لَذَّةَ الْأَرْوَاحِ وَأَتَّخَذُوا
شِعَارَهُمْ لَذَّةَ الْأَجْسَامِ كَمَا لِبَهُمِ
لَا يَنْفَعُ الْعِلْمُ قَوْمًا لَا خَلْقَ لَهُمْ
وَهَلْ يُبَاهِي عَقِيمُ الْفِكْرِ بِالْقَلَمِ؟
وَأَجْهَلُ النَّاسِ مَنْ يَدْعُو شَهَادَتَهُ
لِنَصْرِهِ وَهُوَ فِي الْإِنْتِاجِ كَالْعَدَمِ
فَلَيْسَ يَنْفَعُهُ مَالٌ وَلَا نَسَبٌ
إِنْ بَاتَ تَفْكِيرُهُ أَصْحَوَكَةَ الْأُمَمِ
وَالْحَقُّ سِرٌّ خَطِيرٌ لَيْسَ يُدْرِكُهُ
مَنْ ظَنَّ عَاقِبَةَ الْأَرْوَاحِ كَالرَّمَمِ

١٩٥٣

الرُّوحُ وَالْمَسَادَةُ

أَنْكَرْتَ عَيْنَايَ أَطْيَافَ الذَّهَبِ عِنْدَمَا عَايَنْتَا فَنِّي الرَّفِيعِ
 يَا لَكُلْسٍ نَبَذْتَ بِنْتَ الْعِنَبِ وَحَوَتْ أَطْيَابَ أَزْهَارِ الرَّيِّغِ
 فَكَأَنَّ الْفِكْرَ فِي الشَّكْلِ أَنْسَكَبَ وَهُوَ لَوْلَا الشَّكْلُ مَنْبُودٌ وَضِعِ
 إِنَّ مَنْ أَخْفَقَ فِي فَهْمِ الطَّرَبِ ظَنَّ رُوحَ الْفَنِّ فِي صَوْتِ الْمُدِيعِ
 وَغَدَا الْإِنْسَانُ يَهْوَى مَا أَثْقَلَ جَسَدًا يُغْرِي، فَهَلْ ضَلَّ الْجَمِيعُ؟
 أَيُّهَا الْمَفْتُونُ هَلْ يُؤْتِي النَّشَبُ لَذَّةَ أَفْضَلٍ مِنْ حُسْنِ الصَّنِيعِ
 أَمْ تُرَى لَمْ تَكُنْ تَنْسِبُ رُوحَ الْأَدَبِ قُوَّةَ رَائِعَةٍ لَوْلَا الْبَدِيعُ؟

١٩٥٣

وَحْدَةُ الْكَوْنِ

حِينَما تَنْفَصِلُ النَّفْسُ وَيَنْحَلُّ الْجَسَدُ
 تَرْجِعُ الرُّوحُ إِلَى الْبَارِي كَتَبَارِ شَرْدُ
 صُورٍ تَأْتِي وَتَمْضِي وَهُوَ بَاقٍ لِلْأَبَدِ
 كُلُّ مَا تَلْقَاهُ مُرْتَدًّا إِلَى الْفَرْدِ الصَّمَدِ
 فَتَأْمَلْ أَيُّهَا الْمَخْدُودُ فِيمَا لَا يُحَدُّ

١٩٥٣

أنشودة الحياة

سَكَنْتُ رُوحِي إِلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ كَسُكُونِ الرَّوْضِ بَعْدَ الْعَاصِفَةِ
إِنِّ مَنْ يَظْفَرُ بِالْذُرِّ الثَّمِينِ لَيْسَ تَغْرِيبُهُ النَّفْثُودُ الزَّائِفَةُ

* * *

حَارَبَتْ نَفْسِي الْهَوَى فَاَنْتَصَرَتْ وَأَجَلُّ النَّاسِ مَنْ يَهْوَى السُّكُونُ
إِنَّمَا الدُّنْيَا فِتْنَةٌ حَمَلَتْ فَإِذَا مَوْلُودُهَا رَبُّ الْمَنُونِ

* * *

لَا تَظُنُّونِي أَخَا مَالٍ يَتَّبِعُهُ كَيْ يَذِلَّ النَّاسَ تَبَهَا وَأَعْتَلَاهُ
إِنَّ مَنْ يَفْخَرُ بِإِلْفَانِي سَفِيهٌ كَمْ عَزِيزٍ حَطَّمَتْهُ الْكِبْرِيَاءُ

* * *

فَخَرُّ نَفْسِي بِالَّذِي سَوَى الْوَرَى وَهُوَ لَا يَنْفَكُ بَرًّا بِهِمْ
كَيْفَ تَسْتَهْوِيكَ أَشْكَالُ الثَّرَى وَعَنْ الْإِبْدَاعِ لَمْ تَسْتَفْهِمِ؟

* * *

أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَهْمَا تَخْتَرِعْ أَنْتَ فَإِنَّ إِلَى الْأَرْضِ تَعُودُ
فَاذْكُرِ الْمَوْتَ لِتَحْيَا وَأَمْتَنِعْ عَنْ أَذَى قَوْمٍ لَدَى الْحَقِّ سُجُودُ

المفكر

وا طولَ شوقي إلى الخلود في عالم الفكر والرؤى
وكم تمنيت أن يعود ذاك الخيال الذي نأى

هناك أستعذبُ المقام كأننا الخلد مآبُ
فلا شقاء ولا صدام ولا فؤاد معذبُ

وكيف يرضى عن الشهاد من لم يوفق بحبه
يا قلب! ذل الذي استفاد من المرآي وطبه

إن لم تكن مصلح العباد فلا أقل من الكلام
هي لهم خطة الجهاد ليفهموا العدل والنظام

وأذهب وغازل شذا النصوص وما تغني العنادل
في الروض شيء من الفتون في حبة القلب نازل

يوحي إليك هوى يدوم ونشره ينفع البشر
أحلى الهوى حبك العلوم والشعر والعود والصور

الوطن

وَطَنِي هُوَ الْأَرْضُ الَّتِي عَرَفْتُ هُمُومَ حَدَائِثِي
 فِيهَا رَشَفْتُ الْعِلْمَ حَتَّى نِلْتُ مِنْهُ كِفَايَتِي
 وَخَلَصْتُ مِنْ دَرَسِي إِلَى عَمَلِي وَبَدَأَ رِوَايَتِي
 وَالْآنَ يَا وَطَنِي! أَلَسْتُ بِحَاجَةٍ لِرِعَايَتِي؟
 أَفَدَيْكَ مِنْ رَاعٍ يَحِنُّ عَلَيَّ مِنْذُ وَلَادَتِي
 أَطْعَمْتَنِي الثَّمَرَ الشَّهِيَّ وَكُنْتُ دَارَ سَعَادَتِي
 وَسَمِّيتَنِي الْمَاءَ الزُّلَالَ وَفِي هَوَائِكَ رَاحَتِي
 وَرَتَعْتُ فِي أَرْجَائِكَ الْفَيْحَاءَ تَحْفُقُ رَايَتِي
 وَعَرَفْتُ رَبِّي فِيكَ يَوْمَ تَلَوْتُ فَرَضَ عِبَادَتِي
 قَسَمًا، سَأَرَعُنِي تَرْبَكَ الْمَيِّمُونَ طَوَعَ إِرَادَتِي
 فَكِرَامَةُ الْوَطَنِ الذِّي أَهْوَاهُ نَدُّ كِرَامَتِي
 وَسَلَامَةُ الْأَرْضِ الَّتِي أَحْبَبْتُ مِثْلُ سَلَامَتِي
 وَطَنِي كَبَيْتِي أَبْنِيهِ وَأَرْضُ غَنِيٍّ جَارَتِي
 هَذَا أَعْتِقَادِي فَلْيَكُنْ يَوْمَ الْفَخَارِ قِلَادَتِي

راحة البال

إِذَا بَتَّ فِي يَأْسٍ وَخَوْفٍ مِنَ الْهَلْكَ
 فَبَادِرْ إِلَى الْإِيمَانِ بِالْوَحْدَةِ الَّتِي
 وَلَا تَسْأَلُ الْمُؤْمِنِينَ يَقِينَهُمْ
 وَكَرَّمْ لُبَابَ الدِّينِ، فَالرُّوحُ وَاحِدٌ
 فَمَا الدِّينُ إِلَّا التَّبَرُّ بِمَثَرٍ فِي الثَّرَى
 وَلَا تَتَفَلَسَفْ بِالَّذِي لَا تَحْدُهُ
 فَمَا اللَّهُ إِلَّا قُوَّةٌ فَوْقَ فَهْمِنَا
 وَقَدْ أَغْرَمْتَ أَسْرَابَهُمْ بِبَهَارِجٍ
 نَعَذَّبُ بِالْأَجْسَادِ، أَمَّا نُفُوسُنَا
 وَمَا الْفِكْرُ فِي النَّفْسِ الَّتِي هِيَ خَيْرُنَا، سِوَى الظَّاهِرِ الْمَسْكُونِ كَالْعِطْرِ فِي الْمِسْكِ
 كَفَانَا مِنَ الْإِكْرَامِ أَنَا أَشْعَى، مِنَ الرُّوحِ عَاشَتْ كَالْحَرِيرِ عَلَى الشَّوْكِ
 وَمَا الْمَرْءُ إِلَّا آلَةٌ جَلَّ صَوْنُهَا، لِتُدْرِكَ بَعْضَ الشَّيْءِ عَنْ مَالِكِ الْمُلْكَ

رُؤْيَا الْمَلِكِ

حَلَمَ الْمَلِكُ، وَفِي الرُّؤْيَى بَعْضُ الْمُجَوِّنِ: أَنَّ الْمِيَاهَ سَتَحْتَوِي مَرَضَ الْجُنُونِ
وَالْوَقْتُ مَحْدُودٌ بِعِيدِ جُلُوسِهِ فَأَهْتَزُّ مِنْ جَزَعِ الْخَشْيَةِ مَا يَكُونُ
وَأَسْتَحْضِرُ الْعُلَمَاءَ وَالرُّقَبَاءَ مِنْ أَرْجَاءِ دَوْلَتِهِ، فَقَالَ الْعَارِفُونَ:
هِيَ أَخْزَنُوا الْمَاءَ النَّقِيَّ فَرُبَّمَا صَحَّ الْمَنَامُ وَلَوَّثَ الدَّاءُ الْعُيُونَ

* * *

وَالْمَوْعِدُ الْمَضْرُوبُ جَاءَ وَالشَّعْبُ جُنَّ عَلَى السَّوَاءِ
أَمَّا الْمَلِكُ وَأَهْلُهُ فَتَجَوَّأُوا مِنَ الدَّاءِ أَلْيَاءَ
لَكِنَّهُمْ وَقَعُوا بِمَا جَلَبَ الْمَتَاعِبَ وَالْبَلَاءَ
قِيلَ: الْمَلِكُ وَصَحْبُهُ جُنُّوا، وَلَيْسَ لَهُمْ دَوَاءٌ

* * *

وَالشَّعْبُ إِنْ يَنْضَبُ عَلَى مَنْ سَاسَهُ يَقْرَعُ لِهَدْمِ نِظَامِهِ أَجْرَاسَهُ
فَإِذَا مَلَكَتْ قِيَادَ شَعْبٍ حَقِيقَةً كُنْ مِثْلَهُ، وَأَقْرَعْ بِكَأْسِكَ طَاسَهُ
قَالَ الْمَلِكُ: إِلَيَّ بِالْمَاءِ الَّذِي شَعْبِي أَسْتَقَاهُ، فَقَدْ أَلِفْتُ مِرَاسَهُ
وَعَدَا يُجَارِي النَّاسَ فِي تَفْكِيرِهِمْ فَشَدُّوا: يَعْشُوا أَوْ اسْتَحْسَنُوا إِحْسَاسَهُ

مُنَشِّدُ الدَّهْوَرِ

قَضَيْتُ الْعُمَرَ فِي سُكْرِ مِنْ الْأَلْهَابِ وَالشَّعْرِ
وَلَمْ أَشْرَبْ عَصِيرَ الْكَرْمِ أَوْ صِنْفًا مِنَ الْخَمْرِ
تَرَانِي دَائِمًا نَشْوَانَ مِنْ عِطْرِ الْهَوَى الْعُذْرِي
وَمِنْ رَفِّ الْخَيَالِ الْخُلُوِّ يَمْرِي فِي مَدَى الْفِكْرِ
تُسَلِّيهِ نُجُومُ اللَّيْلِ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ
وَيُغْنِيهِ ضِيَاءُ الصُّبْحِ عَنْ مَحْبُوبِهِ الْبَدْرِ
تُغْنِيهِ عَصَا فَيْرُ الرُّؤْيَى أَنْشُودَةَ الدَّهْرِ
بِرَوْضِ مِلْوَةِ الْأَلْوَانِ، بَيْنَ الْعُشْبِ وَالزَّهْرِ
وَأَنْسَامِ كَرُوحِ الْمَجْدِ، تَشْنِي الْوَجْدَ فِي صَدْرِي
فَأَسْتَجْلِي سُلَافَ الْفَنِّ فِي أَقْدَاحِ بَلَوْرِ
هِيَ الْخَمْرُ الَّتِي أَغْرَتْ ذَوِي الْإِحْسَاسِ بِالسُّكْرِ
وَكَمْ غَنَى بِهَا قَبْلِي مِفَنُّ هَامٍ بِالسَّخْرِ
فَقَالَ النَّاسُ: فِي أَشْعَارِهِ شَيْءٌ مِنَ الْكُفْرِ

وَلَوْ ذَاقُوا الَّذِي عَانَاهُ لَمْ يَرْمُوهُ بِالذِّكْرِ
فَكُلُّ الْعَيْشِ لَوْ لَا خَمْرُهُ ضَرَبَ مِنْ الْهَذَرِ
وَمَا أَبْعَدَ أَهْلَ الشَّرِّ عَنْ آيَاتِهِ الْفُرُ
هُوَ الْمَظْلُومُ فِي الدُّنْيَا فَهَلْ يَرْتَاحُ فِي الْحَشْرِ؟

١٩٥٣

نَشِيدُ الْعَلَمِ

يَا عَلَمِي رَمَزَ الْمُتْنَى ! هَيْمِنْ وَرَفْرِفِ سَرْمَدَا كَالنَّسْرِ فِي السَّمَاءِ
وَيَا بِلَادِي ! هَا أَنَا أَهْمِيكَ مِنْ كَيْدِ الْعِدَى فَأَنْتِ لِي حِمَى

* * *

أُمَّةُ الْعَرَبِ تُنَادِي يَا أُسُودِي الثُّبْلَاءُ جَدُّدُوا الْعُهُودَ
وَأَسْتَعِيدُوا بِالْجِهَادِ وَأَذْكَارِ الشُّهَدَاءِ عِزَّةَ الْجُدُودِ

* * *

فَلْنَسِرْ نَحْوَ الْعُلَى بِوِثَامٍ وَاتِّحَادٍ نَأْمَنِ الْمَحَنَ
وَلْنَسْكُنْ نَوْرَ الْمَلَا إِنَّ عَهْدَ الْمَجْدِ حَاضٍ يَا بَنِي الْوَطَنِ

١٩٣٠

أَمِيرُ نِيَامِ نِيَام

يَقُولُ شَيْخٌ جَلِيلٌ لَمْ يُؤْلَوْهُ ، وَبَعْضُهُمْ أَفْضَلُ الْحُكَّامِ عَدُوهُ :
 لَيْسَ الْأَمِيرُ الَّذِي كَانَتْ وِلَايَتُهُ فَرَضًا عَلَى النَّاسِ فَالْمَفْرُوضُ مَكْرُوهُ
 وَمَا الْأَمِيرُ الَّذِي الدِّينَارُ بَايَعَهُ فَكُلُّ مَنْ سَادَ بِالدِّينَارِ مَشْبُوهُ
 وَمَا الْأَمِيرُ الَّذِي بِالْإِزْثِ يَحْكُمُنَا ، بِالْإِزْثِ قَدْ يَتَوَلَّى الْمُلْكَ مَعْنَاهُ
 وَيَسْتَبِيحُ حُقُوقَ النَّاسِ مُتَّخِذًا أَبْنَاءَهُمْ حَرَسًا ، وَالْبَنِيُّ يَحْدُوهُ
 يَقْضِي وَيَسْلُبُ كَالْقُرْصَانِ عِزَّتِهِمْ كَأَنَّهُمْ لِأَذَاهُ قَدْ أَحْبَوهُ
 وَالْجَائِعُونَ مُشَاةٌ فِي مَوَاطِنِهِ مَشَى الْمُهْرَجُ بِالْأَرْسَانِ شَدُوهُ
 فَدَعَاكَ مِنْ أُمَّةٍ سَكْرَى مُزَقَّةٍ يَقُودُهَا ثَعْلَبٌ ، فِي قَلْبِهَا فَوْهُ
 أَبْنَاؤُهَا يَسْتَدِرُّونَ الْأَكْفَ فَمَنْ يَسِرُّ بِهِمْ نَحْوَ حِصْنِ الْعِزِّ رَدَّوهُ
 فَلَا سَقَى اللَّهُ أَرْضًا يَعْشُونَ بِهَا حَتَّى يُطَهَّرَهَا مِمَّا اسْتَحْلَوْهُ
 عَاشُوا عَيْدًا فَلَوْ صَاحَ الْهَوَانُ بِهِمْ : سِيرُوا إِلَى الذُّلِّ ، سَارُوا وَاسْتَلْذَوْهُ
 فَإِنَّ سَيِّدَهُمْ يَأْتِي وَيُنْقِذُهُمْ ؟ أَلَا يُحْسِ إِذَا النَّاسُ اسْتَفْزَوْهُ ؟

* * *

إِنَّ الْأَمِيرَ فَتَى لَاحَتْ إِمَارَتُهُ فِي وَجْهِهِ السَّمَجُ ، وَالْجُهَاَلُ عَقُوهُ

ما كان أجدره لو قاد أمته قالعلمُ عليه، والإنصافُ يملوه
لكنها أمة غشى الظلام على عقولها، والبصيرُ الحرُّ مشدوه
وسوفَ تمضي الليالي، لا يورقها هوئى المعالي، ولا الإصلاحُ يتلوه

١٩٥٣

المدح الكاذب

وأما لشعبك من أذى عظمائه ! سلبوا موارده بمصِّ ديمائه
وقضوا بتبذير على شهواتهم وبشرَّ تقتير على أبنائه
وأستمرأوا المدح الرخيص ولوحوا بنواهم، مغضين عن إعطائه
سلبوا الأديب نتاجه كضريبة وأستجوبوا المسلوب عن زملائه
والشاعرُ المسكينُ يرقبُ صابراً إنصافهم، ويبتئ من إغيايه
لا تبلغُ أهبةُ الحقيرةُ بينته حتى يفرَّ الفارُّ من أنحائه
ما ضره لو نابذ القوم الألى شادوا ممالكهم على بأسائه ؟
فأحرُّ باع ضميره بعطية كالكلب نال طعامه بعوائيه
والسيفُ لا يخشى سوى القلم الذي آياته فضحت مظالم شائه
نصرَ الحقيقة يوم عزَّ نصيرها وبني سعادة قومهِ بشقائه

١٩٥٣

صُورَةُ رَمْزِيَّةٍ

مَنْ أُولِعُوا بِالصُّورِ الرَّمْزِيَّةِ سَيُذْرِكُونَ النَّمْزَةَ الْخَفِيَّةَ :
 مُحِبُّ فَنَّ ضَيِّعَ الْأَعْوَامَا فِي رَسْمٍ مَا يُحْيِرُ الْأَفْهَامَا
 مَضَى إِلَيْهِ صَاحِبُ الْقَصِيدَةِ وَقَالَ : عِنْدِي صُورَةٌ فَرِيدَةٌ ...
 مُوسَى وَفِرْعَوْنُ وَأَطْمَاعُ الْبَشَرِ تَبْدُو بِرَمْزٍ كَالْكَلَامِ الْمُخْتَصَرِ
 أَجَابَ : حَقًّا إِنَّهَا غَرِيبَةٌ فَمَنْ أَتَى بِهَذِهِ الْعَجِيبَةِ ؟
 وَهَلْ أَرَاهَا يَا صَدِيقِي الْغَالِي مَعْرُوضَةً فِي حَفْلَةٍ أُسْتَقْبَالِي
 يَدْرُسُهَا النُّقَادُ بِاهْتِمَامٍ كَأَنَّهَا أَنْشُودَةُ الْأَحْلَامِ !

* * *

وَكَانَ نِصْفُ الصُّورَةِ الْعَظِيمَةِ عِشْرِينَ خَطًّا شِبْهَ مُسْتَقِيمَةٍ
 وَفَوْقَهَا خَطٌّ كَمَوْجِ الْبَحْرِ وَعَرْضُهَا مِثْرُ بِطُولِ شِبْرِ
 شَاهَدَهَا النُّقَادُ فَأَعْتَلَى الضَّحِكُ وَصَرَخُوا : فَسَّرْ لَنَا مَا تَمْتَلِكُ
 وَأَيْنَ فِرْعَوْنُ؟ أَجَبْتُهُمْ : غَرِقَ وَجَيْشُهُ فِي لُجَّةِ الْبَحْرِ عَلِقَ
 قَالُوا : وَأَيْنَ بَاتَ مُوسَى، يَا عَجَبَ ! أَجَبْتُهُمْ : لَا تَعَجَبُوا فَقَدْ هَرَبَ
 فَهَتَفُوا : عِفْنَا هَوَى الرُّمُوزِ فِي صُورَةٍ كَسَخْنَةِ الْعَجُوزِ
 فَقُلْتُ : إِنَّهَا مِثَالُ النَّاسِ فَقَدْ أَحْبَبُوا فَاسِدَ الْأَسَاسِ

وَكُلُّ إِنْسَانٍ لَّيْسَ بِدَاعٍ لِّلَّغُلَامَةِ
 كَأَنَّهُ حَبْرٌ بِدَا عَلَى وَرَقٍ
 أَوْ قِصَّةٍ خَلَّتْ مِنَ الدَّمَانِ
 لَمَّا تَزَلْ مَهْزَلَةٌ الزَّمَانِ
 وَالنَّاسُ يَهْتَفُونَ فِي الْنَّهَائَةِ
 ابْطَلَيْهَا : الْجَهْلُ وَالْعَمَاةُ

١٩٥٣

الْعِبْرَةُ بِالْعَمَلِ

عَجَزَ الْوَالِدُ ، فَاسْتَدْعَى بَنِيَهُ
 قَالَ لِلْكَبِيرِ : يَا شَبِيلِي النَّبِيَهُ
 فَأَجَابَ : الْغَفْوُ ، فَالصَّحَابُ
 وَكَفَانِي الشُّغْلُ وَالْمَذَابُ
 وَدَعَا الثَّانِي ، فَأَغْضَى مُطْرِقًا
 كَانَ كَذَابًا فَلَمَّا انْطَلَقَا
 وَدَعَا الْأَصْغَرَ ، فَأَغْتَاطَ وَقَالَ :
 كَانَ ذَا فِئْمٍ وَإِخْلَاصٍ فَنَالَ
 فَانْظُرُوا يَا قَوْمُ ! إِنَّ السَّرَّ فِي
 وَكَفَى الْهَمْلَ أَنْ لَا يَشْتَنِي
 وَتَمَنَّى لَوْ أَطَاعُوا أَمْرَهُ
 سِرُّ إِلَى حَقْلِي وَنَظْمُ نَهْرِهِ
 عَيَّدُوا الْيَوْمَ ، فَلَا أُعَابُ
 حِينَ يَحْلُو اللَّاهُ وَالشَّرَابُ
 وَأَجَابَ : الْآنَ أَمْضِي كَمَا لَقِطَارُ
 دَخَلَ النَّادِي لَلْأَلَابِ الْقِمَارُ
 لَسْتُ أَمْضِي ، لَسْتُ أَمْضِي ، وَمَضَى
 كُلُّ خَيْرٍ ، وَعَلَى الْجَهْلِ قَضَى
 عَمَلِ الْمَفْرُوضِ ، وَالْإِهْمَالُ دَاءُ
 مِنْ بُلُوغِ الْقَصْدِ أَوْ دَفْعِ الْبَلَاءِ

١٩٥٣

العاطفة المنقذة

يَنْفَعُ الْمَرْءَ كُلَّ حِينٍ حَنَانُهُ يَا لَعَطْفٍ كَالْفَجْرِ لَاحَ يَبَانُهُ
 فَهُوَ أَبْغَى مِنَ اللَّائِي ضَاءَتْ كَيْفَ لَا يَفْتِنُ الْوَرَى لِمَعَانُهُ ؟
 سَرَدَ الدَّهْرُ قِصَّةً عَنْ عَرُوسٍ خَرَجَتْ مِنْ إَكْلِيلِهَا الْمَيِّمُونَ
 فَرَأَتْ نَعْشًا ضَمَّ جِسْمَ فَتَاةٍ وَأَخُوهَا الْوَحِيدُ كَالْمَجْنُونِ
 مَا تَمُّ الْفَقْرُ سَارًا، وَالْفَقْرُ أَعْمَى لَيْسَ مِنْ وَرْدَةٍ وَلَا مِنْ مُوَاسِي
 وَالْعَرِيسُ (الْنَبِيلُ) يَنْظُرُ شَرْرًا بَيْنَ قَرْعِ الطُّبُولِ وَالْأَجْرَاسِ
 وَإِذَا بِالْعَرُوسِ تَنْزِعُ وَرْدًا كَانَ فِي صَدْرِهَا وَتَذْرِفُ دَمْعَةً
 ثُمَّ أَلْقَتْ بِهِ عَلَى النَّعْشِ تَكْرِيمًا لِمَنْ ضَمَّهَا إِلَى غَيْرِ رَجْعَةٍ
 هَذِهِ عِبْرَةٌ رَأَتْهَا فَرَنْسَا فِي زَمَانِ الْإِقْطَاعِ وَالنُّبْلَاءِ :
 رَزَحَ الشَّعْبُ تَحْتَ كَابُوسِ بُوسٍ، فَأَذَاقَ الْأَسْيَادَ شَرَّ بَلَاءِ
 وَقَضَتْ ثَوْرَةَ التَّحَرُّرِ بِالْحُكْمِ عَلَى الظَّالِمِينَ بِالْإِعْدَامِ
 فَاسْتَفَادَتْ تِلْكَ الْعَرُوسُ وَنَجَّتْ زَوْجَهَا مِنْ بَرَاثِنِ الْحُكْمِ
 أَكْرَمَتْ مَيَّةً، فَأَكْرَمَهَا الشَّعْبُ بِحِفْظِ الْوِدَادِ وَالْإِنْقَادِ
 فَأَرْحَمُوا تَرْحَمُوا، لِأَنَّ حَنَانَ الْمَرْءِ فِي النَّائِبَاتِ خَيْرٌ مَلَاذِ

الطبيب والفقيه

قَصَدَ الْفَلَّاحُ ذَيْبَ دَارِ إِدْرِيسَ الطَّبِيبِ
وَشَكَا آلامَهُ فِي الْعَيْنِ ، بِالْذَّمْعِ السَّكِيبِ
فَادَّعَى إِدْرِيسُ أَنَّ الدَّاءَ مُسْتَعَصٍ خَطِيرُ
وَأَضَافَ : الْأَمْرُ مُنْتَاجٌ إِلَى مَالٍ كَثِيرُ
قَالَ ذَيْبُ : مَا مَعِيَ فِلْسٌ ، فَأَرْجُو الْمَعْدِرَةَ
مَوْزِدِيهِ الْيَوْمِي سَطْلُ مِنْ حَلِيبِ الْبَقَرَةِ
وَأَرْتَضَى إِدْرِيسُ نِصْفَ السَّطْلِ أَجْرًا لِلْعِيَادَةِ
وَأَنْقَضَى شَهْرَانِ وَالْفَلَّاحُ لَمْ يُدْرِكْ مُرَادَهُ
كُلَّ صُبْحٍ ، بَعْدَ لَيْلٍ ، يَسْكُنُ الْجَفْنَ السَّقِيمُ
فَإِذَا جَاءَ الْمَسَاءُ اسْتَقْبَلَ الدَّاءَ الْأَلِيمُ
وَمَضَى إِدْرِيسُ فِي دَعْوَى إِلَى دَارِ الْوَلَايَةِ
فَارْتَأَى تَلْمِيزَهُ « مَبْرُوكٌ » مِنْهَا الرُّوَايَةُ
لَمْ يَكُنْ فِي الْعَيْنِ إِلَّا شَوْكَةً جَدُّ صَغِيرَةٍ
شَفِيَ الْفَلَّاحُ ... (وَالذُّكْتُورُ) لَمْ يَعْلَمْ مَصِيرَهُ

وَأَخِيرًا قَالَ لِلتَّامِيذِ : هَلْ دَاوَيْتَ ذِييَا ؟
تَكَلَّتْ أُمُّكَ يَا مَلْعُونُ ! ضَيَعْنَا الْحَلِييَا ...

هَذِهِ قِصَّةُ مَنْ سَاسُوا أَلُورِي ، وَأَلَسَّرُ بَادِي
زُمَرَةً ، تَسْتَمِرُّ الدُّنْيَا بِتَعَذِّيبِ الْعِبَادِ

١٩٥٣

مَاتَ الْمُتَمَوِّلُ

إذا لم يبذل الأغنياء أموالهم ، لإزالة الفقر والجبل والمرض ،
تضطر البشرية إلى وضع « حدٍّ أدنى للفقر ، وحدٍّ أعلى للثراء » .

وَرِثَ الْجَرُّو سَلِيلُ الشُّحِّ أَكْوَامَ الْعِظَامِ
عَنْ أَبِي عَاتٍ تَوَلَّى جَمْعَهَا مِنْذُ الْفِطَامِ

وَقَضَى الْعُمَرُ وَلَمْ يَأْكُلْ سِوَى التَّرْرِ الْيَسِيرِ
هَكَذَا مَنْ يَجْمَعُ الْأَرْزَاقَ وَالْمَالَ الْكَثِيرَ

وَإِذَا أَفْهَمْتَهُ أَنَّ أَلُورِي بَاتُوا جِيَاغَ
قَالَ : بِالْأَمْوَالِ أَغْدُو صَاحِبَ الْأَمْرِ الْمُطَاغِ

عَاشَ جَبَّارًا ، وَلَمْ يَخْضَعْ لِمَنْ سِوَى الْعِبَادِ
فَكَانَ أَمَالُ رَبِّ نَظْمَ الدُّنْيَا وَسَادَ

وَإِذَا صَوْتُ مُدَوٍّ: أَيُّهَا الْعَبْدُ الْأَتِيمُ!
أَتُرَاهُ أَصْبَحْتَ فِي أَمْنٍ مِنَ الْمَوْتِ الْعَظِيمِ؟

وَأَتَى الْمَوْتُ بِإِنذَارٍ إِلَى ذَاكَ الْجَهْلُولِ
وَعَلَيْهِ خَاتَمُ الرَّسْمِيِّ وَالرَّمْزِ الْمَهْلُولِ

فَدَهَنَتْ رَجْفَةً هَوَّجَاءَ لَمْ تُمِهِلْهُ سَاعَةً
وَمَضَى بِالرُّوحِ إِبْلِيسُ، وَبِالْمَالِ جَمَاعَةٌ

وَمَشَى الْمَوَكِبُ بِالْجُنَّانِ نَحْوَ الْمَقْبَرَةِ
وَكَانَ الْقَوْمَ فِي عِيدٍ كَعِيدِ الْعَنْصَرَةِ

شَيْمُوهُ بِطُقُوسٍ لَمْ يَكُنْ مِنْهَا مَنَاصُ
أَتَرَاهَا مَهَّدَتْ لِابْنِ الْغِنَى دَرْبَ الْخِلَاصِ؟

أَمْ تَرَاهُ يَفْتَحُ تَحْتَ الْأَرْضِ لِلذَّاتِ بَابًا؟
حَيْثُ لَا تَدْفَعُ إِلَّا غِبْطَةَ الرُّوحِ الْعَذَابَا

دُفِنَ الْمُوسِرُ، فَافْتَرَّتْ ثُغُورُ الْبُؤْسَاءِ
وَهُنَا أَذْرَكَ مَنْ سَادُوا الْوَرَى عُقْبَى الثَّرَاءِ

وَأَنْطَوَتْ صَفْحَةٌ مِنْ دَوْنِ فِي سِفْرِ الْوُجُودِ:
كَيْفَ يَهْوَى الْمَرْءُ مَا يَفْنَى، وَلَا يَهْوَى الْخُلُودُ

دارُ البقاء

ظُلُمَةٌ سَادَتْ عَلَى دَارِ الْفَنَاءِ حَجَبَتْ أَسْرَارَهَا لِلْأَبَدِ
وَطَغَى الْمَاءُ عَلَيْهَا كَالرُّدَاءِ حَاسِبًا فِيهَا أَنْيْنَ الْكَمْدِ
ثُمَّ مَدَّتْ فَوْقَهَا أَيْدِيْ أَلْهَوَاءِ كَفَنًا أَمْلَسَ مِثْلَ الْجِلْدِ
وَمَضَتْ تَاهِيَةً بَيْنَ النُّجُومِ
تَنْشُرُ الْأَخْبَارَ عَنْ أَصْلِ الْبَلَاءِ
أَتُرَى الْأَطْمَاعُ فِي الدُّنْيَا تَدُومُ؟
وَحَيَالُ الْمَوْتِ قَدْ عَمَّ الْفَضَاءُ

* * *

تِلْكَ حَالُ الْأَرْضِ فِي يَوْمِ النُّشُورِ صُورٌ زَالَتْ وَلاَحَتْ صُورُ
وَعُجْبَارٌ يَتَعَالَى وَيَشُورُ تَاهَ فِي بُمْدٍ مَدَاهُ النَّظَرُ
وَذُرِّيَّاتٌ مِنَ النُّورِ تَدُورُ شَرُّ حَيٍّ يَلِيهِ شَرُّ
هُوَ أَرْوَاحٌ عَجِيبٌ أَمْرُهَا بِعُيُونِ الْفِكْرِ بَاتَتْ تَبْصُرُ
قُوَّةٌ عَلَيْهَا خَافِ سِرُّهَا تَبَعَتْ الْإِحْسَاسَ إِذْ يَنْدَثِرُ

فَاذْكُرِي يَا نَفْسُ ! إِنَّ حَارَ الْفُؤَادِ
 أَنَّ مَا عَاطَنَتْهُ يَوْمَ الْمَعَادِ
 وَكَفَى مَنْ رَاحَ يَغْوِيهِ الْفَسَادُ
 وَلَمَّا الْفِكْرُ خَلَقَ الْخُلُودَ
 وَالَّذِي خَلَنَاهُ مِنْ وَغَمِ الْجُدُودِ
 كَانَ مِنْ مُبْدِعِهِمْ مِنْهُلَهُ
 بِالَّذِي يَلْقَاهُ مِنْ مُسْتَعَرَبٍ :

* * *

وَهُنَا نُودِي : أَنْتُمْ مُنْشَرُونَ
 وَرَأَيْنَا بُؤْسَاءَ يَمْرَحُونَ
 وَطُغَاءَ مِنْ فَنَاءِهِمْ يَرْتَدُونَ
 وَذَكَّرْنَا الشُّعْرَ وَالْفَنَّ الْجَمِيلَ
 فَإِذَا الْأَزْهَارُ مِنْ شَوْقٍ تَمِيلُ
 فَاسْتَعَدْنَا قَصَصَ الْعُمَرِ الْقَدِيمِ
 دُونَ أَثْوَابِ بِحَنَاتِ النِّعَمِ
 حُلَلًا تُصْنَعُ مِنْ نَارِ الْجَحِيمِ
 وَدُمُوعَ الْعُلَمَاءِ الْبَائِسِينَ
 وَيَفُوحَ الْعِطْرِ بَيْنَ النَّاطِرِينَ

* * *

وَإِذَا صَوْتُ يُدَوِّي مِنْ بَعِيدٍ :
 يَشْتَهِي الْمَرْءُ فَيَلْقَى مَا يُرِيدُ
 هُنَا الْإِبْدَاعُ وَالْفِكْرُ الْجَدِيدُ
 حَيْثُ لَا تَقْتَرِسُ الْغَيْدَ الذَّنَابُ
 حَيْثُ يَلْقَى الْمُشْتَكِي أَخْلَى الثَّوَابُ
 هُنَا ابْنُ الْفَنِّ يَخْتَارُ السَّكْنَ
 وَإِذَا شَاءَ فَلَا يَمُضِي الزَّمَنُ
 حَيْثُ لَا يُشْرَى جَمَالُ بَشَمَنُ
 أَوْ يَعِثُ الْمُعْتَدِي بِالْأَمِينِ
 عِنْدَ رَأَاهُ جَزَاءُ الْعَابِثِينَ

تِلْكَ دَارُ كُلِّ مَا فِيهَا أَنْعِكَاسُ لِلنَّوَايَا وَالْمَلَأَتِي الْمَاضِيَةِ
مِثْلَ مِرْآةٍ بَدَتْ فِيهَا الْفِرَاسُ بَعْدَ أَنْ غَاضَتْ مِيَاهُ السَّاقِيَةِ
وَحِكَايَاتٍ عَلَى غَيْرِ الْقِيَّاسِ لَمْ يُؤَلِّفْهَا خِيَالُ الرَّاوِيَةِ
ضَلَّ فِي تَفْسِيرِهَا أَهْلُ الْفِكْرِ فَأَرْتَأَى تَصْوِيرَهَا أَهْلُ الْفُنُونِ
بِأَغَانٍ وَرُسُومٍ تُبْتَكَّرُ لَمْ تَزَلْ مُجْتَازَةً عَبْرَ الْقُرُونِ

* * *

أَيُّهَا الدَّارُ الَّتِي تُغْرِيمِي الْبَشَرَ بِحَيَاةٍ تُبْرِجُ الْقَلْبَ السَّلِيمَ
أَنْتِ فِي الْحَالَيْنِ أَنْوَارُ الْقَمَرِ لُحْنٌ لِلْسَّارِينَ فِي اللَّيْلِ الْبَهِيمِ
فَأَفْرَحُوا الْآنَ بِآيَاتِ الظَّفَرِ أَيُّهَا الثَّاوُونَ فِي الْهَمِّ الْمُقِيمِ
تِلْكَ دَارُ تَنْطَوِي فِيهَا الْمُصَوِّرُ وَمَلَاذِ يُرْتَجَى فِيهِ الْإِلْقَاءُ
كَمْ عُيُونٍ نَاعِسَاتٍ وَبُدُورُ وَأَمَانٍ سَكَنْتَ دَارَ الْبَقَاءِ

١٩٥٢





زهر الربى

الروصه الثاني

الفلّ والنسر

التخميس والتشجير

فهرس السري



تنظيم :

- (١) في التخميس : الشطران الاخيران الموضوعان بين هلالين « هما الأصل الخمس عليه ،
والثلاثة الأول للؤلف ، فإذا كان الأصل أيضاً للؤلف ، حذفت الهلالان .
- (٢) في التشطير : الشطر الأول من البيت الأول ، والثاني من البيت الثاني ، هما الأصل المشطر
عليه ، وقس على ذلك كل بيتين ، وما بقي فهو للؤلف .
- (٣) في الترييع : الشطران الثالث والرابع من كل بيتين هما الأصل المربع عليه ، وما بقي
فهو للؤلف .

طَوَّينَا رَحَابَ الْأَرْضِ كَيْ نَذْرِكَ الْمُنَى فَقَرَّتْ بِلا دَائِعٍ ، وَهَاجَ بِنَا الضَّنَى
فَرُحْنَا نُغْنِيهَا ، وَقَدْ ضَاقَ ذَرْعُنَا : « أَجَارَتْنَا ! إِنَّا غَرِيبَاتٍ هَهُنَا
وَكُلُّ غَرِيبٍ لِلْغَرِيبِ نَسِيبُ »

وَمَرَّتْ بِنَا شَتَّى اللَّيَالِي كَأَنَّنا عَدُوَّانٍ ، حَتَّى لَمَلَمَ الدَّهْرُ شَمْلَنَا
فِيَا مُنِيَّتِي هِيََا لِنَحْزِمَ أَمْرَنَا « فَإِنْ تَصَلِينَا ، فَالْمَوَدَّةُ يَبْنِيْنَا
وَلِنْ تَهْجُرِينَا ، فَالْغَرِيبُ غَرِيبُ »

١٩٥٣

أَمْيَاسَةَ الْأَعْطَافِ ، أُخْتُ الْعَنَادِلِ ! تَمَالَيْ نَبْتُ الشَّوْقِ بَيْنَ الْخَمَائِلِ
وَلِنْ قُلْتُ : دَعِ مَغْنَايَ ، رَدَّتْ شِمَائِلِي : « أَغْرَكَ مِنِّي أَنْ حُبَّكَ قَاتِلِي
وَأَنَّكَ مَهْمَا تَأْمُرِي الْقَلْبَ يَفْعَلُ » ؟

تَمَالِي ! فَأَيَّامُ التَّصَابِي قَلِيلَةٌ وَأَنْتِ بِمَا يَشْنِي الْعَلِيلَ بِحِيلَةٍ
صَلْبِي بَوَعْدٍ فَالْأَمَانِي جَمِيلَةٌ « فَقَالَتْ : يَمِينُ اللَّهِ مَا لَكَ حِيلَةٌ
وَمَا لِنْ أَرَى عَنْكَ الْغَوَايَةَ تَنْجَلِي »

١٩٥٣

سَلَوَهَا لِمَاذَا بِالتَّبَاعِدِ أَسْرَفَتْ وَلِمَ حَمَلَتْ حِقْدًا عَلَيَّ وَمَا صَفَتْ ؟
 أَلَيْفَةُ دَلَّ حِينَ وَاصَلْتُهَا جَفَتْ « وَلَمَّا رَأَتْنِي فِي التَّنَزَّاعِ تَعَطَّفَتْ
 عَلَيَّ ، وَدُونِي مِنْ تَعَطُّفِهَا شُغْلُ »

تَرَأَى لَهَا الْمَاضِيَ فَأَثْبَتَ أَنَّهَا عَلَى خَطَايَا ، وَالْدَّهْرُ صَحَّحَ ظَنَهَا
 وَلَمَّا تَخَلَّتْ عَنْ خِلَالِ فَتْنَهَا « أَنْتَ وَحِيَاضُ الْمَوْتِ يَبْنِي وَيَنْهَى
 وَجَادَتْ بِوَصْلِ حِينَ لَا يَنْفَعُ الْوَصْلُ »

١٩٥٤

أَحَبُّ صَدِيقٍ مِنْ حَبَاكَ رِعَايَةً وَخَيْرُ أَمِيرٍ مِنْ أَرَاكَ عَدَالَةً
 فَظَلُمْتُ غَرِيبَ الدَّارِ لَيْسَ غَرَابَةً « وَظَلُمْتُ ذَوِي الْقُرْبَى أَشَدَّ مَضَاضَةً
 عَلَى الْمَرْءِ مِنْ وَقْعِ الْحُسَامِ الْمُهَنْدِ »

وَأَعْدَلُ خَلْقِ اللَّهِ مَنْ عَاشَ عَامِلًا فَلَمْ يَعْشَقِ الدُّنْيَا وَلَا رَدَّ سَائِلًا
 فَلَا تَكُ إِنْ سُدَّتِ الْوَرَى مُتَفَانِلًا « سَتُبْدِي لَكَ الْأَيَّامُ مَا كُنْتَ جَاهِلًا
 وَيَأْنِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تَزُودِ »

١٩٥٣

ظَلُومٌ - وَلِيُّ الْحُكْمِ ضَنَّ بِعَدْلِهِ وَأَظْلَمُ - ذُو مَالٍ يَضِنُّ بِبَذْلِهِ
فَمَنْ يَصْنَعُ الْمَعْرُوفَ يَذْكَرُ بِفِعْلِهِ « وَمَنْ يَكُ ذَا فَضْلٍ فَيَبْخُلُ بِفَضْلِهِ
عَلَى قَوْمِهِ، يُسْتَغْفَرَ عَنْهُ وَيُدْمَرُ »

وَإِنَّ الدَّيَّ يَرْجُو دَوَامَ فَلَاحِهِ خَلِيقٌ بِأَنْ لَا يَنْثَنِي عَنْ كِفَاحِهِ
فَمَنْ يَسْتَكِنُ لِلذَّلِّ يَهْلِكُ بِسَاحِهِ « وَمَنْ لَا يَذُّ عَنْ حَوْضِهِ بِسِلَاحِهِ
يُهْدَمُ، وَمَنْ لَا (يَذْفَعُ الظُّلْمَ) يُظْلَمُ »

فَدَعُ عَنْكَ غِرًّا لَيْسَ يَذْرِي طَرِيقَهُ وَصَاحِبَ أَطْمَاعٍ يَخُونُ شَقِيقَهُ
فَمَنْ وَاطَنَ الصَّدِيقَ أَمْسَى رَفِيقَهُ « وَمَنْ يَفْتَرِبُ يَحْسَبُ عَدُوًّا صَدِيقَهُ
وَمَنْ لَا يُكْرِمُ نَفْسَهُ لَا يُكْرَمُ »

١٩٥٣

مُنِيْتُ بِغِرٍّ لَا أَطِيقُ أَحْتِمَالَهُ فَخَوِرَ بِضِيقِ الْعَقْلِ، مُبْدِي دَلَالَهُ
فَمَنْ لِي بِذِي لُبٍّ يُرِينِي أَعْتِدَالَهُ « أَخِي ثِقَةٌ لَا يُتْلَفُ الْخَمْرُ مَالَهُ
وَلَكِنَّهُ قَدْ يَهْلِكُ الْمَالُ نَائِلَهُ »

فَإِنْ كُنْتُ فِي هَمٍّ أَتَانِي مُهْرَوْلًا وَكَمْ يُكْثِرُ الْمَسْئُولُ عَطْفًا، تَدَلَّلَا
وَإِنْ كَانَ فِي ضِيقٍ بَدَأَ مُتَفَضِّلًا « تَرَاهُ، إِذَا مَا جِئْتَهُ، مُتَهَلِّلًا
كَأَنَّكَ تُعْطِيهِ الدَّيَّ أَنْتَ سَائِلُهُ »

١٩٥٣

سَمَا الْبَيَانُ بِنَفْسِي وَأَعْتَلَى الْأَدَبُ وَلَيْسَ لِي بَعْدَ هَذَا الْمُشْتَهَى أَرْبُ
فِيَا أَخَا الْمَجْدِ ! وَالْأَهْوَاءُ تَصْطَخِبُ « لَا يَحْمِلُ الْحِنْدَ مَنْ تَعْلُو بِهِ الرُّتَبُ
وَلَا يَنَالُ الْعُلَى مَنْ طَبَعَهُ الْغَضَبُ »

وَالظَّرْفُ حُلَّةٌ نَوْرٍ أَنْتَ لَابِسُهَا مِثْلُ الْمُرُوجِ الَّتِي تَزْهِي عَرَائِسُهَا
فَلَا دَهَتْكَ مِنَ الدُّنْيَا وَسَاوِسُهَا « إِنَّ الْأَفَاعِي وَإِنْ لَانَتْ مَلَامِسُهَا
عِنْدَ التَّقَلُّبِ ، فِي أَنْيَابِهَا الْعَطَبُ »

١٩٥٣

يَا عَيْلَ لَا تَجْنِي عَلَيَّ وَأَيِّقْنِي بِبَسَائِي ، فَالظُّلُمُ لَيْسَ بِمُتْنِي
وَإِذَا سَمِعْتَ تَخَرُّصَاتِ الْأَلْسُنِ « أَتُنِي عَلَيَّ بِمَا عَلِمْتَ فَلِئَنِّي
سَمَحٌ مُخَالَقَتِي إِذَا لَمْ أَظْلَمْ »

عَرَفَ الْأَبَاءُ الصَّيْدُ أَنِّي عَاقِلٌ وَعَنِ الْكَرَامَةِ مَا ثَنَانِي شَاغِلُ
فَإِذَا رَضِيتُ ، فَإِنَّ عَذْلِي شَامِلٌ « وَإِذَا ظَلَمْتُ ، فَإِنَّ ظُلْمِي بَاسِلُ
مُرٌّ مَذَاقُهُ كَطَعْمِ الْعَلَقَمِ »

١٩٥٣

أَيَا بَعْلَ هَلْ تَسْكُنِي الدَّمُوعُ السَّوَاجِمُ لِمَجْوَ أَذْكَارٍ فِي فُؤَادٍ يَقَاوِمُ ؟
تَبَاعَدْتَ عَنِّي، وَالْأَذَى مُتَلَا حِمُ « فَلَا تَحْسَبِي أَنِّي عَلَى الْبُعْدِ نَادِمُ
وَلَا الْقَلْبُ فِي نَارِ الْغَرَامِ يُعَذِّبُ »

وَمَرَّ زَمَانٌ حَارٌّ فِيهِ مُطَبِّي فَقَالَ : أَبْتَعِدْ عَن حُبِّ خِلٍّ مُعَذِّبِ
أَنَا صَاحِبُ الْقَلْبِ السَّلِيمِ الْمُهَذَّبِ، « هَجَرْتُكَ فَأَمْضِي حَيْثُ شِئْتُ وَجَرِّي
مِنَ النَّاسِ غَيْرِي فَأَلْبِيبُ يُجَرِّبُ »

١٩٥٣

تُرَى هَلْ فَاقَنَا شَادٍ تَغْنَى بِعِزَّتِهِ، وَبَدَعُ الْفَخْرِ مِنَّا ؟
فَنَحْنُ الْخَالِدُونَ بِمَا أَبْنَا « مَلَأْنَا الْبَرَّ حَتَّى ضَاقَ عَنَّا
وَمَاءُ الْبَحْرِ تَمَلَّؤُهُ سَفِينَا »

وَلَيْسَ بِقَوْمِنَا غِرٌّ دَعِيٌّ وَلَا شَرِسٌ وَجَبَّارٌ عَنِيٌّ
يَقُولُ الْعِزُّ : وَهُوَ لَنَا سَمِيٌّ « إِذَا بَلَغَ الْفِطَامَ لَنَا صَبِيٌّ
تَخَرُّ لَهُ الْجَبَّارُ سَاجِدِينَا »

وَنَحْنُ الْعَادِلُونَ إِذَا قَضَيْنَا وَنَحْنُ الْخَافِظُونَ إِذَا رَعَيْنَا
وَنَحْنُ الصَّادِقُونَ إِذَا أَدْعَيْنَا « أَلَا لَا يَجْهَلُنَّ أَحَدٌ عَلَيْنَا
فَنَجْهَلَ فَوْقَ جَاهِلِ الْجَاهِلِينَا »

١٩٥٣

يَرِنُ بِآفَاقِ الْحَيَاةِ قَصِيدُنَا وَيَحْيَا عَلَى رَغْمِ الْفَنَاءِ شَهِيدُنَا
وَمَنْ حَسِبَتْ أَنَّ الْجِهَادَ يَكِيدُنَا : « تَعَيَّرْنَا أَنَا قَلِيلٌ عَدِيدُنَا
فَقُلْتُ لَهَا : إِنَّ الْكِرَامَ قَلِيلٌ »

وَقَدْ عَرَفَتْ كُلُّ الْبَرِيَّةِ فَضْلَنَا وَأَيَّدَ عُشَّاقُ الْمَكَارِمِ عَدْلَنَا
فَمَا عَدَلَ الشَّعْبُ الْكَثِيرُ أَقْلَنَا « وَمَا قَلَّ مَنْ كَانَتْ بَقَايَاهُ مِثْلَنَا
شَبَابُ تَسَامَى لِلْعُلَى وَكُهُولُ »

١٩٥٣

دُنْيَاكَ لَا تَرْجِعُ عَنْ دَهْلَا وَتُرْغِمُ الْمَرْءَ عَلَى وَصْلِهَا
إِيَّاكَ يَا ذَا الْعَقْلِ مِنْ عَذْلِهَا « مَقَالَةُ السُّوءِ إِلَى أَهْلِهَا
أَسْرَعُ مِنْ مُنْحَدِرِ سَائِلِ »

وَيُعْرِفُ الْعَاقِلُ مِنْ عَصَمِهِ لِسَانَهُ ، وَالْعَدْلُ فِي حُكْمِهِ
يَسْتَوْجِبُ الْمَدِيحَ مِنْ خَصَمِهِ « وَمَنْ دَمَا النَّاسَ إِلَى ذِمِّهِ
ذَمُّهُ بِالْحَقِّ وَبِالْبَاطِلِ »

١٩٥٣

تَحَيَّلْتُ أَنَّ الشَّعْرَ فِي الْحُبِّ شَافِي وَأَنَّ الْغِنَى بِالرُّوحِ لَا بِالْمَطَامِعِ
فَأَذْرَكْتُ أَنَّ الْوَهْمَ كَانَ مُخَادِعِي « وَلَمَّا رَأَيْتُ الْوَدَّ لَيْسَ بِنَافِعِي
عَمَدْتُ إِلَى الْأَمْرِ الَّذِي كَانَ أَحْزَمًا »

وَحَطَمْتُ أَغْلَالَ الْغَرَامِ بِشِدَّةٍ كَأَنَّ مَلَكَ اللَّهِ جَاءَ بِقُوَّةٍ
وَأَقْعَدَنِي مِنْ مِيتَةٍ مَعْنَوِيَّةٍ « فَلَسْتُ بِمُبْتَاعِ الْحَبَاةِ بِذِلَّةٍ
وَلَا مُرْتَقٍ مِنْ خَشْيَةِ الْمَوْتِ سُلْمًا »

١٩٥٣

تَجَاوَزَ عَنِ الْأَسْوَاءِ فَالْحَرْبُ عِلَّةٌ وَمَنْ لَمْ يُسَيِّئُوا لِلْمُسَالِمِ قِلَّةٌ
فَيَا صَاحِبِي ! وَالْمُشْكِلَاتُ مُمِلَّةٌ « إِذَا مَا أَتَتْ مِنْ صَاحِبٍ لَكَ زَلَّةٌ
فَكُنْ أَنْتَ مُحْتَالًا لَزَلَّتِهِ عُدْرًا »

وَكُنْ دَاعِيًا فِي كُلِّ صُقْعٍ وَمِلَّةٍ إِلَى الصَّنَجِ، فَالْغُرَانُ أَفْضَلُ خِلَّةٍ
وَعِشْ لَابِسًا كَمَا لَزَّهَرٍ أَجْمَلُ خِلَّةٍ « غِنَى النَّفْسِ مَا يَكْفِيكَ مِنْ سَدِّ خِلَّةٍ
فَإِنْ زَادَ شَيْئًا عَادَ ذَلِكَ الْغِنَى فَقْرًا »

١٩٥٣

يُدَافِعُ عَنْ عِرْضِ الْفَتَى حُسْنُ فِعَالِهِ وَيُخْبِرُ شَرَّ الْمَرْءِ عَنْ سُوءِ أَصْلِهِ
فَدَعَا عَنْكَ غِرًّا قَالَ مِنْ فَرَطٍ جَهْلِهِ : « إِذَا الْمَرْءُ أَوْلَاكَ الْهُوَ أَنْ فَأُولِهِ
هُوَ أَنْ ، وَإِنْ كَانَتْ قَرِيبًا أَوَاصِرُهُ »

فَذُو الْفَضْلِ شَهْمٌ صَفْحُهُ لَنْ يَشِينَهُ وَذُو الْبَغْيِ نَذْلُ شَرِّهِ لَنْ يَرِينَهُ
أَهْنُهُ بِغَضِّ الطَّرْفِ تَسْمَعُ أَيْنَهُ « فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَقْدِرْ عَلَى أَنْ تُهَيِّمَهُ
فَذَرُهُ إِلَى الْيَوْمِ الَّذِي أَنْتَ قَادِرُهُ »

١٩٥٣

لَا تَتَّبِعِ اللَّذَاتِ حَيْثُ وَجَدْتَهَا إِنْ تُرْخِ لِلنَّفْسِ الْعِينَ فَقَدْتَهَا
فَالنَّفْسُ لَا تَهْوَى إِذَا عَوَّدْتَهَا « وَالنَّفْسُ رَاغِبَةٌ إِذَا رَغَّبْتَهَا
وَإِذَا تُرِدُّ إِلَى قَلِيلٍ تَقْنَعُ »

وَالْمَالُ إِنْ سَلَبَ النُّفُوسَ وَقَارَهَا مَا رَدَّ عَنْ - أُمَّ الْمَسَاوِي - عَارَهَا
حَجَبَتْ تَمَائِمُ حُسْنِهَا أَسْرَارَهَا « وَإِذَا الْمُنِيَّةُ أَنْشَبَتْ أَظْفَارَهَا
أَلْفَيْتَ كُلَّ تَمِيمَةٍ لَا تَنْفَعُ »

١٩٥٣

تُعَذِّبُ قَلْبِي غَادَةً ذَاتُ صَوْلَةٍ وَتَحْسَبُنِي فِي الْحُبِّ صَاحِبَ دَوْلَةٍ
وَقَدْ أَمَرْتَ مِنِّي الْفُؤَادَ بِجَوْلَةٍ « فَيَا حُبَّهَا زِدْنِي جَوَى كُلِّ لَيْلَةٍ
وَيَا سَلَوَةَ الْأَحْزَانِ مَوْعِدِكَ الْحَشْرُ »

سَأَرْضِي بِحُكْمِ الْحُبِّ فَالْحِظْ سَنَّهُ وَأَنْشَقُ رِيَاءَهُ وَأُنْشِدُ لَحْنَهُ
وَأَنْتِ تُغَذِّينَ الْفُؤَادَ وَفَنَّهُ « فَإِنْ يَنْقَطِعْ مِنْكَ الرَّجَاءُ فَإِنَّهُ
سَيَبْقَى عَلَيْكَ الْحُزْنُ مَا بَقِيَ الدَّهْرُ »

١٩٥٢

وَحُورِيَّةٍ عِنْدَ الْأَصِيلِ عَرَفْتُهَا فَمَا رَاعَنِي إِلَّا أَسَاهَا وَصَمْتُهَا
ذَوَى عَوْدُهَا، لَكِنِّي مَذَّ رَعِيَّتُهَا « تَكَادُ يَدِي تَنْدِي إِذَا مَا لَمَسْتُهَا
وَيَنْبُتُ فِي أُعْطَافِهَا الْوَرَقُ الْخَضِرُ »

وَكَمْ فَتَنَتْ رُوحِي بِرَوْعَةِ لَوْنِهَا فَهَلْ لَوْنَتْ فَنِّي الْجَمِيلَ بِفَنِّهَا؟
أَرَى الْقَلْبَ تَسْتَهْوِيهِ غَمَزَةُ عَيْنِهَا وَيُشْمِرُ زَهْرُ الْفِكْرِ مِنْ نَوْرِ حُسْنِهَا
فَمِنْهَا غِنَاءُ الرُّوحِ وَالْفَنُّ وَالشَّعْرُ

١٩٥٢

ملاحظة : البيت الثاني المؤلف ، ولذلك لم يوضع بين « - » .

تَقَرَّبْتُ عَنْ أَهْلِي لِأَنْشُرَ مَذْهَبِي وَمَنْ يَطْلُبُ الْإِصْلَاحَ يُنْبَذُ وَيَتَّعَبُ
وَلَسْتُ بِمُهْتَمٍّ لِمَنْ يَمْكُرُونَ بِي « وَإِنَّ الَّذِي يَنْبِي وَبَيْنَ بَنِي أَبِي
وَبَيْنَ بَنِي عَمِّي لَمْخْتَلِفٌ جِدَا »

دَفَعْتُ، مِنْ الْإِشْفَاقِ، عَنْهُمْ هُمُومَهُمْ فَهَبُّوا إِلَى حَرْبِي وَبَثُّوا سُمُومَهُمْ
أَنَا مَنْ تَوَلَّى بِالْعِلَاجِ كُلُّهُمْ « فَإِنْ أَكَلُوا الْحَمِي وَفَرَّتْ لِحُومُهُمْ
وَإِنْ هَدَمُوا مَجْدِي بَنَيْتُ لَهُمْ مَجْدَا »

وَعُدْتُ، وَقَدْ نِلْتُ الْعِلَاءَ، إِلَيْهِمْ فَقَالُوا: أَيْشْرَى مَجْدُهُ بِدُرِّيهِمْ؟
أَرُومٌ لَهُمْ عُذْرًا، فَقَلْبِي لَدَيْهِمْ « وَلَا أَجْمَلُ الْحَقْدَ الْقَدِيمَ عَلَيْهِمْ
وَلَيْسَ رَأْسُ الْقَوْمِ مَنْ يَحْمِلُ الْحَقْدَا »



قَدِيمُ الْهُوَى مِثْلُ الْجَدِيدِ فَإِنْ بَدَأَ أَهَابَ بِأَسْبَابِ الْهَيَامِ وَجَدَّداً
وَكَمْ عَاشِقٍ مِثْلِي تَمَادَى فَأَنْشَدَا : « يَقُولُ الْعِدَى لَا بَارَكَ اللَّهُ فِي الْعِدَى :
لَقَدْ تَابَ عَنْ لَيْلَى وَرَتَّتْ وَسَلِيلُهُ »

دَهَاهُ أَذَى مَنْ لَامَهُ ، فَتَمَلَّصَا وَكَذَّبَ مَنْ فِي ذَمِّ لَيْلَى تَخَرَّصَا
وَأَمْسَى عَلَى صَوْنِ الْمَوَدَّةِ آخِرَصَا « وَلَوْ أَصْبَحَتْ لَيْلَى تَدِبُّ عَلَى الْعَصَا
لَكَانَ هَوَى لَيْلَى جَدِيداً أَوَائِلُهُ »

١٩٥٣

عُرِفْنَا أَيَا لَيْلَى بِرَوْعَةِ حُبِّنَا وَحُسْنِ أَغَانِينَا وَإِرْنَانِ صَوْتِنَا
فَفَرَّقْنَا الْجَهْلُ الْمَلِئُ بِقَوْمِنَا « وَلَوْ تَلْتَقَى أَصْدَاؤُنَا بَعْدَ مَوْتِنَا
وَمِنْ دُونِ رَمْسَيْنَا مِنَ الْأَرْضِ سَبَسَبُ »

لَسَنَتْ لِأَهْلِ الصَّدَقِ فِي الْحُبِّ شِرْعَةً ، وَشَادَتْ لَهُمْ فِي عَالَمِ الْفِكْرِ قُبَّةً
وَلَوْ أَنَّنِي أَقْضِي غَرَامًا وَلَوْعَةً « لَظَلَّ صَدَى صَوْتِي وَإِنْ كُنْتُ رِمَّةً
لِصَوْتِ صَدَى لَيْلَى يَهْشُ وَيَطْرَبُ »

١٩٥٣

عَرَفْتُ مِنْ الْمَآسِي كُلِّ فَنٍّ : فِرَاقَ أَحِبَّتِي وَجَوَى التَّمَنِّي
فَتَبْتُ عَنْ الْهَوَى وَكَمَرْتُ دَنِي « أَلَسْتُ وَعَدْتَنِي يَا قَلْبُ أَنِي
إِذَا مَا تَبْتُ عَنْ لَيْلِي تَتُوبُ » ؟

وَبِتُّ أَسَامِيرُ الْأَخْلَامَ لَيْلًا وَبَدَرُ أَلَمٍ قَدْ نَسِيتُ (مُسْهِلًا)
فِيَا قَلْبِي أَتَيْدُ ، وَكُفَيْتَ وَيْلًا « فَهَا أَنَا تَائِبٌ عَنْ حُبِّ لَيْلِي
فَمَا لَكَ كُلَّمَا ذُكِرْتُ تَذُوبُ » ؟

١٩٥٢

وَهِيَ جِلْدِي وَقَلْبِي الصَّلْدُ فُتًا وَنَفْسِي أَوْجَسَتْ مِمَّا تَأْتِي
بَلَايَا الْحُبِّ وَالْأَشْوَاقِ شَتَّى « وَلَيْلِي مَا كَفَاها الْهَجْرُ حَتَّى
أَبَاحَتْ فِي الْهَوَى عَقْلِي وَدِينِي »

دُمُوعِي مِنْ لَظَى الْهَجْرَانِ سَالَتْ كَمَا الْوَرْدِ ذَرَاتٍ تَتَالَتْ
وَلَيْلِي فِي عَذَابِي قَدْ أَطَالَتُ « فَقُلْتُ لَهَا أَرْحَمِي ضَعْفِي فَقَالَتْ :
وَهَلْ فِي الْحُبِّ يَا أُمِّي أَرْحَمِينِي » ؟

١٩٥٢

بَلِيَّةُ الْمَرْءِ فِي شَرْعِ الْهَوَى النَّظَرُ فَلَا تُعَذِّبُ مُحِبًّا أَثَمًا الْقَمَرُ !
نَحْنُ الضَّحَايَا، وَفِي تَارِيخِنَا عِبْرٌ : « إِنَّ الْعُيُونَ الَّتِي فِي طَرْفِهَا حَوَرٌ
قَتَلْنَا ثُمَّ لَمْ يُحْيَيْنَا قَتَلْنَا »

وَكَمْ شَكَادُوا الْهَوَى الْحَاطَّ صَاحِبِهِ لَكِنَّ قَاضِيَهُ أَغْنَى عَنْ مَطَالِبِهِ
وَخَطٌّ : كَمْ أَغْنَى فِي يَنْتِ كَاتِبِهِ « يَصْرَعَنَّ ذَا الْأَلْبِ حَتَّى لَا حَرَكَاتَ بِهِ
وَهُنَّ أَضْعَفُ خَلْقِ اللَّهِ إِنْسَانًا »

١٩٥٣

مَهَاءُ شَاهَدَتْ جَنَاتِ مِيٍّ وَقَدْ أَمْسَتْ قِفَارًا بَعْدَ رِيٍّ
فَقَالَتْ : بَدَلَتْ رَشْدًا بَغِيٍّ « سَبِيلُ الْمَوْتِ غَايَةٌ كُلُّ حَيٍّ
وَدَاعِيهِ — لِأَهْلِ الْأَرْضِ دَاعٍ »

فَإِنْ ضَحِكَ الْمُنَاطِرُ مِنْ مَهَاءٍ تَرَى الْجَنَاتِ أَسْوَأَ مِنْ فَلَاحٍ
فَبَعْضُ الْعَيْشِ شَرٌّ مِنْ وَفَاةٍ « وَمَا لِلْمَرْءِ خَيْرٌ فِي حَيَاةٍ
إِذَا مَا عُودٌ مِنْ سَقَطِ الْمَتَاعِ »

١٩٥٣

مُثِيرَةٌ وَجَدِي ! أَنْصِنِي إِنْ ذَكَرْتَنِي فَلَمْ مِثْلَ غَيْرِي، بَلْ أَقْلَ حَسِبْتَنِي ؟
 سَمَوْتُ وَلَمْ أَعْلَمْ لِمَاذَا نَكَرْتَنِي ؟ « أَيْنِي ! أَفِي يُمْنَى يَدَيْكَ جَعَلْتَنِي
 فَأَفْرَحَ ، أَمْ صَيَّرْتَنِي فِي شِمَالِكَ ؟ »

سَمَوْتُ بِأَخْلَاقِ بَنَاتِ كَرَامَةٍ وَفَنِّ سَرَى كَأَلْبَذْرِ حُفٍّ بِهَالَةٍ
 وَلَسْتُ بِشَاكِ مَا أَرَى مِنْ جَهَالَةٍ : « لَيْتَنِي سَاءَنِي أَنْ نِلْتَنِي بِمَسَاءَةٍ
 فَقَدْ سَرَّنِي أَنِّي خَطَرْتُ بِبَالِكَ »

١٩٥٢

دَهَانِي أَلْهَوِي كَأَلِّصٍ حَاوِلٍ وَأَنْشَنِي فَمَا فُزْتُ بِالسَّلَوِي وَلَا أَدْرَكَ الْمُنِي
 وَلَكِنَّهُ أَذْلَى فُؤَادِي، وَدَوَّنَا : « لَقَدْ زَعَمُوا أَنَّ الْمُحِبَّ إِذَا دَنَا
 يَمَلُّ ، وَأَنَّ الْبُعْدَ يَشْفِي مِنَ الْوَجْدِ »

وَرَدَّدْتُ هَذَا الْبَيْتَ حَتَّى تَكُونَا مَلَالٌ بِنَفْسِي، وَالْغَرَامُ تَلَوْنَا
 فَقُلْتُ : ابْتَعِدْ يَا قَلْبُ عَنْهَا فَأَعْلَنَا : « بِكُلِّ تَدَاوِينَا فَلَمْ يُشْفَ مَا بَنَا
 عَلَى أَنْ قُرْبَ الدَّارِ خَيْرٌ مِنَ الْبُعْدِ »

١٩٥٢

عَلَّمَ سِوَاكَ الصَّدَقَ تَكْسِبُ أَجْرَهُ فَالْحَقُّ يَفْضَحُ مَنْ يُمَثِّلُ دَوْرَهُ
وَلَقَدْ يُقَالُ لِمَنْ يُعَظَّمُ قَدْرُهُ : « يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْمُعَلِّمُ غَيْرُهُ
هَلَّا لِنَفْسِكَ كَانَ ذَا التَّعْلِيمِ »

يَهْوَى الْأَنَامُ مِنَ الْمُهَذَّبِ عَدْلَهُ فَاتَّبِعْ، هُدَيْتَ، هُدَاهُ وَأَفْعَلْ فِعْلَهُ
وَإِذَا عَثَرْتَ عَلَى الْمُثَلِّلِ قُلْ لَهُ : « لَا تَنَّهُ عَنِ خُلُقٍ وَتَأْتِي مِثْلَهُ
عَارٌ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمٌ »

١٩٥٣

مُنَاضِلٌ مِنْ مَنَارِ الْفِكْرِ حُجَّتُهُ وَكَلَمًا هِجَّتُهُ رَاعَتْكَ قُوَّتُهُ
كَأَنَّمَا عَلِمَهُ الْفَيَاضُ خَمَرَتُهُ « يَسْقِي وَيَشْرَبُ لَا تُلْهِيهِ سَكْرَتُهُ
عَنِ النَّدِيمِ وَلَا يَلْهُو عَنِ الْكَلَسِ »

يَظَلُّ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى أَخَا شَفَفٍ، كَالْعَطْرِ بِالزَّهْرِ أَوْ كَالذَّرِّ بِالصَّدَفِ
فَإِنْ عَصَاهُ الْهَوَى كَالْحَاكِمِ الْخَرَفِ، « أَطَاعَهُ سُكْرُهُ حَتَّى تَحْكُمَ فِي
عَقْلِ الصُّحَاةِ، وَهَذَا أَخْكُمُ النَّاسِ »

١٩٥٣

يَا أَصْدِقَائِي أَلَيْلَى أَمَلْتُ نُصْرَتَهُمْ فِي حُبِّ مِيٍّ، فَكَانَتْ مِيٌّ مَحْتَتَهُمْ
أَشْكُوا سَاءَ أَضَاعَ الْحُبُّ ذِمَّتَهُمْ « أَشْكُو الَّذِينَ أَذَاقُونِي مَحَبَّتَهُمْ
حَتَّى إِذَا أُيْقِظُونِي لِلْهَوَى رَقَدُوا »

إِنِّي دَفَنْتُ الْهَوَى مَذْلاَحَ مَكْرُهُمْ وَأَسْتُ أَرْضِي بِمَلِكِ الْأَرْضِ يَنْتَهُمْ
كَرَامَتِي فَوْقَ أَهْوَائِي فَقُلْ لَهُمْ: « لَا رَحْلَنَّا عَنِ الدُّنْيَا وَحُبِّهِمْ
بَيْنَ الْجَوَانِحِ لَمْ يَشْعُرْ بِهِ أَحَدٌ »

١٩٥٢

أَمَانِيكَ فِي الدُّنْيَا عَلَانِيٌ تَارِكٌ فَلَا تَكُ فِي ظِلِّ الضَّلَالِ بِسَالِكِ
فَا أَنْتَ فِي دَارِ الْفَنَاءِ بِمَالِكِ « أَلَا كُلُّ حَيٍّ هَالِكٌ وَأَبْنُ هَالِكِ
وَذُو نَسَبٍ فِي أَلْهَالِكِينَ عَرِيقٌ »

وَلَا تَتَمَلَّمَنَّ مِنْ حَيَاةٍ تَشْرَفَتْ، بِآلَانِكَ الْحُسْنَى، وَبِالْصَدِّ أَنْشَرَفَتْ
فَكَمْ قَطَمَتْ دُنْيَاكَ عَهْدًا وَأَخْلَفَتْ، « إِذَا أُمْتَحَنَ الدُّنْيَا لَيْبٌ تَكْشَفَتْ
لَهُ عَنْ عَدُوٍّ فِي ثِيَابِ صَدِيقٍ »

١٩٥٢

أَخَا الظُّلْمِ ! قُلْ لِلنَّاسِ كَيْفَ وَجَدْتَنِي، وَهَلْ كَانَ عَدْلًا مِنْكَ أَنْتَ عِيبَتِي ؟
 إِذَا أَنْتَ لَمْ تَحْفَظْ جَمِيلِي وَخُنْتَنِي « سَتَقَطُّعُ فِي الدُّنْيَا إِذَا مَا قَطَعْتَنِي
 يَمِينَكَ ، فَأَنْظُرْ أَيَّ كَفٍّ تَبَدَّلُ » !

أَلَسْتُ قَتَيْتُ بِالْمَكْرُمَاتِ عَرَفْتَهُ ؟ فَأَنْصِفْ ، لِأَنَّ الْحَقَّ يَكْرَهُ كِبَتَهُ
 وَلَا تَغْمِطِ الْمَعْرُوفَ أَتَى ثَقَفْتَهُ « إِذَا أَنْتَ لَمْ تُنْصِفْ أَخَاكَ وَجَدْتَهُ
 عَلَى طَرَفِ الْهَجْرَانِ إِنْ كَانَ يَعْقِلُ »
 ١٩٥٢

لَا تَعْدُلُوهُ فَإِنِّي أَكْرَمْتُهُ فَتَمَرَّدَتْ أَهْوَاؤُهُ ، وَخَسِرْتُهُ
 ذَنْبِي مَحَبَّتُهُ ، فَلَوْ أَبْغَضْتُهُ « مَنْ لِي بِإِنْسَانٍ إِذَا أَغْضَبْتُهُ
 وَسَخِطْتُ كَانَ الْحِلْمُ رَدًّا جَوَابِهِ ؟ »

فَأَصْبِرْ عَلَى الْأَيَّامِ ، كَمَا الْمَجْبُوبُ إِنْ أَبْدَى الْجَفَاءَ ، وَلَا تَتَيْنَّ وَلَا تَهِنِ
 مَنْ لِي بِذِي وَدٍّ إِذَا اضْطَحَبَ أَوْ تَمَنَّى « وَإِذَا طَرَبْتُ إِلَى الْمُدَامِ شَرِبْتُ مِنْ
 أَخْلَاقِهِ وَسَكِرْتُ مِنْ آدَابِهِ »

وَإِذَا شَكَوْتُ ضَنْيَ أَجَابَ بِدَمْعِهِ أَوْ أَظْلَمْتُ دُنْيَايَ جَاءَ بِشَمْعِهِ
 يَفْتَرُّ كَالْمَالِ الثَّمِينِ بِلَمْعِهِ « وَتَرَاهُ يُصْنَعِي لِلْحَدِيثِ بِسَمْعِهِ
 وَبِقَلْبِهِ ، وَلَعَلَّهُ أَذْرَأُ بِهِ »
 ١٩٥٢

دَمَانِي هَوَى الْأَطْمَاعِ حَتَّى صَرَفْتُهُ وَأَعْمَسُ مَا أُنْسَى حَيْنٌ عَرَفْتُهُ
كَأَنِّي، وَقَدْ ضَيَّعْتُ حُبِّي وَعِفَّتُهُ، « تَعَوَّذْتُ مَسَّ الضَّرِّ حَتَّى أَلْفَتُهُ
وَأَخَوَجَنِي طَوْلُ الْعَزَاءِ إِلَى الصَّبْرِ »

وَلَمْ أَرَ كَالْمَعْرُوفِ فِي النَّاسِ بَاقِيَا وَلَسَكِنِّي لَمْ أَلْقَ إِلَّا تَعَامِيَا
فَعَزَيْتُ فُؤَادِي أَنْ يَذُوبَ تَسَامِيَا « وَصَيَّرَنِي يَأْسِي مِنَ النَّاسِ رَاجِيَا
لِسُرْعَةِ لُطْفِ اللَّهِ مِنْ حَيْثُ لَا أَذْرِي »

١٩٥٣

طَلَبْتُ مِنَ الْوَرْدِ الْمُسْتَنْعِ شِمَّةً فَلَا تَتَطَلَّبُ بَعْدَ ذَلِكَ أَرْمَهُ
فَمَنْ يَدْرِغُ بِالزُّهْدِ يَسْتَرْضِ خَصْمَهُ « وَمَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا هَوَاهُ وَهْمَهُ
سَبَبَتُهُ الْمُنَى وَأَسْتَعْبَدَتْهُ الْمَطَامِعُ »

وَقَدْ يَشْتَهِي الْإِنْسَانُ مَا فِيهِ حَتْفُهُ فَأَيْسُرُ حَيْفٍ مَا أَصَابَكَ نِصْفُهُ
وَأُنْزِلُ: رَبُّ لُطْفًا بِي، فَيَهْدِيكَ لُطْفُهُ « لِكُلِّ أَمْرٍ رَأْيَانٍ: رَأْيِي يَكْفُهُ
عَنِ الشَّيْءِ، أَحْيَانًا، وَرَأْيِي يُنَازِعُ »

١٩٥٣

يا عاشقَ الرُّوحِ اسْتَبَدَّ بِكَ الْجَوَى، وَالْحُبُّ سُلْطَانٌ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى
تَهْوَى الْخُلُودَ فَإِنْ وَهَتْ مِنْكَ الْقُوَى « تَقَلُّ فُؤَادَكَ حَيْثُ شِئْتَ مِنْ الْهَوَى
مَا الْحُبُّ إِلَّا لِلْحَبِيبِ الْأَوَّلِ »

يَذْوِي هَوَى الدُّنْيَا، فَلَا تَسْأَلْ مَتَى وَالْأَرْضُ تَطْوِي مَنْ أَطَاعَ وَمَنْ عَتَا
إِنَّ الَّذِي يَأْتِي يَزُولُ كَمَا أَتَى « كَمْ مَنْزِلٍ فِي الْأَرْضِ يَأْلَفُهُ الْفَتَى
وَحَيْنُهُ أَبَدًا لِأَوَّلِ مَنْزِلٍ »

١٩٥٢

إِنْ عَقَّ شَارِبُ كَأْسِ الْحُبِّ سَاقِيَهُ، وَلَمْ يَلْبِ دَعِيَّ الْوُدِّ دَاعِيَهُ
فَدَعِ مُرَاعَاةَ مَنْ لَمْ يَزَعْ مَاضِيَهُ « أَوْلَى الْبَرِيَّةِ طُرًّا أَنْ تُرَاعِيَهُ
عِنْدَ الشُّرُورِ الَّذِي رَاعَاكَ فِي الْحَزَنِ »

وَأَهْجُرْ لِأَمَّا إِذَا أَحْبَبْتَهُمْ مَكْرُوا وَإِنْ أَتَيْتَ بِآيَاتِ النُّهَى سَخِرُوا
وَأَذْكُرْ كِرَامًا إِذَا أَكْرَمْتَهُمْ شَكْرُوا « إِنَّ الْكِرَامَ إِذَا مَا أَيْسَرُوا ذَكَّرُوا
مَنْ كَانَ يَأْلَفُهُمْ فِي الْمَسْكَنِ الْخَشَنِ »

١٩٥٢

مُحِبُّكَ يَشْكُو وَجَدَهُ كُلَّ سَاعَةٍ بِنَظْمٍ أَنَا شَيْدٍ وَعَزَفٍ رَبَابَةٍ
وَيَطْوِي أَلْيَالِي شَادِيًا بِوَدَاعَةٍ : « أَعِيذُكَ أَنْ تُنَمِّنِي بِشَكْوَى صَبَابَةٍ
وَإِنْ أَكْسَبْتَنَا مِنْكَ عَطْفًا عَلَى الصَّبِّ »

فَوَادِي أُنْكَتُوا يَا مَيِّ مِنْ لَوْعَةِ الْهَوَى، وَذَابَ كَشَمْعُ الْعَابِدِينَ وَمَا أَرْعَوَى
فَيُسْعِدُنِي أَنْ تَجْهَلِي - ذَابَ وَأُنْكَتُوا - « وَيَحْزُنُنِي أَنْ تُعْرِفِي الْحُبَّ بِالْجَوَى
وَلَوْ تَفَقَّدْنَا مِنْكَ مَعْرِفَةَ الْحُبِّ »

١٩٥٢

سَلَوْنَا وَعُدْنَا، وَالصَّبَابَةُ شَدَّهَا وَثَاقُ جَدِيدٍ، وَالصَّدُودُ أَسْتَرَدَّهَا
لَقَدْ بَلَغَتْ الْعُوبَةُ الْحُبَّ حَدَّهَا « إِذَا قُلْتُ قَضَيْتُ الصَّبَابَةَ رَدَّهَا
خِيَالٌ مُلِمٌّ مِنْ حَيْبٍ مُجَانِبٍ »

أَتَانِي وَقَدْ عَلَلْتُ نَفْسِي بِقُرْبِهِمْ وَقَالَ : أَنَا نَفْسٌ، إِنَّ قَلْبِي كَقَلْبِهِمْ
فَوَاعْجَبِي ! هَلْ دَرَبُهُ عَكْسُ دَرَبِهِمْ ؟ « يَجُودُ، وَقَدْ ضَنَّ الْأُلَى شَنَفِي بِهِمْ
وَيَدْنُو، وَقَدْ شَطَّتْ دِيَارُ الْجَنَابِ »

١٩٥٣

مَضَى عَهْدُ التَّدَلُّهِ وَالتَّصَابِي مَضَى السُّكْرِ مِنْ بَعْدِ الشَّرَابِ
فَمَا خُفُوقِ قَلْبِي مِنْ إِيَابِ « أَعَاذِلْ! قَدْ كَبِرْتُ عَنْ الْعِتَابِ
وَقَدْ ضَحِكَ الْمَشِيبُ مِنْ أُنْشَابِ »

كَأَنِّي رَوْضَةٌ لَمْ تَعْرِتْ كَسَاهَا الثَّلْجُ حُلَّتْهُ فَسَرَتْ
وَلَمَّا، حُرْقَةُ الْأَهْوَاءِ، مَرَّتْ « رَدَدْتُ إِلَى التُّقَى نَفْسِي فَفَرَّتْ
كَمَا رَدَّ الْحُسَامُ إِلَى الْقِرَابِ »

١٩٥٣

لَا تَكْتَرِثْ لِمَالِي مُتَشَدِّقٍ فَأَفْعَلْ أَصْدَقُ مِنْ خَطِيبٍ مُفْلِقٍ
وَأَحْذَرُ صَدَاقَةٍ مُغْرِضٍ وَمُفَلِّقٍ « لَا خَيْرَ فِي وَدِّ أَمْرِي مُتَمَلِّقٍ
حُلُوِ اللِّسَانِ وَقَلْبُهُ يَتَلَهَّبُ »

وَأَشَدُّ مُؤْذٍ مَنْ يَصُوغُ مَقَالََةً فِي وَصْفِ مَا تُسَدِّي لِيَبْلُغَ غَايَةً
فَإِذَا تَعَذَّرَ أَنْ يَنَالَ عُلاَةَ « يُعْطِيكَ مِنْ طَرَفِ اللِّسَانِ حَلَاوَةً
وَيَرْوِغُ مِنْكَ كَمَا يَرْوِغُ الثَّلَبُ »

١٩٥٣

رَمَتْنِي بِسَهْمِ الْحُبِّ عَيْنُ قَرِيرَةٍ يَدِي عَنْ مَآتِيهَا الْحِسَانِ قَصِيرَةٍ
وَقَدْ قِيلَ لِي: إِنَّ الْغَرَامَ مَرِيرَةٌ « فَلَيْتَكَ تَحَلُّوْا، وَالْحَيَاةُ مَرِيرَةٌ
وَلَيْتَكَ تَرْضَى، وَالْأَنَامُ غَضَابُ »

وَأَنْتَ بِحَبَّاتِ الْقُلُوبِ مُقَامِرُ وَمَا أَنْتَ بِالْوَجْدِ الْمُبْرِجِ شَاعِرُ
فَلَيْتَكَ تَدْرِي مَا تُكِنُّ الضَّمَائِرُ « وَلَيْتَ الَّذِي يَبْنِي وَيَبْنِيكَ عَامِرُ
وَيَبْنِي وَبَيْنَ الْعَالَمِينَ خَرَابُ »

وَرُبَّ فَوَادٍ عَاشَ وَقَفَا عَلَى الضُّعَى فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَرْخَمْ، فَمَا رَاحِمُ أَنَا
لَعَلَّ الرُّضَى بِالظُّلْمِ يَجْمَعُ بَيْنَنَا « إِذَا نِلْتُ مِنْكَ الْوَدَّ يَا غَايَةَ الْمُنَى
فَكُلُّ الَّذِي فَوْقَ التُّرَابِ تُرَابُ »

١٩٥٢

إِلَيْكَ إِلَهِي! مَنْ عَلَى عَرْشِهِ أَسْتَوَى صَلَاةَ مُحِبٍّ صَالٍ فِي قَلْبِهِ الْجَوَى
يُرْنَمُ كَالْمُشْتَاكِ لَجَّتْ بِهِ النَّوَى: « إِذَا اللَّيْلُ أَضْوَانِي بَسَطَتْ يَدَ الْهَوَى
وَأَذَلَّتْ دَمْعًا مِنْ خَلَائِقِهِ الْكِبَرُ »

أَنَا أُلُوَالِهِ الْمُضْنَى أَطَالَتْ شُجُونُهُ أَغَانِي الْمُنَى، وَالْبُعْدُ هَاجَ فُتُونُهُ
وَمَاتَ الَّذِي لَيْلَاهُ شَاءَتْ مَنُونُهُ « مُمْلَكَتِي بِالْوَصْلِ، وَالْمَوْتُ دُونُهُ!
إِذَا مِتُّ ظِلْمَانًا فَلَا نَزَلَ الْقَطَرُ »

١٩٥٣

أَهْدِيكَ شِعْرًا كَرَوْضٍ فِيهِ تَحْتَالُ بَنَاتُ فِكْرِي، وَبَعْضُ الدَّرِّ أَقْوَالُ
قَلْبِي يُحَدِّثُنِي إِنْ غَرَّنِي الْآلُ : « لَا خَيْلَ عِنْدَكَ تُهْدِيهَا وَلَا مَالُ
فَلْيُسْعِدِ النُّطْقُ إِنْ لَمْ تُسْعِدِ الْحَالُ »

وَعَايَةُ الْمَرْءِ فِي الدُّنْيَا كَرَامَتُهُ مَا قِيَمَةُ الْمَرْءِ إِنْ لَمْ تَعْلُ رَايَتُهُ ؟
صَلَّ الَّذِي ظَنَّ أَنَّ أَمَالَهُ غَايَتُهُ « ذِكْرُ النَّبِيِّ عُمَرُ الْثَانِي، وَحَاجَتُهُ
مَا قَاتَهُ ، وَفُضُولُ الْمَيْشِ أَشْغَالُ »

١٩٥١

قَدْ يَفْقِدُ الْمَرْءُ بَيْنَ النَّاسِ عِزَّتَهُ إِذَا شَكَا أَمْرَهُ أَوْ سَبَّ مَحَنَتَهُ
فَكُنْ كَأَيْتِ الشَّرَى مَا بَاعَ هَيْبَتَهُ « وَلَا تَشْكُ إِلَى خَلْقٍ فَتُشْمِتَهُ
شَكْوَى الْجَرِيحِ إِلَى الْغَرَبَانِ وَالرَّخَمِ »

تَصُونُ نَفْسِي عَنِ الْإِفْصَاحِ عِزَّتُهَا كَأَنَّمَا عِفَّةُ الْأَجْيَالِ عِفَّتُهَا
وَقَدْ تَذِلُ نَفُوسَ الْأَسَدِ مَحَنَتُهَا « سُبْحَانَ خَالِقِ نَفْسِي كَيْفَ لَذَّتُهَا
فِيهَا النُّفُوسُ تَرَاهُ غَايَةَ الْأَلَمِ »

١٩٥١

رَأَيْتُ الْعَلِيمَ طَعَنَ عَلَى الْحِذْثَانِ وَطَوَى الزَّمَانَ حَوَادِثَ الْفُرْطَانِ
 مَا الْقَوْلُ مُخْتِاجٌ إِلَى بُرْهَانٍ : « أَلَرَأَيْتُ قَبْلَ شَجَاعَةِ الشُّجْعَانِ
 هُوَ أَوَّلُ وَهْيَ الْمَحَلِّ الثَّانِي »

وَلَرُبَّمَا سَبَقَ الْعَلِيمُ زَمَانَهُ وَقَضَى وَلَمْ يَذِرِ الْوَرَى إِحْسَانَهُ
 ظَنُّهُ طَعَانَ الزَّمَانَ فَكَانَهُ « وَلَرُبَّمَا طَعَنَ الْفَتَى أَقْرَانَهُ
 بِالرَّأْيِ قَبْلَ تَطَاعِنِ الْأَقْرَانِ »

وَلَرُبَّمَا صَفَتِ الْحَيَاةُ الْمُجْرِمَ قَتَلَ الْأُلُوفَ، وَمَا صَفَتِ الْمُعَلَّمَ
 وَكَفَاكَ فَخْرًا أَنْ تَعِيشَ كَمْلِهِمْ « لَوْلَا الْعُقُولُ لَكَانَ أَذْنَى ضَيْعَةٍ
 أَذْنَى إِلَى شَرَفٍ مِنَ الْإِنْسَانِ »

١٩٥١

تَرُدُّ الْمَعَالِي مَا يَرُدُّ الْمُهَاجِمُ وَتَسْتَمِيدُ الْأَفْوَاهُ مَنْ لَا يُتَمَوَّمُ
 فَذَلَّلْنَاهَا، وَالْمُسْكِرُمَاتُ تَمَامُ « عَلَى قَدْرِ أَهْلِ الْعِزِّ تَأْتِي الْعِزَّائِمُ
 وَتَأْتِي عَلَى قَدْرِ الْكِرَامِ الْمُسْكَرِمُ »

وَكَمْ فِكْرَةٍ حَسَنَاءَ لَجَّ عِثَارُهَا بَنِيَتْ لَهَا عَرْشًا فَعَزَّ جِوَارُهَا
 فَمَالٌ يُضِيُّ الْعَالَمِينَ مَنَارُهَا « وَتَعْظُمُ فِي عَيْنِ الصَّغِيرِ صِغَارُهَا
 وَتَصْغُرُ فِي عَيْنِ الْعَظِيمِ الْعِظَامُ »

١٩٥١

قَضَى الْأَدِيبُ فَقِيرًا فِي مَظَاهِرِهِ وَنَفْسُهُ وَهَبَتْ أَسْنَى جَوَاهِرِهِ
أَمَّا الْجَهْلُ فَأَثَرِي مِنْ صَفَائِرِهِ « وَمَا أُنْتَفَاعُ أَخِي الدُّنْيَا بِنَظَائِرِهِ
إِذَا أَسْتَوَتْ عِنْدَهُ الْأَنْوَارُ وَالظُّلُمُ » ؟

إِنَّ الْحَيَاةَ وَمَا فِيهَا مِنَ الْعَجَبِ ، تُفْرِي بَنِي الْجَهْلِ بِاللَّذَاتِ وَالنَّشَبِ
وَلَسْتُ مِنْهُمْ ، فَتَوَرَّ الْعِلْمُ كَانَ أَبِي « أَنَا الَّذِي نَظَرَ الْأَعْمَى إِلَى أَدَبِي
وَأَسْمَعْتَ كَلِمَاتِي مَنْ بِهِ صَمٌّ »

وَالْجِسْمُ ظِلٌّ فَلَا تَغْتَرَّ بِالْتَرَفِ ، وَالرُّوحُ نُورٌ ، وَلَيْسَ الدُّرُّ كَالصَّدْفِ
إِنَّ الْكَمَالَ الَّذِي أَغْيَا الْوَرَى هَدَفِي « مَا أَبْمدَ الْيَبَ وَالنَّقْصَانُ مِنْ شَرْفِي
أَنَا الثَّرِيَا وَذَانِ الشَّيْبِ وَالْهَرَمِ »

١٩٥١

عَذَابُكَ يَا ذَا الْفَضْلِ نَمَا عَشِيقَتُهُ فَلَا تَتَأَفَّفُ مِنْ جُحُودٍ - صَدَّتْهُ
فَدَيْتُكَ عَدُوٌّ كَمْ كَرِيمٍ عَرَفْتَهُ ؟ « إِذَا أَنْتَ أَكْرَمْتَ الْكَرِيمَ مَلَكَتْهُ
وَإِنْ أَنْتَ أَكْرَمْتَ اللَّئِيمَ تَمَرَّدَا »

وَضَعْتُ عَلَى صَدْرِ الْحَيَاةِ قَلَانِدِي لَعَلَّ بَنِيهَا يَشْكُرُونَ مُحَمَّدِي
وَلِي شُهْرَةٌ يَشْتَاقُهَا كُلُّ مَاجِدٍ « وَمَا الدَّهْرُ إِلَّا مِنْ رُوَاةٍ قَصَائِدِي
إِذَا قُلْتُ شِعْرًا أَصْبَحَ الدَّهْرُ مُنْشِدَا »

١٩٥١

هَوَى الْأَطْلَاعِ حَرَكَ كُلِّ سَاكِنٍ وَرِيحُ الْمَوْتِ تَعْصِفُ بِالْمَسَاكِينِ
فَإِنْ أَقْضِيَ اجْتَنَّبْتُ أَذَى عِرَاكِ « وَإِنْ أَسْلَمَ فَمَا أَبْقَى وَلَكِنْ
سَلِمْتُ مِنَ الْحِمَامِ إِلَى الْحِمَامِ »

وَإِنْ أَرِقَ الْمَرِيضُ عَلَى وَسَادٍ كَمَنْ عَشِقَ الدُّنْيَى وَضَنَاءَ بَادٍ
فَأَنْشِدْ كَالْخَلِيِّ بِلاَ اُعْتِدَادٍ: « تَمَتَّعْ مِنْ سُهَادٍ أَوْ رُقَادٍ
وَلَا تَأْمُلْ كَرَى تَحْتَ الرُّجَامِ »

سَهَرْنَا لِلْمُنَى أَمْدًا وَنَمْنَا فَإِنْ أَوْدَى الْمَمَاتُ بِنَا أُسْتَرْحْنَا
وَلَيْسَ السَّرُّ أَنَّ الْجِسْمَ يَفْنَى « فَإِنَّ لِكَالِثِ الْحَالَيْنِ مَعْنَى
سِوَى مَعْنَى اتِّبَاهِكَ وَالنَّمَامِ »

١٩٥١

فَقَرَّتْ نُفُوسُ النَّاسِ مِنْ آرَابِهَا لَمَّا رَأَتْ أَنَّ الزَّوَالَ مَضَى بِهَا
وَالنَّفْسُ تُدْرِكُ أَنَّ بَعْدَ ذَهَابِهَا « تَتَخَلَّفُ الْأَثَارُ عَنْ أَصْحَابِهَا
حِينَئِذٍ، يُذَرِّكُهَا الْفَنَاءُ فَتَتَّبَعُ »

وَإِذَا اتَّخَذْتَ مِنَ الْفَوَاجِعِ عِبْرَةً، فَأَنْبِذْ هَوَى ابْنِ الْأَرْضِ وَأَعْشَقْ حِكْمَةَ
لَا تَحْسَبِ الدُّنْيَا تَدِيمُ مَسَرَّةٍ: « الْمَجْدُ أَخْسَرُ وَالْمُسْكَرُ صَفْقَةٌ
مِنْ أَنْ يَعْيشَ لَهَا الْهُمَامُ الْأَرْوَعُ »

١٩٥١

أَلَا إِنَّ حُكْمَ الْمَوْتِ فِي الْأَرْضِ عَذْلُهَا، تُرَى مَا تَكُونُ الْحَالُ لَوْ دَامَتِ اللَّهُي ؟
فَرَدَّ أَمْرُو عَانِي الضَّيِّقِ وَالتَّدْلُهَا : « سُبِقْنَا إِلَى الدُّنْيَا ، فَلَوْ حَاشَ أَهْلُهَا
مُنِعْنَا بِهَا مِنْ جَيْئَةٍ وَذُهوبِ »

أَنْحِيَا بِأَرْضٍ لَيْسَ فِيهَا لِرَاغِبٍ مُقَامٌ ، وَلَا قُوَّةٌ لِإِشْبَاعِ سَاغِبٍ ؟
دِيَارُ صِدَامٍ لَوَعَتْ كُلَّ صَاحِبٍ « تَمَلَّكَهَا الْآتِي تَمَلَّكَ سَالِبِ
وَفَارَقَهَا الْمَاضِي فِرَاقَ سَلِيبِ »
١٩٥٤

يَا صَاحِبَ الْفَنِّ الَّذِي فَتَنَ الْوَرَى وَجَنَى مِنَ الْحُبِّ الْبَرِيَّ تَحْسُرَا
دَاوِ الْفَوَادَ وَلَا تُعَانِدْ مَا جَرَى « جَهْدُ الصَّبَابَةِ أَنْ تَكُونَ كَمَا أَرَى
عَيْنٌ مُسَهَّدَةٌ وَقَلْبٌ يَخْفُقُ »

دَاهِ الْغَرَامِ أَلَمْ بِي وَبَلَوْتُهُ فَإِذَا مَرَرْتُ بِمُدْنَفٍ سَلَيْتُهُ
وَلَسَكُمْ سَخِرَتْ مِنْ أَهْوَى وَنَكَرَتْهُ « وَعَذَلْتُ أَهْلَ الْعِشْقِ حَتَّى ذُقْتُهُ
فَعَجِبْتُ كَيْفَ يَمُوتُ مَنْ لَا يَعِشُقُ »

وَأَمْرُ مَا لَا قِيَّتُ فِرْيَةٍ مُفْتَرٍ وَخِلَافُ رَأْيٍ حَوْلَ وَخْدَةِ جَوْهَرٍ
وَأَنَا وَمَنْ أَهْوَى سَلِيلًا عَبَقَرٍ « نَبْكَى عَلَى الدُّنْيَا ، وَمَا مِنْ مَعْشَرٍ
جَمَعَتْهُمْ الدُّنْيَا فَلَمْ يَتَفَرَّقُوا »
١٩٥٢

حَيَّرَتْ لُبَّهَا فُنُونُ السَّبَاقِ فِي هَوَاهَا فَاسْتَهْزَأَتْ بِالرَّفَاقِ
وَعَدَتْ لَا تَرْقُ لِلْمُشْتَاكِ « أَتَرَاهَا لِكَثْرَةِ الْمَشَاكِ
تَحْسَبُ الدَّمْعَ خِلْقَةً فِي الْمَآقِي » ؟

وَسِوَاهَا مِنَ الصُّدُودِ تَصِيحُ : لَيْسَ مِنْ مُشْفِقٍ وَقَلْبِي جَرِيحُ
كَثْرَةُ الْمَاشِينَ جُرْمٌ صَرِيحُ « وَالْغِنَى فِي يَدِ اللَّثِيمِ قَبِيحُ
قَدَرُ قُبُحِ الْكَرِيمِ فِي الْإِمْلَاقِ »

١٩٥١

سُلَيْمِي ! لَنْ شَاهَدْتَ قَطَعَ الْعَلَائِقِ ، وَظَلَمَ ذَوِي الْقُرْبَى وَمَكْرَ الْمُنَافِقِ
فَأَنْتَ عَلَى رَغَمِ الْأَسَى وَالْعَوَاقِ « مُثَلَّةٌ حَتَّى كَأَنَّكَ لَمْ تُفَارِقِ
وَحَتَّى كَانَ الْيَأْسُ مِنْ وَصْلِكَ الْوَعْدُ »

أَرَاكَ نَشِيداً دَائِماً فِي مَسَامِعِي وَغَايَةً آمَالِي ، وَسِرّاً رَوَائِعِي
تُدَاوِنُ نَفْسِي ، تَصْنُتُلِينَ طِبَائِعِي « وَحَتَّى تَكَادِي تَمْسَحِينَ مَدَامِعِي
وَيَعْبَقُ فِي نَوْبِي مِنْ رِيحِكَ النَّدَى »

وَأِنْ أَهْمَلْتَ حَسَنَاءَ أَسْبَابِ سَعْدِهَا لَتَرْغَى غَرَاماً زَائِلاً مِثْلَ وَعْدِهَا
فَلَا تَأْخُذِي عَنْهَا تَقَلُّبَ وَدَّهَا : « إِذَا غَدَرْتَ حَسَنَاءَ وَفَّتْ بِمَعْدِهَا
فَمِنْ عَهْدِهَا أَنْ لَا يَدُومَ لَهَا عَهْدُ »

١٩٥٢

يَا مُنِيَّةَ الْعُمْرِ ضَاعَتْ فِي الْهَوَى حِيلِي، وَعِنَّمَةُ النَّفْسِ صَانَتْنِي عَنِ الزَّلَلِ
وَصَفْوُ وَدِّي غَنِيٌّ عَنِ وَفَائِكِ لِي « وَمَا صَبَابَةٌ مُشْتَاكِ عَلَى أَمَلٍ
مِنَ الْلِقَاءِ، كَمُشْتَاكِ بِلا أَمَلٍ »

وَالصَّبُّ إِنْ يَأْتِ دَلَالًا مِنْ مُعَذِّبِهِ يَنْفِرُ، وَلَوْ شَاقَهُ إِذْرَاكَ مَطْلَبِهِ
كَمْ قَالَ عَقْلِي لِقَلْبِي فِي تَقْلُبِهِ: « خُذْ مَا تَرَاهُ، وَدَعْ شَيْئًا سَمِعْتَ بِهِ
فِي طَلَمَةِ الْبَدْرِ مَا يَغْنِيكَ عَنْ زُحَلٍ »

١٩٥٢

مِنَ النِّقْصِ لَمْ تَسْلَمْ مَحَامِدُ قَائِدٍ وَلَمْ يَنْجُ قَاضٍ مِنْ أَسِنَّةِ نَاقِدٍ
وَكَمْ عَابِدٍ أَمْسَى مَعَرَّةَ جَاوِدٍ « كَأَنَّ الرَّدَى عَادٍ عَلَى كُلِّ مَا جَدٍ
إِذَا لَمْ يُعَوِّذْ نَجْدَهُ بِمِيرِبٍ »

وَقَدْ تَخَسَّرُ الْجَنَّاتُ بِالْأَيْبِ حُورَهَا، فَلَا بَلَغَتْ مِنْكَ الْعُدَاةُ سُورَهَا
كَأَنَّكَ شَمْسُ الْعَدْلِ خَطَّتْ سَطُورَهَا « وَفِي تَمَبٍّ مَنْ يَحْسُدُ الشَّمْسَ نُورَهَا
وَيَجْهَدُ أَنْ يَأْتِيَ لَهَا بِضَرْبٍ »

١٩٥٣

أَذَى الْحُسَّادِ حَدَّثَنِي صَرِيحًا : عَلَى الْمَحْسَنِ أَنْ يَلْقَى قَبِيحًا
فَكَمْ مِنْ نَاقِدٍ عَمَلًا مَلِيحًا « وَكَمْ مِنْ عَائِبٍ قَوْلًا صَحِيحًا
وَأَفْتُهُ مِنْ الْفَهْمِ السَّقِيمِ »

وَلِي شِعْرٌ يَرُدُّ الْحُسْنَ عَنْهُ هُرَاءُ فَتَى جَفَاءُ وَلَمْ يَزِنَهُ
سَتَسْمَعُهُ بِلا بَدَلٍ، فَصْنُهُ « وَلَكِنْ تَأْخُذُ الْأَذَانُ مِنْهُ
عَلَى قَدْرِ الْقَرَائِحِ وَالْعُلُومِ »

١٩٥٣

زَهَدْتُ، فَلَمْ تُجِدِ الْحَبِيبَ نَدَامَةً وَدَاوَتْ فُؤَادِي مِنْ هَوَاهُ انْتِفَاضَةً
وَمَا الزُّهْدُ إِلَّا يَقْظَةٌ فَقْنَاءَةٌ « وَمَا الْعِشْقُ إِلَّا غِرَّةٌ وَطَمَاعَةٌ
يُعْرِضُ قَلْبُ نَفْسَهُ فَيُصَابُ »

فَهَلْ أَتَصَدَّى بَعْدَ لَذْعِي لِلْإِفْحِ وَمَا كُنْتُ مِنْ نَارِ الْغَرَامِ بِرَابِجٍ
كَفَانِي مِنَ اللَّذَاتِ تَقْرِيرُ سَائِحِجٍ : « أَلَدُّ مَكَانٍ فِي الدُّنْيَا سَرَجُ مَسَابِجِ
وَحَيْرُ جَلِيسٍ فِي الزَّمَانِ كِتَابُ »

١٩٥٣

يَا قُلُودَ الصَّيْدِ الَّذِينَ أَقْلَهُمْ يَقْوَى عَلَى كَيْدِ الْمِدَى وَيُذْهِبُهُمْ
 قُلْ لِلَّيْلِ ضَلُّوا، فَرُحْتَ تَذْهِبُهُمْ: « مَا نَالَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ كُلُّهُمْ
 شِعْرِي وَلَا سَمِعْتَ بِسِحْرِي بَابِلُ »

وَالَيْكَ عَنْ جَدِّي شَهَادَةٌ فَاحْصِ فَذِّ عَلَى دُرِّ الْمَحَامِدِ غَائِصِ:
 إِنِّي ابْنُ بَجْدَتِهَا، فَلَسْتُ بِنَاكِصِ « وَإِذَا أَتَاكَ مَذْمَمَتِي مِنْ نَاقِصِ
 فَهِيَ الشَّهَادَةُ لِي بِأَنِّي كَامِلُ »

١٩٥٣

ضِيَاءُ مِنَ الْفِكْرِ الْمُؤَلَّدِ أَفْلَتَا فَلَمْ جَمَالًا كَانَ فَنَّا مُشْتَمَاتَا
 وَلَكِنِّي لَمْ أَلْقَ إِلَّا تَعَنُّتَا « أَعَادِي عَلَى مَا يَوْجِبُ الْحُبَّ لِلْفَتَى
 وَأَهْدَأُ، وَالْأَفْكَارُ فِيَّ تَجُولُ »

وَسَاعَ، بَنَاتُ الْفِكْرِ لَا يَأْتِمِنُهُ تَرَفَّتْ عَمَّا كَنَّهُ، فَأَبْنُهُ
 وَلَسْتُ حَسُودًا أَفْسَدَ الْبَغْيُ ظَنَّهُ « سِوَى وَجَعِ الْحُسَادِ دَاوٍ فَإِنَّهُ
 إِذَا حَلَّ فِي قَلْبٍ فَلَيْسَ يَحُولُ »

١٩٥١

تَنَسَّكَرَ لِدُنْيَا أَخْلَصَتْ لِحَلِيلِهَا وَمَا فَرَّحَتْ يَوْمًا فُؤَادَ حَلِيلِهَا
وَلَا تَبْتَئِسَ إِنْ أَكْثَرَتْ مِنْ عَوِيلِهَا « كَثِيرُ حَيَاةِ الْمَرْءِ مِثْلُ قَلِيلِهَا
يَزُولُ، وَبَاقِي عَيْشِهِ مِثْلُ ذَاهِبٍ »

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الشَّاعِرَ الْمُبْدِعَ أَرْتَقَى وَأَنَّ الَّذِي اسْتَعْلَى بِدُنْيَاهُ أَخْفَقَا
وَقَالَ لَهَا، لَمَّا اكْتَوَى وَتَحَرَّقَا : « إِلَيْكَ ، فَإِنِّي لَسْتُ مِمَّنْ إِذَا انْتَقَى
عِضَاضَ الْأَفَاعِي نَامَ فَوْقَ الْمَقَارِبِ »

١٩٥٣

فَكَرَّرَ قَلِيلًا قَبْلَ عَشْقِ الْمَهْمَا فَالْتَمِذُ أَزْهَارُ تُضِلُّ الْهَوَى
وَمَا جَالُ الزَّهْرِ إِلَّا لُهَى « لَوْ فَكَّرَ الْعَاشِقُ فِي مُنْتَهَى
حُسْنِ الذِّي يَسْبِيهِ لَمْ يَسْبِهِ »

وَلَا تَبِعْ حِسًّا بِحُسْنِ ذَوَى كَفَاكَ مِنْ مُسْتَهْتَرٍ مَا أَرْعَوَى
أَمْسَى كَسِيرٌ فِي فُؤَادِي نَوَى وَلَوْ دَرَى الْمَيْتُ نَشِيدَ الْهَوَى
لَا هَتَرَ كَالْأَحْيَاءِ مِنْ عُجْبِهِ

١٩٥٢

ملاحظة : البيت الثاني للمؤلف ، لذلك لم يوضع بين « - » .

تَمَلَّكَ النَّفْسَ قَصْدُ لَسْتُ أَمَلِكُهُ وَأَتَعَبُ النَّاسِ مَنْ فِي الْوَهْمِ مَسْلَكُهُ
فَصُنْ دَمَ الْفِكْرِ فَلَا هَوَاهُ تَسْنِكُهُ « مَا كُلُّ مَا يَتَمَسَّى الْمِرَّةُ يُدْرِكُهُ
تَجْرِي الرِّيحُ بِمَا لَا تَشْتَهِي السُّفُنُ »

وَدَعَكَ يَمْنٌ رَأَى أَنَّ الْهَوَى أَمَلُ لِكُلِّ حُبٍّ وَإِنْ طَالَ الْمُدَى أَجَلُ
وَقُلْ لِمَنْ لَمْ تُفِذْ فِي وَصْلِهِ حِيلُ : « جَزَاءُ كُلِّ قَرِيبٍ مِنْكُمْ مَلَلُ
وَحَظُّ كُلِّ مُحِبٍّ مِنْكُمْ صَفْنُ »

١٩٥٣

كَيْفَ أَمْسَى فُؤَادُكَ الْمُسْتَهَامُ بَعْدَ أَنْ أَزْمَعَ الرَّحِيلَ الْغَرَامُ ؟
هَلْ تَعَاتَبْتُمَا ؟ وَكَانَ الْكَلَامُ : « أَيْنَ أَزْمَعْتَ أَيُّهَا الْهَمَامُ ؟
نَحْنُ زَهْرُ الرُّبِيِّ وَأَنْتَ الْغَمَامُ ... »

أَيُّهَا الْحُرُّ ! إِنَّ عَرَفْتَ الْإِسَارَا فِي الْهَوَى فَاجْعَلِ الْمَلَاذَ الْفِرَارَا
لَكَ نَفْسٌ تَأْبَى الْأَذَى وَالصَّغَارَا « وَإِذَا كَانَتْ النُّفُوسُ كِبَارَا
تَعِبَتْ فِي مُرَادِهَا الْأَجْسَامُ »

١٩٥٤

بِرَبِّكَ قولي، وَوَقِيتِ الْعِثَارَا: أَتُصْبِحُ زُهْرُ الرِّيَاضِ قِفَارَا؟
فَإِنِّي، وَقَدْ دَارَ دَهْرِي وَجَارَا، « أَرَى ذَلِكَ الْقُرْبَ صَارَ أَزْوَارَا
وَصَارَ طَوِيلُ السَّلَامِ اخْتِصَارَا »

فَوَاهَا لِقَلْبِي مِنَ الْعَذَلِ أَلَا يَشْفَعُ الشَّعْرُ فِي الْحُبِّ لِي؟
وَقَدْ كَلَّمْتَنِي بِأَبْهَى الْحُلِيِّ « قَوَافٍ إِذَا سِرْنَ عَنْ مِقْوَلِي
وَتَبَنَ الْجِبَالَ وَخُضْنَ الْبَحَارَا »

١٩٥٣

وَسَادَةٍ، زَبَدُ الْأَمْوَاجِ عِزُّهُمْ تَزُولُ أَمْجَادُهُمْ، وَالْهَزْءُ يَتَبَعُهُمْ
فَلَا تَفَرُّنَا يَا ابْنَ الْفَنِّ صَوْلَتُهُمْ « وَأَنْتَ أَبْعَدُهُمْ ذِكْرًا، وَأَكْبَرُهُمْ
قَدْرًا، وَأَزْفَعُهُمْ فِي الْمَجْدِ بُنْيَانَا »

هَامُوا بِمَاجِنَةٍ تَفْنَى مَحَاسِنُهَا وَأَنْتَ تَكْرَهُ مَا يَأْتِيهِ مَاجِنُهَا
يَا ابْنَ الْحَيَاةِ الَّتِي تَبْقَى مَفَاتِيحُهَا « قَدْ شَرَّفَ اللَّهُ أَرْضًا أَنْتَ سَاكِنُهَا
وَشَرَّفَ النَّاسَ إِذْ سَوَّاكَ إِنْسَانَا »

١٩٥٣

تَخَذْتُ الصَّدْقَ وَالْإِخْلَاصَ دَرْبًا وَحُبَّ الْخَيْرِ وَالْإِصْلَاحَ دَأْبًا
فَنِلْتُ مِنَ الْوَرَى حَسَدًا وَسَبًّا « وَلَمَّا صَارَ وَدُّ النَّاسِ خِبَا
جَزَيْتُ عَلَى ابْتِسَامٍ بِابْتِسَامٍ »

وَكَمْ بَلَدٍ يَضِيعُ الْحُرُّ فِيهِ وَحَظُّ أَدِيبِهِ دُونَ السَّفِيهِ
سَكَتٌ بِهِ كَمَجْرُوحٍ فِيهِ « وَصِرْتُ أَشْكُ فِيمَنْ أَصْطَفِيهِ
لِعِلْمِي أَنَّهُ بَعْضُ الْأَنَامِ »

١٩٥٢

نَسَأُ السَّائِرِينَ عَنْ دَارِ هِنْدٍ فَيَحَارُونَ بَيْنَ أَخَذٍ وَرَدٍّ
لَا تَحَارُوا، فَالْزِدْ لَيْسَ بِمُجْدٍ « نَحْنُ أَذْرَى وَقَدْ سَأَلْنَا بِمُجْدٍ :
أَقْصِرْ طَرِيقُنَا أَمْ يَطْوُلْ »

وَسُكُوتُ الْفَتَى الْمُحِبِّ نِفَاقُ وَالتَّسْلِي عَلَى الطَّرِيقِ ارْتِفَاقُ
فَطَوِيلُ قَبْلِ الْلِقَاءِ الْفِرَاقُ « وَكَثِيرٌ مِنَ السُّؤَالِ اشْتِيَاقُ
وَكَثِيرٌ مِنْ رَدِّهِ تَعْلِيلُ »

١٩٥٣

زَوَالُ الْمَحَبَّةِ مِنْ مُخْلَفٍ وَهَجْرُ الْأَحِبَّةِ مِنْ مُرْجَفٍ
وَبَلَوَاكَ مِنْ ظَالِمٍ مُسْرِفٍ « وَكَمْ لِلْهَوَى مِنْ فَتَى مُدْنَفٍ
وَكََمْ لِلنَّوَى مِنْ قَتِيلٍ شَهِيدٍ »

وَهَلْ يُسْتَطَابُ كَلَامُ اللَّثَامِ لِتَجْعَلَ مِنْهُمْ شُهُودَ غَرَامِي؟
يَقُولُونَ: مَا كُنْتُ بِالمُسْتَهَامِ « فَمَا لَكَ تَقْبَلُ زُورَ الْكَلَامِ
وَقَدَرُ الشَّهَادَةِ قَدَرُ الشُّهُودِ »؟

١٩٥٣

وَنَجْمَعِ هَذِرَ الْهَرَاءِ مُفَاخِرِ يُطَاوِلُ أَهْلَ الْفَنِّ غَيْرَ مُحَاذِرِ
وَكََمْ قَاصِرٍ فِيهِ اسْتِجَارَ بَعَائِرِ « خَلِيلِي! إِنِّي لَا أَرَى غَيْرَ شَاعِرِ
فَلِمَ مِنْهُمْ الدَّعْوَى وَمِنِّي الْقَصَائِدُ »؟

لَحَى اللَّهُ دُنْيَا إِنْ جَنَحْتَ لِعَذْلَاهَا أَطَالَتْ بَلَايَاهَا، وَضَنْتَ بَعْدَهَا
فَلَا تَعْجَبُوا يَا مُنْصِفِينَ لِهَزْلِهَا « بِذَا قَضَتْ الْأَيَّامُ مَا بَيْنَ أَهْلِهَا
مَصَائِبُ قَوْمٍ عِنْدَ قَوْمٍ قَوَائِدُ »

١٩٥٤

أَهَابَ بِقَلْبِ الصَّبِّ حُبُّ التَّفَوُّقِ وَمَنْ طَلَبَ الْعَلِيَاءَ بِالْجِدِّ يَرْتَقِ
فِيَا مُنِيَّةَ الرُّوحِ الطَّمُوحِ تَرَفَّقِي « لِعَيْنَيْكَ مَا يَلْقَى الْفُؤَادُ وَمَا لَقِيَ
وَالْحُبُّ مَا لَمْ يَبْقَ مِنِّي وَمَا بَقِيَ »

لَعَلَّ هَوَاكَ الْعَذْبَ يَرْحَمُ صَبَّهُ إِذَا أَنْصَفَ الْمَحْبُوبُ قَلْبًا أَحَبَّهُ
وَلَسْتُ بِسَاهٍ يَذْهَلُ الْحُسْنُ لَهُ « وَمَا كُنْتُ مِمَّنْ يَدْخُلُ الْعِشْقُ قَلْبَهُ
وَلَكِنْ مَنْ يُبْصِرُ جُفُونَكَ يَعْشَقُ »

وَلَمَّا شَكَّتْ نَفْسِي وَمَلَّتْ صَنْئَةُ الْهَوَى، تَرَكْتُ فُؤَادِي يَسْتَجِمُّ مِنَ الْجَوَى
وَفَارَقْتُ أَحْبَابِي بِمُنْمَرَجِ الْلَوَى « وَبَيْنَ الرُّضَى وَالسُّخْطِ وَالْقُرْبِ وَالنَّوَى
مَجَالٌ لِدَمْعِ الْمُقْلَةِ الْمُتَرَقِّقِ »

وَرُحْتُ بِحُبِّ الرُّوحِ أَقْتَحِمُ الْعُلَى وَأَعْرِضُ عَنْ حُسْنِ يَوْوَلٍ إِلَى الْبِلَى
أَعِفُّ عَنِ الْعَادَاتِ يَرْفُلُنَ بِالْحُلَى « وَمَا كُلُّ مَنْ يَهْوَى يَعِفُّ إِذَا خَلَا
عَفَافِي وَيَرْضَى الْحُبَّ وَالْخَيْلُ تَلْتَقِي »

كَأَنَّ الْإِخَاءَ الْحَقَّ كَلَّلَ مَفْرِقِي فَأَظْهَرْتُ نَحْوَ النَّاسِ كُلِّ تَعْلَقِي
وَلَمْ أَتَقَوَّلْ، كَمَا لَفَتِي الْمُتَحَذَلِي : « إِذَا شَاءَ أَنْ يَلْهُو بِلِخِيَةِ أَحْمَقِ
أَرَاهُ غُبَارِي ثُمَّ قَالَ لَهُ الْحَقِّ »

يَحَالُ رَقِيبُ النَّاسِ أَنِّي مُسَيِّطِرُ وَغَيْرِي بِأَسْنَابِ الْأَذَى مُتَعَثِّرُ
فَوَالْهَفَّتَاهُ أَكَمْ دَهَانِي تَحْمَرُ « أَفِي كُلِّ يَوْمٍ تَحْتَ ضَبْنِي شُوَيْرُ
ضَعِيفٌ يُقَاوِنِي، قَصِيرٌ يُطَاوِلُ » ؟

يَثُورُ وَيَهْذِي، وَهُوَ بِالْفَنِّ جَاهِلُ وَكَمْ مِنْ شُدُوزٍ قِيدَتْهُ سَلَاسِلُ
دَعِي، بِأَثَرِ الرَّقُوتِ مُجَادِلُ « لِسَانِي بِنُطْقِي صَامِتٌ عَنْهُ عَادِلُ
وَقَلْبِي بِصَمْتِي صَاحِكٌ مِنْهُ هَازِلُ »

تَعَمَّدَ إِنْغِصَابِي بِشَكْلِ يَعْيبُهُ وَلَيْسَ سِوَى الْفَهْمِ الصَّحِيحِ طَبِيبُهُ
فَدَعَاهُ بِغَمٍّ، فَالْسُّكُوتُ نَصِيبُهُ « وَأَتَعَبُ مَنْ نَادَاكَ مَنْ لَا تُجِيبُهُ
وَأَغِیْظُ مَنْ عَادَاكَ مَنْ لَا تُشَاكِلُهُ »

سَمَوْتُ بِشِعْرِ حُسْنِهِ مِنْ تَفَنَّنِي وَغَنَى بِإِبْدَاعِي زَمَانِي وَمَوْطِنِي
وَعَزَبَدَ حُسَادِي وَجُهَالُ مَعْدِنِي « وَمَا أَلْتِيَهُ طَيِّبٌ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّنِي
بَغِيضٌ إِلَيَّ الْجَاهِلُ الْمُتَعَاقِلُ »



ما لِلْحَيَاةِ أَشْتَطُّ عَذَابُهَا وَحَالُهُمْ فِي حُبِّهَا حَالُهَا؟
 هَامُوا بِهَا شَوْقًا فَكَانَتْ لَهُمْ « تَجَرُّبَةُ الدُّنْيَا » وَأَفْعَالُهَا
 حَثَّتْ أَخَا الزُّهْدِ عَلَى زُهْدِهِ »

وَالْحُبُّ كَالْوَرْدِ وَلَيْدِ الثَّرَى فِي زَمَنِ أَزْهَارِهِ تُشْتَرَى
 وَهَامًا لِسِرٍّ فِي الْبَرَايَا سَرَى : « تَشْتَاقُ أَيَّارَ نُفُوسِ الْوَرَى
 وَإِنَّمَا الشَّوْقُ إِلَى وَرْدِهِ »

وَالْمَرْءُ لَا يَشْتَاقُ إِنْ صَدَّ عَنْ قَصْدِهِ مَنْ يَدْعِي وَدَّهَ
 فَلَا يَصْنُ قَلْبَكَ مَنْ رَدَّ « كَمْ صَائِنٍ عَنْ قُبْلَةِ خَدِّهِ
 سُلِّطَتِ الْأَرْضُ عَلَى خَدِّهِ »

وَكَفَرَ الْمَحْبُوبُ عَنْ ذَنْبِهِ لَمَّا تَوَلَّى الْقَلْبُ عَنْ حُبِّهِ
 زَالَ الْهَوَى، وَمَرَّ عَهْدِي بِهِ « أَمْسِ الَّذِي مَرَّ ، عَلَى قُرْبِهِ ،
 تَمَجَّزُ أَهْلُ الْأَرْضِ عَنْ رَدِّهِ »

١٩٥٢



مِنَ النَّاسِ ذُو مَالٍ يَمُوتُ شَرَاهَةً وَجَمْعٌ غَفِيرٌ أَنَّ جَوْعًا وَفَاقَةً
وَنَحْنُ الْأُلَى خِلْنَا الشَّقَاءَ فَكَاهَةً « ضَحِكْنَا ، وَكَانَ الضَّحْكُ مِنَّا سَهْمَاهَةً
وَحُقَّ لِسُكَّانِ الْبَسِيطَةِ أَنْ يَبْكُوا »

أَمَا مِنْ نِظَامٍ يُوجِدُ الْعَدْلَ بَيْنَنَا وَيَذَرُّ عَنَّا صَدَمَةَ الْفَقْرِ بِالْغِنَى ؟
فَنَحْنُ إِذَا لَمْ يَجْمَعْ الْحُبُّ شَمْلَنَا « يُحَطِّمُنَا رَيْبُ الزَّمَانِ كَأَنَّا
زُجَاجٌ وَلَكِنْ لَا يُعَادُ لَهُ سَبْكُ »

١٩٥٣

لَعَلَّ أَجْتِهَادَ الْكَادِحِينَ غَبَاهُ ! وَغَمَطُ حُقُوقِ الْعَامِلِينَ وَبَاهُ
فِيَا دَهْرُكُمْ يَشْقَى بِكَ الْحُكْمَاءُ ! « أُولُو الْفَضْلِ فِي أَوْطَانِهِمْ غُرَبَاءُ
تَشِدُّ وَتَنَأَى عَنْهُمْ الْقُرَبَاءُ »

فَلَا تَسْأَلِ النَّائِنَ إِظْهَارَ حُبِّهِمْ وَدَرْبُكَ يَا نِدَّ الرُّؤْيَى غَيْرُ دَرَبِهِمْ
فَقَدْ سَاءَ لِي مَا يَصْنَعُونَ بِصَحْبِهِمْ « وَزَهَّدَنِي فِي الْخَلْقِ مَعْرِفَتِي بِهِمْ
وَعِلْمِي بِأَنَّ الْعَامِلِينَ هَبَاءُ »

١٩٥٣

عَرَفْتُ سَبِيلَ الطَّالِبِينَ تَعَالِيَا فَكُنْتُ عَنِ الْعَدْلِ الصَّحِيحِ مُحَامِيَا
وَعَفْتُ الْآلِي ظَنُّوا السُّمُوَّ التَّسَامِيَا « وَلَمَّا رَأَيْتُ الْجَهْلَ فِي النَّاسِ فَاشِيَا
تَجَاهَلْتُ حَتَّى ظَنُّ أَنِّي جَاهِلُ »

وَأَعْرَضْتُ عَنْ مَرَعَى الْعَتَاةِ ، تَعَفُّفًا وَعَنْ نَيْلِ مُلْكٍ بِالْصَّدَامِ ، تَلَطُّفًا
وَبِتُّ مَلَكَآ فِي الْأَعَالِي مُرْفَرِفَا « يُنَافِسُ يَوْمِي فِي أَمْسِي تَشْرِفَا
وَتَحْسُدُ أَسْحَارِي عَلَيَّ الْأَصَائِلُ »

١٩٥٢

تَقْضِي الْعَدَالَةَ أَنْ تُقَرَّرَ شِرْعَةً لِيَعِيشَ أَبْنَاءُ الْبَرِيَّةِ إِخْوَةً
فَيَقُولُ مَنْ وَجَدَ التَّسْلُطَ سُنَّةً : « مُلُّ الْمَقَامِ ، فَكَمْ أَعَاشِرُ أُمَّةٍ
أَمَرَتْ بِغَيْرِ صَلَاحِهَا أُمَرَاؤُهَا »

بَلَّغَتْ بِأُمَّتِنَا الْمُصِيبَةُ حَدَّهَا وَ مِنْ الْبَلِيَّةِ مَا يُحِبُّبُ وَرَدَهَا
أُمَرَاءُ بَابِلَ لَمْ يَصُونُوا عَهْدَهَا « ظَلَمُوا الرِّعِيَّةَ وَأَسْتَجَازُوا كَيْدَهَا
وَعَدَوْا مَصَالِحَهَا وَهُمْ أَجْرَاؤُهَا »

١٩٥٢

ضِيَاءُ عَيْنَيْكَ فِي الْأَحْلَامِ يُطْرِبُنِي وَأَنْسُ مَغْنَاكَ يُصْبِيْنِي وَيَجْذِبُنِي
كَأَنَّنِي وَالْهَوَى الْمُذْرِي يُلْهِبُنِي « مَا سِرْتُ إِلَّا وَطَيْفٌ مِنْكَ يَصْجِبُنِي
سُرَى أَمَامِي، وَتَأْوِيَا عَلَى أَثْرِي »

وَالشَّعْرُ يَسْبِي قُلُوبَ الْغَيْدِ رَائِعُهُ وَلَيْسَ يَجْهَلُ سِرَّ السَّحْرِ صَانِعُهُ
يَقُولُ قَلْبِي، وَقَدْ مَنَاهُ دَافِعُهُ : « لَوْ حَطَّ رَحْلِي فَوْقَ الشَّمْسِ رَافِعُهُ
أَفَيْتُ ثُمَّ خَيَالًا مِنْكَ مُنْتَظِرِي »

١٩٥٢

لَا تَسْأَلُوا عَنْ حَالِ جَارِمٍ كَمْ هَامَ شَوْقًا فِي مَزَارِمٍ
فَالْقَلْبُ يَخْفُقُ لِأَذْكَارِهِمْ « وَلَقَدْ وَقَفْتُ عَلَى دِيَارِهِمْ
وَطُلُوهُمَا يَبْدِ الْبَلَى نَهْبُ »

فَسَكَبْتُ دَمْعِي فِي رُبِّي فَنَيْتُ أَزْهَارَهَا، وَعُودُهَا طَوَيْتُ
وَمَضَيْتُ مِثْلَ يَتِيمَةٍ شَقِيتُ « وَتَلَقَّيْتُ عَيْنِي فَمَذُ خَفِيتُ
عَنِّي الطُّلُوعُ تَلَفَّتَ الْقَلْبُ »

١٩٥٣

أَيُّهَا الْجَاهِلَانِ سِرَّ أَهْيَامٍ ! نَاهِيَايَ عَنْ حُبِّ بَدْرِ التَّامِ
لَا تَجُورَا عَلَى الْفَتَى الْمُسْتَهَامِ « خَلِيَانِي بَلَوَعَتِي وَغَرَامِي
يَا خَلِيلِي ! وَأَذْهَبَا بِسَلَامٍ »

لَا تَظُنَّا أَنِّي أَدَاوِي بِطِبِّ لِتَصُدَّاءَ عَنِ الْحَبِيبَةِ قَلْبِي
لَسْتُ تَذَرِيَانِ مَبْلَغَ حُبِّي « قَدْ دَعَانِي الْهَوَى وَابَاهُ لُبِّي
فَدَعَانِي ، وَلَا تُطِيلَا مَلَامِي »

وَأَعْلَمَا أَنِّي أَرَدُّ دَوْمًا قَوْلَ مَنْ لَمْ يَذُقْ مِنَ الْوَجْدِ نَوْمًا :
أَكْثَرَ الْجَاهِلُونَ عَذْلًا وَلَوْ مَا « إِنَّ مَنْ ذَاقَ خَمْرَةَ الْحُبِّ يَوْمًا
لَا يُـيـَالِي بِكَثْرَةِ اللَّوَامِ »

سَوْفَ يَرْتَدُّ عَنْ هَوَاهُ اخْتِيَارًا عِنْدَمَا يَبْلُغُ النَّشِيدُ الْقَرَارَا
فَاطِيلَا تَرْقُبًا وَأَتَتَظَارَا يَهْجُرُ الْأَسْرَ مَنْ أَطَاقَ الْفِرَارَا
وَيَمَلُّ الْعُشَاقُ رَغِي الذَّمَامِ

١٩٥٢

ملاحظة : البيت الرابع للؤلف ، لذلك لم يوضع بين « - » .

إِلَيْكُمْ فِي جَلِيلِ الْأَمْرِ يُحْتَكَمُ، وَمِنْكُمْ فَاضَ نُورُ الدَّلِيلِ وَالْكَرَمُ
فَكَيْفَ يَهْوَى مُحِبُّ الْحَقِّ غَيْرَكُمْ؟ « يَا آلَ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ حُبُّكُمْ
فَرَضٌ مِنَ اللَّهِ فِي الْقُرْآنِ أَنْزَلَهُ »

وَلَا تَفَاخِرْ بِعَجْدِ عَابِرِ أُمَمٍ فَإِنَّمَا تَعْبُدُكُمْ بَيْنَ الْوَرَى عِلْمٌ
فِيَا حِمَاةَ الْهُدَى أَعْلَتَهُمُ الشِّيمُ « يَكْفِيكُمْ مِنْ عَظِيمِ الْفَخْرِ أَنْكُمْ
مَنْ لَمْ يُصَلِّ عَلَيْكُمْ لَا صَلَاةَ لَهُ »

١٩٥٣

يَا رُعَاةَ الْقَلْبِ مَاذَا رَدَّكُمْ عَنْ هَوَاكُمُ فَهَجَرْتُمْ رَبْعَكُمْ؟
نَحْنُ مَا زِلْنَا نُنْعِي بَعْدَكُمْ : « أَذْكُرُونَا مِثْلَ ذِكْرَانَا لَكُمْ
رُبَّ ذِكْرِي قَرَّبَتْ مَنْ نَزَحَا »

قَسَمًا، مَا حُلْتُ عَنْ عَهْدِكُمْ وَلَئِنْ لَمْ أَنْجُ مِنْ صَدِّكُمْ
وَأَنَا الْمَغْبُونُ فِي وُدِّكُمْ « قَدْ عَرَفْتُ أَلْهَمَ مِنْ بَعْدِكُمْ
فَكَأَنِّي مَا عَرَفْتُ الْفَرَحَا »

١٩٥٢

لَيْسَ الْغَرَامُ بِلَا وَصَالٍ غَايَةً وَأَنَا فَتَى لَا يَسْتَبِيحُ حَصَانَةً
يَا وَرْدَةَ الْأَدَبِ الْمُغْنَى آيَةً : « حَجَبُوكِ عَنْ مُقَلِّ الْأَنَامِ مَخَافَةَ
مِنْ أَنْ تُخَدِّشَ حُسْنَكَ الْأَبْصَارُ »

لَا تَجْزَعِي ! فَأَنَا الْفَرَّاشَةُ سَرَّحَتْ ، فِي الرُّوْضِ طَرْفًا ، ثُمَّ مِنْ مُسْكِرٍ صَحَّتْ
خَافِي الْأُلَى قَطَفُوا الْوِرَادَ تَفْتَحَتْ « فَتَوَهَّمُوكِ ، وَلَمْ يَرَوْكِ فَأَصْبَحَتْ
مِنْ وَهْمِهِمْ فِي خَدِّكِ الْآثَارُ »

١٩٥٣

مَعْنَى الْوِدَادِ مِنَ الْجَفَاءِ تَبَيَّنَا وَالْوُدَّ يَعْقِلُ كَالْأَسَارَى الْأَلْسُنَا
وَالْقَلْبُ مُنْتَظَرُ تَبَاشِيرِ الْمُنَى « وَأَرَاكَ تَكْلَفُ بِالْعِتَابِ وَوُدَّنَا
صَافٍ ، عَلَيْهِ مِنْ الْوَفَاءِ دَلِيلُ »

يَا مَنْ لِرِقَّتِهِ الْعُقُولُ أَسِيرَةٌ ! جُذِّ بِأَرْضِي ، فَالظَّرْفُ عِنْدَكَ سِيرَةٌ
لِي فِي هَوَاكَ كَمَا عَلِمْتَ سَرِيرَةٌ « وَلَعَلَّ أَيَّامَ الْحَيَاةِ قَصِيرَةٌ
فَعَلَامَ يَكْثُرُ عَتَبُنَا وَيَطُولُ ؟ »

١٩٥٤

هَوَى الْحَقُّ يَسْمُو بِالْفَتَى وَيُجِلُّهُ وَأَعْظَمُ مَا تَهَوَّاهُ مَا لَا تَمْلَهُ
فَيَارَبَّ ! يَا مَنْ أَنْفُسُ الْخَلْقِ ظِلُّهُ « مَكَانُكَ مِنْ قَلْبِي هُوَ الْقَلْبُ كُلُّهُ
فَلَيْسَ لَخَلْقٍ فِي مَكَانِكَ مَوْضِعٌ »

وَأَنْتَ رَوْوفٌ بِالْفُؤَادِ الْمَتِّيمِ وَأَنْتَ إِلَى نَيْلِ السَّعَادَةِ مُلْهِمِي
أَحَبُّكَ قَلْبِي يَا مَلَاذِي وَمُنْعَمِي « وَحَطَّتْكَ رُوحِي بَيْنَ جِلْدِي وَأَعْظُمِي
فَكَيْفَ تَرَانِي إِنْ فَقَدْتُكَ أَصْنَعُ ؟ »

١٩٥٢

لَا يُدْرِكُ الْحَقُّ مَنْ فِي الْحُبِّ غَايَتُهُ إِلَّا إِذَا أُشْتَهَرَتْ يَوْمًا رِوَايَتُهُ
فَالْحَقُّ يَظْهَرُ، وَالْوَجْدَانُ آلَتُهُ « وَالْوَجْدُ يُطْرِبُ مَنْ فِي الْوَجْدِ رَاحَتُهُ
وَالْوَجْدُ عِنْدَ وُجُودِ الْحَقِّ مَفْقُودٌ »

وَالْحُبُّ مُذْ لَاحَ حَقِّي كَانَ يَعْرِفُنِي، وَذِكْرُ وَجْدِي لَدَى الْمَحْبُوبِ يُطْرِبُنِي
مَا كَانَ يَقْصُدُ غَيْرِي حِينَ يَذْكُرُنِي « قَدْ كَانَ يُوَحِّشُنِي وَخَدِي وَيُؤْنِسُنِي
بِرُؤْيَا الْوَجْدِ مَنْ فِي الْوَجْدِ مَوْجُودٌ »

١٩٥٣

نَكِرَ الْأَدِيبُ ابْنَ الْأَدِيبِ زَمَانُهُ فَإِذَا قَضَى قَتْنَ الْأَنَامِ بَيَانُهُ
فَكَأَنَّهُ ، وَإِلَى الْفَنَاءِ كَيَانُهُ « رَوْحٌ يُرْفَرُ ، وَالْفَضَاءُ مَكَانُهُ
عَشِيقَ الثَّرَى ، فَهَوَتْ بِهِ أَحْزَانُهُ »

وَكَأَنَّمَا كَالْكَهْرَبَاءِ سَطْوَعُهُ أَوْ كَالْقِطَارِ مَحِيطُهُ وَرُجُوعُهُ
خَدَمَ الْعِبَادَ ، وَلَمْ يُغِدْهُ خُنُوعُهُ « فَالْنَارُ مَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ ضُلُوعُهُ
وَالْمَاءُ مَا سَحَّتْ بِهِ أَجْفَانُهُ »

١٩٥٣

تَبَدَّدَتْ كَسَحَابِ الصَّيْفِ أَذْمُعُهُ فَلَيْسَ يَبْكِي عَلَى حُبٍّ يُوَدَّعُهُ
يَا مَنْ تَطْنِينَ أَنْ لَا شَيْءَ يُرْجِعُهُ « لَا تَعْذُلِيهِ ، فَإِنَّ الْعَذْلَ يُولِعُهُ
قَدْ قُلْتُ حَقًّا ، وَلَكِنْ لَيْسَ يَسْمَعُهُ »

وَالصَّبُّ كَالطُّفْلِ يَرْضَى عَنْ مُهْذَبِهِ ، أَوْ صَاحِبِ الْجُرْحِ يَغْفُو عَنْ مُطِيبِهِ
يَا مَنْ أَجَرْتَ فُؤَادِي مِنْ مُعَذِّبِهِ « جَاوَزْتَ فِي نُصْحِهِ حَدًّا أَضَرَّ بِهِ
مِنْ حَيْثُ قَدَّرْتَ أَنْ النُّصْحَ يَنْفَعُهُ »

وَلَوْ ذَكَرْتَ لَهُ عُذْرًا لَيَقْبَلَهُ لَبَاتَ آخِرُ دَرْبِ الْحُبِّ أَوَّلَهُ
أَنَا الْعَلِيلُ الَّذِي لَا وَعْدَ عَلَيْهِ « كَمْ قَائِلٍ لِي : ذُقْتَ أَلْبَيْنَ قُلْتُ لَهُ :
الذَّنْبُ وَاللَّهُ ذَنْبِي ، لَسْتُ أَدْفَعُهُ »

١٩٥٣

مُقَارَعَةُ أَيَّامٍ أَغَيَتْ تَفَنُّنِي، فَلَمْ أَغْنِ مِسْكِينًا، وَلَمْ أَرْدَعْ الْغَنَى
وَلَمَّا شَكَّتْ نَفْسِي صِرَاعًا أَعْلَنِي « تَنَكَّرَ لِي دَهْرِي وَلَمْ يَدْرِ أَنَّنِي
أَعِزُّ وَأُحْدَثُ الزَّمَانِ تَهُونُ »

وَمَا الْمَرْءُ بَيْنَ النَّاسِ إِلَّا ثَنَاؤُهُ وَمَا ذَلَّ الْمَسْكُورَةُ إِلَّا لِقَاؤُهُ
أَرَيْتُ زَمَانِي الْعَزَمَ كَيْفَ مَضَاؤُهُ « فَبَاتَ يُرِينِي الْخَطْبَ كَيْفَ أَعْدَاؤُهُ
وَبِتُّ أَرِيهِ الصَّبْرَ كَيْفَ يَكُونُ »

١٩٥٢

تَعَوَّدَ الْحَزَمَ تَنْفِ الْهَمِّ وَالسَّامَا وَإِنْ أَضَعْتَ الْمُسْنَى فَاسْتَنْصِرِ الْقَلَمَا
يَقُولُ مَنْ ذَاكَ مِنْ أَيَّامِهِ الْأَلَمَا : « مَنْ أَغْفَلَ الْحَزَمَ أَذْمَى كَفَّهُ نَدَمَا
وَأَسْتَضْحَكَ النَّصْرَ مَنْ أَبْكَى السُّيُوفَ دَمَا »

فَسِرْ إِلَى الْقَصْدِ، إِنَّ الْمُبْتَغَى وَلَهُ أَوْ لَا، فَدَعَهُ، وَإِلَّا أُنْتَابَكَ الْبَلَاءُ
مَنْ يَشْكُ لِلدَّهْرِ كَانَ الدَّهْرُ مَوْتِيْلَهُ « وَالْدَّهْرُ يَعْلَمُ أَنِّي لَا أَذِلُّ لَهُ
فَكَيْفَ أَفْتَحُ بِالشُّكْوَى إِلَيْهِ فَمَا »

١٩٥٣

مِنْ الْحُبِّ مَا يَبْلَى وَإِنْ كَانَ هَائِلًا فَلَا تَجْعَلِي جُرْحِي بِحُبِّكَ قَاتِلًا
فَلَيْسَ مُصِيبًا مَنْ يُرَدُّ قَاتِلًا : « أَرَى كُلَّ حُبٍّ غَيْرَ حُبِّكَ زَائِلًا
وَكُلَّ فُؤَادٍ، إِنْ تَأَلَّمَ، سَالِيًا »

فَإِنْ تَنْبِذِي وَدِّي تَرَكْتُكِ حُرَّةً وَإِنْ تَحْفَظِيهِ كُنْتُ لِلرُّوحِ قُرَّةً
وَإِنْ تُكْرِمِينِي تَبْعِي فِي نَشْوَةٍ « وَحُبِّكَ لَا يَبْلَى، وَيَزْدَادُ جِدَّةً
بِقَلْبِي، وَأَشْوَاقِي تَظَلُّ كَمَا هِيَ »

١٩٥٣

جُنَّ الْوَرَى وَطَفَتْ عَلَيْهِ هُمُومُهُ وَكَأَنَّ مَهْزَلَةَ اللُّغَاتِ نَعِيمُهُ
وَالْجَهْلُ بَلَبَلَتْ الْعُقُولَ سُمُومُهُ « مَنْ شَكَّ فِي أَدَبِي فَلَسْتُ أَلُومُهُ
مَا أَجْهَلَ الْإِنْسَانَ بِالْإِنْسَانِ »

غَرُّ يَعْيبُ أَخَا الْجَمَالِ وَفَضْلُهُ فَمَا إِذَا تَفَهَّمَهُ تَبَيَّنَ جَهْلُهُ
وَأَنَا الَّذِي تَدْرِي الْآيَالِي عَدْلُهُ : « لَا أَشْتَكِي هَذَا الزَّمَانَ وَأَهْلَهُ
فَالْفَضْلُ مَحْسُودٌ بِكُلِّ مَكَانٍ »

١٩٥٣

وَرَامِيَةً بِاللَّحْظِ قَلْبِي وَقَدْ رَسَتْ بِأَعْمَاقِهِ مِنْهَا سِهَامٌ تَكَدَّسَتْ
أَرْوَمُ لَهَا عُذْرًا وَأَشْكُرُ إِنْ أَسَتْ « عَفَا اللَّهُ عَنْهَا فَهِيَ رَوْحِي وَإِنْ قَسَتْ

عَلَيَّ، فَمَرْجُوٌّ لَدَى الْهَفْوَةِ الْعَفْوُ »

وَمَا هَفَوَاتُ الْمَرْءَ إِلَّا رِفَاقَهُ وَمَا الْعَفْوُ عَمَّنْ جَارَ إِلَّا اخْتِرَاقَهُ
يَقُولُونَ: خَيْرٌ مِنْ ظُلُومٍ فِرَاقُهُ « وَأَعْلَمُ أَنَّ الْجَوْرَ مَرٌّ مَذَاقُهُ
وَالْكِنَّةُ مِنْهَا، وَفِي حُبِّهَا، حُلُوٌّ »

١٩٥٣

جَمَالُ نَفْسِي ضِيَاءٌ فِي طَبِيعَتِهَا، إِذَا ابْتَغَى ذُو الْهَوَى نُكْرَانَ زِينَتِهَا
وَكَلَّمًا طَعَنَ الْبَاغِي بِشِيمَتِهَا « غَالِي بِنَفْسِي عِرْفَانِي بِقِيمَتِهَا
فَصُنَّتْهَا عَنْ رَخِيصِ الْقَدْرِ مُبْتَدَلِ »

وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ الْحَقَّ رَائِدُهَا، إِنْ أَنْكَرَ الشَّيْمَةَ الْحَسَنَاءَ جَاحِدُهَا
يَا صَاحِبِي! إِنَّمَا الدُّنْيَا شَدَائِدُهَا « وَإِنَّمَا رَجُلُ الدُّنْيَا وَوَاحِدُهَا
مَنْ لَا يُعَوَّلُ فِي الدُّنْيَا عَلَى رَجُلٍ »

١٩٥٢

إِذَا لَمْ أَفُزْ مِنْ أُمَّتِي بِمَوَدَّةٍ فَلَا خَيْرَ فِي جُهْدٍ وَإِعْدَادٍ عُدَّةٍ
وَلِنْ عَقْنِي جُهْدِي وَوَلِي بِحِدَّةٍ « تَطَلَّعْتُ فِي يَوْمِي رِخَاءً وَشِدَّةً
وَنَادَيْتُ فِي الْأَحْيَاءِ : هَلْ مِنْ مُسَاعِدٍ ؟ »

فَرَدَّ بَنُو أُمِّي، وَقَلْبِي كَمَاثَتْ : سَنَبَحْتُ عَنْ جُهْدٍ عَلَى الدَّرْبِ نَابِتٍ ...
وَسَارُوا، وَهَذَا الْعُمُرُ آتٍ كِفَاثَتِ، « فَلَمْ أَرْ فِيهَا سَاءً لِي غَيْرَ شَامِتٍ
وَلَمْ أَرْ فِيهَا مَرَّي غَيْرَ حَاسِدٍ »

١٩٥٤

حَكَمْتُمْ عَلَيْنَا بِالْصَّدُودِ لِمَثَرَةٍ فَهَلَّا ذَكَرْتُمْ كَمْ لَنَا مِنْ مَبَرَّةٍ ؟
أَحِبَّاءَنَا فِي فِتْرَةٍ بَعْدَ فِتْرَةٍ « دَعُوا الصَّبَّ يَشْفِي الْقَلْبَ مِنْكُمْ بِنَظَرَةٍ
فَلَا بُدَّ لِلْمُشْتَاكِ أَنْ يَنْزَوِدَا »

وَكَمْ وَقَفَتْ فِي مُهْجَةِ الصَّبِّ حَسْرَةٌ، وَقَالَتْ : لَعَلَّ الْيَأْسَ فِي الْحُبِّ فَرَحَةٌ
فَقُلْتُ لَهَا : مُرِّي فَدُنْيَاكِ مُرَّةً « وَكُلُّهُ لِي فِي أَوَّلِ الشَّوْطِ مَرَحَةٌ
وَلَكِنْ يَبِينُ السَّبْقُ فِي آخِرِ الْمَدَى »

١٩٥٣

إصْبِرْ فِي الصَّبْرِ إِنْجَازٌ وَمَقْدِرَةٌ وَلَيْسَ فِيهِ أَسَالِيبٌ مُخْدَرَةٌ
وَأِنْ عَجِزْتَ فَلَا تُجْدِيكَ مَعْدِرَةٌ « إِنِّي رَأَيْتُ، وَفِي الْأَيَّامِ تَجْرِبَةٌ،
لِلصَّبْرِ عَاقِبَةٌ مَحْمُودَةٌ الْأَمْرُ »

صَبْرًا عَلَى الْهَمِّ! إِنَّ الصَّبْرَ يَقْتُلُهُ وَأَبْعَدُ الْقَصْدِ مَا أَعْيَاكَ أَوَّلُهُ
كَمْ فَاتَ قَصْدٌ بِلَا صَبْرٍ يُذِلُّهُ « وَقَلَّ مَنْ جَدَّ فِي أَمْرِ يُؤْمَلُهُ
وَأَسْتَضَحَبَ الصَّبْرَ إِلَّا فَازَ بِالْوَطَرِ »

١٩٥٣

شِعْرِي غَرِيبٌ يُعَانِي دَاءَ غُرْبَتِهِ يَسْمُو عَلَى مَنْ تَنَاسَى سِرَّ رِفْعَتِهِ
بِهِ أَسْتَعْنْتُ عَلَى حُبِّي وَصَوْلَتِهِ « وَسِرْتُ فِيهِ وَلَمْ أَبْرَحْ بِدَوَائِهِ
حَتَّى وَجَدْتُ مُلُوكَ الْعِشْقِ خُدَايَ »

فَيَا بَنِي الْفَنِّ! لَمْ يُرْضِ الْوَرَى قَلَمُ وَلَا نَبِيٍّ أَتَى إِلَّا رَمَى لَهُمُ
فَلَا تَكُونُوا كَمَنْ فِي قَلْبِهِ صَمَمٌ « إِنْ كَانَ مَنَزِلَتِي فِي الْحُبِّ عِنْدَكُمْ
مَا قَدْ رَأَيْتُ فَقَدْ ضَيَعْتُ أَيَّامِي »

١٩٥٣

هَامَ الْمُتَيِّمُ فِي رَوْضِ الْمُنَى الْبَهِيحِ وَالْحُسْنُ يُغْرِي فُؤَادَ الصَّبِّ بِالْأَرْجِ
وَيَسْتَبِيهِ بِلَحْظِ فَاتِكِ غَنِيحِ « مَا بَيْنَ مُعْتَرِكِ الْأَحْدَاقِ وَالْمُهَيِّجِ
أَنَا الْقَتِيلُ بِلا إثمٍ وَلَا حَرَجِ »

أَنَا الَّذِي كَمَ سَبَاهُ الْحُبِّ وَالْوَلَهْ وَكَمْ تَصَدَّى لَهُ عَذْلٌ، فَجَنَدَلُهُ
مَا زِلْتُ أَحْسَبُنِي شَيْخَ الْأَلَى أَدْلَهُوا « أَهْفُو إِلَى كُلِّ قَلْبٍ بِالْغَرَامِ لَهُ
شُغْلٌ، وَكُلِّ لِسَانٍ بِأَهْوَى لَهْجِ »

آرَاهُ إِخْوَانِي بِكُمْ وَحَدَّثَهَا وَأَخَذَتْ عَنْكُمْ حِكْمَةً فَوَعَيْتَهَا
يَا غَائِبِينَ! بِكُمْ مُنَايَ وَجَدْتُهَا « لَوْ أَنَّ رُوحِي فِي يَدَيَّ وَوَهَبْتُهَا
لِمُبَشَّرِي بِقُدُومِكُمْ لَمْ أَنْصِفِ »

يُنْدِيهِ الْأَحِبَّةُ عِزَّةً وَتَرْفَعَا وَجَلَالُكُمْ لَا يَسْتَطِيبُ تَمَنُّمَا
مَلَأَ الْقُلُوبَ حُبَّةً وَتَحَشَّمَا « لَا تَحْسَبُونِي فِي أَهْوَى مُتَصَنِّمَا
كَلَفَنِي بِكُمْ خُلُقٌ بَغِيرِ تَكَلُفِ »

هُوَ الْحُسْنُ عَرْشُ يَدْهَلِ النَّفْسَ إِنْ غَوَتْ، وَمَا الْمَرْءُ إِلَّا النَّفْسُ وَالنَّفْسُ مَاطَوَتْ
وَعَابَتْهُ بِالنَّاسِ عَنْ عَرْشِهَا هَوَتْ « مَتَى أَوْعَدْتَ أَوْلَتْ، وَإِنْ وَعَدْتَ لَوَتْ
وَإِنْ أَقْسَمْتَ لَا تُبْرِئِي السَّقَمَ بَرَّتِ »

شَفَعْتُ بِهَا دَهْرًا فَأَخْفَيْتُ لَوْعَةً وَقَدْ مَلَأَتْ أَرْجَاءَ نَفْسِي خَبِيَّةً
فَإِنْ بَعُدَتْ لَمْ تَحْبِسِ الْعَيْنُ دَمْعَةً « وَإِنْ عَرَضَتْ أَطْرُقَ حَيَاءٌ وَهَيْبَةٌ
وَإِنْ أَعْرَضَتْ أَشْفِقُ فَلَمْ أَتَلَفْ »

فَمَا عَرَفْتُ تِلْكَ الْحَبِيبَةَ مُشَبَّهِي مُحِبًّا خَفِيفَ الظِّلِّ جَمَّ التَّنْبَهُ
أَحَاطَ بِي اللَّيْلُ الَّذِي لَيْسَ يَنْتَهِي « كَأَنِّي هِلَالُ الشَّكِّ لَوْ لَا تَأْوِيهِ
خَفِيتُ فَلَمْ تُهْدِ الْعُيُوفُ لِرُؤُوسِي »

١٩٥٣

تَفَكَّرْ فَإِذَا رَأَيْتَ الْحَقِيقَةَ مُشْتَهَى وَلَيْسَ لَهَا إِلَّا الْمَحَبَّةُ مُنْتَهَى
هِيَ الْخَمْرَةُ الْفُضْلَى الَّتِي تَفْتِنُ النَّهْيَ « هَنِيئًا لِأَهْلِ الدَّيْرِ كَمْ مَسَكِرُوا بِهَا
وَمَا شَرَبُوا مِنْهَا وَلَكِنَّهُمْ هَمُّوا »

فِي آيَةِ الْحُبِّ الَّذِي طَابَ نَشْرُهُ بِكَ الصَّبُّ يَسْتَشْنِي وَيَمْدُبُ شِعْرُهُ
وَقَدْ قَالَ قَبْلِي شَاعِرٌ سَارَ ذِكْرُهُ : « عَلَى نَفْسِهِ فَلْيَبْكْ مَنْ ضَاعَ عُمْرُهُ
وَلَيْسَ لَهُ فِيهَا نَصِيبٌ وَلَا سَهْمٌ »

١٩٥٣

أَنَا مَنْ تَيْمَمُهُ الْوَجْدُ أَنَا لَيْسَ لِي عَنْ عَبَقِ الْحُبِّ غِنَى
 أَيُّهَا الشَّاكِي أَضَالِيلَ الْمُنَى ! « رَوْحَ الْقَلْبِ بِذِكْرِ الْمُنْحَنِ
 وَأَعِذْهُ عِنْدَ سَمْعِي يَا أَخِي »
 كَيْفَ لَا تَشْتَاقُ رَوْحِي الْمُلْتَقَى وَأَنَا الشَّاكِي الْهَيَامَ الْمُحْرِقَا ؟
 هَلْ أَدَاوَى بِالْتَقَى أَمْ بِالرُّقَى ؟ « لَمْ يَرْقْ لِي مَنَزِلٌ بَعْدَ النِّقَا
 لَا وَلَا مُسْتَحْسَنٌ مِنْ بَعْدِ مَيِّ »
 فَاسْعَفَنِي كَيْ أَذُوقَ الْوَسْنَا وَأَذْكُرِي حُبِّي، وَقِيَّتِ الْمَحْنَا
 لَا تَقُولِي : لَعِبَ الشَّيْبُ بِنَا « مَا رَأَتْ مِثْلَكَ عَيْنِي حَسْنَا
 وَكَمِثْلِي بِكَ صَبَاً لَمْ تَرِي »
 ١٩٥٣

صُنْتُ الْحَبِيبَ بِقَلْبِي، خَوْفَ مُشْتَبِهِ، بِصِدْقِ وَدِّي، وَحِذْرًا مِنْ تَقْلِيدِهِ
 وَقُلْتُ يَا مَيِّ! دَارِي الدَّارَ وَأَنْتَبِهِي « لَا ضَيْمَ يَخْشَاهُ قَلْبِي، وَالْحَبِيبُ بِهِ
 فَإِنَّ سَاكِنَ ذَاكَ الْبَيْتِ يَحْمِيهِ »
 قَالَتْ : فَوَإِذَاكَ أَمْسَى مِلْكَ قَاطِنِهِ فَهَلْ تَصُونُ غِرَاسِي فِي جَنَائِنِهِ ؟
 قَلْبِي كَقَلْبِكَ مَشْغُوفٌ بِفَاتِنِهِ « مَنْ مِثْلُ قَلْبِي؟ أَوْ مَنْ مِثْلُ سَاكِنِهِ ؟
 اللَّهُ يَحْفَظُ قَلْبِي وَالَّذِي فِيهِ »

أَغْرَضْتَ نَوْرَ الْهُدَى عَنْ حَبِّهَا يَوْمَ أَمْسَى هَامًا فِي حُبِّهَا
لَا تَلَمْ مُنْتَبِهًا كَمْ نُبِّهَا « أَيُّهَا السَّائِلُ عَنْ وَجْدِي بِهَا !
إِنَّهَا أَعْظَمُ مِمَّا تَزْعُمُ »

هِيَ خَيْرٌ أَوْهَنْتَ مِنِّي الْقَوَى يَا لَسُكْرِ لَيْسَ يَشْفِيهِ دَوَا
وَكَأَنَّ الشَّعْرَ عَنْ قَلْبِي رَوَى : « سَطَرْتَ قَبْلِي أَحَادِيثُ الْهُوَى
وَبِمِسْكِكَ مِنْ حَدِيثِي تُخْتَمُ »

١٩٥٣

كَمْ رَعَيْتُ الدُّجَى وَنَادَيْتُ : رَبِّي ! آهِ مِنْ دَهْلًا وَشِدَّةٍ حُبِّي
فِي مَرَاعِي الْغَرَامِ يَسْرَحُ لُبِّي « يَعْشَقُ اللَّطْفَ وَالرِّشَاقَةَ قَلْبِي
وَيُحِبُّ الْغَزَالَ ذَا الْأَفَاتِ »

وَجَزَاءُ الْمُحِبِّ صَدٌّ وَعَسْفُ يَدَّ أَنْيَّ عَنْ الْإِسَاءَةِ أَغْفُو
فَيَظُنُّ الْعُدَالَ أَنْيَّ أَسِفُ « وَيَقُولُونَ : عَاشِقٌ، وَهُوَ وَصْفُ
مِنْ صِفَاتِي الْمُقَوِّمَاتِ لِذَاتِي »

١٩٥٣

أَتَرْضَى مِنَ الدُّنْيَا تَحْمَلُ كُرْبَةً بِخَوْضِ خِصَامٍ وَأُطْرَاجِ مَسَرَّةٍ ؟
فِي الدَّهْرِ كَفَى مِنْ دَوَاهٍ مُمِضَّةٍ : « فَقَدْتُ حَبِيبًا ، وَأَبْتُلَيْتُ بِغُرْبَةٍ
وَحَسْبُكَ مِنْ هَذَيْنِ أَمْرَانِ مُرَّانِ »

فَبِاللَّهِ لَا تَأْبَهُ لَأَرَاءِ جَاهِلٍ فَلَذَاتُ هَذَا الْعُمَرِ أَخْلَامُ غَافِلٍ
كَفَى الْمَرْءُ أَنْ يَحْيَا بِأَمَالٍ عَاقِلٍ « وَمَا النَّاسُ إِلَّا رَاحِلٌ بَعْدَ رَاحِلٍ
إِلَى الْعَالَمِ الْبَاقِي ، مِنْ الْعَالَمِ الْفَانِي »

١٩٥٣

عَذَّبْتُمُونِي خَصِيصًا وَلَسْتُ صَبًّا حَرِيصًا
قَدْ كُنْتُ سِرًّا عَوِيصًا « مَلَكْتُمُونِي رَخِيصًا
فَانْحَطَّ قَدْرِي لَدَيْكُمْ »

تَخَذْتُمُونِي رَبَابًا مُسْلِيًّا مُسْتَطَابًا
وَكَمْ تَبِعْتُمْ صِحَابًا « فَأَغْلَقَ اللَّهُ بَابًا
مِنْهُ دَخَلْتُ إِلَيْكُمْ »

وَكَمْ شَقِيتُمْ وَعُدْتُمْ إِلَى الرَّبَابِ وَنُحْتُمْ
وَلَا أَظُنُّ اتَّعَظْتُمْ « وَحَقَّكُمْ مَا عَرَقْتُمْ
قَدَرَ الَّذِي فِي يَدَيْكُمْ »

١٩٥٣

سَمِعْتُ نَسِيمَ الصَّبِيحِ يَتْلُو رِوَايَةً وَيَنْقُلُ عَنْ ذَاتِ الْجَمَالِ شِكَايَةً
فَحَمَلَتْهُ مِنْ شِعْرِ رُوحِي رِسَالَةٌ : « عَلَى مِثْلِهَا يَبْكِي الْمُحِبُّ صَبَابَةً
فِيَا مُهْجَتِي ! لَا عِطَرَ بَعْدَ عَرُوسِ »

وَمَا كُنْتُ مِمَّنْ يَسْتَطِيبُ قَطِيعَةً وَيَتَخَذُ الذَّنْبَ الْقَدِيمَ ذَرِيعَةً
فَإِنْ أَنْصَفَتْ عَادَتُ وَكَانَتْ شَهِيدَةً « عَلَى أَنَّ لِي فِي الْحُبِّ نَفْسًا عَزِيزَةً
وَفِي النَّاسِ عُشَّاقٌ بَغَيْرِ نُفُوسِ »

١٩٥٣

يَا صَاحِبِي ! كَادَ الْوُشَاةُ لَنَا قَالُوا : أَفْتَرَيْتَ وَعِفْتَ الْفَتَنَّا
وَسَعَوْا لَدَيْكَ بِمَا يُكْذِرُنَا « مَا قُلْتَ أَنْتَ ، وَلَا سَمِعْتُ أَنَا
هَذَا كَلَامٌ لَا يَلِيقُ بِنَا »

إِنِّي أَبْرَأُ مَنْ وَدِدْتُهُمْ بِمَا بَدَا لِي ، أَوْ بَدَا لَهُمْ
عُودُوا نَعْدُ ، وَلِيَحْكُمِ الْكَرَمُ « إِنَّ الْكَرَامَ إِذَا صَحِبْتَهُمْ
سَتَرُوا الْقَبِيحَ وَأَظْهَرُوا الْحَسَنَ »

١٩٥٢

تَرَكْتُ هَوَى الْأَوْهَامِ فَأَغْتَرَّ جَانِبِي وَأَذْرَكْتُ أَنْبَ الْعَالَمِينَ أَقَارِبِي
فَغَيَّرْتُ عَادَاتِي، وَيَا لِلْغَرَائِبِ « لَقَدْ كُنْتُ قَبْلَ الْيَوْمِ أَنْكَرُ صَاحِبِي
إِذَا لَمْ يَكُنْ دِينِي إِلَى دِينِهِ دَانِي »

وَلَمَّا كَفَانِي الْحَقُّ كُلَّ مَشُورَةٍ تَبَيَّنْتُ مَعْنَى الْحُبِّ فِي كُلِّ سُورَةٍ
فَأَعْلَنْتُهُ فِي كُلِّ نَادٍ وَكُورَةٍ « وَقَدْ صَارَ قَلْبِي قَابِلًا كُلَّ صُورَةٍ
فَمَرَعَى لِنِزْلَانٍ وَدَيْرٍ لِرُهْبَانٍ »

كَأَنِّي مَنَارٌ بَيْنَ غَايٍ وَرَاحٍ يُضِيءُ فَيُوحِي آيَهُ لِلْقَرَائِحِ
وَتَفْسِي مُصَلَّى حَافِلٍ بِالْمَدَائِحِ « وَمَعْبُدُ أَوْثَانٍ، وَكَعْبَةٌ سَائِحِ
وَالْوَحُ تَوْرَادٍ، وَمُصْحَفُ قُرْآنٍ »

وَمَا الدِّينُ عِنْدِي غَيْرُ رُوحٍ تَأَلَّهْتُ وَهَامَتْ بِمَوْلَاهَا، وَلَمَّا تَدَلَّهْتُ
شَدْتُ لِلْوَرَى لِحْنًا، بِهِ كَمْ تَوَلَّهْتُ: « أَدِينُ بِدِينِ الْحُبِّ أَتَى تَوَجَّهْتُ
رَكَائِبُهُ، فَالْحُبُّ دِينِي وَإِيمَانِي »



نَشَرْتُ حُبِّي عَلَى الْأَطْيَارِ وَالزَّهَرِ فَرَّاحَ يُظْهِرُ مَا فِي النَّفْسِ مِنْ غُرَرِ
يَا مَنْ أَرَى فِي هَوَاهُ غَايَةَ الْوَطَرِ « سَلْ فِي الظَّلَامِ أَخَاكَ الْبَدْرَ عَنْ سَهَرِي
تَدْرِي النُّجُومُ كَمَا يَدْرِي الْوَرَى خَبْرِي »

إِنِّي سَكِرْتُ مِنَ النَّجْوَى فَلَا مَلْلَ مِنْ الْحَبِيبِ وَلَا وَصْلَ وَلَا أَمَلْ
أَشْدُو وَحِيدًا، وَأَنْتَ أَمُّ الْهَوَى عِلَلْ « حَتَّى يُخَيَّلَ أَنِّي شَارِبٌ مِمْلْ
بَيْنَ الرِّيَاضِ وَبَيْنَ الْكُأْسِ وَالْوَتْرِ »

١٩٥٢

وَلِيَ الْهَوَى فَأَنْتَشَى بِالذِّكْرِ صَاحِبُهُ وَحَطَّمَ الدَّنَّ وَالْأَقْدَاحَ شَارِبُهُ
فَيَا مَخْطُئِي! وَالرَّأْيُ صَائِبُهُ، « كُنَّا نَرَى الْيَأْسَ تُسَلِّينَا عَوَاقِبُهُ
وَقَدْ يَتَسَنَّأُ، فَمَا لِلْيَأْسِ يُغَرِّينَا ؟ »

كُنَّا نَرَى الْحُبَّ آمَالًا مُرْفَرِفَةً وَلَمْ نَكُنْ نَرْتَجِي مِنْ رَوْضِهِ هِبَةً
فَإِنْ قَطَعْتَ بِأَسْبَابِ الْهَوَى صِلَةً « أَوْلِي وَفَاءً، وَإِنْ لَمْ تَبْذُلِي صِلَةً
فَالذِّكْرُ يُقْنِعُنَا، وَالطِّيفُ يَكْفِينَا »

١٩٥٢

أَسْبَابُ وَجْدِكَ أَيُّهَا الْخَفَاقُ كِتْمَانُ سِرِّكَ، وَالْهُوَى مِخْرَاقُ
وَلَيْتَ نَهَاكَ الْعُرْفُ وَالْأَخْلَاقُ « لَا تُخَفِّ مَافَعَلَتْ بِكَ الْأَشْوَاقُ
وَأُشْرَحَ هَوَاكَ، فَكُلُّنَا عُشَّاقُ »

وَأَنْظُرْ إِلَى غُصْنٍ مِنَ الْحَمَلِ التَّوَى وَإِلَى شَهِيدٍ فِي الْمَجَاهِلِ قَدْ تَوَى
وَأَشْكُ الظُّلَامَةَ مِنْ حَبِيبٍ مَارَعَوَى « فَهَسَى يُعِينُكَ مَنْ شَكَّوَتْ لَهُ الْهُوَى
فِي سَحْلِهِ، فَأَلْمَاشِقُونَ رِفَاقُ »

١٩٥٣

بَدَّلْ نِظَامَكَ وَأَعْدِلْ أَيُّهَا الْفَلَكُ فَالْعَدْلُ يُصْلِحُ مَنْ فِي غِيَّهِمْ سَلَكَوا
أَلَمْ أَقُلْ لَكَ، وَالْأَهْوَاءُ تَمْتَرِكُ : « إِنَّ الدِّينَ بِأَمْرِ الْحُبِّ قَدْ مَلَكَوا
لَمْ يَتَّقُوا الْحُبَّ فِي ضُرِّي وَإِذَا ثِي »

تَعَمَّدُوا اللَّهَ عَنِّي فِي مَشَاغِلِهِمْ وَلَمْ أَكُنْ عَنْ هَوَى الدُّنْيَا بِشَاغِلِهِمْ
فَدَعَاكَ يَا قَلْبُ مِنْ ذِكْرِي مَشَاكِلِهِمْ « لَمْ يُدْنِي الشَّوْقُ يَوْمًا مِنْ مَنَازِلِهِمْ
إِلَّا تَوَلَّوْا مَعَ الْأَيَّامِ إِفْصَائِي »

١٩٥٣

تَقْضِي الْمَحَبَّةُ أَنْ تَعِيشَ مُوَسِيَا لِتَكُونَ عَنْ أَبْنَاءِ دَهْرِكَ رَاضِيَا
فَأَجْهَدْ وَسَاعِدْ مَنْ يَحْيِيكَ شَاكِيَا « وَلَدَتَكَ أَثْمَكَ يَا ابْنَ آدَمَ بَاكِيَا
وَالنَّاسُ حَوْلَكَ يَضْحَكُونَ سُورَا »

حَسْبُوكَ مُنْقِذُهُمْ فِدَاوِ جُرُوحِهِمْ خَيْرُ الْوَرَى مَنْ جَاءَهُمْ لِيُرِيحَهُمْ
فَإِذَا عَجِزَتْ، وَلَمْ تُقِرَّ عُيُونُهُمْ، « فَأَخْرِصْ عَلَى عَمَلٍ تَكُونُ بِهِ وَهُمْ
يَبْكُونَ حَوْلَكَ، ضَاحِكًا مَسْرُورَا »

١٩٥٣

رَأَيْتُ الْفَتَى يَسْمَى لِيُذَكِّرَ بِرُّهُ فَإِنْ غَيَّبَتْهُ الْأَرْضُ أَحْيَاهُ ذِكْرُهُ
وَمَنْ يَسْمَعِ لِلْفَانِي يُدَاهِمُهُ شَرُّهُ « وَمَنْ يَحْمَدِ الدُّنْيَا لِشَيْءٍ يَسْرِهُ
فَسَوْفَ تَرَاهُ بَعْدَ حِينٍ يَلُومُهَا »

تَطَوَّحْنَا الدُّنْيَا يَمِينًا وَيَسْرَةً وَتَسْلُبُ مَا أَعْطَتْ وَلَوْ كَانَ ذَرَّةً
فِيَا لِحَوُونٍ لَيْسَ تُؤْمِنُ مَرَّةً « إِذَا أَذْبَرْتَ كَانَتْ عَلَى الْمَرْءِ حَمْرَةً
وَإِنْ أَقْبَلْتَ كَانَتْ كَثِيرًا مُهْمُومًا »

١٩٥٣

مِنْ الْفَنِّ أَنْعَامِي وَوَشْيُ قَصَائِدِي وَمِنْ بَحْرِهِ الْفَيَاضِ دُرٌّ قَلَائِدِي
وَكَمْ عَقْنِي خَلِي، وَدَمَدَمْ نَاقِدِي « فَدَارَيْتُ كُلَّ النَّاسِ لَكِنَّ حَاسِدِي
مُدَارَاتُهُ شَطَطَتْ وَعَزَّ نَوَالُهَا »

بَرَانِي دُعَاةُ الْعِلْمِ أَكْبَرُ نَقْمَةٍ وَكَمْ هَاجُوا بُرْجِي فَبَاؤُوا بِذِلَّةٍ
هُوَ اللَّهُ يَحْمِينِي بِعِزٍّ وَمِنْعَةٍ « وَكَيْفَ يُدَارِي الْمَرْءُ حَاسِدَ نِعْمَةٍ
إِذَا كَانَ لَا يُرْضِيهِ إِلَّا زَوَالُهَا » ؟

١٩٥٣

يَا أَهْيَلْ أَلْهَوَى تَلَالًا فَتَنِي كَالْدَّرَارِي وَأَطْرَبَ النَّاسَ لَحْنِي
وَشَدَا الْعَارِفُونَ بِالْحُبِّ أَنِّي « أَنَا شَيْخُ الْغَرَامِ، مَنْ يَتَّبِعْنِي
أَهْدِيهِ فِي أَلْهَوَى صِرَاطًا سَوِيًّا »

وَكَفَانِي كَرَامَةً مَا أَعْتَرَانِي يَوْمَ أَرْمَعْتُ رِحْلَةً عَنْ حِمَامِي
فَدَهَانِي مِنَ الْأَلْسِنَةِ مَا دَهَانِي « أَنَا مَيِّتُ أَلْهَوَى، وَيَوْمَ أَرَامِي
بَعْدَ طَوْلِ الْغِيَابِ أُبْعَثُ حَيًّا »

١٩٥٣

عَشِقْنَا، وَكَمْ عَانِي الْغَرَامَ مُحَافِظُ، فَلَا يُكْثِرُ الْإِرْشَادَ وَالنُّصْحَ وَاعِظُ
وَهَلْ تُخْطِئُ الرَّئِيَّ السَّيِّدَ لَوْ احِظُ « صِخَاحُ مِرَاضٍ نَاعِسَاتٍ يَوَاقِظُ
لَهَا عِنْدَ تَحْرِيكِ الْجُفُونِ سُكُونُ »

تَمُرُّ بِحَرْحَاهَا وَتَسْتَنْصِبُ الدَّوَا وَتَبْخُلُ بِالتَّطْيِيبِ مِنْ عِلَّةِ الْجَوَى
عُيُونُ بِنَارِ السَّخَرِ تَلْدَعُ مَنْ غَوَى « إِذَا صَادَقَتْ قَلْبًا خَلِيًّا مِنْ أَلْهَوَى
تَقُولُ لَهُ : كُنْ مُغْرَمًا فَيَكُونُ »

حَبِيبَتُكَ حُبُّ الطَّلِّ شَاقَّتُهُ رَوْضَةٌ وَحُبُّ هَزَارِ الْأَيْكِ أَغْوَتُهُ زَهْرَةٌ
وَلِإِنِّي، وَلِإِنْ لَمْ تُرْهِبِ النَّفْسَ رَوْعَةً « أَهَابُكَ إِجْلَالًا، وَمَا بِكَ قُدْرَةٌ
عَلَيَّ، وَلَكِنْ مِلٌّ عَيْنٍ حَبِيبُهَا »

وَكَمْ بَدَّلْتَ سَنَاءً، إِلَّاكَ، جُهْدَهَا - لِأَسْرِي؛ وَلَمْ تَبْلُغْ مِنَ الْقَلْبِ قَصْدَهَا
وَكَمْ أَكْثَرْتَ قُرْبًا فَأَثَرْتُ بَعْدَهَا « وَمَا هَجَرْتُكَ النَّفْسُ أَنَّكَ عِنْدَهَا
قَلِيلٌ، وَلَكِنْ قَلٌّ مِنْكَ نَصِيبُهَا »

يَشْرُرُ الْهَوَى، وَالذَّهْرُ يَعْصِفُ بِالْمُنَى فَيَا وَنَحْ أَمْ الشَّوْقِ كَمْ طَوَّحَتْ بِنَا
وَيَا بِنْتَ قَاسِي الْقَلْبِ مِنْ وَفْرَةِ الْغِنَى « إِذَا قُلْتُ: أَهْدَى الْهَجْرُ لِي حُلَّ الضَّنَى
تَقُولِينَ: لَوْلَا الْهَجْرُ لَمْ يَطِبِ الْحُبُّ »

وَأَنْتِ الَّتِي هَيَّاتِ يَوْمَ فَتَنَتْنِي شِرَاكًا لِصَيْدِي، ثُمَّ غَبَّتِ وَهَجَّتْنِي
أَرَدْتَ فَنَائِي فِي هَوَاكِ فَرُعْتَنِي « وَإِنْ قُلْتُ: مَا ذَنْبِي إِلَيْكَ؟ أَجَبْتَنِي :
وُجُودُكَ ذَنْبٌ لَا يُقَاسُ بِهِ ذَنْبٌ »

١٩٥٣

مَعَانِي الْهَوَى نَوْرٌ عَلَى الْفِكْرِ سَاطِعٌ، وَمَوْحِي الْهَوَى يَحْتَالُ، وَالْقَلْبُ قَانِعٌ
كَأَنِّي، وَأَسْبَابُ الْغَرَامِ تُمَانِعُ، « إِذَا رُمْتُ عَنْهَا سَلْوَةً قَالَ شَافِعُ
مِنْ الْحُبِّ: مِيعَادُ السَّلْوِ الْمَقَابِرُ »

فَلَيْتَ الَّتِي لَمْ تُخْلِصِ الْوُدَّ فِي الْهَوَى، تُهَيِّئِي لِي مِنْ بَعْضِ آيَاتِهَا دَوَا
وَلَوْ أَنَّهَا ضَلَّتْ، وَغَضَنُ الصَّبَا اتَّوَلَّى « سَيَبْقَى لَهَا فِي حَبَّةِ الْقَلْبِ إِنْ ذَوَى
سَرِيرَةٌ وَدَّ يَوْمَ تَبْلَى السَّرَائِرُ »

١٩٥٢

١٦ - ٢

- ٢٤١ -

يَنِي الْحَكِيمُ مَعَ التَّوَاضُّعِ رِفْعَةً إِنْ يَرْفَعِ الْجَدُّ الْمُغَامِرَ بَغْتَةً
فَإِذَا غَدَوْتَ مِنَ الْبَلَاغَةِ حُجَّةً « لَا تَطْلُبَنَّ بَايَةَ لَكَ رُتْبَةً
قَلَمُ الْبَلِيغِ بِغَيْرِ جَدٍّ مَنَزَلُ »

وَالْجَدُّ وَالْجَدُّ السَّعِيدُ دَعَاهُمَا أَخَوَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ مِنْ سَوَاهُمَا
فَإِذَا جَمَعَتْهُمَا بَدَتْ صِفَتَاهُمَا « سَكَنَ السَّمَاءُ كَانَ السَّمَاءُ كِلَاهُمَا
هَذَا لَهُ رُمُوحٌ، وَذَلِكَ أَغْزَلُ »

١٩٥٣

يَهْوِي فَوَادُ الْفَتَى قَصْدًا يَوْمُهُ فَإِنْ أَعَدَّ لَهُ ، فَالْفَوْزُ مَوْئِلُهُ
وَسَائِلُ قَالَ ، وَالْأَهْوَاءُ تَشْغَلُهُ : « الْمَوْتُ بَابٌ وَكُلُّ النَّاسِ تَدْخُلُهُ
فَمَا تُرَى بَعْدَ هَذَا أَلْبَابِ مَا الدَّارُ ؟ »

تَجَاهِلُ السَّائِلُ الْقَانُونَ وَأُغْتَنَمَا لَدَائِدَ الْعُمْرِ حَتَّى أَذْرَكَ الْهَرَمَا
فَقُلْ لَهُ ، إِنْ يَكُنْ عَنْ غِيهِ نَدِيمَا : « الدَّارُ دَارُ نَعِيمٍ إِنْ عَمِلْتَ بِمَا
يُرْضِي الْإِلَهَ وَلَا الدَّارُ قَالْنَارُ »

١٩٥٢

أَشْكُو لِرَبِّي، وَلَا أَشْكُو لِفَاتِنَةٍ : مَا عَذَّبَ الْقَلْبَ مِنْ نَارٍ مُعَاوِدَةٍ
مَالِي فُتِنْتُ وَلَمْ أَسْمَعْ لِهَامِسَةٍ : « أَقْصِرْ فُؤَادِي ! فَمَا الَّذِي كَرَى بِنَافِعَةٍ
وَلَا بِشَافِعَةٍ فِي رَدِّ مَا كَانَا »

إِنْ كُنْتُ يَا قَلْبُ تَرْجُو مِنْ هَوَاكَ مُنَى، وَلَيْسَ يُغْرِيكَ مِنْ دُنْيَا الزَّوَالِ غِنَى
فَدَعْ هَوَاكَ الَّذِي يُضْنِي وَغَنِّ لَنَا : « سَلَا الْفُؤَادُ الَّذِي شَاطَرْتَهُ زَمَنَا
حَمَلَ الصَّبَابَةَ فَأَخْفَقَ وَحَدَّكَ الْآثَا »

أَلَسْتُ تَذْكُرُ يَا صَدَّاحُ مَنْ صَدَحَا : يَا لَيْتَ قَلْبِكَ مِنْ سِحْرِ الْغَرَامِ صَحَا ؟
لَحَاكَ لَاجَ فَلَمْ يَرُدَّكَ يَوْمَ لَحَا « مَا كَانَ ضَرَّكَ إِذْ عُلِقْتَ شَمْسُ ضَحَى
لَوْ أَذْكُرْتَ ضَحَايَا الْعِشْقِ أَحْيَانَا ؟ »

إِنَّ الَّتِي سَلَبَتْ مِنْ فَيْكَ بَهْجَتَهُ يَا بُلْبُلَ الشَّعْرِ لَمْ تَسْلُبْكَ فِتْنَتَهُ
لَكِنَّا سَأَلْتُ مَنْ زَانَ رَوْضَتَهُ : « هَلَا أَخَذْتَ لِهَذَا الْيَوْمِ أَهْبَتَهُ
مِنْ قَبْلِ أَنْ تُصْبِحَ الْأَشْوَاقُ أَشْجَانَا ؟ »

فَقُلْتُ لَا، وَسَأَلْتُ الدَّمْعَ حِينَ هَمَى : أَلَا يُدَاوِي فُؤَادَ الصَّبِّ عَرَفُ لَمَى ؟
فَأَسْتَضْحَكْتُ وَأَجَابْتُ : لَا عَدِمْتُ فَمَا « لَهْفِي عَلَيْكَ قَضَيْتَ الْعُمْرَ مُقْتَحِمًا
فِي الْوَصْلِ نَارًا وَفِي الْهَجْرَانِ نِيرَانَا »

لا تَمْدُلُوهُ فَإِنَّ الشَّوْقَ أَنهَكَهُ لَمَّا رَأَى مِنْ ظَلَامِ الْهَجْرِ أَحْلَكَهُ
شَهِيدُ حُبِّ شَدَا ، وَالْوَجْدُ أَهْلَكَهُ : « يَا مَنْ أَقَامَ فُؤَادِي إِذْ تَمَلَّكَهُ
مَا بَيْنَ نَارَيْنِ مِنْ شَوْقٍ وَمِنْ شَجَنِ »

أَلَيْسَ يَكْفِيكَ أَنَّ النَّفْسَ قَدْ عَلِمَتْ ، سِرَّ الدَّلَالِ فَمَا بَاحَتْ وَلَا سَمِعَتْ ؟
يَا مَنْ صَلَّى مُهْجَتِي نَارًا فَمَا سَلِمَتْ ! « تَقْدِيكَ أَعْيُنُ قَوْمٍ حَوْلَكَ أَزْدَحَمَتْ
ظِلْمَايَ إِلَى نَهْلَةٍ مِنْ وَجْهِكَ الْحَسَنِ »

رِفْقًا ! بِصَبٍّ تَخَلَّى عَنْ صَبَابَتِهِ وَمَا تَخَلَّى لِحَبٍّ عَنْ كِرَامَتِهِ
وَأَنْتَ كَاللَّحْنِ جَارٍ فِي سَلَاسَتِهِ « جَرَدْتَ كُلَّ مَلِيحٍ مِنْ مَلَاَحَتِهِ
لَمْ تَتَّقِ اللَّهَ فِي ظَنِّي وَلَا غُصْنٍ »

إِنَّ الَّذِي مَدَّ فِي الْآفَاقِ شُهُرَتَهُ شَكَ هَوَانَ الْهَوَى إِذْ مَسَّ عِزَّتَهُ
فِيَا مُعَذِّبُهُ ! إِنْ رُمْتَ رِفْعَتَهُ « فَاسْتَبَقِ لِلْبَدْرِ بَيْنَ الشَّهَبِ رُبَّتَهُ
تَمَلِّكَهُ فِي أَوْجِهِ عَبْدًا بِلا ثَمَنِ »

لَا حَتَّ مَعَانِي الْهَوَى مِنْ مُقَدَلَةِ الْأَمَلِ - فَلَا تَسْكُنْ عَنْ نِدَاءِ الْحُبِّ فِي شُغْلٍ
وَقُلْ لِمَنْ ذَهَبَتْ فِي الْحُسْنِ كَالْمَثَلِ : « يَا رَاحَةَ الْقَلْبِ يَا شُغْلَ الْفُؤَادِ صَلِي
مُتَيَّمًا أَنْتِ فِي الْحَالَيْنِ دُنْيَاهُ »

إِنَّ الْغَرَامَ يُغْنِي فِي مَلَاعِبِهِ بِسِحْرِ مَنْ مَلَأَتْ كَلَسَاتِ شَارِبِهِ
فِيَا مَثَارَ هَوَى مُودٍ بِصَاحِبِهِ « زِينِي أَلْنَدِيَّ وَسِيلِي فِي جَوَانِبِهِ
لُطْفًا يَعْهُمُ رَعَايَا اللَّطْفِ رِيَاءُ »

فَرُبَّ نَفْسٍ مِنَ الْأَهْوَاءِ مُتَعَبَةٍ وَدَّتْ لَوْ أَرْتَفَعَتْ عَنْهَا بِأَجْنَحَةٍ
يَا مَنْ تَرَأَتْ كَأَطْيَارٍ مُرْفَرِفَةٍ « رَيْحَانَةُ أَنْتِ فِي صَحْرَاءِ مُجْدِبَةٍ
مِنْ الرِّيَاحِينَ ، حَيَانَا بِهَا اللَّهُ »

وَكَمْ سَرَى نَحْوَنَا مِنْ عِطْرِهَا أَرْجُ حَنَنْتُ لَهُ أَنْفُسٌ ، هَامَتْ بِهِ مُهْجُ
سَكِرَتْ مِنْهُ وَفِي سُكْرِ الْهَوَى فَرَجُ « إِنَّ غَابَ سَاقِي الطَّلَا أَوْ صَدَّ لَاحِرَجُ
هَذَا جَمَالِكَ تُغْنِينَا حُمَيَّاهُ »

أضناك ماضٍ فلا تحفل بيوم غدٍ - يا مُشتكي الحُبِّ! وأهجر آفة الكمدِ
وإن سلوت فلا تقرأ على أحدٍ : « يا آسمي الحبي هل فتشت في كبدي
وهل تبينت داء في زواياها ؟ »

فالنفس تهتزُّ حزناً من تفهمها معني الحنين وتشكو من معلميها
وتزفرُّ النارُ فيها من تألمها « أواه من حرق أودت بمعظمها
ولم تزل تمشي في بقاياها »

والشوق ثورة روح إن أحب لها وأحب فكر إذا لم تستثره سها
فلا تغنَّ لقلب بات مدله : « ياشوق رفيقاً بأضلاع عصفت بها
فالقلب يخفق دُعراً في حناياها »

١٩٥٢

ذاك المعنى جهول الحُبِّ يعذله أجاره الله مما ألقاب يحمله
لعلَّ سفرَ هواه كان أوله : « إذا وهى الحُبُّ فالهجران يقتله
وإن تمكّن فالهجران يُحييه »

والصَّبُّ يَأْلَمُ مِنْ عَذَلٍ فِيرْجُهُ كشارب الخمر يحسوها فتظمئته
ومن كواه الجوى لا عذل يُبرئُه « فأصغرُ النارِ عصفُ الرِّيحِ يُطفئُه
ومُعْظَمُ النارِ عصفُ الرِّيحِ يذكيه »

١٩٥٢

أَلِفْتُ مِنَ الْأَيَّامِ حَمَلَ النُّوَابِ وَكَانَ اخْتِبَارِي وَخَدَهُ خَيْرَ صَاحِبِ
فَإِنْ كَلَّ جَهْدِي أَوْ تَدَاعَتْ رَغَائِي « أَتَقْضِي مَعِيَ إِنْ حَانَ حِينِي تَجَارِي ؟ »

وَمَا نِلْتُمَهَا إِلَّا بِطَوْلِ عَنَائِي ؟

صُفُوفٌ مِنَ الْأَرَاءِ غَيْرُ قَلِيلَةٍ تَبْدُؤُكُمْ مُمُوءًا كُلَّ جَهْدٍ وَحِيلَةٍ
أَرَاهَا تُسَاوِي مَالَ أَلْفِ قَبِيلَةٍ « وَيَحْزُنُنِي أَنْ لَا أَرَى مِنْ وَسِيلَةٍ

لِأُورِثَهَا مَنْ يَسْتَحِقُّ عَطَائِي »

وَلَسْتُ بِمَنْ يَسْتَبْدِلُ الْحَمْدَ وَالثَنَّا بِمَا حَوَتْ الدُّنْيَا وَزَيَّنَتْ الْمُنَى
وَلَكِنِّي أَرْتِي لِضَائِعِ جُهْدِنَا : « إِذَا وَرَثَ الْجُيَاهِلُ أَبْنَاءَهُمْ غِنَى

وَجَاهًا، فَمَا أَشَقُّ بَنِي الْحُكَمَاءِ »

١٩٥٤

أحمد شوقي

الحياة والمرث

١٣٣

عَشِقْنَاهَا مَلُوءَةً وَبِالْأَمَالِ مُتْرَعَةً
وَحِينَ تَمُرُّ مُتْرَعَةً « أَرَى زُمَرًا مُشِيعَةً

وَأَسْمَعُ أَيَّمَا صَوْتِ »

عَلَى الْمَوْتِ بَكَتْ مِلُّ فَهَلْ عَادَ الْأُلَى رَحَلُوا ؟
كَانَ النَّاسَ قَدْ جَهِلُوا « وَلَوْ عَقَلُوا لَمَا فَعَلُوا

جَلالُ الْمَوْتِ فِي الْمَوْتِ »

١٩٥٣

حَكَمَ الطُّغَاةُ فَحَارَبُوا لِلْمَغْنَمِ وَبِمَكْرِهِمْ هَضَمُوا حُقُوقَ الْمُعْدِمِ
وَقَضَوْا عَلَى حُرِّيَّةِ الْمُتَكَلِّمِ « يَا وَيْحَهُمْ نَصَبُوا مَنَاراً مِنْ دَمِ
يُوحَى إِلَى جَيْلِ الْغَدِ الْبَغْضَاءِ »

وَالنَّاسُ مَلَأُوا تُرَاهُتِ الْمُعْتَدِي جُودُ الْفُؤَادِ أَجَلُ مَنْ جَرَدَ أَلْيَدِ
فَسَلَ الْعُتَاةُ بِحِرَاةٍ وَتَمَرَّدَ : « مَا ضَرَّ لَوْ جَعَلُوا الْعِلَاقَةَ فِي غَدِ
بَنِينَ الشُّعُوبِ مَوَدَّةَ وَإِخَاءِ » ؟

١٩٥٢

سَبَى فُؤَادِي وَلَمْ يَرَأْفَ بِهِ قَمَرُ فِي طَرْفِهِ حَوَرٌ، فِي ثَغْرِهِ دُرُّ
فَقُلْتُ: يَا مَنْ لَهَا بَيْنَ الْوَرَى غُرُّ « صَوْنِي جَمَالِكَ عَنَّا إِنَّا بَشَرُ
مِنَ التُّرَابِ وَهَذَا الْحُسْنُ رُوحَانِي »

مُضْنَاكَ زَهْرُ الرُّبَى عَوْدَ الْأَرَاكِ حَكِي، وَقَلْبُهُ فِي سَبِيلِ الْهَذَا قَدْ سَلَكَ
فَأَتَقْدِيهِ، وَكَمْ صَبَّ إِلَيْكَ شَكَا « أَوْ فَا بَتْنِي فَلَكَا تَأْوِينَهُ مَلَكَا
لَمْ يَتَّخِذْ شَرَكَا فِي الْعَالَمِ الْفَانِي »

١٩٥١

أَصْبَحَ الْحُبُّ بِقَلْبِي كَالطُّلُوبِ هَذِهِ عَاقِبَةُ الصَّبِّ الْمَلُولِ
عَاشَ مَفْتُونًا فَأَغْوَاهُ الذُّهُولُ « وَسُرُورُ الْحُبِّ وَهُمْ لَا يَطُولُ
وَجَمَالُ الْحُبِّ ظِلٌّ لَا يُقِيمُ »

وَأَضَالِيلُ الْهَوَى تَسِي الْعُقُولُ ثُمَّ تَذْوِي مِثْلَ أَزْهَارِ الْحُقُولِ
وَالصَّبَا كَالْبَذْرِ يَعْرِوهُ الْأَفُولُ « وَعُودُ الْحُبِّ أَحْلَامُ تَزُولُ
عِنْدَمَا يَسْتَيْقِظُ الْعَقْلُ السَّلِيمُ »

١٩٥٣

يَا ابْنَةَ اللَّيْلِ الَّذِي نَاغَى مَعِي أَمَلًا وَلَيْ كُنْجَمٍ مُسْرِعٍ
لَا تُنَاجِي ضَوْؤَهُ بِالْأَذْمُعِ « هُوَذَا الصُّبْحُ يُنَادِي فَأَسْتَمِعِي
وَهَلُمِّي تَقْتَنِي خُطَوَاتِي »

غِبْطَةُ النَّفْسِ بُلُوغُ الْمَطْمَعِ فَإِذَا لَمْ تُدْرِكِي الْقَصْدَ أَرْجِعِي
لَا تَسِيرِي فِي الظَّلَامِ الْمُفْرِجِ ! « قَدْ كَفَنَانَا مِنْ مَسَاءٍ يَدْعِي
أَنْ نَوْرَ الصُّبْحِ مِنْ آيَاتِهِ »

١٩٥٤

مِنَ الشَّعْرِ مَا يَبْدُو كَقَضَرٍ مِنَ السَّحَرِ - وَمَا الْفَنُّ إِلَّا نَفْحَةٌ اللَّهِ فِي الْفِكْرِ
وَلَمَّا أَرَدْتُ الْبَحْثَ عَنْ مَنْشَأِ السَّرِّ « قَرَأْتُ، وَمَا غَيْرُ الطَّبِيعَةِ مِنْ سِفْرِ

صَحَائِفَ تَحْوِي كُلَّ فَنٍّ مِنَ الشَّعْرِ »

وَخَيْلَ لِي أَنِّي رَسُولٌ مُجَاهِدٌ وَأَنْ لَيْسَ لِي فِي مَهْمَةِ الْبَحْثِ رَأْدُ
فَهِمْتُ بِنَظْمِ الشَّعْرِ، وَالْدَّهْرُ شَاهِدٌ، « وَمَا حَادِثَاتُ الْكَوْنِ إِلَّا قِصَائِدُ

يَفْوُهُ بِهَا لِلْسَّامِعِينَ فَمُ الدَّهْرِ »

١٩٥٣

هُيَامِي بَوَجْهِ اللَّهِ لِلْفِكْرِ أَفْصَحَا عَنْ السَّرِّ فِي بَدْعِ الْوُجُودِ، فَسَبَّحَا
وَلَمَّا بَدَأَ لِي الْحَقُّ، وَالْبَاطِلُ أَعْمَى « عِبَدْتُ أَتَمَّكَ الْمَحْمُودَ فِي اللَّيْلِ وَالضُّحَى
إِذِ الشَّمْسُ تَسْتَخْفِي، إِذِ الشَّمْسُ تَطْلُعُ »

نِظَامُكَ يَا رَبَّ الْبَرِيَّةِ سَالِمٌ مِنَ الْعَيْبِ، وَالْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ هَائِمٌ
وَلَنْ يَفْرُطَ الْعِقْدَ الَّذِي أَنْتَ نَاطِمٌ، « فَأَيَقَنْتُ أَنَّ الْكَوْنَ بِاللَّهِ قَائِمٌ
وَأَيَقَنْتُ أَنَّ اللَّهَ لِلْكَوْنِ مُبْدِعٌ »

فَيَا رَبَّ! إِنْ أَعْيَا أَخَا الدَّرْسِ حِفْظُهُ، فَيَكْفِيهِ مِنْ فَهْمِ الْحَقِيقَةِ وَعَظْمُهُ
وَحَسْبُ الَّذِي يُرْضِيكَ أَنْكَ حِفْظُهُ « وَأَنْتَ مَعْنَى، وَالْخَلِيقَةُ لَفْظُهُ

وَأَنْتَ نُورٌ، وَالْخَلِيقَةُ بُرْقُعٌ »

١٩٥٤

فَتَنَّتْ زُهَادَ قَوْمِي عِزِّي وَسَمَتَ فَوْقَ الثَّرِيَا هِمَّتِي
يَبْدَ أَنِّي غَارِقٌ فِي شَقْوَيَّ « أَنَا لَوْلَا أَنْ لِي مِنْ أُمَّتِي
خَازِلًا ، مَا بَتُّ أَشْكُو النُّوبَا »

تَهَرَّبُ النِّعْمَةُ مِنْ جَاحِدِهَا هَرَبَ الْغِزْلَانِ مِنْ صَائِدِهَا
فَتَنِي تَفْلِتُ مِنْ وَائِدِهَا « أُمَّةٌ قَذَفَتْ فِي سَاعِدِهَا
بُغْضُهَا الْأَهْلَ وَحُبُّ الْغُرَبَا » ؟

إِنِّي أَنَا زِلُّ مَنْ يُمَاتِلُنِي وَأَعِفُّ عَنْ غِرِّ يُطَاوِلُنِي
وَإِذَا تَكَاثَرَ مَنْ يُشَاغِلُنِي « أَصْبَحْتُ فَرْدًا لَا يُنَاصِرُنِي
غَيْرُ الْبَيَانِ وَأَصْبَحُوا جَمْعًا »

عَبَّثْتُ بِأَخْلَامِي حَبَائِلُهُمْ وَتَعَمَّدْتُ حَرْبِي مَبَازِلَهُمْ
وَأَنَا الْمُهْدَبُ لَا أَقَابِلُهُمْ « كَمْ حَاوَلْتُ هَذْمِي مَعَاوِلَهُمْ
وَأَبَى إِلَهُ فَرَادَنِي رَفْعًا »

وَلَيْتَ رِعَاظَهُمْ مَنْ يُعَذِّبُنِي حَتَّى أَشِيدَ بَعِزَّةَ الْوَتَنِ
فَلَسَوْفَ أَصْرُخُ يَا بَنِي وَطَنِي ! « مَنْ ذَا يُوَاسِينِي وَيَكْلُوْنِي
فِي هَذِهِ الدُّنْيَا ، وَمَنْ يَرْعَى ؟ »

يَحْلُو لِقَلْبِي أَنْ يَصُونَ حَبِيبَهُ إِنْ شَاءَ غَيْرِي أَنْ يَنَالَ نَصِيبَهُ ...
 يَا مَيِّ! مَا خِفْتُ النَّعِيمَ وَطَيْبَهُ « لَوْ لَمْ أَخَفْ حَرَّ أَلْهَوَى وَلَهْيَبَهُ
 لَجَمَلْتُ بَيْنَ جَوَانِحِي مَشَاكِلَهُ »

فَتَأَمَّلِي حَالَ الْمُحِبِّ وَجَرَّبِي أَنْ تَقْبَلِي رَأْيِي بِقَلْبٍ طَيِّبٍ :
 لَا تَضْرِي النَّيْرَانَ فِي لِتَطْرَبِي « إِنِّي أَغَارُ مِنَ الْكُؤُوسِ فَجَنَّبِي
 كَأْسَ الْمُدَامَةِ أَنْ تُقْبَلَ فَالِكِ »

١٩٥٣

مِنْ الرُّوحِ جَاءَ الْجِسْمُ، وَالسُّرُّ حَيَّرَا، أَخَا الْعِلْمِ حَتَّى اسْتَعْرَبَ الْأَمْرَ وَاقْتَرَى
 وَمَا الظَّنُّ لِإِثْبَاتٍ، فَحَدَّثَ بِمَا تَرَى : « مَغْيَبُكَ سَيْفُ اللَّهِ ! فِي غِمْدِكَ الثَّرَى
 دَلِيلُ بَابِ اللَّهِ لَا شَكَّ وَاحِدُ »

وَهَلْ يَنْفَعُ الشَّخْصَ الْمُجِدَّ طُمُوحُهُ، مَتَى أَصْبَحَتْ فِي عَالَمِ الْغَيْبِ رُوحُهُ ؟
 وَمَا الْجِدُّ إِلَّا الْفَتْحُ ضَاءَتْ صُرُوحُهُ « وَلَوْ أَنَّ شَخْصًا خَلَدَتْهُ فَتُوحُهُ
 لَمَا كَانَ فِي الْأَقْوَامِ إِلَّاكَ خَالِدُ »

١٩٥٣

سَكَبَ الْإِبَاءُ عَلَى الْفَقِيرِ الْوَالِهِ سَلَوَى تُلَطَّفُ مَا يَمُرُّ بِبَالِهٍ
فَإِذَا وَقَفْتَ عَلَى حَقِيقَةِ حَالِهِ « قُلْ لِلْغَنِيِّ الْمُسْتَعِزِّ بِمَالِهِ :
مَهْلًا لَقَدْ أَسْرَفْتَ فِي الْخِيَلِ »

عَذَّبْتَ مَسْكِينًا جَهَلْتَ مَقَامَهُ وَجَرَحْتَ عِزَّتَهُ ، وَهَجَّتْ سَقَامَهُ
أَنْظَلْ تَسْلِبُ حَقَّهُ وَطَعَامَهُ ؟ « وَأَظَلْ تَرْفُلُ بِالْحَرِيرِ أَمَامَهُ
فِي حِينٍ قَدْ أَمْسَى بِغَيْرِ كِسَاءٍ »

١٩٥٣

يَا نِدَّ مَنْ رَامَ الْوُصُولَ إِلَى الْعُلَى مَا سِرُّ فَضْلِكَ أَنْ تَقُولَ : نَعَمْ وَلَا
فَالسِّرُّ فِي فَهْمِ الْحَقِيقَةِ أَوَّلًا « كَمْ فِي السَّوَائِلِ مِنْ شَبِيهِهِ لِلطَّلَا
فَمَلَامَ لَيْسَ لَهَا مَقَامُ الرَّاحِ ؟ »

إِنَّ الَّذِي قَسَمَ أَهْبَاتِ لِأَهْلِهَا - بِالرَّغْمِ مِنْ حَوْلِ الْحُظُوظِ وَطَوْلِهَا
جَعَلَ التَّفَاوُتَ فِي النُّفُوسِ وَمِثْلِهَا « لَيْسَ الْحُظُوظُ مِنَ الْجُسُومِ وَشَكْلِهَا
السِّرُّ كُلُّ السِّرِّ فِي الْأَزْوَاجِ »

١٩٥٣

مَلَأَتْ قَلْبِي مِنْ شَذَا نَفَحَتِكَ فَزِدْهُ يَا مَنَّانُ مِنْ حِكْمَتِكَ
وَهَبْ لِنَفْسِي الْخُلْدَ فِي جَنَّتِكَ « أَنَا الَّذِي أَبْدَعْتُ مِنْ قُدْرَتِكَ
فَعِشْتُ أَرْعَى فِي حِمَى نِعْمَتِكَ »

أَطْمَعْتُ بِالْعَفْوِ نُفُوسَ الْوَرَى فَضَلَّ مَنْ أَغْوَاهُ حُبُّ الثَّرَى
فَلَا تُعَذِّبْنِي لِأَمْرِ جَرَى « دَعْنِي إِلَى الْآثَامِ حَتَّى أَرَى
كَيْفَ يَذُوبُ الْإِنِّمُ فِي رَحْمَتِكَ »

١٩٥٣

أَكْرِمْ بِنَمْرِ عَاشٍ فَوْقَ الْقِمَمِ فَاسْتَصْنَرَ الدُّنْيَا مَقَرَّ السَّأَمِ
وَصَاحَ بِالْعَاقِبَةِ الشَّدِيدِ النَّدَمِ : « عِشْ رَاضِيًا وَأَهْجُرْ دَوَاعِيَ الْأَلَمِ
وَأَعْدِلْ مَعَ الظَّالِمِ مَهْمَا ظَلَمَ »

مَنْ يَعْلُ عَنْ دَارِ الضُّعْفِ يَنْتَعِشْ وَاهَاكَ لِذَرْبِ بِلَاسِي فُرِشْ
وَمَنْ تُسِيرُهُ الْأَمَانِي يَطِشْ « نِهَايَةُ الدُّنْيَا فَنَاءٌ فَعِشْ
فِيهَا طَلِيقًا وَأَعْتَزْهَا عَدَمَ »

١٩٥٣

إِذَا أَطْمَأَنَّ الْمَرَّةَ لِلْمُلْتَقَى أَمْسَى كَمُضْنِ ذَابِلِ أَوْرَقَا
فَلَا تَقُلْ لِمِـشَقِّ أَخْفَقَا : « أَوَّلَى بِهِذَا الْقَلْبِ أَنْ يَخْفَقَا
وَفِي ضِرَامِ الْحُبِّ أَنْ يُحْرَقَا »

مَا الْحُبُّ إِلَّا الْخَيْرُ فِي مَذْهَبِي وَكُلُّ إِنْسَانٍ عَلَى مَا رَبِّي
فَلَيْتَنِي هَمَّتْ وَقَلْبِي صَبِي « مَا أَضِيعَ الْيَوْمَ الَّذِي مَرَّ بِي
مِنْ غَيْرِ أَنْ أَهْوَى وَأَنْ أَعْشَقَا »

١٩٥٣

قَدْ يَسْكُتُ الشَّعْبُ إِذَا الظُّلْمُ فَاحَ ، وَيَسْكُرُ الظَّالِمُ مِمَّا اسْتَبَاحَ
فِيَا نَدِيمَ اللَّيْلِ ! وَالْفَجْرُ لَاحَ : « أَسْمَعُ أَلَيْكَ أَطَالَ الصَّبَاحُ
وَقَدْ بَدَأَ فِي الْأَفْقِ نَوْرُ الصَّبَاحِ ؟ »

قُمْ نُحْيِ فِي رَوْضِ الْمُنَى حَفْلَةً فَإِنَّ لِلْحَقِّ بِهَا جَوْلَةً
وَالظُّلْمُ دَيْكَ مُدَّعِ صَوْلَةً « مَا صَاحَ إِلَّا نَادِبًا لَيْلَةً
وَلَتْ مِنْ الْعُمَرِ السَّرِيعِ الرِّوَاخَ »

١٩٥٣

مِنْ ثَوْرَةِ الرُّوحِ اسْتَحَالَ الْكَمَانُ فَأَرْبَدَ دَهْرِي مِنْ عَذَابِي وَطَالُ
مَنْ كَانَ مِثْلِي لَيْسَ يَرْضَى بِحَالِ « أَلْقَلْبُ قَدْ أَضْنَاهُ عِشْقُ الْجَمَانِ
وَالصَّدْرُ قَدْ ضَاقَ بِمَا لَا يُقَالُ »

وَالدَّمْعُ مِنْ عَيْنِي فَوَادِي هُمَى وَأَنْصَبَ فِي الْيَنْبُوعِ مُسْتَسْلِمًا
وَبَاتَ يَهْدِي كَالْجَرِيحِ ارْتَمَى : « يَا رَبُّ هَلْ يُرْضِيكَ هَذَا الظَّمَا ؟
وَالْمَاءُ يَنْسَابُ أَمَامِي زُلَانُ »

١٩٥٣

هَلْ تُفْسِدُ الْأَقْدَاحُ مَاءَ السَّحَابِ ؟ أَوْ يُدْفَعُ الْمَوْتُ إِذَا الْمَرْءُ تَابَ ؟
فِيَا نَدِيمِي فِي نَوَالِ الرُّغَابِ ! « إِنَّ دَارَتِ الْكَأْسُ وَلَدَّ الشَّرَابِ
فَكُنْ رَضِيَّ النَّفْسِ بَيْنَ الصَّحَابِ »

عَافِرُ كُوُوسِ الْخَمْرِ فَالْفِكْرُ لَا يَهِيمُ فِي أَجْوَانِهِ إِنْ سَلَا
وَأَعَشَقَ لِأَنَّ الْحُبَّ بَابُ الْعُلَى « وَأَشْرَبَ فَمَا يُجْدِيكَ هَجْرُ الطُّلَى
إِنْ كَانَ مَقْدُورًا عَلَيْكَ الْعَذَابُ »

١٩٥٣

تَمَرَّ الْقُبُحُ فَرِيعَ الْحَسَنِ وَمَزَقَتْ شَمْلَ الْأَنَامِ الْفِتَنُ
وَالْحَظُّ بِالْعَرِّ الْجَهُولِ أَفْتَرَنُ « وَكَلَّمَا رَاقِبْتُ حَالَ الزَّمَنِ
رَأَيْتُهُ يَحْرِمُ أَهْلَ الْفِطَنِ »

فِيَا لَدَهْرِي مِنْ أَذَى الْعَامِلِ عَلَى زَوَالِ الْأَمَلِ الْآفِلِ
هَلْ بِتْ مِثْلَ الْيَائِسِ الْقَائِلِ : « سُبْحَانَ رَبِّي ! كَلَّمَا لَاحَ لِي
نَجْمٌ طَوْتُهُ ظُلُمَاتُ الْمِحَنِ »

١٩٥٣

قَلْبِي مِنَ السَّحْرِ يَا ذَاتَ الْجَمَالِ صَحَا ، وَأَفْتَرَّ مِثْلَ سَجِينِ الظُّلَمِ إِنْ سَرَحَا
وَرَاحَ يَسْتَرْجِعُ الْأَذْكَارَ وَالْمُلُحَا « يَبْكِي وَيَضْحَكُ لَا حُزْنَ نَا وَلَا فَرْحَا
كَمَا شَقِي خَطَّ سَطْرًا فِي الْهَوَى وَحَا »

فِيَا مُعَذِّبِي ! مَا عُدْتُ مَائِلَةً إِذَاءَ نَفْسِي ، وَلَوْ أَوْلَيْتَهَا صَلَةً
وَإِنْ حَسِبْتَ الثَّقَى فِي الْحُبِّ نَافِلَةً « سَلَى الْهَوَى وَالصَّبَا إِنْ كُنْتُ جَاهِلَةً
هَلْ كُنْتُ عِنْدَهُمَا إِلَّا كَمَا أَفْتَرَحَا »

١٩٥٣

١٧ - م

لَا أَغْضِبُ النَّاسَ، لَيْسَ الْمَرْءُ قُوَّتُهُ، بَلْ لُطْفُهُ، فَهَوَ لَا يُخْفِي سَجِيَّتَهُ
كَمْ فَاضِلًا كَانَ هَذَا الرَّأْيُ شَيْمَتَهُ: « أَغْضِبُ صَدِيقَكَ تَسْتَطْلِعُ سَرِيرَتَهُ
لِلسَّرِّ نَافِذَتَانِ: السُّكْرُ وَالنَّغْصُ » ؟

يَنْبِئُ فِعْلُ « ابْنِ أَخِي » عَنْ حَقَارَتِهِ، وَلَيْسَ يَخْجَلُ حُسْنٌ مِنْ نَضَارَتِهِ
فَلَا تَقُلْ لِعَظِيمٍ فِي طَهَارَتِهِ: « مَا صَرَّحَ الْحَوْضُ عَمَّا فِي قَرَارَتِهِ
مِنْ رَاسِبِ الطِّينِ إِلَّا وَهُوَ مُضْطَرَبٌ »

١٩٥٣

يَا قَلْبُ كَمْ لَعِبَ النَّدَمُ بِكَ فَأَرْتَوَيْتَ مِنَ الْأَلَمِ
سَبَبُ التَّوَجُّعِ وَالسَّقَمِ: « أَبْغَضْتُ أَعْدَائِي فَلَمْ
أُنْعِبْ بِمُضِي غَيْرِ قَلْبِي »

عَانِي الضَّنَى فَسَأَلْتُهُ عَنْ هَمِّهِ، وَطَرَحْتُهُ
وَمَعَ الْعِدَى أَصْلَحْتُهُ « وَحَبِيبَتُهُمْ فَأَرْحَتُهُ
وَرَبِّحْتُهُمْ وَسَرَرْتُ رَبِّي »

فَكَانَ عَقْلِي قَائِدُ وَالْبُغْضِ جَيْشُ بَائِدُ
أَشْدُو، وَرَبِّحِي زَائِدُ: « حُبِّي لِنَفْسِي حَائِدُ
لَا فَضْلَ لِي أَبَدًا بِحُبِّي »

١٩٥٣

يا أيها الأغنياء اليوم فُزْتُ بِكُمْ فَوَزَّ الصُّبُورُ عَلَى آلامِ عِشْرَتِكُمْ
فَوَاقِعُ الْحَالِ فِي قَانُونِ دَوْلَتِكُمْ : « تَشْكُو خَزَائِنُكُمْ ضَيْقًا بِثَرَوَتِكُمْ
وَالنَّاسُ يَشْكُونُ مِنْ فَقْرٍ وَمِنْ ضَيْقٍ »

قَضِيَّةٌ مَبْدَأُ الْإِفْطَاعِ أَيْدَهَا وَكَمْ جُوعٌ أَخُو الْأَطْمَاعِ هَدَّهَا
يَا خَازِنَ الْأَمَالِ فِي أَهْرَاءِ شَيْدَهَا : « وَدَّتْ مَلَايِينُكُمْ لَوْ كُنْتُ سَيِّدَهَا
كَيْمَا تُنَحَّرَ مِنْ رِقِّ الصَّنَادِقِ »

١٩٥٣

يَا نَفْسُ مَا دُمْتَ مِنْ دُنْيَاكِ طَالِبَةً خَيْرًا، وَعَنْ نَزَوَاتِ الشَّرِّ رَاغِبَةً !
تَذَكَّرِي حِكْمَةَ كَأَنَّ النَّارَ لَاهِبَةً : « إِنَّ الْأَشِحَّاءَ أَسْخَى النَّاسِ قَاطِبَةً
فَطَالَمَا نَفَعُوا الدُّنْيَا وَمَا أُتْنَفَعُوا »

وَعِنْدَمَا رَحَلُوا وَأَهْلَوْكَ الطَّمَعُ نَادَاهُمْ مَا لَهُمْ : عُودُوا ! فَمَارَجَعُوا
يَا وَيْلَهُمْ حَصَدُوا الشَّحَّ الَّذِي زَرَعُوا « لَمْ يَمْنَعُوا النَّاسَ يَوْمًا بَعْضَ مَا جَمَعُوا
إِلَّا لِكَيْ يَمْنَحُوهُمْ كُلَّ مَا جَمَعُوا »

١٩٥٣

ضَرَبْتُ فِي الْأَرْضِ وَالْأَشْوَكَ حُرَّاسِي، وَعِفْتُ لَهَوَ الْوَرْدِ بِالْكَأْسِ وَالطَّاسِ
وَأَنْتِ رَافِلَةٌ بِالْفَرِّ وَالْمَاسِ « تَشْكِينَ فَصَلَ الشِّتَاءُ الْبَارِدِ الْقَاسِي
مَاذَا أَقُولُ أَنَا فِي عِشْرَةِ النَّاسِ؟ »

عَانَيْتُ مِنْ بَرْدِهِمْ مَا أَعْجَزَ الْآسِي وَلَمْ يَزَلْ وَلَعِي بِالْإِنْسِ نَبْرَاسِي
أَقُولُ لِلنَّفْسِ: يَكْفِي حَرُّ أَنْفَاسِي « نَامِي عَلَى الثَّلْجِ نَامِي لَيْسَ مِنْ بَاسِ
فَالثَّلْجُ غَيْرُ قُوَادٍ دُونَ إِحْسَاسِ »

١٩٥٣

يَعْلَمُ الْعَارِفَانِ: رَبِّي وَجَارِي أَنْ نَهَجَ الْإِصْلَاحَ كَانَ شِعَارِي
لَسْتُ أَخْشَى تَأْخُرِي وَعِثَارِي « رَبُّ ذَنْبٍ مَحْوُوتُهُ بِاعْتِدَارِي
وَحَمَلْتُ الْوَرْدَ عَلَى الْكِبَارِي »

لِي نَفْسٌ مِنَ الضَّلَالِ أَفَاقَتْ وَإِلَى الصَّدْقِ وَالصَّرَاحَةِ تَاقَتْ
كَمْ صِفَاتٍ فَضْلِي بِذَاتِي أَحَاقَتْ « وَإِذَا قَبِسَتْ الْفَضَائِلُ فَاقَتْ
كَرَّمَ الْمَقْوِ جُرْأَةً الْإِفْرَارِ »

١٩٥٣

ضَلَّ الْوَرَى، فَاسْتَبَدَّ الْفَقْرُ وَالْجَشَعُ، وَالنَّاسُ يَبْذُرُ فِي مَأْزِقٍ وَقَعُوا
وَصَاحَ مُسْتَهْزِئٌ: يَا أَيُّهَا التَّبِعُ! « جُودُوا عَلَى صَاحِبِ الْمَذْيُونِ وَأَرْتَدُوا
عَنْ عَذْلِهِ، فَأَشَدُّ الْفَاقَةِ الطَّمَعُ »

أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ عَافَ النَّاسُ صُحْبَتَهُ وَأَحْرَقَ الظَّمَا الْقِتَالَ مُهْجَتَهُ؟
لَا بَرَدَ اللَّهُ فِي الدَّارَيْنِ لَوَعَتَهُ « مَا دَاءٌ مَنْ تُطْفِئُ الْأَنْدَاءُ غُلَّتَهُ
كَدَاءٌ مَنْ عَجَزَتْ عَنْ رَبِّهِ التَّرَعُ »

أَخُو الْمَطَامِيعِ لَا يَنْتَبِهُ مَنْ عَذَلُوا وَالْعَدْلُ يُخْفِقُ فِي إِعْلَانِهِ الْحِيلُ
لَا دَرَّ دَرُّ الْغِنَى، فَالْنَّاسُ تَقْتَتِلُ « وَالْفَقْرُ يُزْهِرُ فِي صَحْرَائِهِ أَمَلُ
خَيْرٍ مِنَ الْمَالِ فِي جَنَائِهِ الْفَرْعُ »

وَمَوْجَزُ الْقَوْلِ: أَنَّ النَّفْسَ إِنْ طَمِعَتْ قَضَتْ عَلَى غَيْرِهَا جَوْعًا، وَمَا أَنْتَفَعَتْ
وَالنَّفْسُ تَشْبَعُ مِثْلَ الْجِسْمِ إِنْ قَنَعَتْ « جَوْعُ النَّفْسِ هُوَ الْجَوْعُ الَّذِي أَمْتَنَعَتْ
عَنْ سَدِّهِ هَذِهِ الدُّنْيَا وَمَا تَسَعُ »



هَذَا الْخُلُودُ، فَإِنْ بَلَغْتَ مَحَلَّهُ فَأَرَأَيْتَ بِمَنْ عِشْقُ الزَّوَالِ أَذَلَّهُ
يَا فَاتِنَ الْفِرْدَوْسِ لَمَّا أُحْتَلَّهُ «ذِكْرَكَ عُرْسُ الْمَجْدِ لَمْ يُكْسِرْ لَهُ
دُفٌّ، وَلَمْ يُحْطَمْ لَهُ مِنْ مَارُ»

يَا مَنْ سَمَا بِفُنُونِهِ وَكَمَالِهِ وَكَأَنَّ وَصْفَ الْفَجْرِ وَصْفُ خِلَالِهِ
هَذَا نَشِيدُكَ فَأَبْتَهِجْ بِجَمَالِهِ «تَشْدُو بَنَاتُ النُّورِ لَحْنَ جَلَالِهِ
وَعَلَى سَوَاعِدِهَا اللَّدَانُ الْغَارُ»

١٩٥٣

ظَلَّ حَيًّا بِرَمْسِهِ بَاعِثًا نَوْرَ شَمْسِهِ
أَفْتَرَضِي بِطَمْسِهِ؟ «لَفْتَةً نَحْوَ أَمْسِهِ
أَيُّهَا الشَّاعِرُ الْعَلَمُ!»

وَتَلَدَّزْ بِخَمْرِهِ إِنَّهَا رَمَزُ سِحْرِهِ
وَتَرَفَّقْ بِسِرِّهِ «إِنَّ فِي سِفْرِ عُمْرِهِ
صَفَحَاتٍ مِنَ الْأَلَمِ»

كَانَ بِالْأَمْسِ شَاعِرًا ذَلِكَ السَّاكِنُ الذَّرِي
عَاشَ وَلَهَانَ ثَائِرًا «لَيْسَ يَرْجُو مِنَ الْوَرَى
بَسْمَةً تَغْسِلُ السَّقَمَ»

١٩٥٣

نَشْوَةُ الْمَرْءِ رُؤْيُ الْمُسْتَقْبَلِ فَأَهْدُنِي يَا نَفْسُ ! لَيْسَ الْأَمْرُ لِي
وَإِذَا لَمْ تَبْلُغِي عَيْشَ الْخَلِي « يَا ابْنَةَ الْأَحْلَامِ ! لَا تَسْتَقْبِلِي
مَضَرَعَ النَّشْوَةِ بِالطَّرْفِ الْكَثِيبِ »

وَأَفْرَحِي كَأَلْزَهْرٍ فِي أُنْدَانِهِ لَذَّةُ الْأَرْوَاحِ مِنْ نَعْمَانِهِ
لَا تَحَارِي كَالْوَحِيدِ التَّائِهَةِ ! « يَكْتَنِي الزُّنْبُقُ فِي صَحْرَائِهِ
بِنَدَى الْفَجْرِ وَأَنْسَامِ الْمَغِيبِ »

١٩٥٣

« لِنَفْسِ الْأَمْسِ وَلِنُسُودِ عَلَيْهِ ذَيْلَ نِسْيَانٍ »
فِيَا نَوْرَ الْهُدَى اعْتَصِمِي ! بِحَبْلِ الْوُدِّ وَالْكَرَمِ
غَدَا نَقْضِي إِلَى الْعَدَمِ « فَإِنْ أَبْصَرْتَنِي أَبْتَسِمِي
وَحَيَّيْنِي بِتَخَنُّانٍ »

وَإِنْ بَتَّ كَهَائِمَةٍ ، عَلَى مَا فَاتَ نَادِمَةٍ
فَكُونِي نِصْفَ بِاسْمَةٍ « وَسِيرِي سَيْرَ حَالِمَةٍ
وَقُولِي : كَانَتْ يَهْوَانِي »

١٩٥٣

ضاع، لَمْ يُجِدْهِ التَّائِي فَتِيلاً، مَنْ جَنَى النَّاسُ مِنْهُ نَفْعاً جَزِيلاً
شاعِرٌ مُلْهِمٌ يُشْرِفُ جِيلاً « يَخْلَعُ الْخُلْدُ زَاوَةَ وَهْدِيلاً

مِنْ مَزَامِيرِ زَهْوِهِ وَافْتِتَانِهِ »

أَهْمَلُوهُ فَضَيَّعُوهُ، وَدَانَتْ لِلْهَوَى أُمَّةٌ عَنِ الْعَدْلِ بَانَتْ
لَمْ تَجِدْ مِثْلَهُ حَكِيماً فَهَانَتْ « كَانَ وَقفاً عَلَى النَّبُوغِ وَكَانَتْ

رَوْعَةُ الشَّيْءِ وَضَعَهُ فِي مَكَانِهِ »

١٩٥٣

يَا رَبَّةَ الْحُسْنِ الَّذِي قَرَّبَا فِي مَذْبَحِ الْأَوْثَانِ زَهَرَ الرَّبُّي
كَمْ غَادَةٍ مِثْلِكَ فَتَيَّ سَبِي « لَهَا مُحْيَا هُوَ زَيْنُ الصَّبَا

مِنْ كَبِدِ الصَّبِّ — أَحْجَ مَقْدُودُ »

فَتَانَةٌ تَاهَتْ، وَلَمَّا هَوَتْ تَابَتْ، وَمِنْ دَنِّ الدُّمُوعِ أُرْتَوَتْ
قَوَامُهَا يَخْكِي الْغُصُونُ التَّوَتْ « وَنَهْدُهَا ذَاوٍ كَمَا لَوْ ذَوَتْ

عَلَى دَوَالِيهِم — الْعَنَاقِيدُ »

رَمَى لَهَا مِنْ حَارَ فِيهِ النَّهْيُ فِقَاضَ مِنْ أَطْيَابِهِ دَنُهَا
وَعَادَ يَزْهِي بِالْهُدَى حُسْنُهَا « يَشْخَصُ فِي تَجْمِ الْعُلَى جَفْنُهَا

كَأَنَّهَا — بِالنَّجْمِ مَعْقُودُ »

١٩٥٤

زَارَ أَلْهَوَى زَهْرَ الرُّبَى الْأَغْيَدَا وَالْعُمُرُ لَا يَزَالُ يَمْضِي سُدى
فَيَا مُنَى الصَّبِّ الَّذِي أَنْشَدَا : « لَا تَوْصِدِي قَلْبَكَ دُونَ النَّدَى
فَالْجُرْحُ قَدْ يُغْسَلُ بِالدَّمْعَةِ »

لَا تُهْمِلِي رَوْضِي ! فَمِثْلِي يَرَى فِي الْحُبِّ سِرًّا حَارَ فِيهِ الْوَرَى
وَلَا تَظُنِّي أَنَّ قَلْبِي أَفْتَرَى « يَا نَجْمَةَ عَالِقَةٍ بِالنَّثَرَى
أَفْلَتَكَ الطَّيْفُ وَلَمْ تُفْلِتِي »

١٩٥٤

قِيلَ التَّمَدُّنُ عَمَّ السَّكُونِ فَأُصْطَلَحَتْ ، أَخْوَالُهُ وَصُدُورُ الْأُمَّةِ أَنْشَرَحَتْ
فَقُلْتُ لَا تُسْرِفُوا ، فَالْقِصَّةُ أَنْجَرَحَتْ « هَذِي عُقُولُ بَنِي الْإِنْسَانِ مَا بَرِحَتْ
عَمِيَاءَ تَسْبِجُ فِي بَحْرِ الْخُرَافَاتِ »

تَقَسَّمُوا دُولًا مَعْبُودَهَا الذَّهَبُ ، فَحَارَبَتْ بَعْضُهَا وَأَسْتَحْكَمَ الشَّغْبُ
وَلَذَّةُ الْجَسَدِ أَلْفَانِي هِيَ السَّبَبُ « إِنَّا ضَحِكْنَا مِنَ الْمَاضِي فَلَا نَجِبُ
إِنْ بَاتَ حَاضِرُنَا أَضْحُوكَةَ الْآتِي »

١٩٥٣

يَا عَيْنُ هَاجِ الْهَوَى وَأَسْتَحْكَمِ الدَّاءَ ، وَزَادَ فِي نَارِهِ أَنْ فَاتَنِي الْمَاءُ
وَالصَّدْرُ وَكُرُّ الْهَوَى غَنَّتُهُ وَرَفَاهُ : « عَادَ الرَّبِيعُ وَمَا عَادَ الْأَحِبَّاءُ
لَا الزَّهْرُ زَهْرُهُ وَلَا الْأَنْدَاءُ أَنْدَاءُ »

عُودُوا إِلَى صَبِّكُمْ فَالْعُمُرُ كَالْحُلُمِ ، وَفَرِّحُوا قَلْبَهُ بِاللُّطْفِ وَالْكَرَمِ
فَلَا يَرُدُّ بَعْدَ الْيَوْمِ مِنْ أَلَمٍ : « يَظَلُّ يَسْأَلُنِي عَنْهُمْ بِلا سَأَمٍ
قَلْبٌ يَمِيشُ بِهِمْ وَالْقَلْبُ أَصْبَاءُ »

فَإِنْ تَعُودُوا يَزِدْ حُبًّا وَتَكْرِمَةً ، أَوْ لَا ، فَلَا تَقْطَعُوا عَنْ صَبِّكُمْ صَلَةً
كَمْ مِنْ مُوَلِّينَ عَنْ قَلْبِي غَدَوَا عِظَةً « كَانُوا بِهِ أَمْسٍ أَشْوَاقًا مُبْرِحَةً
وَالْيَوْمَ هُمْ فِيهِ أَحْلَامٌ وَأَصْدَاءُ »

١٩٥٢

رُدِّي النَّدَاءَ وَأَطْلِقِي الْفِكْرَا زَهْرُ الرَّبِّي لَا يَرْتَضِي الْأُسْرَا
إِنْ كُنْتَ فِي رَوْضِ الْمُنَى سِحْرَا « غَنِّي الْحَيَاةَ وَهَذِهِ الْعُمْرَا
فَالْقَلْبُ بِمَدِّكَ حَاشَ بِالذِّكْرِ »

إِنْ كُنْتَ نَوْرًا فَوْقَ رَأْيَتِي فَعَلَامَ لَا تُعْسِنَ رَاعِيَتِي ؟
يَا صُورَةً فِي كَأْسِ سَاقِيَتِي ! « أَبْصَرْتُ فِي عَيْنِكَ مُوَحِّيتِي
وَقَرَأْتُ فِيكَ قَصِيدَتِي الْكُبْرَى »

١٩٥٤

مَاجَ الْهَوَىٰ فَوْقَانَا الْفَنُّ مَائِجُهُ كَمَا لَبَحَرٍ هَدَا أَمْرُ اللَّهِ هَائِجُهُ
فَقُلْ لِمَنْ رَاحَ يَسْتَوْحِي مَعَارِجَهُ : « تَبَارَكَ الْفَنُّ مَا أَحْلَى مَبَاهِجَهُ
فِيهِ مِنْ الزَّهْرِ مَنشُورٌ وَمَنْضُودٌ »

فِيهِ رِيَاضٌ بِعِطْرِ الرُّوحِ عَابِقَةٌ وَفَاتِنَاتُ بَزْهَرِ الْفِكْرِ حَالِقَةٌ
وَمُغْرِيَاتُ مِنَ الْإِبْدَاعِ فَائِقَةٌ « وَفِيهِ مِنْ شَعْلِ الْإِلْهَامِ بَارِقَةٌ
وَفِيهِ مِنْ كَرَمَةِ الْخُلْدِ الْعَنَاقِيدُ »

هِيَ الْحَيَاةُ الَّتِي رُوحي تُعْجِدُهَا فَلَا تَسَلْ يَوْمَهَا عَمَّا يَرَى غَدُهَا
كَأَنَّمَا الْفَنُّ بِالنَّجْوَى يُزَوِّدُهَا « يُوحي إِلَى النَّفْسِ أَنْفَامًا تَهْدِيهَا
حَتَّى تَغِيبَ ، وَلِلْأَنْفَامِ تَرْدِيدُ »

١٩٥٤

لَوْ أَذْرَكَ الْمَرْءَ مَا فِي الْحُبِّ مِنْ مَنَنِ ، لَمَا شَكَ مَا بِهِ مِنْ حَاوِرِ الْمِحَنِ
أَنَا الَّذِي ذِكْرِيَا تُؤَدُّ تُطْرِبُنِي « أَطُوفُ بِالْغَايِرِ النَّائِي فَيَحْزُنُنِي
أَنِّي فَرَشْتُ طَرِيقَ الْأَمْسِ أَشْجَانَا »

لَمْ أَغْضِ عَنْ زَلَّةٍ زَالَتْ مَعَالِمُهَا فَالْيَوْمَ دُنْيَا الْهَوَى تَبْدُو مَظَالِمُهَا
وَأَمْسِ دُنْيَا الْهَوَى تُرْجِي مَكَارِمُهَا « فَلَيْتَ أَحْلَامُهُ دَامَتْ مَنَاعِمُهَا
وَلَيْتَ طَوْلَ التَّشْكِي مِنْهُ مَا كَانَ »

١٩٥٣

لَيْسَ الْهَوَى غَيْرَ رُوحٍ فِي الرَّبِّي سَرَحًا، وَرَاحَ يَجْمَعُ مِنْ شَطَطِ الرُّؤْيِ الْمُلْحَا
وَالْعُمُرُ كَالْبَحْرِ، وَالْمَفْتُونُ كَمِ صَدْحَا: « يَا زَوْرَقَ الْحُبِّ جُزْ يَمِّ الدُّنْيِ فَرِحَا
لَأَنْتَ فِي غُنْيَةٍ عَنْ كُلِّ مَلَّاحٍ »

يَا زَوْرَقَ الْحُبِّ! دُنْيَا الرُّوحِ آتِيَّةٌ وَالْفَنُّ يَخْلُدُ وَالْأَهْوَاءُ فَانِيَّةٌ
لَا تَرْهَبِ الْمَوْجَ فَالْشُّطَّانُ دَانِيَّةٌ « رَبَّانِكَ الشَّعْرُ لَا تَتْنِيهِ غَاشِيَةٌ
عَنْ الشَّرَى فِي سَمَاءِ ذَاتِ الْوَاكِحِ »

١٩٥٤



عاشقُ الْعِلْمِ غَنِيٌّ مَا أَذْخَرَ جَادَ بِالْفِكْرِ جُزَافًا فَافْتَقَرَ
وَكُنِبَتِ الْأَرْضُ رَوَاهُ الْمَطَرُ نَفَعَ الْعَالَمُ أَجْنَسَ الْبَشَرُ
كُلَّمَا أَكْسَبَهُمْ رَأْيًا حَصِيفُ

وَأَذَلَّ الْعِلْمُ أَصْحَابُ الْحَجَرِ عِنْدَمَا أُعْتَزُوا بِأَكْدَاسِ الدَّرَرِ
فَقَضَى الْعَالَمُ مِنْ فَرْطِ الضَّجَرِ عَاشَ فِي الدُّنْيَا غَرِيبًا مُحْتَقَرُ
قَانِعًا مِنْهَا بِثَوْبٍ وَرَغِيفُ^١

١٩٥٣

مِنَ الضَّمِيمِ مَا يُذْكَى بِقَلْبِكَ هِمَّةٌ وَيَمَلَأُ عِنْدَ الْيَأْسِ نَفْسَكَ قُوَّةٌ
وَمَا كُنْتُ رِغْدِيدًا لِأَرْهَبَ سَطْوَةً : إِذَا مَاتَ قَلْبِي مِنْ أَذَى الْحُبِّ مَرَّةً
فَإِنِّي سَأُخِيِّمُهُ بِعَوْدٍ إِلَى الْحُبِّ

وَلَا يَهْنِي أَلْسَبُ الْجَرِيحِ بَغِيَّةٌ كَمَا يَهْنَأُ الرُّوضُ النَّضِيرُ بِرِيَّةٍ
فَسَوْفَ أَدَاوِي جُرْحَ قَلْبِي بِكَيْهِ وَأَعْتَاضُ عَنْ مَيْتِ الْغَرَامِ بِحْيَةٍ
هَوَى الرُّوحِ يُدْنِي الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الرَّبِّ

١٩٥٣

(١) إن الآيات الأساسية في التغاميس التالية لم تذكر مع التناثبات أو التلايات دفعا للتكرار .

تَنَكَّرَ لِي دَهْرِي وَعَزَّتْ مَطَالِي وَضَاقَتْ بِأَسْبَابِ الْأَمَانِي مَذَاهِبِي
وَمَا كُنْتُ لِلْحُبِّ الرَّخِيسِ بِصَاحِبٍ ، كَرَامَةُ نَفْسِي فَوْقَ كُلِّ رَغَائِبِي
فَهِنَّ جُنُودُ الْمَجْدِ وَهِيَ إِمَامُ

وَمَرَّ شَبَابِي الْحُلُوفُ دُونَ مَلَامَةٍ سِوَى كَبْتِ أَهْوَاءِ وَحُبِّ أَسْتِقَامَةٍ
وَمَنْ شَرِبَ الْوَحْيَ اغْتَنَى عَنْ مُدَامَةٍ ، وَمَنْ عَاشَ فِي الدُّنْيَا بِنِصْفِ كَرَامَةٍ
فَلَيْسَ لَهُ يَوْمَ الْفَخَارِ مَقَامُ

١٩٥٣

رَأَيْتُ رُوحَ الْفَتَى تُجْزَى بِمَا كَسَبَتْ ، فَهِيَ الَّتِي سَيَّرَتْهُ كَيْفَمَا رَغِبَتْ
فَقُلْتُ يَا صَاحِبِ ! وَالْأَوْهَامُ قَدْ ذَهَبَتْ : لِأَعْمَلِ لِرُوحِكَ تَسْتَأْنِسَ بِمَا وَهَبَتْ
فَالْعُمُرُ يَمْضِي ، وَبِرُّ الْمَرْءِ يَرْفَعُهُ

وَدَعَكَ مِنْ عَبْدٍ مَالٍ كَانَ يُقْلِقُهُ إِنْفَاقُ فَلَسٍ ، وَكَانَ النَّصْحُ يُورِقُهُ
فَفَاعِلُ الْخَيْرِ : كُلُّ الْخَيْرِ يَعْلِقُهُ ، وَجَامِعُ الْمَالِ : بَعْضُ الْمَالِ يَنْفِقُهُ
وَجَلُّهُ لِلصَّوْصِ الْإِرْثِ مَرْجِعُهُ

فَدَعَكَ يَمْنٌ بغيرِ اللَّهِ يَكْتَرِثُ أَلَا تَرَى أَنَّ أَطْلَاعَ الْوَرَى عِبَتْ ؟
كَمْ يَا كُلُّ الْمُعْتَدِي أَنْعَابَ مَنْ حَرَّثُوا ، وَلَمْ أَكُنْ بِأَجِيرٍ لِلَّذِي يَرِثُ
مَا نَفَعُ تَابِعُ مَالٍ لَيْسَ يَتَّبِعُهُ ؟

١٩٥٣

مَشِيئَةُ رَبِّي فِي جِهَادِي مُجِيرَتِي وَمِنْهُ عَزَائِي عِنْدَ حَمْلِي مُعْصِبَتِي
فَإِنْ أَخْفَقْتُ فِي خِدْمَةِ النَّاسِ حِيلَتِي ، سَأَرْتِي لِحُسَادِي وَجُهَالِ قِيَمَتِي
رِثَاءَ قَتَى أَهْدَافُهُ الْمَثَلُ الْعُلْيَا

بَنَيْتُ لَهُمْ مَجْدًا فَغَزَّ مَبِيتُهُمْ بِدَارَتِهِ الْعُظْمَى ، وَضَمَّ شَتِيَّتُهُمْ
فَإِنْ أَنْكَرُوا جَهْدِي ، وَلَيْسَ يُمِيتُهُمْ ، فَمَا بَلَّغُوا مَجْدِي ، وَلَوْ ذَاعَ صِيَّتُهُمْ
وَلَا أَذْرَكُوا شَأْوِي وَلَوْ مَلَكَوْا الدُّنْيَا

١٩٥٢

تَعَامَى الْغِنَى ، وَالْمُغْرِيَاتُ تَسْكَثَرَتْ ، وَقَادَةُ هَذِي الْأَرْضِ بِالْهَذَرِ فَاخْرَتْ
وَأَرَاؤُهُمْ فِي الْمُعْضِلَاتِ تَنَافَرَتْ لَقَدْ حَرَّرُوا الْأَفْكَارَ حَتَّى تَنَافَرَتْ

فَمَا جَامِعٌ بَيْنَ الْعِبَادِ سِوَى الْهَذَرِ
وَقَدْ جَرَّمُ صِدِّ الْعَدَالَةِ مِنْهُمْ فَأَطْلَاعُهُمْ عَنْ بَغِيهِمْ تَتَكَلَّمُ
سَطَوَا وَأَسْتَبَاحُوا بَعْضُهُمْ فَتَأَلَّمُوا وَسَادُوا بِسَوْطِ الْمَالِ فَالْبَعْضُ مِنْهُمْ
وَأَكْثَرُ أَهْلِ الْأَرْضِ مَوْتَى مِنَ الْفَقْرِ

نِظَامٌ يَبْنِي النَّاسُ مِنْ هَوْلِ جَوْرِهِ وَيَخْشَوْنَ أَنْ تَنْدَكَ أَرْكَانُ قَصْرِهِ
وَلَوْ عَقَلُوا لَأَسْتَبَدَّلُوهُ بِغَيْرِهِ فَهَلْ يَعْدِلُ الْإِنْسَانُ أَثْنَاءَ عُمرِهِ
لِيَرْتَاحَ فِي الدَّارَيْنِ مِنْ وَطْأَةِ الشَّرِّ ؟

١٩٥٣

آمالُ رُوحِي بِرَوْضِ الْفَنِّ هَائِمَةٌ كَأَنَّهَا مِنْ أَذَى الْأَيَّامِ آمِنَةٌ
وَيَدْنَمَا النَّفْسُ بِالْعَلْيَاءِ حَالِمَةٌ رَمَتْ فُؤَادِي بِسَهْمِ الْحُسْنِ فَاتِنَةٌ
فَأَعْجَبَ لَصَبٍّ جَرِيحٍ ثَابِتِ الْقَدَمِ

شَكَا إِلَى رَبِّهِ أَسْرَارَ مِخْنَتِهِ فَاقْتَادَهُ بِالْأَغَانِي نَحْوَ جَنَّتِهِ
وَعِنْدَمَا اتَّضَحَتْ أَسْبَابُ أَنْتِهِ نَدَّتْ أَنْاشِيدُهُ نِيرَانَ لَوْعَتِهِ
فَقَرَّجَتْ عَنْ عَالِيلٍ بِالْجَمَالِ رُمِي

١٩٥٣

مِنْ رِحْلَةِ الْعُمَرِ يَرْجُو ذَوِ الْحِجْبِ رَشْدًا، وَأَعْظَمُ الْخُسْرِ تَضْيِيعُ الْحَيَاةِ سُدًى
فَيَا إِلَهِي! أَنْيْلْنِي مِنْ عُلَاكَ هُدًى، يَا لَيْتَ أَحْلَامَ عُمْرِي لَمْ تَضِيعْ بَدَا
فِي حُبِّ قَصْرِ مِنْ الْأَوْهَامِ مُنْهَدِمِ

مَا كُنْتُ نِدَّ غُوَاةٍ بِاللَّتْرِى شُغِفُوا لَسَكِنْتَنِي ابْنُ هُدَاةٍ بِالنُّهَى وَصِفُوا
عَمَّ هَذَّبُونِي، وَلِي فِي مَذْهِبِهِمْ طُرْفُ، وَلَيْتَنِي لَمْ أَهْمْ إِلَّا بِمَنْ عُرِفُوا
بِرِقَّةِ الْقَلْبِ لَا بِالظُّلْمِ وَالْعَقَمِ

١٩٥٣

مَلَلْتُ هَوَاهَا حِينَما أَشْتَدَّ مِئْهُهَا وَبَاتَ مَثَارَ الشَّكِّ وَالنَّقْدِ حُسْنُهَا
فَقُلْ لِلَّتِي فَتْنُ الْأَكَاذِبِ فَنُهَا : أَتُخَدِّعُ مِثْلِي غَادَةً تَدَّعِي النُّهَى
وَفِكْرِي يَصِيدُ السَّرَّ مِنْ مُهْجَةِ النَّمْرِ ؟

وَلَسْتُ بِمَفْتُونٍ تَدَلَّهَ بِالْثَرَى ، فَقَدْ مَلَكَتْ نَفْسِي مِنَ الْحُسْنِ جَوْهَرَا
فَقُلْ لِلَّتِي ظَنَنْتُ هَوَاهَا هَوَى الْوَرَى : لَيْتَنِي تَسْتَعِينُ بِالْإِنْسِ وَالْجِنِّ لَنْ تَرَى
سَبِيلًا إِلَى قَلْبِي سِوَى اللَّطْفِ وَالطُّهْرِ

١٩٥٢

جَرَّتْكَ وَائِدَةُ الْقُلُوبِ إِلَى الْبِلَى فَضَيَّتْ لَا تَلْوِي عَلَى أَحَدٍ وَلَا...
هَلْ كُنْتَ تَجْهَلُ قَوْلَ مَفْتُونٍ سَلَا : عَوِذُ فُؤَادِكَ حِينَ يَأْلَفُ مَنْزِلَا
أَلَمْ الصُّدُودِ وَحُرْقَةَ الْهَجْرَانِ !

إِنَّ الْمُتَسِيمَ يَوْمَ عَذْبَةِ الْجَوَى شَرِبَ الْيَنَابِيعَ الْعِذَابِ وَمَا أَرْتَوَى
فَاتَّبَعَ هَوَاكَ وَإِنَّمَا اضْطَجَبَ الدَّوَا ، وَأَعَشَقَ وَلَكِنْ إِنْ سَلَكَ أَخُو الْهَوَى
فَاتَّأَزَّ لِنَفْسِكَ وَأَجْزَ بِالْأَسْلَوَانِ

١٩٥٢

نَأَتْ هِنْدُ عَنْ رَبِيعِ الْمُحِبِّ وَلَمْ تَعُدْ، وَمَنْ يَلْقَ هَذَا الظُّلْمَ، عَنْ قَلْبِهِ يَذُّ
كَفَاكَ هَوَى الدُّنْيَا، فَإِنْ هُدَّتْ لَمْ نَهْدُ: أَسَأْتَ فَلَمْ تَفْعَلْ، وَعُدْتَ فَلَمْ نَعُدْ
هُوَ الْقَدَرُ الْمَحْتَمُ حَاتٍ بِنَادِينَا

فَوَاهَا لِنَدِي لُبٍّ عَلَى قَلْبِهِ قَسَا وَأَقْلَعَ عِنْدَ الصُّبْحِ عَنْ فِكْرَةِ الْمَسَا
هُوَ الْحَظُّ عَادَانَا، وَلَمَّا ارْتَضَى أَسَا وَسَيَّرَنَا خِلْفَا، لِكَيْ نَذْكُرَ الْأَسَى
فَنَسَلُوا زَهْرًا أَنْبَتَتْهُ رَوَايِنُنَا

١٩٥٣

يَا مَانِحَ الدُّنْيَا لَالِيَّ أَدْمَعِي شِعْرًا يُلَطِّفُ لَوْعَةَ الْمُتَوَجِّعِ
كَفَرَ الْعُتَاةُ بِنُورِكَ السَّارِي مَعِي: أَلْبَاحِثُونَ، وَمَا سِوَاكَ بِمُبْدِعِ
وَالْعَاشِقُونَ، وَمَا سِوَاكَ غَرَامُ

فَإِذَا صَحِبْتَ أَخَا الْجَمَالِ تَفَرَّدَا وَإِذَا الْبَرِيَّةُ قَاوَمَتْهُ تَشَدَّدَا
إِنَّ الْأَلَى جَارُوا عَلَيْهِ وَمَا أَعْتَدَى عَرَفُوا أَنْتِقَامَكَ يَوْمَ لَمْ يُجِدِ الْهُدَى
نَفْعًا، وَلَا غَفَرَ الذُّنُوبَ صِيَامُ

١٩٥٣

أَرَانِي وَقَدْ عَادَ أَهْوَى بَعْدَمَا جَنَى عَلِيلًا أَدَاوِيَ الْقَلْبِ مِنْ عَائِدِ الضُّعَى
 « أَقْضَى نَهَارِي بِالْأَحَادِيثِ وَالْمُنَى وَيَجْمَعُنِي وَالْهَمُّ بِاللَّيْلِ جَامِعُ »
 كَانَ أَهْوَى لَمْ يَسْجُ وَاللَّيْلُ قَدْ سَجَا ، فَلَا أَضْلَعِي تَنْجُو وَلَا أَوْصَلُ يُرْتَجَى
 « نَهَارِي نَهَارُ النَّاسِ حَتَّى إِذَا دَجَا لِيَ اللَّيْلُ هَزَّتْنِي إِلَيْكَ الْمَضَاجِعُ »
 دَهَاكِ عَقِيمُ الْحُبِّ هَلْ أَنْتِ عَلَّةٌ ؟ فَلَيْسَتْ تُسَلِّي الصَّبَّ عَنْكَ تَعَلَّةُ
 « لَقَدْ رَسَخَتْ فِي الْقَلْبِ مِنْكَ مَحَبَّةٌ كَمَا رَسَخَتْ فِي الرَّاحَتَيْنِ الْأَصَابِعُ »

١٩٥٢

تَرَكَونِي وَسَرَوَا مَعَ غَيْرِي وَأَقْتَرَوَا
 « لَيْتَ شِعْرِي هَلْ دَرَوَا أَيَّ قَلْبٍ مَلَكَوَا ؟ »
 كُنْتُ أَشْتَاقُ السُّرَى لَوْ نَسِيتُ الْعِبْرَا
 « وَفُؤَادِي لَوْ دَرَى أَيَّ شَعْبٍ سَلَكَوَا »
 مَدْمَعِي لِنَرْفَمُ حَائِرٌ مُسْتَفْهِمُ :
 « أَتُرَاهُمْ سَالِمُوا أَمْ تُرَاهُمْ هَلَكَوَا ؟ »
 فَإِذَا اخْتَارُوا النَّوَى وَشَكَ الْقَلْبُ الْجَوَى
 « حَارَ أَرْبَابُ أَهْوَى فِي أَهْوَى وَارْتَبَكَوَا »

١٩٥١

ماز المؤلف بتطهير هذه القصيدة ، في مسابقة أقامتها مجلة العروس ، وكانت لجنة التحكيم مؤلفة من الأساتذة : خليل مردم بك ، أحمد شاعر الكرمي وصاحبة المجلة ، وقد نشرت في عدد تموز ١٩٢٢ ، وقالت اللجنة في قرارها « إنها راعت الإجابة في أكثرية الآيات ، ولم تغلُ بقية القصائد من آيات شائعة إلا أنها أقل عدداً مما حوته هذه القصيدة ، فنهى ناظمها الفنى ونسبش بفلأحه ».

« هِيَ الْأَخْلَاقُ تَذُبُّ كَالنَّبَاتِ » وَتَنْمُو بِأَعْتِنَاءِ الْوَالِدَاتِ
تَزِيدُ رِيَاضُهَا بِالرَّيِّ حُسْنًا « إِذَا سَقِيَتْ بِمَاءِ الْمَكْرُمَاتِ »
« تَقُومُ إِذَا تَعَمَّدَهَا الْمُرَبِّي » وَغَذَاهَا بِآيَاتِ الْهُدَاةِ
وَتَبْدُو مِثْلَ أَغْصَانٍ تَدَلَّتْ « عَلَى سَاقِ الْفَضِيلَةِ مُشْرِاتِ »
« وَلَمْ أَرَ لِلْخَلَائِقِ مِنْ مَحَلٍ » يُجْمَعُ شَمْلَهَا عِنْدَ الشَّتَاتِ
وَيَبْعَثُ فِي طِبَائِعِهَا حَيْنًا « يَهْدِيهَا ، كَحِضْنِ الْأُمَّاتِ »
« فَحِضْنُ الْأُمِّ مَدْرَسَةٌ تَسَامَتْ » بِتَخْرِيجِ الْأَسَاتِذَةِ الثَّقَاتِ
وَأَهْلُ الرَّأْيِ قَدْ عَهَدُوا إِلَيْهَا « بِتَرْيِيَةِ الْبَنِينَ أَوْ الْبَنَاتِ »
« وَلَيْسَ رَيْبُ عَالِيَةِ الْمَزَايَا » إِذَا زَانَتْهُ أَخْلَاقُ الْأَبَاةِ
بَعِيدًا عَنْ بُلُوغِ ذُرَى الْمَعَالِي « كَمِثْلِ رَيْبِ سَافِلَةِ الصِّفَاتِ »
« فَيَا صَدْرَ الْفَتَاةِ رَحِبْتَ صَدْرًا » فَأَنْتَ أَمِينُ سِرِّ الْكَائِنَاتِ
وَيَا صَدْرَ الْفَتَاةِ سَمَوْتَ قَدْرًا « فَأَنْتَ مَقَرُّ أَسْمَى الْعَاطِفَاتِ »

« إِذَا أُسْتَنَدَ الْوَلِيدُ إِلَيْكَ لَاحَتْ » لَهُ الدُّنْيَا أَمَانِي بِاسْمَاتِ
كَأَنَّكَ مَتَحَفٌ فِيهِ تَرَاءَتْ « تَصَاوِيرُ الْحَنَانِ مُصَوِّرَاتِ »
« فَكَيْفَ نَظَرْتُ بِالْأَبْنَاءِ خَيْرًا » وَنَحْنُ نَرَى الْمَوَانِعَ قَائِمَاتِ
وَكَيْفَ تُؤْمَلُونَ رِجَالَ عِلْمٍ « إِذَا نَشَأُوا بِحِضْنِ الْجَاهِلَاتِ ؟ »
« وَأَخْلَقُ الْوَلِيدَ تَقَاسُ حُسْنًا » بِمَا يَلْقَاهُ مِنْ تَقْوِيمِ ذَاتِ
وَحَالِ الشَّعْبِ لَيْسَ تَقَاسُ إِلَّا « بِأَخْلَاقِ النِّسَاءِ الْوَالِدَاتِ »
« وَقَالُوا: إِنَّ مَعْنَى الْعِلْمِ شَيْءٌ » بَعِيدٌ عَنْ عُقُولِ الْإِنْسَاتِ
وَإِنَّ قَوَاعِدَ التَّهْذِيبِ فَنٌّ « تَضِيقُ بِهِ صُدُورُ الْغَانِيَاتِ »
« أَلَمْ تَرَفِي الْحِسَابَ الْغَيْدِ قَبْلًا » كَرَامَتِ بِالْحِجْبِيِّ مُتَمَيِّزَاتِ ؟
وَكَمْ عَرَفَ الزَّمَانُ، وَإِنْ جَهَلْنَا « أَوَانِسَ كَاتِبَاتِ شَاعِرَاتِ »
« وَقَدْ كَانَتْ نِسَاءُ الْعَرَبِ قَدَمًا » إِلَى خَيْرِ الْفَضَائِلِ دَاعِيَاتِ
وَكَانَتْ بَعْضُهُنَّ ذَوَاتِ بَأْسٍ « يَرْحُنَ إِلَى الْحُرُوبِ مَعَ الْغَزَاةِ »
« فَمَا لِلْأُمَّهَاتِ جَهْلُنَ حَتَّى » نَبْذَنَ الْيَوْمَ أَسْمَى الْوَاجِبَاتِ
وَأَسْلَمْنَ الرِّضِيعَ لِبَائِعَاتِ « أَتَيْنَ بِكُلِّ طَيَّاشِ الْحَصَاةِ »
« حَنُونٍ عَلَى الرِّضِيعِ بَغَيْرِ عِلْمٍ » فَكُنَّ بِمُطَفِّهِنَّ مُقَلِّدَاتِ
وَشَبَّ الطِّفْلُ دُونَ حُنُوِّ أُمِّ « فَضَاعَ حُنُوُّ تِلْكَ الْمُرْضِعَاتِ »

« دَعْنِي أَقْبَلْ وَجَنَّتَيْكَ » فَيُرَوِّدُ دَمْعِي وَرَدَّتَيْكَ
 حَسَنِي عَذَابِي فِي الْهَوَى « حَسَنِي تَقَطَّبُ حَاجِبِيكَ »
 « عَلَّمْتَنَا أَدَبَ الْغَرَامِ » بِآيَةٍ مِنْ أَصْغَرِيكَ
 وَمَلَكَتَ نَاصِيَةَ الْجَمَالِ « وَأَنْتَ مُنْضِي نَاطِرِيكَ »
 « وَأَرَيْتَنَا تِيهَ الْعَزِيزِ » وَمَا أَفْتَرَى أَحَدٌ عَلَيْكَ
 أَيَّهَابُنَا أَهْلُ الْعُقُولِ « وَنَحْنُ فِي ذُلٍّ لَدَيْكَ ؟ »

* * *

« لَمْ أَذِرْ أَنْ غَدَا الْفُؤَادُ » وَهَلْ يَضِيعُ هَزَارُ أَيْكَ ؟
 سَأَلَ الْأَحِبَّةُ أَنْ بَاتَ « أَفِي يَدِي أَمْ فِي يَدَيْكَ ؟ »
 « هَبْنِي لَهُ أَوْ هَبْنِي لِي » قَسَمًا بِبَارِي مُقْلَتَيْكَ !
 إِنْ كُنْتَ تَرْحَمُ شَاكِيًا « فَالْأَمْرُ مَوْكُولٌ إِلَيْكَ »
 « وَسُدِّي نُومَلُ رَاحَةً » مِنْ عَازِلِي وَشَاهِدِيكَ
 وَكَفَى بِعَطْفِكَ مِنَّةً « إِنْ كُنْتَ تَمْنَعُ رَاحَتِيكَ »

١٩٥٣



« أَنَا مِنْ سُكْرِ هَوَائِهِ ثَمَلُ » أَتَهَادِي ، وَفُؤَادِي وَجِلُ
 وَإِذَا الْحُبُّ غَدَا أَرْجُو حَتَّى « لَا أَبَالِي هَجَرُوا أَمْ وَصَلُوا »
 « فَدِشْغَرِي وَحَدِيثِي فِيهِمْ » مِثْلُ عَلِيَا لِقَوْمٍ عَقَلُوا
 وَبِفَنِّي الْمَزْدَهِي بَيْنَ الْوَرَى « زَمَزَمَ الْحَادِي وَسَارَ الْمَثَلُ »
 « إِنَّ عُشَاقَ الْحِمَى تَعْرِفُنِي » بُلْبُلًا يَشْدُو فَلَا يَنْتَحِلُ
 غَاظَلْتَنِي فِي الدُّجَى أَنْجُمُهُ « وَالْحِمَى يَعْرِفُنِي وَالطَّلُّ »

* * *

« رَحَلُوا عَنْ رَبِيعٍ عَيْنِي فَلِذَا » عَيْلَ صَبْرِي وَجَفَانِي الْجَذَلُ
 فَإِذَا لَمْ يَرْجِعِ الدَّهْرُ بِهِمْ « أَذْمَعِي عَنْ مُقْلَتِي تَرْتَحِلُ »
 « مَا لَهَا قَدْ فَارَقَتْ أَوْطَانَهَا » مِثْلَ رُودِ حَدَاها الْأَمَلُ :
 بَحَثَتْ عَنْهُمْ فَأَعْيَاها السُّرَى « وَهِيَ لَيْسَتْ لِحِمَائِهِمْ نَصِلُ »
 « لَا تَظُنُّوا أَنِّي أَسْلُو فَمَا » وَكَبَ السُّلُوانَ إِلَّا الْمَلَلُ
 لَاهَوَاكُمْ زَائِلٌ عَنِّي وَلَا « مَذْهَبِي عَنْ حُبِّكُمْ يَنْتَقِلُ »

١٩٥٢



« غَدَاً يَتَفَرَّقُ أَهْلُ أَهْوَى » فَلَا يَجِدُ الصَّبُّ مَا يَنْفَعُ
 وَتَغْرُبُ عَنْ رُبْعِ لَيْلَى الرُّؤَى « وَيَكْثُرُ بِكَ وَمُسْتَرْجِعُ
 « وَتَحْتَلِفُ الْأَرْضُ بِالظَّاعِنِينَ » كَأَنَّ الْحِمَى بَعْدَهُمْ بَلَقَعُ
 فَيَا وَيْحَ قَلْبِي غَدَاةَ يَرَى « وَجُوهًا تَشِدُّ وَلَا تَرْجِعُ
 « وَتَقْنِي الطُّلُولُ وَيَبْقَى أَهْوَى » سَرَابًا بِأَرْجَاهُ — يَلْمَعُ
 فَيَحْسِبُهُ الصَّبُّ ظِلَّ الْحَبِيبِ « وَيَصْنَعُ ذُو الشُّوقِ مَا يَصْنَعُ
 « أَأَنْتَ تَنُوحُ وَهُمْ جِيرَةٌ » يُغْنُونَ لَحْنًا فَلَا تَسْمَعُ
 وَتَلْهُو بِتَذَكُّرِهِمْ عَنْهُمْ « فَكَيْفَ تَكُونُ إِذَا وَدَّعُوا؟
 « وَتَطْمَعُ بِاللَّبَاسِ بَعْدَ الْفِرَاقِ » وَخَيْرُ الْفِرَاقَيْنِ مَا يَجْمَعُ
 وَلَا خَيْرَ فِي الْهَجْرِ لِلْعَاشِقِينَ « لِبَاسَ لَعْمَرِكَ مَا تَطْمَعُ »

١٩٥٢

« لَمْ يَبْقَ لِي أَمَلٌ سِوَاكَ فَإِنْ يَفَتْ » مَضَتْ الْأُمَانِي كَمَا لَسْنَيْنِ سِرَاعَا
 وَكَأَنَّنِي الْيَأْسُ الْمُجَسَّمُ بَعْدَمَا « وَدَّعْتُ أَسْبَابَ الْحَيَاةِ وَدَاعَا
 « لَا أَسْتَلِدُّ لِفَيْرٍ وَجْهَكَ مَنْظَرًا » فَالْبَدْرُ يَحْسُدُ حُسْنَكَ اللَّمَاعَا
 وَبِغَيْرِ دَارِكَ لَمْ يَطِبْ لِي مَوْقِفٌ « وَسِوَى حَدِيثِكَ لَا أُرِيدُ سَمَاعَا »

١٩٥٣

« إِذَا رُمْتُ أَنْ تَحْيَا سَلِيمًا مِنَ الْأَذَى » وَفَضْلُكَ فِي دُنْيَا الْمَحَامِدِ يَبِينُ
 وَعَيْشُكَ مَرْضِيٌّ، وَبَابُكَ مُرْتَجَى « وَدِينُكَ مَوْفُورٌ، وَعِرْضُكَ صَيَّنٌ »
 « فَلَا يَنْطِقُنْ مِنْكَ اللِّسَانُ بِسَوَاءٍ » فَشَرُّ الْوَرَى مَنْ بِالْعُيُوبِ يُطْغَنُ
 وَإِنْ خِلْتَ تَعْيِيرَ الْفَتَى لَا يَضِيرُهُ « فَكُلُّكَ سَوَاءٌ وَلِلنَّاسِ أَلْسُنُ »
 « وَعَيْنُكَ إِنْ أَبَدْتَ إِلَيْكَ مَمَائِيًا » فَنَسِيَانُ وَجْهِ الْعَيْبِ أَجْدَى وَأَهْوَنُ
 وَإِنْ طَلَبْتَ مَا لَا يَحِلُّ مِنَ الرُّوَى « فَدَعَهَا، وَقُلْ : يَا عَيْنُ لِلنَّاسِ أَعْيُنُ »
 « وَعَاشِرٌ بِمَعْرُوفٍ وَسَامِعٌ بِأَعْتَدَى » فَسَرَفٌ يُثِيبُ الْمُصْلِحِينَ الْمُهَيِّمِينَ
 وَأَحْبَبُ إِلَى أَنْ يَبْلُغَ الْيَأْسُ حَدَّهُ « وَفَارِقٌ، وَلَسَكِنْ بِأَلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ »

١٩٥٢

« إِذَا خَانَنِي خِلٌّ قَدِيمٌ وَعَقَنِي » ذَكَرْتُ لَهُ فَضْلًا، وَأَتْبَعْتُهُ حِلْمِي
 وَإِنْ زَيْنَ الشَّيْطَانُ لِي أَنْ أَكِيدَهُ « وَفَوَّقْتُ يَوْمًا فِي مَقَاتِلِهِ سَهْمِي »
 « تَعَرَّضَ طَيْفُ الْوَدِّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ » فَوَلَدَ فِي نَفْسِي الْجُنُوحَ إِلَى السَّلْمِ
 وَكَلَّلَنِي بِالْعَطْفِ كَالْوَرْدِ بِالْأَنْدَى « فَكَسَّرْتُ سَهْمِي وَأَتْنَيْتُ وَلَمْ أَرْمِ »

١٩٥٣

« حَوَاهِ ! هَلْ نَلْتَقِي يَوْمًا عَلَى هَدَفٍ » حَتَّى نَصُونَ أَهْوَايَ بِالصَّدَقِ وَالشَّرَفِ ؟
 وَهَلْ يُوَحِّدُنَا فِي الْحُبِّ نَهْجٌ هُدًى « أَمْ نَحْنُ فِي دَرْبِنَا ، كُلٌّ عَلَى طَرَفٍ ؟ »
 « نَسْرِي وَنُؤْمِنُ فِي الْمَسْرِي وَلَا قَبَسٌ » يَجْلُوَانَا الْفَرْقَ بَيْنَ الدُّرِّ وَالصَّدَفِ
 وَلَا دَلِيلٌ نَبِيلُ الْقَصْدِ نَأْمَنُهُ « يَهْدِي لِدَرْبِكَ ، أَوْ يُوْدِي لِمُنْمَطِنِي »
 « كَمْ تَشْمَخِينَ ، وَنَارُ الْوَجْدِ قَدْ حَرَقَتْ » أَعْمَاقَ صَدْرِكَ فَاسْتَضَحَكْتَ مِنْ أَسْفِي
 وَكَمْ تَلَاقِينَ مِنْ هَمْ سَرَى فَبَرَى « مِنْكَ الْفُؤَادُ وَكَمْ تُخْفِينَ مِنْ كَلْفِ »
 « أَنْتِ الْأَيَّةُ ، فِي جَنْبِكَ لَاهِبَةٌ » نَارُ الْغَرَامِ ، فَمَا قَوْلِي لَهَا أَنْصَرِفِي !
 وَفِي ضُلُوعِكَ أَشْوَاقٌ مُبَرَّحَةٌ « مِنْ كِبَرِيَاءِ أَهْوَايَ تَذْكُومِنَ الْأَنْفِ »
 « فِيكَ الْإِبَاءُ وَهَذَا الْوَصْفُ مِنْ شَيْمِي » وَقَدْ رَمَانَا شُمُوحُ الْأَنْفِ بِالْتَلَفِ
 نَهْوَى وَذُلُّ أَهْوَايَ يَطْفَأُ فَيَمْنَعُنَا : « بِي مِثْلُ مَا بِكَ يَا حَوَاهِ مِنْ صَلَفِ »
 « أَهْفُو إِلَيْكَ ، وَمَا فِي الْجِسْمِ جَارِحَةٌ » تَهْفُو لِفَيْرِكَ ، فَالْقَلْبُ الْوَفِيُّ وَفِي
 وَلَيْسَ فِي الشَّعْرِ مِنْ مَقْطُوعَةٍ حَسَنَتْ « إِلَّا وَتَنْطِقُ عَنْ حُبِّي وَعَنْ شَفَافِي »





زهر الرنى

البروصه الثالث

شقائق النعمان

ثنائيات وثلاثيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



جاء معلق هذه القطع خلال ١٩٥١ - ١٩٥٤

ثنائيات

فخر الرهزار

١

مَزَجْتُ رِيًّا فُوَادِي بِأَنْجِرَارِ دَمِي وَصُنْتُ شِعْرًا بِرُوحِي غَيْرَ ذِي كَلِمِ
أَنَا الْهَزَارُ الَّذِي لَا طَيْرَ يُشَبِّهُهُ بِقُوَّةِ اللَّحْنِ وَالْإِبْدَاعِ فِي النِّعَمِ

الروح الاسير

٢

أَخْلَقَ بِفِكَرِكَ أَنْ يَخِيَا مَعَ الشَّهْبِ ، مُزَّهًا عَنْ هَوَايَ الْأَوْهَامِ وَالرَّيْبِ
فَالشَّعْرُ رُوحٌ سَمِعَ حَتَّى ارْتَدَى حُمَلًا ، لَفْظِيَّةً فَاسْتَحَقَّ السَّجْنَ فِي الْكُتُبِ

رسالة

٣

كَفَانِي مِنَ اللَّذَاتِ عَيْشِي كَغَيْرِيْدِ ، فَذِكْرِي جَرَى فِي النَّاسِ كَالْمَاءِ فِي الْعُودِ
أَتَيْتُ إِلَى الدُّنْيَا لِنَشْرِ رِسَالَةٍ فَهَلْ أَصْلَحَتْ أَبْنَاءَ عَادٍ وَتُرُودِ ؟

الفاني والباقي

٤

أَلْمَالُ يَفْنَى فَنَاءَ التَّيْنِ فِي النَّارِ وَالْفَنُّ يَبْقَى بَقَاءَ الْمِطْرِ فِي الْغَارِ
وَفِي الْحَيَاةِ مُلُوكٌ كَانَ مُجْدُهُمْ نَسَجَ الْغُبَارِ عَلَى شَلَالِهَا الْجَارِي

درهم عمل خير من فنطار كلام

٥

أَهْوَى لِقَاؤِي بُلُوغَ الْمَجْدِ بِالْعَمَلِ فَكَثْرَةُ الْقَوْلِ مَدْعَاةٌ إِلَى الزَّلَلِ
إِنْ كَانَ حُبُّ التَّسَامِي مَخْضَ ثَرْتَرَةٍ فَهَيْبَةُ الصَّمْتِ فَاقَتْ ضَجَّةَ الدُّوَلِ

مِنْ حَدِيثِ بَيْنِ الدُّجَى وَالْدَّرَارِي : أَوَّلُ اللَّيْلِ نِدُّ بَدءِ النَّهَارِ
وَكَانَ الزَّمَانُ ذِكْرِي مُروري فِي أَنْتِقَالِي مَا بَيْنَ دَارٍ وَدَارٍ

أَيْهَذَا الشَّادِي عَلَى الْأَوْتَارِ مَغْرِيَاتِ الْأَلْحَانِ فِي الْأَسْحَارِ !
أَيُّ فَرْقٍ بَيْنَ اخْضِرَارِ الْأُمَانِي وَأَصْفِرَارِ الْعِيدَانِ بَعْدَ ازْدِهَارِ

ثَبَاتُ عَزْمِكَ مِثْلَ الصَّخْرِ يَظْهَرُ لِي وَالْمَوْجُ هَدَأَتْهُ ضَرْبُ مِنَ الْمَلَلِ
إِنْ كَانَ بِأُسْكَ خَلَى الْبَحْرَ مُصْطَخِبًا فَالْحَقُّ يَظْهَرُهُ الْإِيمَانُ فِي الْجَدَلِ

جَاهِلُ الْحَقِّ بِالتَّعَصُّبِ فَآخِرُ وَالَّذِي أَدْرَكَ الْحَقِيقَةَ حَازِرُ
كَانَ شَرْقًا، لَكِنَّهُ الْغَرْبُ، بِالنَّسْبَةِ لِلشَّرْقِ فِي مَكَانٍ آخَرَ

خَلَدَتْ فَنَّاكَ فِي بَيَانِ صِفَاتِي يَا مَنْ تَفَرَّدَ بِالْجَمَالِ الذَّاتِي
وَلَسَوْفَ تُذَكِّرُ فِي الْمَوَالِدِ كُلِّهَا غَنَى الْمَجُودِ رَائِعَ الْأَيَّاتِ

تَعَاوَى دَعِيَّ الْفَهْمِ فِي رَهْطِ خُلَانٍ بِشِمْرِ كَهْذِرِ الْخَارِجِينَ مِنْ أَلْحَانِ
فَمَعْنَى سَقِيمٌ فِي تَفَاهَةِ غَايَةٍ وَلَفْظُ رَكِيكٌ فِي تَخْلُيعِ أَوْزَانِ

تَعَوَّدْتُ حُبَّ الصَّفْحِ عَنْ كُلِّ مُذْنِبٍ ، فَظَنَّ الْعِدَى أَنِّي أَعِفُّ لِمَأْرَبِ
فَجَازَاهُمْ الْقَاضِي بِعَكْسِ الَّذِي بِهِ ، جَزَانِي وَأَمْسَتْ رِقَّةُ الْقَلْبِ مَذْهَبِي

إِذَا رُحْتَ تَرْعَى عُهْدَ الْوَلَاءِ أَظَلَّتْكَ أَفْيَاؤُهُ الْوَارِفَةُ
فَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِثْلَ الْإِخَاءِ لِضَمِّ قُلُوبِ الْوَرَى عَاطِفَةُ

وَشَجَرُورِ أَيْكَ كَمْ تَعْنَى بِالْحَنَانِي وَشَيْدَ عِشَا مِنْ حَنَانِي عَلَى أَلْبَانِ
فَقَاجَاهُ الصِّيَادُ بِالْعَذْرِ وَادَّعَى بِحَقِّ عَلَيْهِ ، كَمَا لَقَتِيلِ عَلَى أَلْجَانِي ۱۱

وَمَنْ يَدْرِغُ بِالْعُنْفِ يُدْرِكُ مُرَادَهُ إِذَا ضَيَّعَ الشَّعْبُ الضَّعِيفُ اتِّحَادَهُ
وَلَكِنَّ رَبَّ النَّاسِ يَقْضِي بِعَدْلِهِ وَيُنْقِذُ مِنْ جُبِّ الْأَسْوَدِ عِبَادَهُ

خَلَّ السَّيَّاسَةَ تَسْلَمَ مِنْ هَوَى الزَّلَلِ فَكَمْ تَرَدَّى جَبَانُ حُلَّةِ الْبَطَلِ
وَدَعَكَ مِنْ خَطَا تَزْهُو مَلَابِسُهُ إِنَّ الصَّوَابَ لَعَرِيَانٌ مِنَ الْحُمَلِ

يَبْنَا الْأَرَامِلُ تَأْبَى ذِلَّةَ الْعَارِ « وَتَسْتَجِيرُ مِنَ الرَّمْضَاءِ بِالنَّارِ »
أَعْطَى الْغَنِيِّ (حَبِيبُ اللَّهِ) غَانِيَةً لَيْسَتْ بِذَاتِ عَفَافٍ أَلْفَ دِينَارٍ

يَا ابْنَ الْقَسَاةِ ائْتَمِظْ بِالْمَوْتِ وَالنَّارِ وَأَرْضَ النُّظَامِ الَّذِي يَرْضَى بِهِ الْبَارِي
أَتَشْرَبُ الدَّمْعَ مِنْ أَجْفَانٍ مُنْتَحِبٍ وَتَسْتَلِذُّ أَنْيْنَ الْجَائِعِ الْعَارِي؟

تَبَاعَدَ عَنِ الْأَشْرَارِ إِنْ كُنْتَ شَاعِرًا فَمَنْ وَنَهُمْ لَمْ يَذْبَحِ الْحَقُّ سَاخِرًا؟
أَقَامَ ابْنُ آوَى عِنْدَ ذَنْبٍ قَضِيَّةً عَلَى الثَّعْلَبِ الْمَكَّارِ فَأَرْتَدَّ خَاسِرًا...

أَرْضُنَا ذَرَّةٌ مِنَ الْكَائِنَاتِ فَلَا مَ التَّفْرِيقُ بَيْنَ اللَّدَاتِ؟
وَحَدَّةُ الْحَقِّ وَحَدَّتْ كُلَّ رَأْيٍ وَقَضَى الْحُبُّ بِاتِّحَادِ الْعُدَاةِ

أَيُّهَا النَّاسُ ! نَحْنُ كَالذَّرَاتِ نَثْرَتَهَا الرِّيحُ فِي أَلْغَابَاتِ
وَقَضَتْ شِدَّةُ الْجَهَالَةِ فِيْنَا بِاخْتِلَافِ الْأُذْيَانِ وَالْغَايَاتِ

قُلْ لِحَدِّي الْأَعْلَى أَبِي الْمَنَعَاتِ وَمُعْذَرِّي الْأَبْنَاءِ بِاتِّرَاهَاتِ
لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَ نَسْلِكَ فِي الْأَرْضِ حُدُودٌ وَلَا اخْتِلَافٌ لُغَاتِ

أَيُّهَا الشَّاعِرُ ذُو الرَّأْيِ الْحَكِيمِ دَاوِ مَا فِيْنَا مِنَ الْبُؤْسِ الْمُقِيمِ
فَأَجَبْتُ : أَتَبِعُونِي وَأَشْرَبُوا خَمْرَ فِكْرِي تُدْرِكُوا سِرَّ النِّعَمِ



ثلاثيات

ببرع الخلود

١

سَبْدُ عٍ بِالفِكْرِ النِّعَمِ الْمُخْلَدَا
إِذَا لَمْ يَكُنْ أَمْرًا جَلِيًّا مُؤَيَّدَا
فَمَا قِيَمَةُ الْإِنْسَانِ إِنْ كَانَ زَائِلًا
وَمَا نَفْعُ مَنْ فِي عُمْرِهِ جَارَ وَأَعْتَدَى ؟
يُلَاحِقُهُ التَّبَكُّيتُ طَوْلَ زَمَانِهِ
وَمَا أَصْعَبُ التَّكْفِيرِ إِنْ غَالَهُ الرَّدَى

الخمرة الرومية

٢

لَا تَسْأَلُونِي : أَنَا سَكْرَانُ أَمْ صَاحٍ
سَلُوا الدُّنَانَ الَّتِي كَمْ عَقَّتْ رَاحِي
وَكَرَّمُوا الْحِكْمَةَ الْعُلْيَا الَّتِي وَهَبَتْ
لِلْكَوْنِ كَرَمِي، وَلِلْعِشَاقِ أَقْدَاحِي
يَعِيشُ مَنْ ذَاقَهَا إِنْ رَاحَ يُنْبِئُكُمْ
عَمَّا يُلَاقِيهِ مِنْ سَلَوَى وَأَفْرَاحِ

مبابة العنادر

٣

غَدَا سَتَرَشِفُ أَسْمَاعُ وَأَلْبَابُ
شِمْرِي، وَيَنْقُدُ هَذَا السَّفَرُ كِتَابُ
وَيَهْرِفُ الْمُدَّعِي عِلْمًا وَمَعْرِفَةً
وَالْفَهْمُ كَالنَّاسِ أَسْيَادُ وَأَذْنَابُ
كُنْ كَالْعَنَادِلِ مَا صَانَتْ قِصَائِدَهَا
وَهَلْ يَضِنُّ بِنَشْرِ الْفَنِّ مِطْرَابُ ؟

ضعف وعزم

٤

يَا لَهَا مَلْحَمَةٌ أَعْتَرَفُ
أَنَّهَُا عَنْ سِرِّ قَلْبِي تَكْشِفُ
تِلْكَ آيَاتُ إِذَا رَدَّدْتُهَا
هَزَاتُ مِمَّا أَعْتَرَانِي الْأَحْرَفُ
وَأَنَا مَنْ حَدَّثْتُ عَنْ عَزَمِهِ
سُورُ الْمَجْدِ وَغَنَى الشَّرَفُ

نَبَتَتْ بَعِيداً عَنْ مَجَارِي الْمَاءِ وَأَتَتْ بِعِطْرِ مَالِي الْأَرْجَاءِ
وَالزَّهْرُ فِي شَطِّ الْغَدِيرِ بِلا شَذَى لَكِنَّهُ رَيَّانٌ بِالْأَفْيَاءِ
وَمَعَامِلُ الْعِطْرِ الَّتِي أُغْتَرَّتْ بِهِ أَذْرَى بِسِرِّ الشُّهْرَةِ الْجَوْفَاءِ

كُلُّ يَوْمٍ فِيهِ لِلْخَلْقِ عِبرٌ وَأَجَلُ النَّاسِ قَدْرًا مَنْ ذَكَرُ
قَوَّلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ أَهْمَلَ الرُّوحَ فَأَغْوَاهُ الْحَجَرُ
كَيْفَ يَنْسَى عِظَةً بِالْغَةِ خَطَّهَا الْمَوْتُ جَزَاءً لِلْبَشَرِ؟

غَنِيٌّ، وَلَكِنْ لَيْسَ لِي مَنْ أَشَارِكُهُ، كَتَسْرِ عَلَا الْأَمْوَاجِ ضَاقتْ مَسَالِكُهُ
وَكَمْ رَاوَدَتْنِي الْمُغْرِيَاتُ عَلَى الْغِنَى وَأَوْحَتْ بِأَنَّ الْمَالَ يَنْحَطُّ تَارِكُهُ
فَهَلْ جَهِلْتُ أَنَّ الْفَضَاءَ مَلِيئَةٌ نَوَاحِيهِ بِالرُّوحِ الَّذِي عَزَّ مَالِكُهُ؟

هَوَى الْمَالِ كَالشَّرِّ يَرْتَدُّ رِيحُهُ وَأَمَّا هَوَى الصَّدِّيقِ فَهُوَ مَدِيحُهُ
وَفَخْرُ الْفَتَى فِي الْأَرْضِ تَرْدِيدُ ذِكْرِهِ، وَإِلَّا، فَهَلْ تُحْيِي الْغِنَى صُروحُهُ؟
إِذَا ذُكِرَ الْإِنْسَانُ بَعْدَ وَفَاتِهِ بِخَيْرٍ، فَقَدْ تَهَنَّزَ فِي الْخُلْدِ رُوحُهُ

هَيْئَتِي لِنَفْسِكَ أَنْ تَضِيءَ قَلِيلًا لَيْسَ الظَّلَامُ إِلَى الْكَمَالِ سَبِيلًا
وَالْفَوْزُ عِنْدَ اللَّهِ لِلرُّوحِ الَّتِي تَرَكَتْ بِمُعْتَرِكِ الْفَنَاءِ جَمِيلًا
وَكَأَنَّمَا نَارُ الْعَذَابِ نَدَامَةٌ عَلِقَتْ بِمَنْ تَحْتَ الضَّلَالِ خَلِيلًا

أكثرنا لكم كنزاً في السماء ١٠

يَكْرَهُ الدِّينُ كَثْرَةَ الْأَقْوَالِ وَيُرِيدُ الْبُرْهَانَ بِالْأَفْعَالِ
فَأَقْسِمُ وَالْفَقِيرَ حِصَّتُهُ فِي الْخُلْدِ، بِالْعَدْلِ فِي الزَّمَانِ الْحَالِ
لَا تَضُنُّوا عَلَى الْخُلُودِ بِذِلِّ فَازَ مَنْ يَشْتَرِي الْهُدَى بِالْمَالِ

زينة العدل ١١

مَنْ يَنْصُرِ اللَّهَ كَانَ اللَّهُ نَاصِرَهُ وَمَنْ يُحَارِبُهُ لَا يَأْمَنُ مَقَادِرَهُ
وَمَا أَنْتَ صَارُكَ فِي الدُّنْيَا سِوَى شَرِّكَ يَوْذُ كُلِّ خَبِيرٍ أَنْ يُحَازِرَهُ
فِيَا إِلَهِي! اقْبَلْ شِرْكَِي كَتَقَدِّمَةٍ تُلَطِّفُ الْمَوْتَ إِنْ يُنْشِبُ أَظْفِرَهُ

أولادي الشريد ١٢

أَنْصَفْتُ طَوْلَ حَيَاتِي، لَمْ أَدْعُ أَحَدًا يَشْكُو أَذَايَ، سِوَى أَوْلَادِي الشُّهَدَا
هَمْ فَلَذَةُ الْفِكْرِ فِي الْأَوْرَاقِ قَدْ سَجِنَتْ، فَهَلْ يَضِيعُ نَصِيبي مِنْ بَنِي سُدَايَ؟
يُقَالُ: قَدْ نِلْتَ حَظَّ الْخَالِدِينَ بِهِمْ وَلَمْ أَجِدْ أَنَّهُمْ مَدُّوا إِلَيَّ يَدَا

تَأَخَّوْا كَمَا قَالَ الْمَسِيحُ وَأَاحَدُ فَمَا الْحُبُّ إِلَّا مَرْوَةٌ لَا تُحَدِّدُ
وَأِنْ هَامَ قَوْمٌ بِالْثَّرَى فَبِلَادُنَا لَهَا فِي مَجَالِ الرُّوحِ إِرْثٌ مُخَلَّدُ
فَوَاجِبُنَا اسْتِمَارُهُ، ثُمَّ نَشْرُهُ عَلَى النَّاسِ طُرًّا، فَلَا إِخَاءَ يُوَحِّدُ

لَا أَظْلِمُ النَّاسَ فَلَمَظْلُومٌ مَعْدُودُ فِي الرَّابِحِينَ، وَبَعْضُ الظُّلْمِ تَحْلِيدُ
وَلَا أَرُومُ اغْتِصَابَ الْحَقِّ مُتَّخِذًا سَيْفِي أَدَاةً، فَحُكْمُ السَّيْفِ مَرْدُودُ
وَكَيْفَ أَظْلِمُ؟ وَالْإِنْصَافُ مَوْطِنُهُ فَوَادُّ مَنْ فِي ظِلَالِ الْمَدْلِ مَوْلُودُ

عَاشَ الْجَهْلُولُ مُعْظَمًا مَرْفُوعًا وَالْعَالِمُ الْمِسْكِينُ مَاتَ وَضِعًا
لَمْ يَتَّخِذْ زَوْجًا وَلَا وَلَدًا لِكَيِّ يَبْقَى مُجِبًّا لِلْأَنْسَامِ جَمِيعًا
حَافَ الْأَنَانِيَّةَ الَّتِي هَامُوا بِهَا فَطَوَى الشِّتَاءَ وَلَمْ يُلَاقِ رَيْعًا

لَا تَسَلْ مَنْ رَحَلُوا كَيْفَ الْمَالُ جَهْلَ الْعَالِمِ مَا أَخْفَى الزَّوَالُ
نَحْنُ أَبْنَاءُ الْأُلَى مَا حَصَدُوا مِنْ هَوَى الدُّنْيَا سِوَى شَرِّ الْفِعَالِ
إِنَّهَا الْحَسَنَاءُ فِي أَوْصَافِهَا وَلَكَمْ أَغْرَى الْفَتَى عِشْقُ الْجَمَالِ

أَيْسَتْهُوَيْكَ فِي الدُّنْيَا جَمَالُ؟ وَمَا فِيهِمْ — : عَوِيلٌ وَأَقْتِتَالُ
لَوْ أَنَّ الْعَدْلَ يَمْلُوهَا نَعِيماً لَمَّا أَنْسَاكَ مَا يَطْوِي الزَّوَالُ
فَكَيْفَ وَأَنْتَ فِي هَمٍّ مُقِيمٍ وَعَيْشٍ كُلُّهُ قِيلٌ وَقَالَ

كَانَ التَّلَذُّذُ بِالْأَوْهَامِ مَسْرَايَا فَأَظْهَرَ الْبَحْثُ مَا أَخْفَتْهُ دُنْيَايَا
رَشَفْتُ مِنْ جَرَّةٍ مَلَأَى، عَلَى ظَلَمٍ مَاءُ الدَّمُوعِ، وَلَمْ تُبْصِرْهُ عَيْنَايَا
وَعِنْدَمَا زَالَ سِتْرُكَ كَانَ يَحْجُبُهُ أَذْرَكْتُ كَمْ كَانَتْ الْأَوْهَامُ مَرَايَا

طَرِيقَيْنِ يَلْتَقِي الْمَرءُ فِي مَطْلِعِ الْعُمُرِ، سَتَوَصِلُهُ الْأُولَى إِلَى الْيَأْسِ وَالْكَفْرِ
وَقَدْ تُوَصِّلُ الْأُخْرَى إِلَى الْغَيْبَةِ الَّتِي، تُرَافِقُ رُوحَ الْمَرءِ إِنْ بَاتَ فِي الْقَبْرِ
وَلَيْسَ اخْتِلَافُ النَّاسِ عِنْدَ اخْتِيَارِهَا، سِوَى جَهْلِهِمْ سِرَّ الْحَيَاةِ الَّتِي تُغْرِي

لَيْسَ الثَّوَابُ وَلَا الْعِقَابُ جَنَانًا وَجَهَنَّمًا، بَلْ عِزَّةٌ وَهَوَانَا
فَالرُّوحُ تَصْعَدُ كَالسَّحَابِ بِطُحْرِهَا، وَتَعُوضُ حِينَ تُصَاحِبُ الْأَذْرَانَا
فَهَنَآؤُهَا وَعَذَابُهَا بِمَقَامِهَا وَالْحَسُّ كَانَ وَلَمْ يَزَلْ مِيزَانَا

مِنَ الشَّعْرِ أَشْبَاحُ تُعَرِّدُ فِي الْفِكْرِ وَتَبْدُو بِأَثْوَابِ كَأَنِّيَةِ الْخَمْرِ
فَيَوْلَعُ قَوْمٌ بِالْخَيَالِ وَغَيْرُهُمْ بِحُلٍّ رُمُوزٍ سَطَّرَتْهَا يَدُ الْهَذَرِ
وَمَا الْقَوْلُ إِلَّا نِسْبَةُ الْحِسِّ فِي الْفَتَى ، إِلَى مُطْلَقِ الْإِبْدَاعِ فِي عَالَمِ الشَّعْرِ

أَرَأَيْتَ الْمَوْجَ فِي الشَّطِّ يَشُورُ كَخَيُولٍ زَحَفَتْ فَوْقَ الصُّخُورِ ؟
غَرَّهَا النَّصْرُ وَأَغْيَاهَا الشَّرَى فَتَلَاشَتْ كَأَنَّا شَيْدِ الدُّهُورِ
إِنَّمَا الْأَمَالُ فِي هَذَا الْوَرَى زَبْدُ الْأَمْوَاجِ وَالشَّطُّ الْقُبُورِ

لَيْسَ مَنْ يَدْعُو إِلَى اللَّذَاتِ ذَا عَقْلٍ كَبِيرٍ
غِبْطَةُ الرُّوحِ هِيَ الْفَوْزُ عَلَى اللَّهِ وَالْحَقِيرُ
وَأَنْطِلَاقٌ فِي السَّمَاوَاتِ وَجِدٌ فِي الْمَسِيرِ

لَسْتُ أَرْضَى مِنْ حَيَاتِي بِالْأَمَانِي الْفَانِيَةِ
غَايَةُ الرُّوحِ مَلَذَاتُ الْحَيَاةِ الْبَاقِيَةِ
وَهُنَا دَارُ أَمْتِحَانِ الرُّوحِ ، فَأَعْلَمْ مَا هِيَ

أَرَى قُوَّةَ الْمَوْتِ تُشَدُّ سَاعِدِي وَتُذْنِي إِلَى قَلْبِي قُلُوبَ الْأَبَاعِدِ
فَيَا لَيْتَهَا تُذْنِي بَنِي وَطَنِي الْأَلَى تَرَكْتُ لَهُمْ فَنِي وَدُرَّ قَلَانِي
وَهَلْ كَافَا النَّاسُ الْمَسِيحَ لِأَرْتَجِي، ثَوَابَ الْأَلَى ضَاءَتْ عَلَيْهِمْ قَصَائِدِي؟

تَعَالَوْا الْعَدْلَ يَا مَنْ غَرَّهُمْ طَمَعٌ ! وَلَا تَظَلُّوا كَمَنْ أَغْوَتْهُمْ الضُّبُعُ
وَإِنْ فَرَزْتُمْ مِنَ التَّغْوِيضِ عَنْ ضَرَرٍ، فَسَوْفَ يَحْمِلُهُ الْأَبْنَاءُ وَالتَّبِعُ
أَلَمْ يُحَدِّثْكُمْ التَّارِيخُ عَنْ فِتْنَةٍ لَمَّا اسْتَبَدَّتْ تَوَلَّى هَدْمَهَا الْجَشَعُ؟

عَزَلُوا الْكُفَّ، مِنَ الْحِصْنِ الْحَصِينِ، فَعَدَا مُسْتَوْدَعًا لِلْمُدَّعِينَ
لَيْسَ هَذَا الْعَهْدُ كَمَا لَمَّا ضَيَّ الَّذِي خَضَعَ الْفِكْرُ بِهِ لِلْمُعْتَدِينَ
يَا لَمَعَصِرٍ فَضَحَّتْ آيَاتُهُ هَذَرُ أَرْبَابِ الْفُؤُودِ الْمُفْسِدِينَ

أَعْلَنُوهُ سَارِقًا خَانَ ذَوِيهِ ! مَنْ هَجَاهُ بِالَّذِي فِيهِ سَفِيهِ
سَارِقُ السَّارِقِ مَعْدُودُ كَمَنْ وَرِثَ الْمَالَ بِعَدْلٍ عَنْ أَبِيهِ
كُلُّ مَنْ يَمْلِكُ مَالًا زَائِدًا سَلَبَ الزَّائِدَ مِنْ حَقِّ أَخِيهِ

أروم لِكُلِّ النَّاسِ أَنْ يُدْرِكُوا النُّورَ ، فَلَا خَيْرَ فِي حَقِّ إِذَا ظَلَّ مَسْتَوْرًا
وَمَا الْحَقُّ إِلَّا وَحْدَةٌ عَافِيَا الْوَرَى فَبَاتَتْ رَشَاشًا فِي الْأَبَاطِيلِ مَنشُورًا
إِذَا مَحَّصَ النَّاسُ الْأُمُورَ بِعَرْضِهَا ، عَلَى النُّورِ أَضْحَى الْحَقُّ بِالْعَقْلِ مَنظُورًا

تَرَاهُ رَقِيقًا ، كَالنَّسِيمِ عَوَاطِفُهُ لَهُ قَلْبُ طِفْلِ كَمْ سَبَّكَ لَطَافُهُ
وَإِنْ جَاشَ حُبُّ الْحَقِّ فِي صَدْرِهِ غَدَا كَجَهْدِ صَخْرٍ كَمْ تَحَطَّمْ قَاضِيُهُ
فَلَا طَاعَةَ الرَّحْمَنِ تَبْرَحُ قَلْبُهُ وَلَا الْحَقُّ يَرْضَى صَاحِبًا مَنْ يُخَالِفُهُ

وَقَفْتُ عَلَى نَفْعِ الْأَنَامِ كَلَامِي وَفِي رَدْعِ أَهْلِ الشَّرِّ كَانَ غَرَامِي
فَهَبْنِي إِلَهِي ! مِنْ عِلَاكَ مَكَانَةٌ لِإِقْنَاعِ أَخْصَامِي وَنَيْلِ مَرَامِي
وَلَيْسَ مَرَامِي غَيْرَ فَوْزِي بِرُتَبَةٍ لَدَيْكَ ، وَمَرَّ آيِ الْوَرَى بِسَلَامِ

الْمَرْءُ مَأْخُودٌ بِأَوْهَامِهِ مُسْتَنْكِفٌ عَنْ بَحْثِ آلَامِهِ
لَوْ أَنَّهُ حَطَّمَ أَصْنَامَهُ لَمَا شَكَ ضِيَاعَ أَيَّامِهِ
فَسَلَّمَ الْأَمْرَ لِمَنْ خَطَّهُ قَنْبُطَةُ الْمَرْءِ بِإِسْلَامِهِ

لا تَعَذُّلُوهَا فَهِيَ عَمِيَاءُ مُتَحَاجَّةٌ لِلْغَيْرِ بِلَهَا
أَرْضُ يَتْنُ الْعَامِلُونَ بِهَا وَجَزَاؤُهُمْ غَمَطٌ وَإِيذَاهُ
أَرْضُ تَعَامَتْ عَنْ عِبَاقِرِهَا لَا أَنْفَكَ عَنْهَا ذَلِكَ الدَّاءُ

وَيْحَ النَّبُوغِ فَمَا أَلْفَتِي بِالْحَاقِقِ إِنَّ لَمْ يَسْكُنْ بِمُدْجَلٍ وَمُنَافِقِ
دَاءُ النَّوَابِغِ أَنَّهُمْ فَضَحُوا الْأَلَى مَلَأُوا الْمَنَاصِبَ بِالْهَرَاءِ أَلْفَاقِ
فَكَأَنَّهُمْ حَرَبٌ عَلَى أَهْلِ النُّهَى حَرَبُ النَّبُوغِ تَحَرُّشُ بِالْخَالِقِ

مَهَارَةُ الْمَرْءِ فِي الدُّنْيَا أَسْتِقَامَتُهُ وَأَسْمَدُ الْخَلْقِ مَنْ صَيَّنَتْ كَرَامَتُهُ
وَالنَّاسُ قِسْمَانِ: مَقْصُودٌ وَمُقْتَصِدٌ ، وَالْقَصْدُ أَنْ تَرْفَعَ الْإِنْسَانَ غَايَتُهُ
يُمَسِّي الَّذِي يَجْمَعُ الْخَيْرَاتِ مُعْتَدِيًا لَوْ أَصْبَحَ الْمَرْءُ مَضْمُونًا كِفَايَتُهُ

إِنَّ الَّذِي مَلَأَ الْوَرَى شِعْرًا وَفَنَّا مُشْرًا
مَا زَالَ يَمْشِي يَبْنِيهِمْ مُسْتَنْجِدًا مُسْتَغْفِرًا
زَرَعَ الْجَوَاهِرَ فَأَجْتَنَى فَحْمًا ، وَبَاتَ كَمَا تَرَى

أَبْكَى عَلَى الْعِلْمِ وَالْإِخْلَاصِ فِي بَلَدٍ سَطَا الْغِنَى بِهِ بِالْمَالِ وَالْعَدَدِ
أَضْحَى وَزِيْرًا فَمَا بَارَتْ تِجَارَتُهُ وَأَفْلَسَ الْعَالَمُ الْمُزْدَانُ بِأَرْشَدِ
فَالْوَيْلُ لِلنَّاسِ إِنْ بَاتَتْ مَوَاهِبُهُمْ أَسِيرَةَ الْقَيْدِ كَالْمُخَكُّومِ لِلْأَبَدِ

أَتَصَوِّغُ أَشْعَارًا وَجُلُّ النَّاسِ زَهْدُوا بِمَا يُدْنِي عَلَى الْقِرْطَاسِ ؟
وَمُهَنْدِسُ الشُّعْرِ الَّذِي فَتَنَ الْوَرَى مَلِكٌ بِلَا تَاجٍ وَلَا حُرَاسِ
يَبْنِي قُصُورًا فِي الْهَوَاءِ وَبَعْضُهُمْ يَبْنِي قُبُورَ الْفِكْرِ وَالْإِحْسَاسِ

وَقَوْمٍ رَأَوْا أَنَّ السُّمُوقَ قَدْ انْخَصَرَ بِمَنْ أَنْطَقَ الْأَوْتَارَ أَوْ جَسَدَ الْحَجَرِ
وَرُبَّ خَيَالِي تَصَوَّرَ بِدَعَا فَخَالَ بِهَا الشُّعْرَ الَّذِي يُذْهِلُ الْفِكْرَ
وَمَا الشُّعْرُ إِلَّا حِكْمَةٌ أَرْلِيَّةٌ تُؤَثِّرُ فِي الْأَرْوَاحِ كَالنُّورِ فِي الْبَصَرِ

يَا صَاحِبَ الْفَنِّ لَا تَحْزَنْ لِمَا ذَهَبَا فَمَا مَضَى كَانَ أَسَا يَبْعَثُ الْعَجَبَا
وَمَا سَتَبْنِيهِ مِنْ عِلْمٍ وَمِنْ أَدَبٍ سَيَذْهَلُ الْخَالِدِينَ : الْعِلْمُ وَالْأَدَبَا
وَسَوْفَ تَغْدُو مَلَاذَ الطَّالِبِينَ هُدًى وَسَوْفَ تَحْيَا إِلَى أَنْ تُدْرِكَ الْأَرَبَا

طغى المالُ فأنحطَّ الأديبُ المهذبُ وأفاحَ بينَ الناسِ من يتذبذبُ
ونادى مُنادٍ: لا تُحاولِ تملصاً فرزقك مقسومٌ ودهرُك قلبُ
وأتعبُ خلقِ اللهِ جامعُ مَرُوءةٍ وليسَ له من سَطوةِ الموتِ مَهْرَبُ

هل تُذبتُ الأرضُ أحكاماً وأدياناً أم أنهم فتَحوا لِلائرٍ ميداناً؟
كم غنماتِ أخوالِ الطماعِ أوجدَها ليَجعلَ الناسَ ساداتٍ وعِبداناً
ولستُ ذا جَنَّةٍ صَلَّى عَلَى صَنَمٍ وصاغَ لِلباطِلِ الملموسِ بُرْهاناً

شعورُ الفقيِّ بِالمدلِ يَسْمُو بِنَفْسِهِ فأكرمِ بمنِ إنصافِهِ أَسُ حِسِّهِ
ولم أكُ مِمَّنْ فاتَهُ جَوْرُ ظالمٍ ولكنِّي ذَكَرْتُ يَوْمِي بِأَمْسِهِ
وأتبعتهُ الصَّدَّ الَّذِي كَانَ قَاتِلِي وَقَدْ تَنَمَّذُ المَظْلُومُ شِدَّةَ بَأْسِهِ

يَدِسْتُ مِنَ الْأَصْحَابِ ، وَالْحُبُّ زَائِلٌ ، وَأَسْبَابُ يَأْسِي أَنِّي لَا أَخَاتِلُ
وَضَعْتُ نِظَاماً نَصَبَ عَيْنِي صَارِماً فَإِنْ عَقَنِي الْأَصْحَابُ فَاللهُ عَادِلُ
أَجُورُ عَلَى نَفْسِي بِحِمْلِ ذُنُوبِهِمْ فَحَتَّى مَتَى يَسْتَمَذُّ الْجَوْرَ عَاقِلُ؟

قَدْ يَسْتَمِضُ الْفَتَى عَنْ نُبْلِ مُحْتَدِهِ بِسَطْوَةِ الْمَالِ فَهُوَ السَّيْفُ فِي يَدِهِ
يَقُولُ إِنَّ الْوَرَى بَاتُوا سَرَّاسِيَةً ؛ وَغَيْرُهُ عُرْضَةٌ لِلْجُوعِ فِي غَدِهِ ؟
وَعَايَةُ الذِّلِّ إِصْغَاءُ الْفَقِيرِ إِلَى قَوْلِ الْغَنِيِّ، كَوَاعٍ «صَوْتِ سَيِّدِهِ»

أَتَهْذِي وَتُغْرِينَا طُيُوفُ الْمَحَاسِنِ ؟ وَأَصْدَقُ مَنْ يَرْوِي تُرَابُ الدَّافِنِ
يَبْدُدُ مَا تَبْنِي حَيَاةٌ قَصِيرَةٌ كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ مَنْ بَاتَ فِيهِ بِكَائِنِ
وَيَجْمَعُ بَيْنَ النَّاسِ مَهْمَا تَفَرَّقُوا وَفِيهِ أَسْتَوَتْ قَدْرًا جَمِيعُ الْمَعَادِنِ

الْوَرَى فِي الْأَرْضِ مِثْلَ الْعَنْكَبُوتِ، نَسَجَتْ لَيْلًا خُيُوطًا فِي الْبُوتِ
كَمْ طَرِيقٍ فِي الْهَوَاءِ أَفْتَتَحَتْ فَأَزَالَتْهَا حُمَيَّا الْجَبَرُوتِ
طُرُقٌ نَسَبَتْهَا فِي عُرْفِهَا نِسْبَةُ الْمَيِّتِ إِلَى مَنْ لَا يَمُوتُ

حَصَلَ انْقِلَابٌ فِي الْحَيَاةِ عَظِيمُ زَالَ الْفَسَادُ، وَأُحْكِمَ التَّنْظِيمُ
وَقَضَى الْإِخَاءُ، فَأَنْصَفَ الْقَوْمَ الْأَلَى أَفْتَرَشُوا الْحَصِيرَ، وَأُعْلِنَ التَّأْمِيمُ
وَتَعَاوَنْتْ كُلُّ الْقُوَى فَكَأَنَّمَا شَمَلَ الْأَنَامُ تَقَاهُمْ وَنَعِيمُ

لَا تُكْثِرُوا هَذِرًا عَلَى مَسْمَعِهِ فَكُنَّا مَاضٍ إِلَى مَرْجِعِهِ
وَلَيْسَ مِنْ عَيْبٍ بِإِبدَاعِهِ لَكِنَّا نَعِيتُ فِي مَصْنَعِهِ
وَالْأَرْضُ فِرْدَوْسٌ إِذَا أَحْسَنَ الْإِنْسَانُ وَضَعَ الشَّيْءَ فِي مَوْضِعِهِ

٥٠

التسامح

تَذُلُّ عَلَى نُبْلِ الْكِرَامِ الْمَلَامِحُ وَتَرَوُّهُمْ يَوْمَ الْفَخَارِ الْمَدَائِحُ
وَكَمْ أُمَّةٍ لَمْ تَجْمَعْ أُمَالَ خَلَفَتْ مِنْ النِّفْعِ مَا تَهْفُو إِلَيْهِ الْجَوَانِحُ
غِنَانَا أُنْحَادُ الْعَرْبِ فِي ظِلٍّ وَخَدَةِ تَعْلَمُ أَهْلَ الْأَرْضِ كَيْفَ التَّسَامُحُ

٥١

التآزر

فِي الدَّوْحِ صَقَرٌ يَسْتَجِمُّ وَيَرْقُبُ خَطَفَ الطُّيُورِ، وَقَلْبُهُ يَتَلَهَّبُ
وَحَمَامَتَانِ تَتَبَّهَتِ إِحْدَاهُمَا لِلْغَدْرِ وَالْأُخْرَى أَشْرَأَبَتْ تَشْرَبُ
لَيْتَ الْوَرَى تَخِذُوهُمَا مَثَلًا فَكَمْ دَفَعَ التَّآزُرُ حَادِيًا يَتَوَّبُ

٥٢

رئاه

لَوْ كَانَ يَنْجَحُ مُصْلِحٌ بِلِسَانِهِ لَأَرَحْتُ هَذَا الْخَلْقَ مِنْ ثَوْرَانِهِ
هَلْ بَعْدَ قَوْلِ الصِّدْقِ مِنَ الْكُذُوبَةِ، لَتَرَدُّ ذَا الْأَطْمَاعِ عَنْ طُغْيَانِهِ؟
أَسْفَا عَلَى بَشَرِيَّةٍ لَمْ يُجِدْهَا نَفْعًا نُهَالِكُ، وَلَا بَدِيعُ بَيَانِهِ

أَعْظَمُ النَّاسِ مَنْ يَبُوحُ بِعَارِهِ وَيُجِيدُ الْخِلَاصَ مِنْ أَسْرَارِهِ
فَأَسَاسُ الْفَسَادِ سِرٌّ مَصُونٌ أَتَرَى الْخَيْرَ يَسْتَحْيِ بِاشْتِهَارِهِ؟
لَيْسَ يَهْوَى الْكَيْمَانَ إِلَّا مُسِيٌّ وَدَوَاءُ الظَّلَامِ كَشْفُ سِتَارِهِ

مَنْ يَعْشَقُ الْأَوْهَامَ لَا يُلَامُ فَلَمَرَهُ وَنَهْمُ أُمِّهِ الْعِظَامُ
وَكَمْ حَقِيقَةٌ هِيَ الْخِيَالُ إِنَّ صَحَّ مَا أَثْبَتَهُ الزَّوَالُ
وَكَمْ خِيَالٍ قَدْ غَدَا حَقِيقَةً مَا أَلَوْهُمُ إِلَّا فِكْرَةٌ رَشِيقَةٌ

جَدَّدُوا، فَالْجَدِيدُ فَرَحَةٌ تَفْسِي عَلِمْنَا الْيَوْمَ غَيْرُ مَا كَانَ أَمْسِي
أَوْجَدَ الْحِسُّ بِالْحَيَاةِ شُعُوبًا وَأَنْطَوَى مَنْ يَعِيشُ مِنْ دُونِ حِسٍّ
بَاتَ حِسُّ الْأَجْدَادِ مِلْكَ سِوَانَا وَأَدْعَيْنَا تُرَائِهِمْ لِلتَّأْسِي

حَازِرِ الْفَاجِرِ إِنَّ عَاشِرَتَهُ وَلَيْمَ الطَّبِيعِ إِنَّ أَكْرَمَتَهُ
وَشَرِيكَ السُّوءِ إِنَّ حَاسِبَتَهُ وَكَرِيمَ النَّفْسِ إِنَّ أَغْضَبَتَهُ
وَالْفَتَى الْأَحْمَقَ إِنَّ مَازَحَتَهُ وَأَخَا الْمَكْرِ إِذَا أَخْرَجَتَهُ

يَشْتُرُ الشَّاعِرُ آيَاتِ الْغَرَامِ وَهُوَ لَمْ يَعْشَقْ، وَلَا عَانِي السَّقَامِ
وَلَقَدْ يُعْنَى بِكَاسَاتِ الطُّلَى وَهُوَ لَمْ يَسْكُرْ، وَلَا ذَاقَ الْمُدَامِ
يَا لَهُ مِنْ حِلْمٍ أَحْيَا الرُّؤْيَى وَمَضَى يُلْبِسُهَا ثَوْبَ الْكَلَامِ

يَا طُيُوفَ الْمُنَى وَأَنْتِ بِخَيْلِهِ لَا تَضِيِّي عَلَى عَلِيلٍ بِحِيلِهِ
زَوْدِيهِ عِطَرَ الْأَزَاهِيرِ فَالْعِطْرُ مَزِيحٌ مِنَ الْفُنُونِ الْجَمِيلَةِ
وَأَرِيهِ أَلْوَانَهَا فَهِيَ شِعْرٌ وَضَعَتْ لِحْنَهُ طُيُورُ الْخَمِيلَةِ

غَرْدِي كَالْبُلْبُلِ اسْتَحْلَى الصَّبَاحَ وَأَنْثُرِي الْأَلْحَانَ فِي أَقْدَاحِ رَاحِ
وَأَطْرُدِي عَنْ حُبْنَا كَيْدَ الْعِدَى فَالْهُوَى يُذْكِهِ إِنْصَافُ الْمِلَاحِ
بَهْجَةُ الدُّنْيَا إِذَا لَمْ تَفْعَلِي كَضِيَاءِ النَّجْمِ إِمَّا الْفَجْرُ لَاحِ

مَا عَلَيْنَا بَعْدَ تَوْدِيْعِ الْمُنَى غَيْرُ تَقْبِيلِ الرِّيَّاحِ السَّارِيَةِ
عَلَّهَا تَحْمِلُ مَا يُؤْنِسُنَا مِنْ بَقَايَا الذِّكْرِيَّاتِ الْمَاضِيَةِ
كُلُّ مَا مَرَّ انْقَضَتْ لَذَاتُهُ إِنَّمَا الذِّكْرُ حَيَاةٌ ثَانِيَةِ

يَا ابْنَةَ الشَّعْرِ مُبْهِجِ الْأَكْوَانِ ! غَرْدِي لِلْمُسْتَعِمْ الْوَلَهَانِ
بِالَّذِي أَسْكَرَ الْخَمِيلَةَ بِالشَّدْوِ وَهَزَّ الْأَغْصَانِ بِالْإِرْنَانِ
لَا تُغْنِي لِي غَيْرِ قَلْبِي نَشِيدَا أَنْتِ أَذْرِي بَغَيْرَةِ الْخُلَانِ

عَادَ زَهْرُ الرُّبِيِّ، وَعَاوَدَتِ الذِّكْرَى فُؤَادِي، فَهَلْ نَأَتْ عَنْ فُؤَادِكَ؟
إِنْ قَسَوَتْ فَسَوْفَ يَأْتِيكَ يَوْمٌ فِيهِ تَسْتَعْرِضِينَ عَهْدَ وِدَادِكَ
وَتُنَادِينَ الْحُبَّ: هَلْ مِنْ مَعَادٍ فَتَرُدُّ الْأَصْدَاءَ: يَوْمَ مَعَادِكَ

سِيرِي حَتَانِيكَ! سَيَرَ الزَّهْرُ فِي الْمَاءِ يَجْنَّةٍ مِنْ رِيَاضِ الْحُبِّ غَنَاءِ
وَأُنْشِدِي بَعْضَ أَشْعَارِي لِتَلْمَعِ فِي نَفْسِي بَوَارِقُ تَحْنَانٍ وَإِغْرَاءِ
وَهَلْ يَمَلُّ أَلْهَوَى قَلْبَانِ ضَمَمَهُمَا فَهَمُّ الْجَمَالِ وَإِحْسَانُ الْأَحْبَاءِ؟

لَا تَحْسَبِي الْأَلَامَ مَرَّ شِهَابٍ! مَرُّ الْحَيَاةِ صَبَابَةُ الْمُرْتَابِ
وَالْمُفْسِدُونَ، وَلَا أَرَأَيْكُمْ كَثْرَةَ إِلَّا لِفِرْطٍ تَأْثُرِي وَعَذَابِي
فَمَسَاكِ أَنْ تَضْمِي لَهُمْ حَدًّا فَمَا أَشَقَى الْبَرِيءِ بِفِرْحَةِ الْمُغْتَابِ

وَضَعْتُكَ فِي قَلْبِي فَأَغْرَاكِ إِفْلَاتُ وَلَمْ تَعْلَمِي أَنَّ الْأُلَى أَفْلَتُوا مَاتُوا
أَنَا الْأَرْضُ غَذَّتْ زَهْرَهَا مِنْ فُؤَادِهَا، لِيَقْطِفَهُ مَنْ رَاوَدَتْهُ الْمَلَذَاتُ
وَلَوْ كَانَ يَدْرِي الزَّهْرُ مَا بَعْدَ قَطْفِهِ، لَفَضَّلَ رَوْضًا فِيهِ أَسْرٌ وَإِعْنَاتُ

إِذَا طَالَ حُبُّ الْمَرْءِ طَالَ أَكْثَابُهُ وَأَصْبَحَ كَالْمَسْحُورِ ضَاعَ صَوَابُهُ
أَلَيْسَ الْهَوَى كَالْمَاكِرِ أَشْتَدَّ بَأْسُهُ، وَكَالْسَاحِرِ الْمَمْلُوءِ خَلَطًا كِتَابُهُ؟
فَلَا تَشْكُ أَوْهَامًا أَطَالَتْ زِيَارَةَ فَمَا لَطَفَ الضَّيْفِ الثَّقِيلَ ذَهَابُهُ

كُتِبَتْ عَلَيْهَا فِي الْغَرَامِ ذُنُوبُ وَغَرَامُهَا الْمَعْكُوسُ وَالْمَقْلُوبُ
وَتَلَاعَبَتْ بِالْعَاشِقِينَ فَظَنُّهَا كُلُّ حَبِيبَتِهِ، وَرَاحَ يَلُوبُ
وَالْعُمُرُ يَمْضِي مُسْرِعًا وَلَعَلَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرْغَوِي وَتَتُوبُ

إِنَّا يَا صَاحِبِي أَنْ تُكْثِرَ الْجَدَلَا مَعَ الَّتِي أَصْبَحَتْ فِي هَذَرِهَا مَثَلَا
قَالَتْ: عَلِقْتُ بِعَادَاتِي وَأَنْظِمَةٍ فِي الْغَرْبِ، لَا أَرْتَضِي عَنْ حُبِّهَا بَدَلَا
وَحِشْمَةُ الشَّرْقِ كَالْأَغْلَالِ فِي نَظَرِي - وَهَلْ يُحَاكِي الطَّلِيْقُ الْحُرُّ مَنْ عُقْلَا؟

تَرَنُّحْتَ كَالسَّكَرَانِ، وَالسُّكْرُ اغْرَاءٌ - فَهَلْ ذُقْتَ خَمْرًا أَمْ تُرَى يُسْكِرُ الْمَاءُ ؟
 إِذَا قُلْتَ : قَلَدْتُ السَّكَارَى وَلَمْ أَذُقْ - فَمَا النَّاسُ جُهَالٌ ، وَلَا أَنْتَ بَلَاءُ
 وَمَنْ أَشَبَّهَتْ بِنْتَ الْهَوَى بِمَسِيرِهَا - فَقَدْ سَكِرَتْ شَكْلًا ، وَلِلطَّهْرِ سِمَاءُ

المندرج

٧٠

يَا ابْنَةَ الشَّرِّ لِمَ جَرَحْتَ شُعُورَهُ ؟ إِنَّهُ شَاعِرٌ جَهَلَتْ نَظِيرَهُ
 ظَنَّ فِيكَ التُّقَى وَأَغْرَاهُ حُسْنٌ مَا كَرُّ، خَالَهُ أَخُو الْفَنِّ صُورَهُ
 لَا عَرَفْتَ الْإِخْلَاصَ فَهُوَ جَمَالٌ فِيهِ عِطْرٌ لَا تُدْرِكِينَ عَيْبَهُ

للعمد ما زرعت بداره

٧١

أَحْزَنْتِ قَلْبًا لَيْسَ فِيهِ سِوَى إِخْلَاصِهِ لِلْمَسْكُومَاتِ هَوَى
 فَلْيَفْرَحِ الْمَحْزُونُ، إِنَّ لَهُ يَوْمَ الثَّمَاتَةِ رَاحَةً وَدَوَا
 وَلْتَحْصُدِ الْحَسَنَاءُ مَا زَرَعْتَ فِي صَدْرِهِ مِنْ حُرْقَةٍ وَجَوَى

انتقام المرسفارة

٧٢

إِذَا الْحُبُّ وَلَّى وَالْأَمْسَى أُحْتَلَّ دَارُهُ فَلَا تَتَقَبَّلْ بَعْدَ ذَلِكَ أَعْتِذَارُهُ
 فَلَيْسَ بِذِي وَدٍّ حَبِيبٌ مُعَذِّبٌ وَلَيْسَ بِجَارٍ مَنْ كَرِهْتَ جَوَارُهُ
 كَفَاكَ مِنَ الْإِثَارِ أَنَّكَ عَفْتُهُ وَصِرْتَ جَوَابًا مُذْ عَرَفْتَ قَرَارُهُ

غَرَّهَا الْحُسْنُ فَيَا بُؤْسَ الْمَصِيرِ وَتَوَلَّى أَمْرَهَا حَظٌّ قَصِيرُ
فَقَامَلْ مُتَمَهًى عَابِثَةً كَمْ عَظِيمٍ عَامَلَتْ مِثْلَ الْأَجِيرِ
وَأَخِيرًا عَاشَرَتْ عَبْدًا لَهَا فَقَدَتْ عَبْدَةً ذِيكَ الْحَقِيرِ

إِذَا سَايَرْتُ أَوْهَامَكَ فَلَا تَهْزَأْ بِأَوْهَامِي
فَقَدْ ضَيَّعْتُ أَيَّامَكَ كَمَا ضَيَّعْتُ أَيَّامِي
وَعَنَى الدَّهْرُ أَنْعَامَكَ فَكَانَتْ مِثْلَ أَنْعَامِي

فِي فِيهِ شَيْءٌ مِنْهُمْ مَتَى أَرْجِحُ يَتَأَلَّمُ
وَكَلَّانَهُ الصَّمْتُ الْمُجَبَّمُ فَهُوَ لَا يَتَكَلَّمُ
لَا تَرْحَمُوهُ لَأَنَّ مَنْ كَتَمَ الْهَوَى لَا يُرْحَمُ

أَيَا جَارَتَا! نَادِي الْهَوَى كَانَ نَادِينَا وَلَكِنَّ صَرْفَ الدَّهْرِ مَا زَالَ يُقْصِينَا
وَلَمَّا قَضَيْنَا الْعُمَرَ إِلَّا سُوءِنَا تَرَاوَى لَنَا أَنَا بَلَعْنَا أَمَانِينَا
وَلَيْسَ بُلُوغُ الْقَصْدِ إِلَّا نِهَايَةٌ فَهَلْ أَدْرَكْتَ سِرَّ الْحَيَاةِ أَغَانِينَا؟

تَرَكْتَ دُنْيَاكَ لَمْ تَحْمِلْ بِهَنْجَتِهَا وَهَمْتَ بِالرُّوحِ إِفْرَاراً بِعِزَّتِهَا
فَأَنْتَ يَوْمَ أَطْمَأَنَّ النَّاسُ قَائِدُهُمْ وَأَنْتَ يَوْمَ الْمُلَمَّاتِ ابْنُ بِجْدَتِهَا
وَأَجْهَلُ الْخَلْقِ مَنْ عَادَاكَ مُتَّبِعاً ضَلَالَةَ النَّفْسِ فِي إِبَانِ ثَوَرَتِهَا

إِنْ كَانَتْ حُبِّي مِثْلَ حُبِّ فَتَاةٍ فَارِكَتُ ، فَأَيْنَ عَزِيمَتِي وَثَبَاتِي ؟
إِنِّي مَنَعْتُ الْقَلْبَ عَنْ وَأَدِ الْهَوَى لَمَّا أَذْكَرْتُ قِيَامَةَ الْأَمْوَاتِ
وَإِذَا الْمُفَكَّرُ قَيَّدَتْ أَمَالَهُ دُنْيَا الزَّوَالِ يَلُودُ بِالْإِفْلَاتِ

مِنْ بَعْدِ أَنْ ذُقْتُ الْهَوَى الْمَشْبُوبَا ، عَاهَدْتُ قَلْبِي : لَا يَمَسُّ لَهْيَا
إِنْ كَانَ مَاتَ وَعَادَ حَيًّا مَرَّةً فَلَسَوْفَ يَأْبَى أَنْ يَزُورَ طَيِّبَا
وَهُوَ الَّذِي غَلَبَ الْغَرَامَ بِطُحْرِهِ مَلَأَ الْوَرَى حُبًّا وَظَلَّ أَدْيَا

يَحْسَبُ الْمَرْءُ فِي رَيْعِ شَبَابِهِ أَنَّ مَعْنَى الْهَوَى بُلُوغُ طِلَابِهِ
وَإِذَا كَرَّتِ اللَّيَالِي يَرَاهُ عَمَلًا بَاقِيًا خَيْرِ صِحَابِهِ
وَإِذَا شَارَفَ النِّهَايَةَ أَمْسَى رَغْبَةً الرُّوحِ فِي لِقَاءِ ثَوَابِهِ

إِذَا رَازَنِي نَاقِدٌ حَادِلٌ فَإِنِّي بِإِنْصَافِهِ قَابِلٌ
وَلَا إِن لَمْ يَكُنْ حَقُّهُ يَنِينًا فَلَسْتُ بِمَنْ هَزُهُ الْبَاطِلُ
مُسْكُوتِي جَزَاءُ لِأَمْثَالِهِ وَهَلْ يُنْصِفُ الْعَالَمَ الْجَاهِلُ؟

هَامَ الْجَهْلُولُ بِجَمْعِ الْمَاسِ وَالذَّهَبِ وَعَاشَ مُفْتَقِرًا لِلْفَنِّ وَالْأَدَبِ
وَأَنْفَقَ الْعُمَرَ يَسْمَى فِي مَنَاكِهَا... وَهِيَ الَّتِي لَوَّعَتْ مَنْ جَدَّ فِي الطَّلَبِ
وَاهَا لِمَنْ لَمْ يَنْلِ مِنْ حُبِّهَا أَرْبَا وَقَدْ رَأَى مَنْ قَضَوْا فِي ذَلِكَ الْأَرْبِ

أَبْنَاءُ أُمِّي! أَيْنَ عَهْدُ وَلَاثِي؟ هَلْ سَبَبَ الْحَسَدُ الدِّفِينَ عِدَائِي؟
لَا تَغْمِطُوا حَقِّي! فَلَيْسَ بِضِيرُكُمْ أَنْ يَبْلُغَ الْعَالِي ذُرَى الْعُلِيَاءِ
إِنْ كُنْتُ فِي دَارٍ «أَمَلَكْتُ» وَهَبْتُكُمْ، مُلْكِي، أَلَا نَكِرُ حَقَّكُمْ بِسَمَائِي؟

نُورٌ مِنَ اللَّهِ إِبْدَاعِي وَإِلَهَامِي وَإِنْ شَجَانِي مُقَامِي بَيْنَ أَصْنَامِ
ضَحَّوْا بِمُبَشِّرِ فَاضَتْ مَوَاهِبُهُ خَوْفَ الْفَضِيحَةِ مِنْ إِنْتَاجِهِ السَّامِي...
وَعَرَّهُمْ يَوْمَ وَأَدِ الْحَقُّ أَنَّهُمْ نَجَّوْا بِأَنْفُسِهِمْ مِنْ سَيْفِهِ الدَّامِي؟

مَنْ لِي بِكُفٍّ كُنِيَ أَمْدًا لَهُ يَدِي وَأَرْبَحَ نَفْسِي مِنْ دَعِيٍّ مُعْتَدِي !
فَالْكُفُّ إِنْ تَطْمُسُهُ كَأَلْوَرِ الَّذِي - لَقَوَهُ ظُلْمًا بِالْحِجَابِ الْأَسْوَدِ
رَضِيَ إِلَهُ عَنْ الْأَلَى أَنْتَفَعُوا بِهِ وَقَضَى عَلَى الْفِتْنَةِ الَّتِي لَمْ تَهْتَدِ

رُدُّ لِلنَّاسِ حَقَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ ! سَالِبُ الْمُعْوزِينَ أَذْهَى الْجُنَاةِ
أَوَلَيْسَ الْإِحْسَانُ رَدًّا سَلِيبٍ مُذْ عَصَى الْأَغْنِيَاءَ فَرَضَ الزَّكَاةَ ؟
كَوْبُ مَاءٍ زَادَ الْحَرِيقَ اخْتِدَامًا وَالْأَنَايِبُ نَحَتْ أَمْرَ الطُّغَاةِ

إِذَا اسْتَوْجَبَ الْإِصْلَاحُ بَذْلًا وَتَضَحَّيَةً ، فَخَيْرُ كَرِيمٍ سَوْفَ يَحْتَاجُ تَرْكِه
وَمَا مِنْ ثَرِيٍّ ، إِنْ طَلَبْتَ عَدَالَةً تَعْمُ بَنِي الدُّنْيَا ، يَجِيءُ بِتَسْوِيَةٍ
وَيَفْضَحُ تَدْجِيلًا تَرَى الْجِدَّ ثَوْبَهُ فَإِنْ تَحْتَبِرُهُ أَرْتَدَّ لَهُوًّا وَتَسْلِيَةً

رَدُّ بَعْضَ الْأَسْلَابِ لِلْبُؤْسَاءِ فَاسْتَحَقَّ التَّلْقِيبَ « بِابْنِ السَّمَاءِ » ...
قُلْتُ : لَوْ كَانَ عَائِشًا فِي كِفَافٍ هَلْ يَمُدُّونَهُ مِنْ الرِّحَاهَا ؟
وَيَنْحَ مَنْ فَضَّلُوا سَلِيلَ اللَّصُوصِ الْمُحْسِنِينَ عَلَى « أَخِي الْأَنْبِيَاءِ » !

أَلَيْسَ مَنْ بَاتَ فِي أَلْحَانَاتِ مَطْرُوحَا - يُعَاقِرُ أَخْمَرَ، غِرّاً أَهْمَلَ الرُّوحَا؟
فَالرُّوحُ كَالْجِنِّ يَهْتَمُّ الْحَكِيمُ لَهُ - فَلَا تَذَرُهُ كَدَمْعِ الْعَيْنِ مَسْفُوحَا
وَالْجِنُّ يَنْحَلُّ، وَالْأَرْوَاحُ لَوْ فُحِصَتْ، لَبَاتَ سِرُّكَ يَا ابْنَ الْأَرْضِ مَفْضُوحَا

أَوَامِعَ الْأَعْرَارِ بِاللَّدَاتِ زَنْدِيقُ جَهَوْلِ
قَالَ: يُنْمِي الْجِنُّ طِينًا، فَتَلْهَى بِالشَّمُولِ
وَيَنْحُهُ! إِنْ ظَلَّ حَيًّا رُوحُهُ، مَاذَا يَقُولُ؟

يَبْنِي الْمُقَامِرُ كُلَّ يَوْمٍ قَبْرَهُ وَيَهْدُ مَرْكَزَهُ وَيَهْدِمُ فَخْرَهُ
فَإِذَا مَرَرْتَ بِهِ فَحَيَّ جُنُونَهُ وَكَفَاكَ، مَنْ بِالشَّعْرِ زَانِكٌ، شَرُّهُ
لَوْلَاهُ مَا عَرَفَ الْوَرْدُ فَضْلَ أَمْرِي أَفْنَى عَلَى نَشْدِ الْحَقِيقَةِ عُمرُهُ

ضَلَّ رَهْطُ الْأَثْرِيَاءِ فَاحِصِي أَهْلِ الدَّكَا
سَيَسِيرُونَ طَوِيلًا وَمَسَاعِيهِمْ هَبَا
فَسَبِيلُ الْفَهْمِ فَنٌ لَا يَرَاهُ الْأَغْبِيَاءُ

ما علمهم غير تعريب وتقليد والعلم إيجاد شيء غير موجود
وما الكتابة إلا فن مبتكر يعيش بين السكارى عيش غريد
فإن صحوذاً كروا إبداع منشدهم أو لا ، فدينهم وأد الأناشيد

مُتَلِّدُ أَهْلِ الْفَنِّ قَالَ لَهُمْ : هَاتُوا ! وعاش حسوداً أغوزته الكفآت
يروم لحاق الملممين ، ويسأل الأساتذة الفُحَّاصَ : كيف العلامات ؟
تباهى ولم ينتج ، فبات مدجلاً ولما تولى لفت عليه الشهادات

وَقَفَ الْمُتَأَتَا أَمَامَ شِعْرِي فَادَّعَوَا ملك الثرى ، وأستهزأوا بالروح
فَأَجَلْتُ فِيهِمْ نَظْرَةَ النَّسْرِ الَّذِي عَرَفَ الْجُنَاةَ مِنَ الدَّمِ الْمَسْفُوحِ
فَإِذَا بِهِمْ كَعُصَافَةٍ لَعِبَتْ بِهَا نارُ الْمَهَابَةِ فِي مَهَبِّ الرِّيحِ

مُنْذُ الْقَدِيمِ - هَامَ الْأَنَامُ بِكُلِّ مَكَارٍ لَتِيمِ
وَالْمُسْتَقِيمِ - سَيَظَلُّ مَنبُودَا كَأَشْوَاكِ الْهَشِيمِ
أَيُّ الْعَلِيمِ - بِعِلَاجِ أَهْلِ الظُّلْمِ وَالْفَهْمِ السَّقِيمِ ؟

تَفَلَسَفَ بِاللَّهِ أُمُرُؤُا مُتَطَرِّفُ كَمَا أَخَذَ الْجُرُثُومُ يَهْدِي وَيَهْرِفُ
وَمَا الْأَرْضُ فِي الْأَكْوَانِ إِلَّا كَذَرَّةٍ - فَمِنْ أَيْنَ يَأْتِي بِالْهَرَاءِ الْمُصَنَّفُ ؟
يُصَدِّقُ كَالْمَأْفُونِ تَخْرِيفَ نَفْسِهِ وَيَنْقُلُ عَنْهُ الْإِفْكَ مَنْ هُوَ أَخْرَفُ

أَمِنْ خَطِئَةٍ مَنْ يُدْعَى أَبَا الْبَشَرِ ، حُكِمَتْ بِالْمَوْتِ وَالْإِلْقَاءِ فِي الْحُفْرِ ؟
إِنْ كَانَ هَذَا صَحِيحًا فِي عَقِيدَتِنَا فَمَا خَطِئَةُ دُنْيَا الطَّيْرِ وَالشَّجَرِ ؟
وَأَيْنَ بُرْهَانُ مَنْ لَا شَيْءَ يَرُدُّعُهُمْ عَنْ نَشْرِ أُسْطُورَةٍ مِنْ أَغْرَبِ السَّيْرِ ؟

كَفَّاكَ بَحْثًا فَلِلْمَوْضُوعِ عُنْوَانُ : قَدْ أَلَبَّ النَّاسَ ضِدَّ الْعَقْلِ إِيمَانُ
وَأَثَبَتْ النَّصُّ أَنَّ الْأَرْضَ قَدْ خُلِقَتْ ، مِنْ عَهْدِ آدَمَ ، فَلَا زَكَاةَ كُفْرَانُ ...
وَأَجْهَلُ النَّاسِ قَوْمٌ سَيَّرُوا قِصَصًا - وَهَمِيَّةٌ مَا لَهَا أَصْلٌ وَبُرْهَانُ

يُؤْمِنُ بِالْأَوْهَامِ غَرُّ جَهُولٍ وَمُعْظَمُ الْإِيمَانِ : « فِعْلُنْ فَعُولُ »
فَلَا تَقُلْ : أَوْ مِنْ ، إِلَّا إِذَا رَأَيْتَ وَأَسْتَوْثَقْتَ بِمَا تَقُولُ
وَهَاتِ بُرْهَانَكَ فَهُوَ الَّذِي يَغْنِيكَ عَنْ كُلِّ الشُّهُودِ الْعُدُولِ

سَمِعْتُ مَنْ شِعْرُهُ هَذَرٌ وَتَدَجِيلُ وَحَوْلُهُ مِهْرَجَانَاتٌ وَتَطْبِيلُ...
فَكُنْتُ مِثْلَ الْأُلَى فِي مَثَبِنِ بَحَثُوا عَنِ الْجَوَاهِرِ، وَالتَّبْنِ الْأَقَاوِيلُ...
وَضَاعَ وَقْتِي سُدىً، وَأَنْتَابَنِي سَأَمٌ كَمَنْ يُحَاوِلُ أَنْ تَمْحِيَ التَّمَائِيلُ

فِي السُّوقِ آلاَفٌ مِنَ الْأَدْبَاءِ نَظَمُوا بِقَصْدِ الْكَسْبِ شِعْرَ هُرَاهُ
جَعَلُوا الْقَصَائِدَ آلَةً لِبُلُوغِهِمْ بِأَقْلٍ جُهْدٍ دَارَةَ الْعُظَاهُ
وَجَعَلْتُ شِعْرِي كَالْهُوَاءِ لِمَنْ دَرَى، أَنْ لَا حَيَاةَ لَهُ بِدُونِ هَوَاهُ

قَالَتْ جَمَاعَةُ مَغْرُورِينَ: نَحْنُ هُنَا أَيْةُ الْمَعْبَدِ الْعَالِي، فَكُنْ فَطِنَا!
إِذَا أَرَدْنَا طَمَسْنَا مَا أَتَيْتَ بِهِ وَإِنْ أَجَزْنَاكَ فَاشْكُرْ فَضْلَنَا عَلْنَا
فَقُلْتُ: مَا أَجْدَرَ الْأَغْرَارَ أَنْ يَلْجُوا - دَارَ الْفَنَاءِ، وَأَنْ لَا يَنْفُضُوا الْكَفْنَا

ذَرَانِي أَعَانِي الْعَمَاطَ حَظَّ الْأَمَاجِدِ فَقَدْ مَلَأَ الدُّنْيَا أَنْبِيَا الْمَحَامِدِ
وَلَا يَحْسَبُ الْحُسَادُ أَنِّي أَخَافُهُمْ كَمَا خَشِيَ السَّارِي عَزِيفَ الْفَدَافِدِ
ذِنَابُ عَوْتٍ لَيْلًا، وَكَانَ جُنُونُهَا مَخَافَةَ نَارٍ أَطْلَقَتْهَا قَصَائِدِي

دَعْنِي أَلَا قِي اضْطِهَادًا مِنْ بَنِي بَلَدِي وَمِنْ سُلَالَةِ أَهْلِ الْأَوْثَمِ وَالْحَسَدِ
فَالذَّنْبُ أَنِّي ضِيَالُهُ، بَاتَ شَمُّهُمْ إِزَاءَ إِشْرَاقِهِ، كَمَا الْأَنْسِ فِي الْأَبَدِ
وَبَاتَ فَخْرُهُمُ الذَّائِي أَسِيرَ يَدِي وَهَلْ يُبَاهِي عَدِيمُ الْحِسِّ بِالْجَسَدِ؟

قُلْ يَا أَخِي! لِلشَّاعِرِ الْفَرِيدِ: حَرَمُوكَ إِنْشَادًا بِأَبْهَجِ عِيدِ
هَذَا هُوَ الدَّاءُ الدَّفِينُ بِهِمْ، وَكَمْ حُرٌّ أَرَاهُ النُّكْرَ رَهْطُ عَبِيدِ
يَتَشَدَّقُونَ بِحُبِّهِمْ حُرِّيَّةً نَصَبُوا لَهَا سِرًّا سِتَارَ حَدِيدِ...

أَعْمَالُهُمْ مَحْدُودَةٌ قَاصِرَةٌ كَحِظِّ تِلْكَ الْأُمَّةِ الْعَائِرَةِ
تَشْقَى، وَتَدْرِي أَنَّ آمَالَهَا رَهْنٌ بِتَوَجُّهِ الْقُوَى الْغَادِرَةِ
عَالِمُهَا مُغْضٍ، وَجُهَا لَهَا سَارُوا وَرَاءَ الزُّمَرَةِ الْفَاجِرَةِ

لَا يَرْتَقِي بَلَدٌ مَا فِيهِ إِنْتَاجُ لِلنَّاسِ فِي الْبَحْثِ وَالْإِنْتَاجِ مِنْهَا جُ
وَنَحْنُ إِنْ قَامَ فِينَا مُنْتِجٌ نَحْمِطُ حُقُوقَهُ، وَهُوَ لِلتَّشْجِيعِ مُحْتَاجُ
وَالْأَذْعِيَاءُ قُضَاءُ فِي مَجَامِعِنَا وَالْأَغْنِيَاءُ عَلَى الْأَبْوَابِ أَفْوَاجُ

عِنْدَمَا كُنْتُ صَغِيرًا قَالَ لِي عَقْلِي الصَّغِيرُ :
لَيْسَ لِلْفَنِّ مَلِكٌ لَيْسَ لِلشَّعْرِ أَمِيرُ
أَعْظَمُ النَّاسِ إِزَاءَ الْفَنِّ كَالْعَبْدِ الْحَقِيرِ

يُبْدِعُ الْعَامِلُونَ شَيْئًا مُفِيدًا وَتَرَانَا نَهْوِي الْعَتِيقَ الْبَلِيدَا
عَسْكَرَتْ فِي أَذْهَانِنَا تَرْهَاتٌ وَمَشِينَا بَيْنَ الشُّعُوبِ وَثِيدَا
مَعَهْدٌ لِلْإِنْجَاحِ يُفْنِيكَ عَنْ تَجَمُّعِ عِلْمٍ ، لَمْ يَأْتِ بِدَعَا جَدِيدَا

سَأَلُوهُ : مَا إِنْتَاجُكَ الْمَشْهُورُ ؟ هَاتِ الْأَدِلَّةَ أَيُّهَا (الدُّكْتُورُ) !
فَأَجَابَهُمْ : فَهَرَسْتُ مَا حَقَّقْتُ مِنْ كُتُبٍ قَدَامِي ، بِمَضَاهَا مَنْشُورٌ ...
فَارْتِ الْبِلَادَ إِذَا عَجَامِعُهَا خَلَتْ مِنْ مُنْتَجِبِينَ ، جَدِيدُهُمْ مَأْتُورُ

إِذَا تَقَدَّنَا بِلُطْفٍ (قَادَةَ الْعِلْمِ) - أَبْدَى «السَّمَرَمَرُ» مَا أَخْفَوْا مِنَ الْفَهْمِ
وَقَالَ مُخْتَرِعُ الشُّطْرَيْنِ بَيْنَهُمَا - بَعْضُ الْكَوَامِيجِ : هَذَا الصَّيْدُ مِنْ كَرَمِي ...
فَهَنَى النَّاسَ بِالْقَوْمِ الْأُلَى فَتَحَتْ أَبْجَاهُهُمْ أَغْنَى الْعُمَيَانِ وَالضَّمَّ

زَالَ الْأَلَى نَهَضُوا بِهِ فَأَقَامَا هَزَلُ الزَّمَانِ مَسْكَنُهُمْ أَصْنَامَا...
كَانَتْ رُؤُوسًا كَالْحَمَامِ صَغِيرَةً رَكِبَتْ جُسُومًا كَالنَّعَامِ جِسَامَا
فَرَأَى بِهَا الْجُهَالُ خَيْرَ نَمُودَجٍ يَسْتَنْزِلُ الْإِبْدَاعَ وَالْإِلْهَامَا

يَا رَبُّ! هَا قَائِدُ الْقَوْمِ الْمَآفِيكِ يَخْتَلُ فِي رَوْضِ أَهْلِ الْفِكْرِ كَالدِّيَكِ
وَهُوَ الْعَقِيمُ، فَلَا إِنْتِاجَ يَعْزِضُهُ عَلَى مَوَائِدِهِمْ غَيْرَ الْمَسَاوِيكِ
فَأَحْسَبُهُ يَوْمَ يُبَاهِي تِدْنَةً يَبْسُتَ وَأَجْعَلُ عَوَاقِبُهُ عُقْبَى الْمَمَالِيكِ

مَنْ كَانَ يَجْهَلُ شَيْئًا كَيْفَ يَقْدِرُهُ وَمَنْ يَفُوزُ بِصَيْدٍ كَيْفَ يَهْجُرُهُ؟
وَمَنْ تَعَوَّدَ هَضْمَ الْحَقِّ كَانَ لَهُ فِي دَوْلَةِ الظُّلْمِ أَسْبَابُ تَبَرُّرُهُ
وَأَلْجَاهِلُونَ إِخَاهُ الْجَهْلِ يَنْصُرُهُمْ وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ الْعِلْمَ يَقْهَرُهُ

عَلَى بَابِهِ لَوْحَةٌ بِالْيَةِ وَفِيهِ (الْأَبَارِيقُ) وَالْآنِيَةُ...
وَلَيْسَتْ بِهِ لُقْمَةٌ تُشْتَهَى وَتَبَعَتْ فِي الْجَائِعِ الْعَافِيَةُ
وَيُشَبِّهُهُ مَجْمَعٌ مُفْلِسٌ تَهْدِيهِ الضَّرْبَةُ الْقَاضِيَةُ

أَفْخَرُ بِالْإِنْتِاجِ وَالْإِغْرَابِ مَا أَلْفَخَرُ بِالتَّهْرِيجِ وَالْأَلْقَابِ
وَالْخَالِدُونَ هُمْ الْأَلَى إِنْتَاجُهُمْ يَسْمُو وَيُحْرَزُ غَايَةَ الْإِعْجَابِ
إِنْ أَخْطَأَ الْفَانُونَ فِي تَقْدِيرِهِمْ فَالْحَقُّ كَمَا التَّارِيخُ لَيْسَ يُحَاجِي

شَغَلُوا الْوَرَى بِتَصَارُعِ الثَّيْرَانِ... وَتَسَابَقُوا فِي الْمَكْرِ وَالْبُهْتَانِ
دَارُوا وَلَقُوا وَالطَّرِيقُ قَوِيَّةٌ وَسَبِيلُهُمْ أَغْنِيَّةُ الشَّيْطَانِ
لَا تَعْجَبُوا إِنْ حَرْتُ فِي تَقْوِيهِمْ قَوْلُ الْحَقِيقَةِ أَضَفُ الْإِيمَانِ

رُفِعَ السَّتَارُ وَأُتْقِنَ التَّمْثِيلُ... شَعْبٌ يَتْنُ وَحَاكِمٌ مَخْبُولُ
يَبْدُو كَدُمِيَّةَ لَاعِبِينَ مُرَادُهُمْ جَرُّ الْمَغَانِمِ ، وَالذَّمَاءُ تَسِيلُ
أَمَّا الْخِتَامُ فَشَهْدٌ عَنْوَانُهُ : أَيْنَ الْخَنَافِسُ وَالْمُسَيْطِرُ فِيلُ؟

تَقَاسَمَ السَّاسَةُ الْإِلَاهُونَ مَا طَابَا وَأَخْرَزُوا مِنْكَ تَصْفِيْقًا وَإِعْجَابَا
وَكَرَّمُوا بَعْضَهُمْ بَعْضًا بِأَوْسَمَةِ لَمَّا تَجَدَّ بَيْنَ أَهْلِ الْعِلْمِ طُلَابَا...
مَا الْفَرْقُ بَيْنَ الْأَلَى عَاشُوا مَلَائِكَةً - وَبَيْنَ مَنْ مَلَأُوا الْأَفَاقَ إِرْهَابَا؟

هَرَجُوا يَا أَيُّهَا الْحُكَّامُ ! فَالْوَرَى تَنْفَعُهُ الْأَسْقَامُ ...
وَأَجْمَعُوا الْأَمْوَالَ مِنْ أَوْصَابِهِ قَبْلَ أَنْ تَوْقِظَهُ الْأَخْلَامُ
لَيْسَ فِي الْأَفْلاكِ تَسْمِيرٌ وَكَمْ سَلَبَتْ مَا أُعْطِيَ الْأَيَّامُ

مَلَكَ الظَّالِمُ أَرْضًا وَاعْتَصَبَ لُقْمَةَ الْمُسْكِينِ ، وَالْمَالُ اسْتَلَبَ
تِلْكَ إِقْطَاعِيَّةً أَلْبَسَهَا ثَوْبَ قَانُونٍ تَدَاوَى فَأَقْلَبَ
وَرَأَى الْمَظْلُومَ فِي يَقْظَتِهِ مَضْرَعَ الْفُجَّارِ عُبَادِ الذَّهَبِ

أَرَى النَّاسَ لَا يَرْضَوْنَ أَنْ يَسْمَعُوا الْعَذْلَا - كَانَ هَوَى الْأَطْمَاعِ مِنْ عَذْلِهِمْ أَحْلَى
ذَنْابٌ تَهَاوَتْ كَيْ تُمَزَّقَ جِيْفَةٌ - أَلَمْ تَكْ تَكْفِيهَا لَوْ اخْتَارَتْ الْعَذْلَا ؟
نِظَامٌ مَقِيَّتٌ كَانَ بِالْوَحْشِ لَانْقَاً وَأَجْدَرُ بِالْإِنْسَانِ أَنْ يَتَّبَعَ الْعَقْلَا

إِنْ أَمْسَتْ الْأَرْضُ دَارَ أَلْهَمٍ وَالْحَزَنِ ، فَأَهْلُهَا مَلَأُوا الْأَفَاقَ بِالْفِتَنِ
لَوْ أَقْلَعُوا عَنْ نِظَامِ الْعَابِ وَاتَّمَطَّوْا ، لَبَاتَ دَرْبُ الْمَاسِي مِنْبَعِ الْمِنَنِ
وَإِنْ سَهَا النَّاسُ ، فَالْمَسْئُولُ مَنْ حَكَمُوا الْبِلَادَ ، عَمَّا بِهَا مِنْ دَائِمِ الشَّجَنِ

تَخَاصَمَتِ الثَّعَالِبُ ثُمَّ سَدَّتْ نِظَامًا لِلتَّفَاهُمِ فَاطْمَأَنَّتْ
وَنَفَذَهُ بِرُوحِ الْعَدْلِ لَيْتُ أَرَادَ صَلاَحَهَا ، فَأَبَتْ وَجُنَّتْ
وَأَلْفَتْ أَنَّهَا بَاتَتْ دَجَاجًا لَدَى أَسَدٍ بِصَوْلَتِهِ تَغْنَّتْ

..

وَقَالَ زَعِيمُهَا : هَذَا كَثِيرٌ ... فَمَا أَحَدٌ بِتَوْجِيهِي جَدِيرُ
أَلَيْسَ نِظَامُنَا مِنْ نَسِجٍ فِكْرِي يُنْفَذُهُ مُدَبِّرُنَا الْكَبِيرُ ؟
فَهَيَّا لِلتَّخَلُّصِ مِنْ أَذَاهُ فَدَيْدَنُهُ الصَّرَامَةُ وَالزَّيْرُ ...

..

وَعَافَ اللَّيْتُ تَمْلِكَةَ الثَّعَالِبِ فَقَامَتْ بَيْنَهَا حَرْبُ الْمُثَالِبِ
وَزَالَ الْعَدْلُ ، وَالْجُرْذَانُ هَبَّتْ تَعِيْتُ ، فَلَا رَقِيبَ وَلَا مُحَاسِبَ
وَسَاءَتْ حَالُ شِرْذِمَةٍ تَهَاوَتْ عَلَى جَرِّ الْمَغَانِمِ وَالْمَكَاسِبِ

نِكَايَةً بِالسَّلَامِ انْقَادَتِ الْأُمَمُ إِلَى الْخِصَامِ ، وَأَعْمَى الْقَادَةَ النَّهْمُ
وَقَدْ تَنَاهَى جُنُونُ النَّاسِ فَأَنْدَفَعُوا - فِي غِيَّهِمْ ، وَأَسْتَبَدَّ الْفَقْرُ وَالْأَلَمُ
وَنَالَ إِنْجَابَهُمْ مَنْ حَلَّ مُشْكِلَةً - صُغْرَى ، فَمَا بَرَحُوا فِي الْفَهْمِ حَيْثُ هُمْ ...

سَادَ الشَّقَاءُ الْأَرْضَ فَاخْتَلَفَ الْمَلَا وَجَنُوا بِعَرَبْدَةِ السِّيَاسَةِ حَنَظَلَا
 إِنَّ الْمَبَادِيءَ أَسُّ كُلِّ سِيَاسَةٍ وَالسَّرُّ تَحْدِيدُ الْمَطَامِعِ أَوَّلًا
 فَدَعُوا الضَّلَالَةَ وَاتَّبِعُوا الْعَدْلَ الَّذِي - يَكْفِي الْفَقِيرَ وَيُقْنِعُ الْمُتَمَوِّلَا

سَمِعْتُ شَكَوَى النَّاسِ مِنْ حَالِ دُنْيَانَا، فَلَمْ لَا تُدَاوِيهَا بِتَغْيِيرِ مَسْرَانَا؟
 إِذَا لَمْ نُبَدِّلْ مَا بِنَا لَا تَوُؤَمَلُوا نِظَامًا لِهَذَا الْعَيْشِ غَيْرَ الَّذِي كَانَا
 سَنَقْضِي حَيَاةَ لَا نَذُوقُ خِلَالَهَا، سِوَى أَلْهَمِّ وَالْآلَامِ، فَاسْتَيْقِظُوا أَلَا نَا!

رَأَيْ الْعَلِيمَ إِذَا تَدَخَّلَ فِي انْتِخَابٍ، مِثْلُ الْجَهُولِ، فَكَيْفَ يَتَضَيَّحُ الصَّوَابُ؟
 وَلَكُمْ شَكَا الْمُسْكِينِ ظُلْمَ أَخِي الْغَنِيِّ، وَاخْتَارَهُ لِيَنُوبَ فِي حُكْمِ الرِّقَابِ...
 وَالْفِرُّ صَوْتٌ لِلْغَنِيِّ بِلِقْمَةٍ أَشْقَى مِنَ الْأَسْمَاكِ فِي شِصِّ الْعَذَابِ

لَوْ أَنَّ فِي الْأَرْضِ عَدْلًا كَانَ مَنْ نَابُوا عَنَّا كَمَجْمُوعِنَا، وَالنَّاسُ مَا خَابُوا
 لَكِنَّ مُعْظَمَ أَهْلِ الْأَرْضِ يَحْكُمُهُمْ، بِقُوَّةِ الْمَالِ أَسْيَادُ وَأَذْنَابُ
 يُمَجِّدُونَ (دِمُوقْرَاطِيَّةً) كَذَبَتْ وَكُلُّ مَنْ مَجَّدَ الْكَذَابَ كَذَابُ

كَمْ طَاعِينَ بِاتِّخَابِ أَنْتَ تَعْتَرِفُ بِأَنَّهُ زَائِفٌ، نُوَابُهُ اقْتَرَفُوا ؟
غَدُّوا الصَّانِدِيقَ، فَاجْتَاخَتْ قَوَائِمُهُمْ، مَنْ لَا نَصِيرَ لَهُ، حَتَّى إِذَا انْصَرَفُوا
بَدَأَ اتِّخَابَهُمْ تَمَثِيلَ مَهْزَلَةٍ يَضِيعُ، يَوْمَ تَثُورُ، الْحَقُّ وَالشَّرَفُ

يَقُولُونَ لِي: بَادِرْ إِلَى خِدْمَةِ الْوَطَنِ وَكَمْ مَرَّةٍ قَدَّمْتُ رَأْيِي بِلا تَمَنِّ
فَأَهْمَلَهُ جُهَالٌ قَدْرِي سَفَاهَةً، كَمَا حَاوَلَ الْبَغْلُ الْخِلَاصَ مِنَ الرَّسَنِ
كَأَنَّ الْهُدَى وَقَفَ عَلَى كُلِّ طَامِعٍ يُرَدِّدُ فِي الْأَسْوَاقِ أَنْشُودَةَ الْوَطَنِ

حَكَمُوا وَمَا بَحَثُوا فَيَا لِلشَّوْهِ مِنْ عَدْلِ هَذَا الْعَالَمِ الْمَوْجُوهِ
عَرَفُوا الْخَفَايَا بِالظُّنُونِ كَسَاحِرٍ يَرُوي كِتَابًا لَيْسَ بِالْمَقْرُوهِ
وَنَحِ الْحَقِيقَةَ مِنْ دُعَاةِ غَرَامِهَا وَالْأَدْعِيَاءِ مِنَ الْهُدَى الْمَخْبُوهِ

الْأَرْضُ دَارِي، وَمَا الْأَوْطَانُ فِي نَظْرِي، إِلَّا النُّجُومُ اللَّوَاتِي لِحُنِّ كَالْزَمْرِ
رُفْنُ اتِّحَادٍ، وَرُفْنُنَا نَحْنُ تَفْرِقَةٌ بِالرَّغْمِ مِنْ صِلَةِ الْإِغْرِيقِ بِالْعَجْرِ...
فَمَنْ يُفَرِّقُنَا؟ وَالْأَرْضُ وَاحِدَةٌ ! هَلِ الْمَمَالِكُ كَالْمَرْيَحِ وَالْقَمَرِ ؟

أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ السِّيَادَةَ بِالْمَالِ أَشْرُ مِنْ اسْتِعْبَادِ شَعْبٍ بِأَغْلَالٍ؟
وَأَعْجَبُ هَذِرٍ فِي تَسَاوِي تُمَثُّلٍ غَنِيٍّ بِمُسْتَعْطٍ، قَوْلٍ بِفَعَالٍ
فَإِنْ ضَمَّهُمْ لِلْبَحْثِ فِي الْحَقِّ مَجْلِسُ فَكَمْ فَرَّقَتْهُمْ سَطْوَةُ الْعِلْمِ وَالْمَالِ!

أَنَا شَقِيقُ إِنْ تَرَكْتُ شَقِيقِي فِي لُجَّةِ التَّيَّارِ شِبْهَ غَرِيقٍ؟
إِنَّ الْمَطَامِعَ لَا حُدُودَ لَهَا وَلَا مَحْصُولَ تَنْتِجُهُ سِوَى التَّفْرِيقِ
وَمِنْ السِّيَاسَةِ أَنْ يُضْحِيَ رَبُّهَا بِوَدَادٍ أَيْ أَخٍ وَأَيُّ صَدِيقٍ

قِيلَ الْعُرُوبَةُ مَوْطِنٌ وَحُدُودٌ وَعَوَائِلُ مَنْسُوبَةٌ وَجُدُودٌ
وَأَصَافَ قَوْمٌ: أَنَّهَا لُغَةٌ سَمَتْ بَيَانِهَا، وَالْمُنْصِيفُونَ شُهُودٌ
وَأَجَبْتُ: بَلْ هِيَ فِكْرَةٌ مَوْضُوعَةٌ، لِلْخَلْقِ أَجْمَعَ قَصْدُهَا التَّوْحِيدُ

نَحْنُ قَوْمٌ نُرِيدُ عَيْشًا كَرِيمًا وَلِكُلِّ الْوَرَى نَوْدُ النِّعْمَا
فَإِذَا ضَمَّتِ الْعُرُوبَةُ أَبْنَاءَ بِلَادِي نِلْنَا الْمَرَامَ الْعَظِيمَا
وَمَتَى وَحَدَّ الْإِخَاءُ بَنِي الدُّنْيَا اتَّبَعْنَا صِرَاطَهُ الْمُسْتَقِيمَا

أَصَوْغُ فِي مَدْحِ الْعُتَاةِ قَصِيدِي وَحُرُوفُهُ كَالْأَوَّلُوهِ الْمَنْضُودِ
وَعُرُوشُهُمْ تَفْنَى وَيَبْقَى عَرْشُهُ كَالْبَذْرِ تَحْتَ بِسَاطِكِ الْمَمْدُودِ
يَتْلُو عَلَى الدُّنْيَا الْهُدَى فَكَأَنَّهُ بَابُ النِّجَاةِ مِنَ الدَّوَاهِي السُّودِ

قِيلَ: السِّيَاسَةُ مَهْنَةٌ - وَتَخْصُصُ عِشْرِينَ عَامَ
وَأَنَا أَرَاهَا الْعَدْلَ وَالْإِخْلَاصَ فِي حُكْمِ الْأَنَامِ
سِرُّ السِّيَاسَةِ أَنْ يَسِيرَ النَّاسُ فِي دَرْبِ السَّلَامِ

عَلِيلٌ لَهُ عِنْدَ الطُّغَاةِ رَجَاءٌ ... وَهَلْ يُسْمِعُ الْمُسْتَكْبِرِينَ نِدَاءً؟
يُخَاطِبُهُمُ بِاللَّيْنِ، وَالْحَقُّ حَقُّهُ وَلَيْسَ لَهُمْ إِلَّا الْقُبُورَ دَوَاءً
فَرَحَّبَ بِحُكْمِ السَّيْفِ إِنْ كَانَ عَادِلًا، فَفِيهِ لِأَلَامِ الْعَلِيلِ شِفَاءُ

سَوْسُ الْوَرَى: أَنْشُودَةُ الْأَوْطَانِ وَهَوَى اللُّغَاتِ وَفِتْنَةُ الْأَذْيَانِ
يَتَخَاصِمُونَ عَلَى النُّفُوزِ كَصَبِيَّةٍ وَيَلِ الْأَنَامِ مِنَ النُّفُوزِ الْفَانِي
وَلَكُمْ بِلَادٍ بَدَلَتْ أُمَمًا كَمَا خَلَعَ ابْنُ آدَمَ بِالِي الْقُمُصَانِ

مَصِيرُكَ يَا « طَاغُوتُ » وَعَظُّ مُوَبَّدُ - لِمَنْ هَامَ بِالدُّنْيَا ، وَرَاحَ يَعْرِبِدُ
وَلَا يَظْلِمُ اللَّهُ أَمْرًا قَدَرُ ذَرَّةٍ فَمَا يَزْرَعُ الْإِنْسَانُ فِي الْأَرْضِ يَحْصُدُ
وَيَنْدَكُ عَرْشُ لَمْ يَصْنَعُهُ مَلِيكُهُ كَطَيَّارَةٍ تَهْوِي ، وَفِي أَلِيمٍ تَرْقُدُ

يَطِيبُ لِبَعْضِ النَّاسِ إِبْدَاءُ تَحْيِيدٍ - لِمَنْ يَجْعَلُ الْمُسْكِينَ فِي حُكْمٍ مَنبُودِ
وَأَفْطَعُ تَدْجِيلِ دَهْتِنَا شُرُورُهُ صِيَاغَةُ قَانُونٍ وَإِهْمَالُ تَنْفِيدِ
أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مِنْ شَرِّ مَكْرِمٍ - وَهَلْ يَنْفَعُ الْمَظْلُومَ حَمْلُ التَّعَاوِيدِ ؟

عَجِبْتُ لِمَنْ يَسْعَى لِرَاحَةٍ نَسْلِهِ وَأَوْضَاعُهُ تُعْطِيكَ بُرْهَانَ جَهْلِهِ
دَعَا الدَّسَلَ يَخْتَرُ مَا يُؤَاتِي زَمَانَهُ وَلَا تَوَرَّثُوهُ مَا تَعَبْتُمْ بِحَمْلِهِ
إِذَا أَنْتَ لَمْ تُصْلِحْ نِظَامًا سَمِئْتَهُ فَأَنْتَ أَمْرُو يَسْعَى لِتَعْذِيبِ نَسْلِهِ

تَعَوَّذْتُ بِالرَّحْمَنِ مِنْ عُصْبَةِ الْغَدْرِ - وَدَاءُ فَشَى فِي النَّاسِ كَالسَّلِّ فِي الصَّدْرِ
وَبَاعَةَ هَذِرٍ يَرْغَبُونَ تَخَلُّصًا مِنَ الْمَرَضِ الْفَتَّاكِ وَالْجَهْلِ وَالْفَقْرِ
يُنَادُونَ بِالطَّبِّ الْحَدِيثِ وَإِنَّمَا يَسِيرُونَ فِعْلًا بِالْعَمَلِ إِلَى الْقَبْرِ

أَيْطَلُبُ رَبُّ السَّيْفِ مِنْ صَاحِبِ الْقَلَمِ - مُمَالَاةَ جَوْفَاءِ كَيْ يَخْدَعَ الْأُمَمَ ؟
وَمَا كَانَ أَهْلُ الرَّأْيِ إِلَّا أَعْمَةً لِإِتْقَانِ قَوْمٍ سَاطِرِينَ إِلَى الْعَدَمِ
وَمَا كَانَ رَبُّ السَّيْفِ إِلَّا مُنْفِذًا فَكَيْفَ غَدَا أُسْتَاذَ مَنْ زَانَهُ الْقَلَمُ ؟

تَحْتَاجُ دُنِيَ—أَنَا إِلَى عِلَاجٍ يُصْلِحُ مَا فِيهَا مِنْ أَعْوِجَاجٍ
فَإِنْ تَخِذْنَاهُ وَقَيْنَا—نَسْلَنَا مِنْ عِلَلٍ مُخِيفَةٍ أَوْدَتْ بِنَا
وَإِنْ أَيْدِنَا وَرِثَ الْأَبْنَاءُ أَمْرَاضَنَا—، وَأَعْوَزَ الدَّوَاءُ

أَنْحِيَا وَتَقْضِي فِي شَقَاءِ مَدَى الدَّهْرِ أَمْ الْعَقْلُ يَهْدِينَا فَتَنْجُو مِنَ الْأَسْرِ ؟
هَوَى الشَّرِّ يَهْوِي بِالْأَنْفُسِ فَهَلْ تَرَى، سَبِيلَ رَشَادٍ لِلصُّعُودِ إِلَى الْخَيْرِ ؟
وَمَنْ يَتَّبِعُ أَهْمَ الْبَعِيدِ مَتَى رَأَى جُوعًا تَمُصُ الشَّهْدَ مِنْ بُورَةِ الشَّرِّ ؟

لَمَّا رَأَيْتُ الْغِنَى وَالْفَقْرَ قَدْ سَلَبَا - أَمِنْ الْحَيَاةِ تَبِعْتُ الْفَنَّا وَالْأَدْبَا
وَرُحْتُ أَسْعَى إِلَى إِجْحَادِ تَسْوِيَةٍ لَعَلَّهَا عَنْ بَيْنِنَا تَذَرُّ الْعَطْبَا
فَإِنْ أَرَادَ الْغِنَى حَرْبَ الْفَنَاءِ فَقُلْ : قَضَى عَلَى نَفْسِهِ الْجَانِي وَلَوْ غَلَبَا

لَيْسَ السَّلَامُ دِعَايَاتٍ وَتَدَجِيلًا بَلْ حِكْمَةٌ بِنْتَ فِكْرٍ يَبْهَرُ الْجِيلَا
وَهَلْ يُنْمِدُ الْوَرَى تَقْدِيمُ جَائِزَةٍ لِمَنْ يُؤَدِّي لَهُمْ هَذَا وَتَدَجِيلًا ؟
إِنَّ السَّلَامَ الَّذِي بِالْعِلْمِ أَدْعَمُهُ يُغْنِي بَنِي أَرْضِنَا عَنْ كُلِّ مَا قِيلَا

كَفَانَا نَعْنِي كَالْحَمَامِ الْمُطَوَّقِ .. فَعَيْشُ بَنِي الْإِنْسَانِ لَيْسَ بِمُشْرِقٍ
صَحَا النَّاسُ مِنْ جَهْلِ الْقُرُونِ فَهَالَهُمْ ، تَمَزَّقُ هَذَا الْكَوْنُ شَرًّا مُمَزَّقٍ
لُغَاتٌ وَأَذْيَانٌ وَأَطْمَاعٌ سَاسَةٌ فَهَلْ تَقَعُ الْمَجْمُوعُ حُبُّ التَّفَرُّقِ ؟

دَعْنِي مِنْ الْأَطْمَاعِ فَالْحَيَاةُ تَمَثِيلُ أَذْوَارٍ وَتُرَاهَاتُ
وَلَيْسَتْ الْأَوْطَانُ وَاللُّغَاتُ وَمَا تَرَى الْأَحْزَابُ وَالْهَيْئَاتُ
إِلَّا هُرَاءَ فِيهِ عَنَعَنَاتُ لِوَحْدَةِ الدُّنْيَا مُهَدَّمَاتُ

فِي النَّاسِ حُسْنٌ وَقُبْحٌ فِي النُّفُوسِ وَفِي - أَعْضَاءِ أَجْسَامِهِمْ وَالْفَرْقُ غَيْرُ خَفِي
وَكُلُّنَا وَاحِدٌ يَأْتِي عَلَى صُورٍ كَمَا اسْرَّ فِي ثَمَرٍ بِالطَّعْمِ مُخْتَلِفِ
وَمَا اتَّفَقَاتُنَا إِلَّا مُلَاءَمَةٌ بَيْنَ الْعَوَامِلِ وَالْأَسْلُوبِ وَالْهَدَفِ

لَا يَدْفَعُ الْحَرْبَ تَخْدِيرٌ وَإِزْهَابٌ فَلِلْخُصُومَاتِ أَحْكَامٌ وَأَسْبَابُ
وَمَا أَسْلَامُ الَّذِي بِالْهَذَرِ نَشُدُّهُ إِلَّا سَرَابٌ، فَمَنْ هَامُوا بِهِ خَابُوا
أُسُ السَّلامِ رُجُوعُ النَّاسِ عَنْ خَطَا - تَعَوُّدُهُ، لِأَنَّ الْحَقَّ غَلَابُ

مِسْكِينَةٌ جَمِيعَةُ الْأُمَمِ بَاتَتْ مِنَ الْعَثَرَاتِ كَالْعَدَمِ
لَقِيتَ قُرُوحًا كَانَتْ مَنَشَوُهَا فِي جِسْمِ دُنْيَانَا فَسَادَ دَمِ
كُلُّ الْمَرَامِ لَا تُفِيدُ إِذَا لَمْ تَخْلُصُوا مِنْ فُلْسِدِ النُّظُمِ

عَشِقَ النَّاسُ السَّلامَ بِالْأَغَانِي وَالْكَلامِ
وَمَضَوْا فِي غَيِّمٍ يَسْتَطِيبُونَ الْخِصَامِ
فَإِذَا لَمْ يَخْلُصُوا فَعَلَى الدُّنْيَا السَّلامُ

تَظُنُّ السِّيَاسَةَ أَنَّ السَّلامَ يَبْذُلُ مَسَاعٍ لَوْقِفِ أَصْطِدَامِ
وَمَا أَسْلَمُ إِلَّا بِتَعْيِينِ حَدٍّ لِشِدَّةِ أَطْلَاعِ بَعْضِ الْأَنَامِ
وَيُمْكِنُ بِالْإِلْمِ تَشْيِيدُ سَلَمٍ مَتَى وَحَدَّ النَّاسَ هَذَا النُّظَامِ

فَرَّقَتْ الْأَوْطَانُ وَالْمَطَامِعُ شُعُوبَ دُنْيَانَا، فَنَادَى الْجَامِعُ :
 الْأَرْضُ كَوَكَبٌ، وَلَيْسَتْ عَشْرَةٌ عَلَى مَدَارٍ وَاحِدٍ مُنْتَشِرَةٌ ...
 وَسَوْفَ يَرْتَدُّ الْوَرَى إِلَى الصَّوَابِ حِينَ يَرَى التَّفْرِيقَ مَدْعَاةَ الْخَرَابِ

قُلْ إِيَّاهُمْ عَاجِلُوا هَذَا الْوَرَى وَأُسْتَسَاعُوا تَرْكَهُ كَمَا تَرَى :
 حَدَّثُونِي عَنْ مَرِيضٍ شَفِيَا وَبِهِ الْجُرْثُومُ حَيًّا بَقِيَا
 فَمِنْ الْجَهْلِ أَنْتَظَرُنَا السَّلَامَ قَبْلَ أَنْ نُزِيلَ أَسْبَابَ الْخِصَامِ

* * *

فَإِذَا قَالُوا: سَنَدْرِكَ الْأَمَلُ دُونَ أَنْ تُنْجِزَ ذِيَاكَ الْعَمَلُ
 فَأَعْتَقَادِي أَنَّهُمْ مُضَلَّلُونَ فَأَنْشُرُوا عَنْ مَكْرِهِمْ مَا تَعْلَمُونَ
 وَالْوَرَى لَا يَنْثَنِي عَنْ فِتْنَةٍ مَا سَرَتْ أَسْبَابُهَا فِي بَدَنِهِ



شذرات

١

النساء

« يَتَمَنَّيْنَ وَهْنٌ الرَّاغِبَاتِ » وَيُحَدِّثْنَ وَهْنٌ الْكَاذِبَاتِ
كَمْ تَسَلِّينَ بِأَنَاتِ الْهَوَىٰ سَاخِرَاتٍ مِنْ دُمُوعِ هَامِلَاتِ
وَسَلِّينَ اللَّبَّ مِنْ أَهْلِ النَّهْيِ تَارِكَاتٍ لِلْمَعْنَى الْحَسَرَاتِ
فَأَبْتَعِدْ مَا أَسْطَعْتَ عَنْ هَذَا الضُّعْفِ - لَيْسَ آلامُ الْهَوَىٰ مَرْدَ نُكَاتِ
يَشْرَبُ السَّاقِي عَذَابًا كُلَّمَا ذَرَفَتْ عَيْنَاكَ مِنْهُ الْعَبْرَاتِ
يَا لَقَلْبٍ مُفْرَمٍ أَوْدَتْ بِهِ نَظَرَاتٍ مِنْ عُيُونِ الْغَانِيَاتِ

١٩٥١

٢

حب الفراب

دَعِ عَنْكَ لَوْحِي وَلَا تَسْأَلْ عَنِ الْخَبَرِ
كَفَرْتُ بِالْحُبِّ وَأَسْتَغْنِي عَنْ وَطْرِي
وَزَهَّدْتَنِي بِحُسْنِ الشَّكْلِ فَانْتَهَ
تَهَوَّى غُرَابًا قَبِيحَ الْوَجْهِ وَالْأَثَرِ
كَأَنَّمَا نَفْسُهَا مِنْ رِيْشِهِ أَنْبَشَقَتْ
فَأَسْتَخْسَنَتُهُ ، وَلَيْسَ الْمَرُّ بِالصُّورِ
إِنْ لَمْ تَكُنْ لِلْهَوَىٰ الرُّوحِيَّ قِيَمَتُهُ
فَلَيْسَ لِلْحُبِّ مَعْنَى يَا بَنِي الْبَشَرِ

١٩٤٢

ما أختيالي بحُسنِ وجهٍ ومالٍ إنَّ فنيَّ الجميلَ يُبدي جمالي
كلُّ شكلٍ يفني فأكرمَ بذكرٍ أنتَ تحيا به مدي الأجيالِ
حُسنُ أيارَ بالنَّسيمِ المُحتلِّ بعيرِ النَّارِ نَجِّ والبرُّقالِ
يا لطيبٍ مِنَ الأزاهرِ يفني عن بديعِ الألوانِ والأشكالِ
مثلاً أغني الفجرُ عن طلعةِ البدرِ وحُبُّ الهدى عن العذالِ

١٩٥٠

كِتابُ الكُفرِ يفلتُ واضِعوه ويُحكِّمُ بِالْجَرِيمَةِ قَارِئُوهُ !!
فَوَاهَا لِلْقَضَاءِ إِذَا أَذْهَمَتْ قَضَايَاهُ ، وَضَلَّ مُحْكَمُوهُ
وَيَا لَهْفَ الضَّعِيفِ بِمَا يُلاقِي ! أَيُهْزَمُ حَقُّهُ وَيُكَمُّ فَوْهُ ؟
كَفَاكُمُ يَا بَنِي الْأَرْضِ أَدْعَاءُ فَإِنَّ الْعَدْلَ يَظْلِمُهُ بَنُوهُ
وَمَا الدُّنْيَا بِمُنْبَتَةٍ قَضَاءُ كَعَدْلِ اللَّهِ - حَتَّى تَحْمَدُوهُ

١٩٣٥



أَيْنَ كُنْتُ وَمَنْ أَنَا؟ كَيْفَ يُعْصِي الَّذِي أَرَاهُ؟
 كَيْفَ يَسْتَلْهِمُ الرُّؤْيَى مَنْ غَرَامُ الثَّرَى مُنَاهُ؟
 إِنَّ يَنْبُوعَ فِكْرَتِي دَلَّ رُوحِي عَلَى الْمِيَاهِ
 فَهِيَ تَحْيَا لِأَنِّ فِي هَيْكَلِ النُّورِ لِي صَلَاةُ
 هَلْ يَزُولُ الزَّوَالُ إِنْ مَرَّ فِي هَذِهِ الْحَيَاةُ؟

١٩٢٧

تَفَرُّ الْمُنَى يَفْتَرِّ عَنْ رُؤْيَى الْجَمَالِ
 وَالْمَرْءُ مَهْمَا أَغْتَرَّ يُدْرِكُ الْمَالَ
 فَالْعُمُرُ مَا أُسْتَمَرَّ وَالْهَوَىٰ ظِلَالُ
 وَالْبَرْدُ يَتَلَوُ الْحَرَّ وَالْهُدَىٰ الضَّلَالُ
 كَيْ لَا يَظْلَ الشَّرُّ عَادِمَ الزَّوَالِ

١٩٥٢



المزمور الاول لداود النبي الملك

طُوبَى لِمَنْ لَمْ يَتَّبِعْ مَشُورَةَ الْأَشْرَارِ
وَلَمْ يَسِرْ فِي طُرُقِ الْخَطَاةِ الْفُجَّارِ
وَلَمْ يَقِفْ فِي مَجْلِسِ الْمُسْتَهْزِئِ الْمِهْذَارِ

لَكِنَّمَا سُرورهَ بِرَبِّهِ الْفَهَّارِ
يَهْدُ فِي نَامُوسِهِ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ

فَهُوَ كَغَرَسَةٍ نَمَتْ عَلَى مَجَارِي الْمَاءِ
تَمَارُهَا يَانِعَةٌ أَوْرَاقُهَا خَضْرَاءُ

وَكُلُّ مَا يَصْنَعُهُ مَصِيرُهُ النَّجَاحِ
كَأَنَّمَا أَصْدَادُهُ عَصَافَةُ الرِّيحِ
فَالشَّرُّ يُعْجِ كَالْذُّجَى أَذْرَكَهُ الصَّبَاحُ

وَلَيْسَ لِلْأَشْرَارِ أَنْ يَقُومَ فِي الدِّينِ
وَلَنْ تُرَى الْأَشْوَاكُ مَا بَيْنَ الرِّيحَيْنِ

فَرَبُّكَ الْجَبَّارُ يَدْرِي طُرُقَ الْأَبْرَارِ
وَقَدْ رَمَى إِلَى الْبَلَى طَرَائِقَ الْأَشْرَارِ

عَرَفْتُكَ يَا قُدُّوسُ جُهْدَ اسْتِطَاعَتِي
وَصَاقَتْ بِإِذْرَاكِ الْكَمَالِ وَسِيلَتِي
وَأَنْتَ الَّذِي حَدَدْتَ مِقْدَارَ طَاقَتِي
فَلَا تُنْفِ عَنِّي، وَأَغْتَفِرْ لِي تَقِصَّتِي
لَعَلِّي إِذَا أَمْسَى نَعِيمُكَ غَايَتِي
أُطَهِّرُ نَفْسِي مِنْ بَقَايَا خَطِيئَتِي
فَهَبْنِي بِإِقْرَارِي بُلُوغَ سَعَادَتِي
وَوَجِّهْ إِلَى نَفْعِ الْعِيبَادِ مَشِيئَتِي

١٩٥٤



Zahr-ur-Ruba

«HIGHLAND FLOWERS»

A BOOK OF ARABIC POETRY

BY

MICHAEL ALLAWERDI

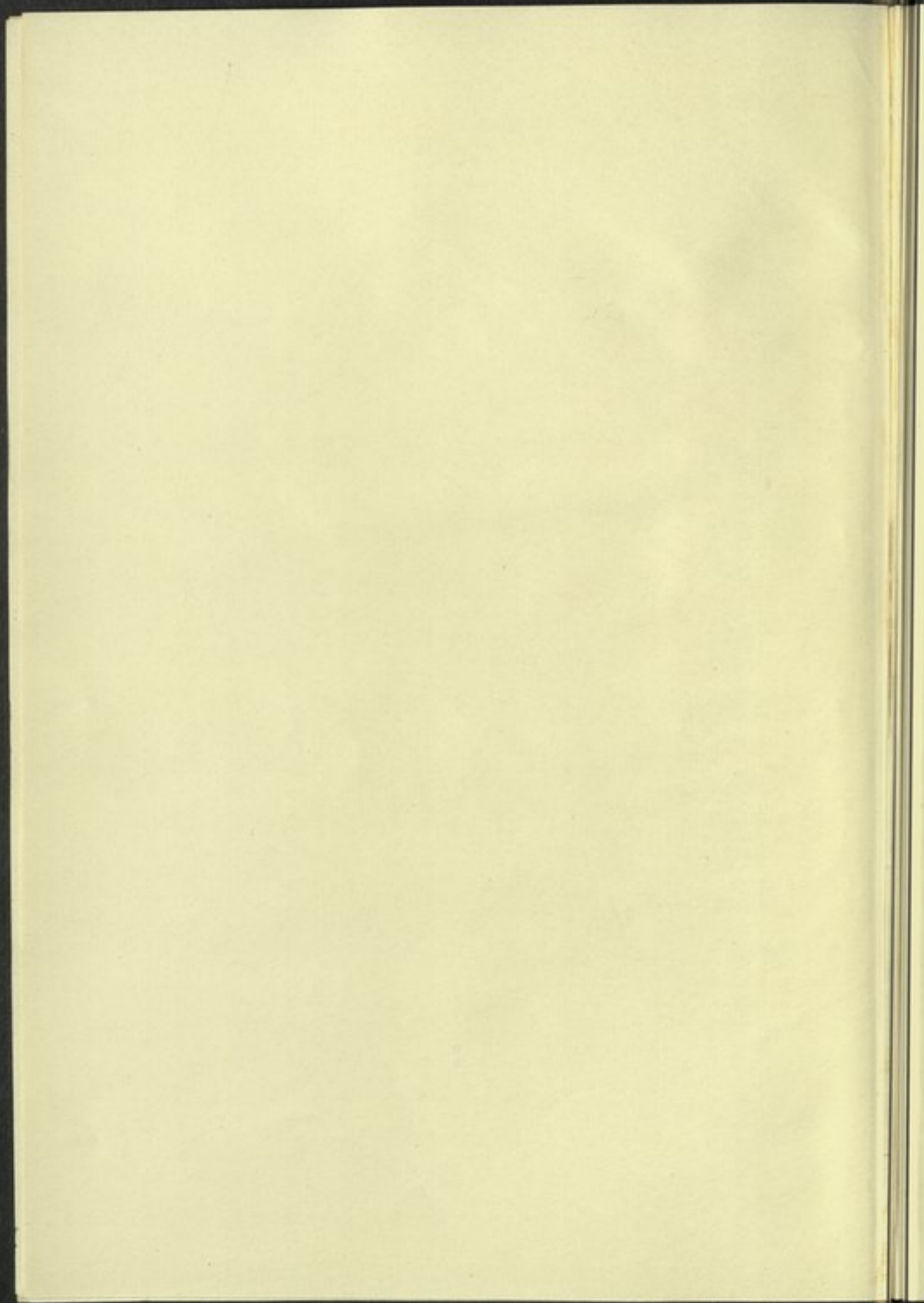
Author of «The PHILOSOPHY of ORIENTAL MUSIC»



Adress all communications to **M. ALLAWERDI**

P. O. Box N° 323 — DAMASCUS (Syria)

Printed by «The Hashimiya Press» Damascus



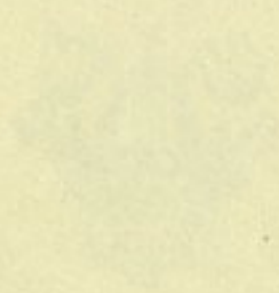
Early in Ruba

WILLIAM AND ELEANOR RUSSELL

OF THE NEW YORK SOCIETY OF MUSIC

MICHAEL A. LAWRENCE

NEW YORK: THE NEW YORK SOCIETY OF MUSIC

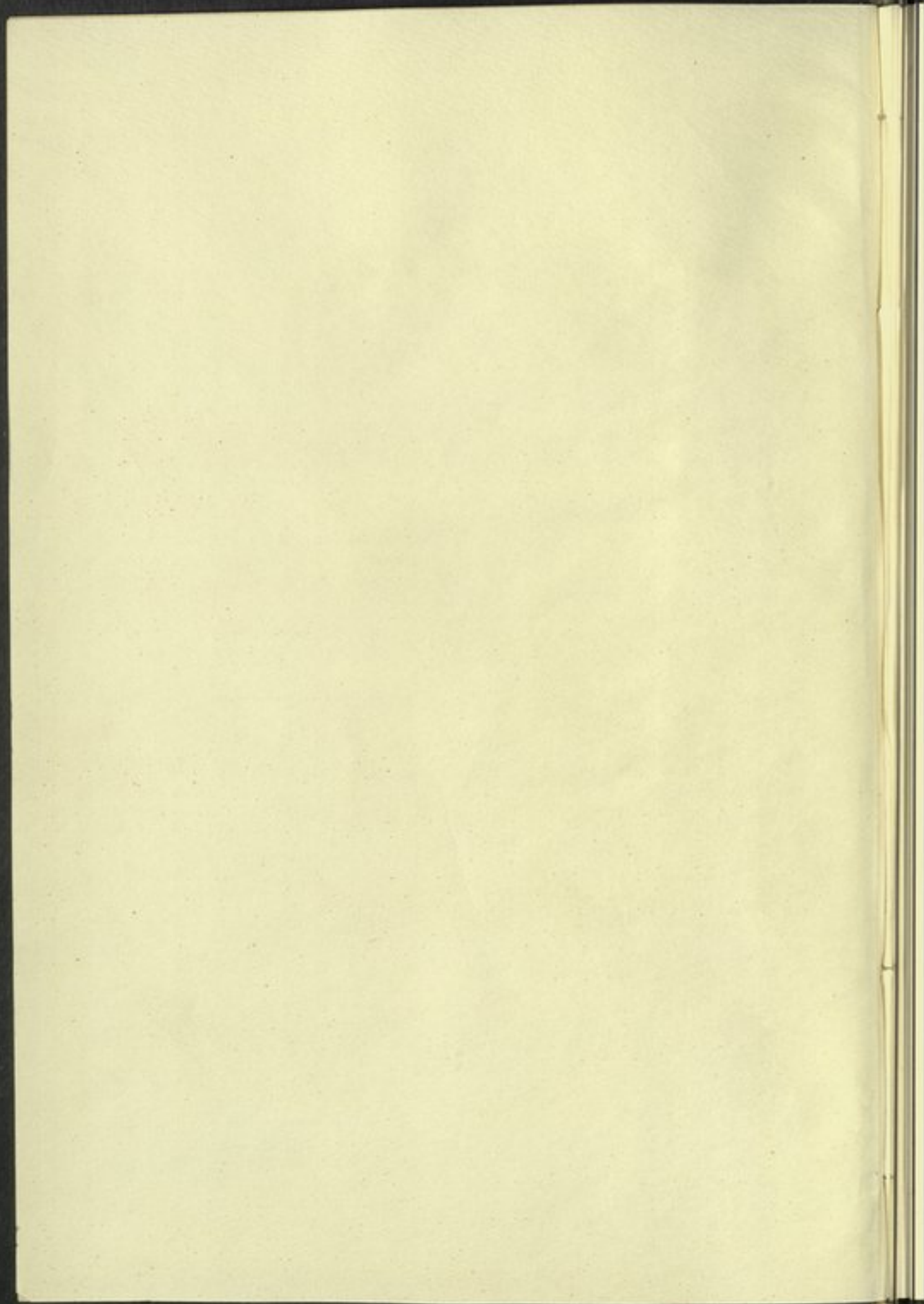


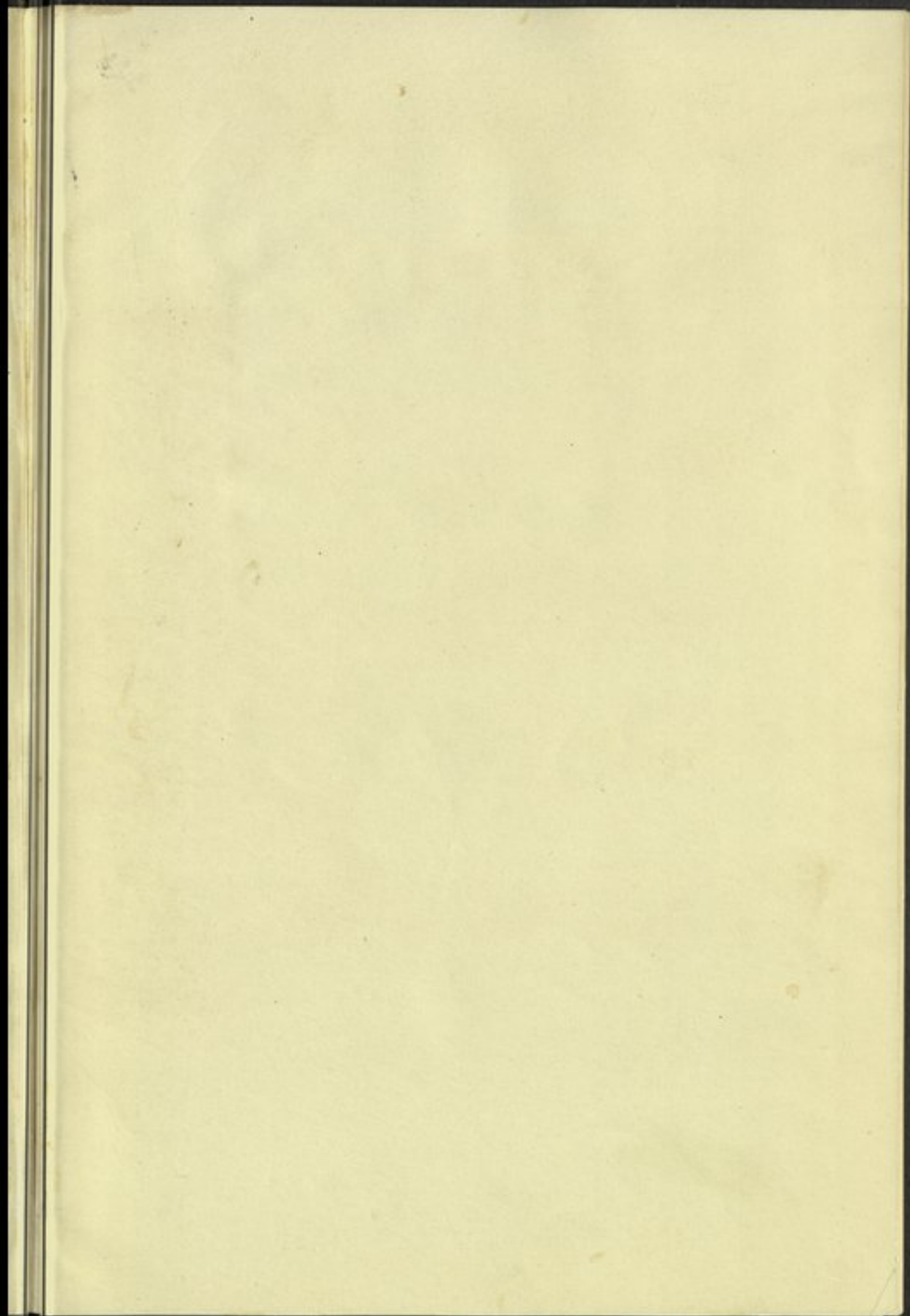
THE NEW YORK SOCIETY OF MUSIC

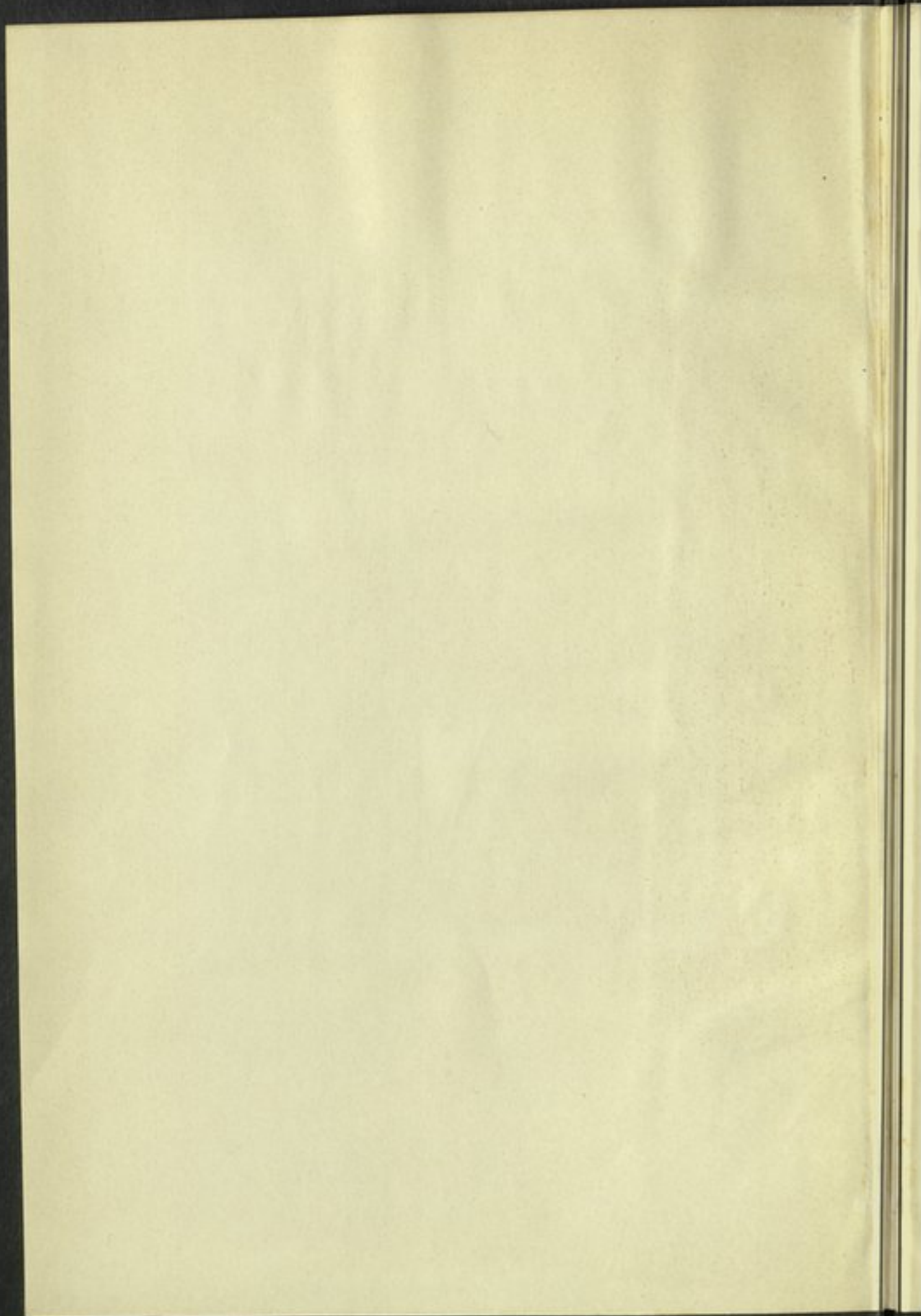
NEW YORK: THE NEW YORK SOCIETY OF MUSIC

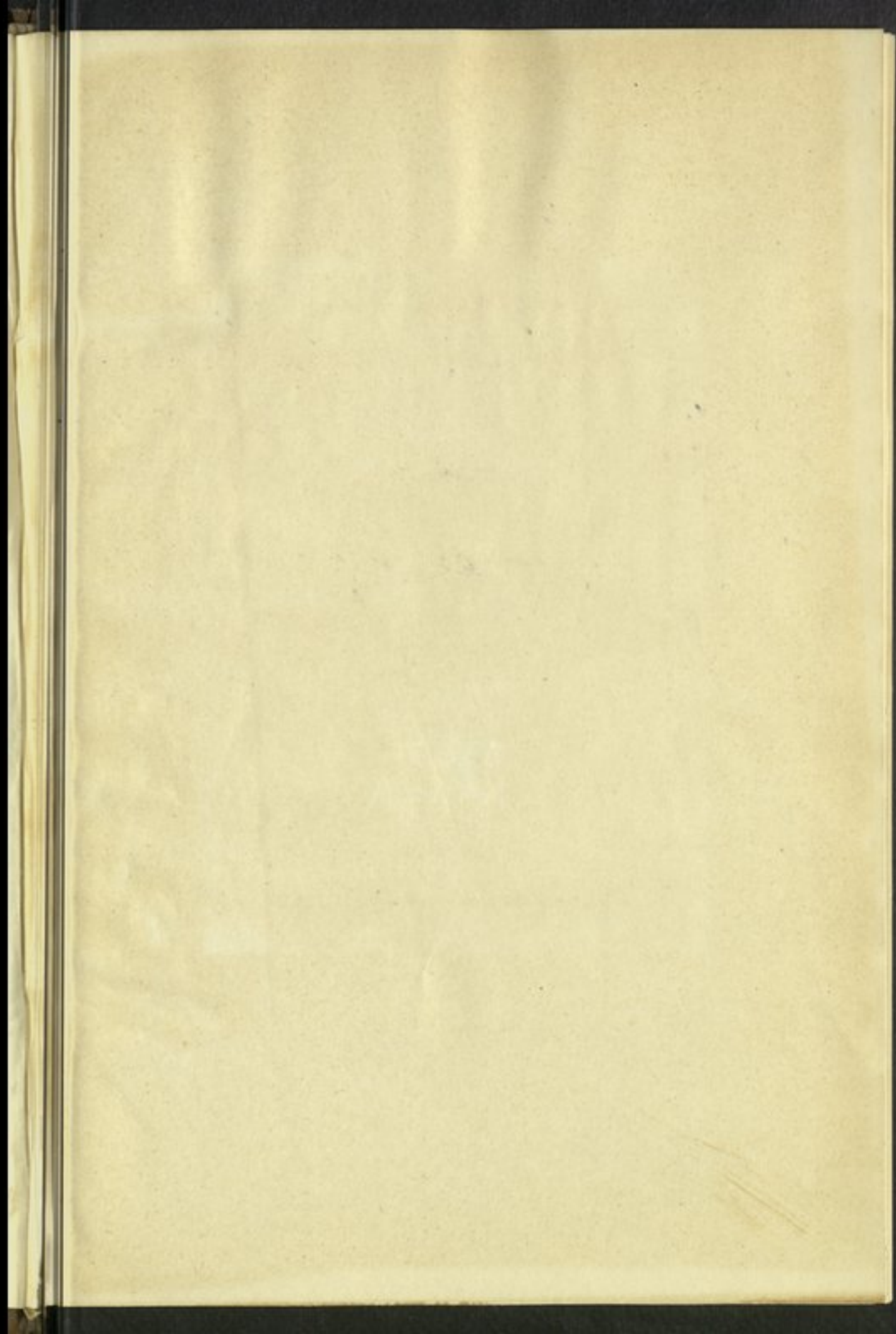
NEW YORK: THE NEW YORK SOCIETY OF MUSIC

NEW YORK: THE NEW YORK SOCIETY OF MUSIC









الله ويردى، ميخائيل خليل

زهر الربى: شعر

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01234567

American University of Beirut



General Library

